

التاريخ العام لأهم خصائص

نظم وقوانين

الحضارة الصينية القديمة

دكتور
سمير عبد المنعم أبو العينين
أستاذ فلسفة وتاريخ القانون بكلية الشريعة
والقانون — جامعة الأزهر بطنطا
والمحامي بالنقض والإدارية العليا
٠١٢٢٣٧٩٤١٠٣/٤٥٠٢٤٦٢

دراسة

تاريخية وفلسفية عن الجذور الأصولية لأهم خصائص النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والقانونية للحضارة الصينية القديمة – من العصر الحجري القديم ألي نهاية حكم إمبراطورية هان الشرقية عام ٢٢٠ م

دكتور

سمير عبد المنعم أبو العينين

أستاذ تاريخ وفلسفة القانون
كلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر بطنطا
والمحامي بالنقض والإدارية العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات الآية {١٣}

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

بقلم العالم الجليل أ. د/ محمود السقا

****

جاء هذا " البحث الضخم " الذي احتواه مجلد كامل شكلا وموضوعا كمرجع علمي رائع ومتميز ... في موضعه ... بل وفي موعده.

إن ذلك البحث الذي اختاره الباحث بدقة الاختيار وحس التمييز ليعبر باستفاضة عن أكثر من معنى - قد كشفت عنه هذه الدراسة الأكاديمية والمتأنية والصابرة، باحثة عن مكنون الحياة الأولى منذ بداية فجرها في الشرق عموما ... وتوقفنا متأملا وبحثا في " أعماقها " عند الحضارة الأولى التي تألقت وازدهرت في ربوع الصين بكل مقوماتها الأساسية .. شعبا وحكومة وفلسفة وحياة ومادة وروحا ....

فاينعت وآتت أكلها باسقة خضراء، وفي يقيني تمثل درة على جبين التاريخ والدراسات التاريخية والفلسفية التي نحن اليوم، وفي كل عصر في أشد الحاجة إلى " التذكير " بها ومناقشتها، وكشف " المجهول " فيها ... حتى يلتقي الحاضر بالماضي من أجل سعادة المستقبل.

في هذه الدراسة " الماثلة " إبحار ذكي في " بحور عميقة وغريقة " وكانت في حاجة إلى " ملاح ماهر " فكان صاحبنا الذي عرفناه عبر دراسته لتاريخ وفلسفة نظم وقوانين الحضارات القديمة .. فاننا، صابرا، عميقا، ودودا في تحليلاته العلمية،

لا يبغي إلا الحقيقة هدفاً من أهدافه دون أي تحيز فكري مسبق ودون مجاملة لحضارة على حساب حضارة أخرى.

ونعرفه قد طاف بحضارات عدة معاصرة ومواكبة لحضارة الصين القديمة، فقد وجد حضارة بلاده ... "مصر الفرعونية" وغاص بعمق فيها ليوضح بصدق كيف ازدهر فيها القانون وأينع، وكيف كان للعدالة شأن عظيم وصلت إلى حد "تأليهها"، وكيف كان "العدل" بحق هو "أساس الحكم".

ونعرفه أيضاً أنه قد عايش الحضارة البابلية القديمة التي ترعرعت على ضفاف الرافدين: دجلة والفرات وقدمت لنا حكيم الزمان، وصاحب الموسوعة التاريخية التي عبقت شهرتها التاريخ البشري في محراب الدراسات القانونية "مجموعة حمورابي ... الذي اكتسب من خلالها صفة الحاكم الحكيم العادل "أب الرعية" ...

وكذلك نعرفه أنه قد عاش بيقظة وتأمل عميق في ظل معظم الحضارات الأخرى، ولذا كان لابد أن يختار من هذا الظليل "عرسه الفكري" ويرتضي حضارة تستهوي تكوينه العقلي والفكري ... فكان العاشق بلا منازع للحضارة الصينية.

والحاكم الحكيم الذي خلف عرش (فوهسي) حبيب الشعب "شين نونينج" ثم من بعده الامبراطور "هوانج دي" الذي اشتهر بالحكمة والعدل والقوة في الحق ... ومن بعده فلاح الصين الفصيح الحكيم "شون" ... الذي يذكرنا بالفلاح المصري القديم "خمونانوب" الذي قنن الحق والحكمة والعدل وأعلنه أمام فرعون مصر الذي لم يغضب منه، لأنه كشف الظلم ورسم طريق الحق والعدل والانصاف ...

وكانت "الدرة العصماء" .. في جبين "الفكر الحضاري" عالي المقام ... تحدث الباحث في عشق أيضا عن حكيم العالم القديم بأسره والتي ما زالت تعاليمه تشع نورا في هذا الزمان أنه . كونفوشيوس . ذلك الفيلسوف الصيني "خالد الذكر" والذي قال عنه "هنري توماس" المؤرخ الأمريكي المشهور [أن مجيء كونفوشيوس إلى العالم قد أعلنته أرواح السماء التي طيبت شذى الهواء حول مهداه] وأطلق عليه أبوه السيد الحكيم كونج .

كان للمبادئ والأفكار التي نادى بها كونفوشيوس والفلاسفة الآخرون الذين مثلوا معه التراث الأصيل لفكر وثقافة وفلسفة الحضارة الصينية القديمة مثل "لاوتسي" و "منشيوس"، و "شيوانتسي" في يقيني هي التي اصطحبت باحثنا إلى

عشق الحضارة الصينية . . . والكشف عن " الدرة الفكرية العصماء " ممثلة في تلك المبادئ الفاضلة التي نادوا بها عن العلم والتعليم، والسلوك الفاضل والطبيعة السمحاء، وقوة العزيمة، وكلها كما نرى ونشارك الباحث في تحصيل معناه - تدور حول فكرة واحدة قادرة تتمثل في العدالة . . . إذ العدالة في يقين كل فلاسفة الصين خالدة أبدية سرمدية .

أليس كونفوشيوس هو القائل :
" إننا لا نتعامل مع البشر كملائكة . . . وإنما كبشر فيهم الخير وفيهم الشر . . . والخير أبقى . . والباقيات الصالحات أروع وأخلد . . . فلنشجع الخير ونقاوم الشر بتطبيق مبدأ العدالة المتبادلة . .] ولذلك فأنه أول من رسم بعمق طريق العدالة التبادلية التي غزت الفكر الغربي فيما بعد . . . . واحتضنها شيخ فلاسفة الإغريق وكبيرهم ارسطو . . .

هنا إذن الحكمة الصينية قد أشعت على الكون كله . . . . . . عاشت وتعمقت . . . وما غرب الإشعاع . . وتلك لعمري . . . . كما رأينا جاءت البنوءة الصادقة للباحث التي يتحقق معها فكرا وبيانا وتحليلا نظرية الدورات التاريخية . . . . ممثلة هنا : الازدهار الحضاري دائم الاخضرار . . . وموقعه هنا - بلا منازع - على أرض الصين حيث يلتقي دائما

اختار الباحث هذه الحضارة التي انبثقت مع الشمس في شروقها ، وتولدت مع أشعتها آيات بينات من حضارتها العظمى ليبرهن أن الشرق ... بلا أي جدل – سباقا في وضع أسس وتعاليم الحضارة الإنسانية ، وأن الحضارة الصينية من أهم منابع الحضارة الشرقية ... فقد اختارها لأنها حضارة "ذاتية" نشأت وترعرعت وعاشت وخلدت "حتى وقتنا هذا" من نبع ذاتي ودعائم حضارية خاصة ... فقد استمدت كل مقومات وجودها وتألقها من أرضها وسواعد شعبها وقيمه الخاصة ... فلم يحدث أبدا على جسر الزمن الممتد الذي تشكل تاريخ الصين أن "اقتبست الحضارة الصينية" علما أو فنا أو فكرا أو فلسفة أو قانونا من بلد آخر ... وإنما كل شيء صناعة صينية ذاتية . صنعها الفكر الصيني بعقول الصينيين أنفسهم وبما تحلوا به من قيم روحية سامية ... فكان هذا السبب إلى جانب أسباب أخرى عديدة أحصاها الباحث عددا في مجال الفكر الراقي والفلسفة والدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع والاختراعات الهائلة هادية لمعالم الطريق نحو النبوغ الصيني ... الذي في يقين الباحث ورؤيانا معه يتبوأ بمكان الصدارة في النبوغ الحضاري على جسر التاريخ منذ فجر شروقه ، عابرا الأزمان منذ بداية العصر الحجري القديم ، وحتى وقتنا هذا ... وعمق الحضارة وسمو دعائمها خير شاهد على أن الحاضر هو ابن الماضي وأنه بلا ريب هو أب المستقبل .

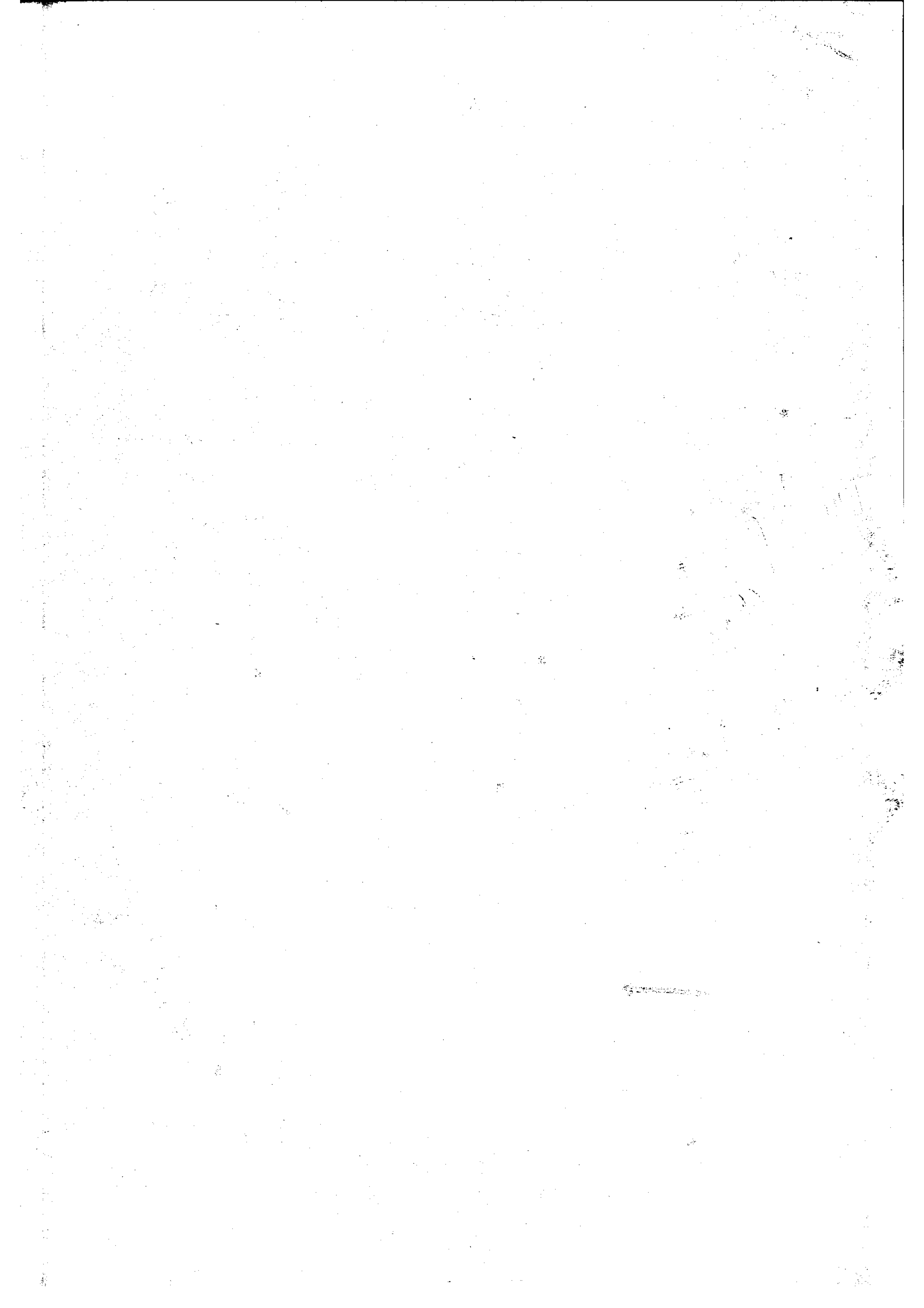
ولهذا نقول بصدق واقتناع بأن هنا قد تحققت نبوءة الباحث العلمية وكشفت دراسته العميقة في هذا المضمار عن " رؤيا موضوعية " صحيحة وسديدة ... لأن الذي نراه الآن هو أن الصين التي كانت " درة الشرق " في العالم القديم لا تزال باقية " وزينة الحضارة الإنسانية " حتى عالم اليوم ... وإن كل التقديرات مع التطور الذي أصاب الإنسانية في كافة أرجاء هذا العالم الحي تشير برؤية واضحة بأنها مازالت تملك الدعائم الأساسية والقوة الفكرية والروحية والإنسانية التي صاحبتها على جسر الزمن صحبة أبدية لكي تنطلق بها وتؤهلها لتحتل مكان الصدارة في الساحة الدوليــة ... لأن الصحيح ... والحكمة والحق لا تغرب لهما شمس ... بل تزداد وهجاً ونوراً مع الأصالة .

إذ نحيي الباحث الذي أحببناه في أحضان العلم وتحت " ظله الظليل " الأخ والصديق الأستاذ الدكتور / سمير عبد المنعم عبد الخالق أبو العينين ... الذي ما التقينا به " لقاء علم وفضيلة " إلا وبدأ في الحديث عن عشقه الفكري لحضارات الشرق ثم يتناول حضارة بلاد الصين وكيف بدأت فيها الحكمة والفلسفة والفكر النافع بداية من البطل الثقافي الأسطوري فوهسي الذي جلس على العرش عام ٢٨٥٢ ق . م ـ صاحب كتاب " المتغيرات " الذي صعد به إلى منزلة التقديس .....

الماضي مع الحاضر . . . في وضع أسس دائمة مبنية على الدعائم الحضارية القوية في بناء "الغد المأمول" . . . والصين هي المرشحة الآن . بفضل هذا التفوق الحضاري الآن نعيش مجدها الدائم وتحتل مكان الصدارة في المجتمع الدولي .

وإذ نصل إلى هذا المقام نحيي المؤلف على هذه الدراسة العميقة وأيدينا مرفوعة إلى السماء أن يمده الله بمدد من عنده . . . جزاء وفاقا على هذه المتعة الفكرية الروحية النابعة من قلب الشرق — والتي تعتبر الآن أول مرجع علمي متميز ورائع عن نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة ستحضنه بتفوق كل المكتبات في هذا العالم الحي .

أ . د / محمود السقا
أستاذ فلسفة وتاريخ القانون
بكلية الحقوق — جامعة القاهرة



إهـــداء

إلي :

مـن يريـدون معرفـة الجـذور الأصوليـة للحضـارة العالميـة التـي تأسسـت ونبتـت وزدهـرت وتـألقت فـي المجتمعـات الشـرقية القديمـة وامتـدت فروعـها وأغصانـها المليئـة بكـل معـاني الحيـاة الكريمـة والوجـود الكلـي لعـالم الـروح والمـادة إلـي كـل المجتمعـات الغربيـة منـذ آلاف السـنين

إلـي :

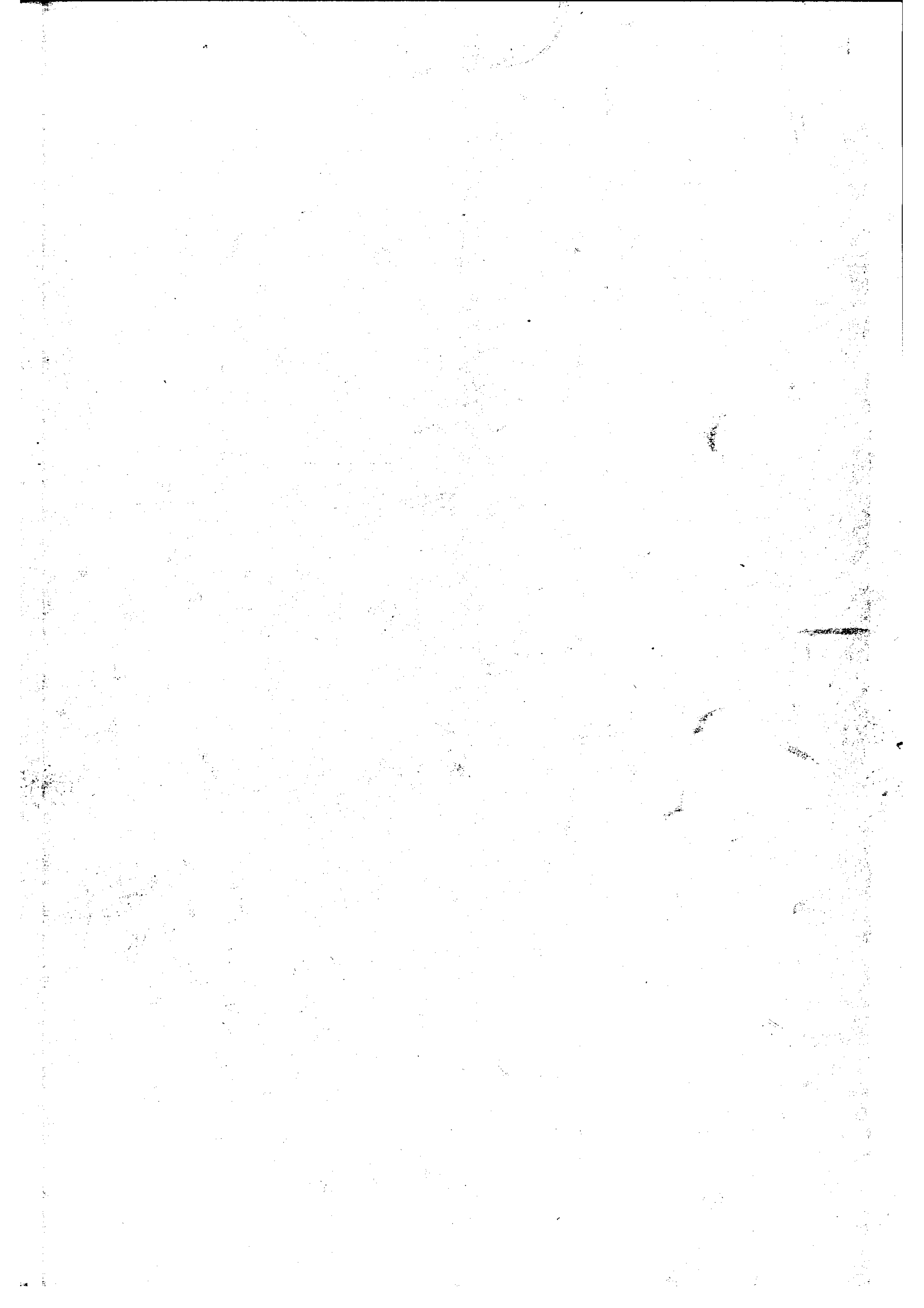
مـن ينشـدون الوصـول إلـي الحقيقـة التـي تكشـف بالرؤيـة والبرهان مدي فضـل الشـرق علـي الغـرب فـي كـل أمـور العلـم والمعرفـة ونـور الحـق والهدايـة منـذ بدايـة الحيـاة الإنسـانية وحتـي عـالم اليـوم وإلـي أن يـرث الله سـبحانه وتعـالي الأرض ومـا عليـها

إلـي :

روح أمـي ، وروح أبـي ، وروح أجـدادي . رحمـهم الله وتغمدهـم برضوانـه وأسـكنهم فسـيح جناتـه

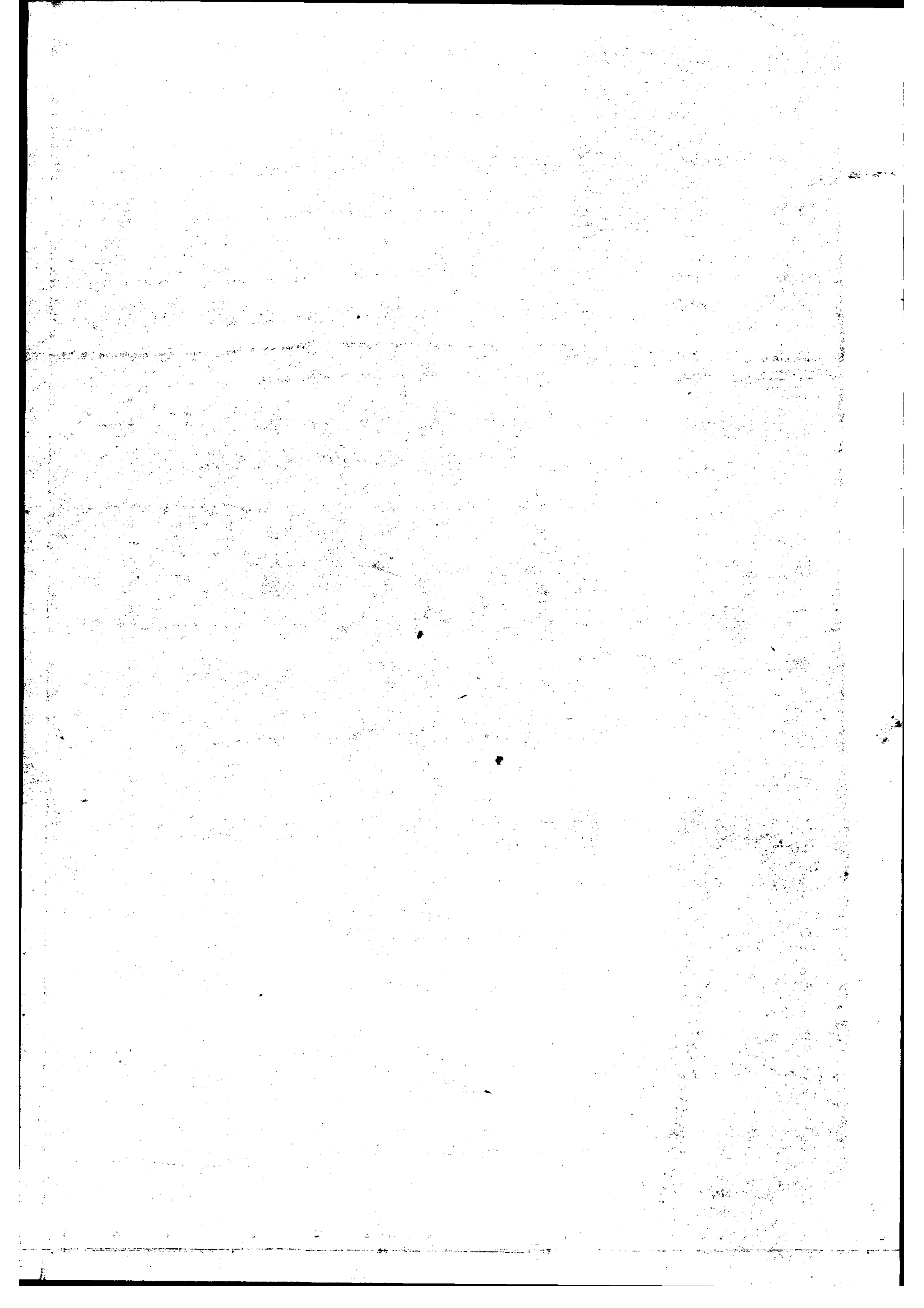
إلـي :

زوجتـي وأولادي نـادرة ونـورا ومحمـد الذيـن أعطونـي المزيـد مـن العـون ونسـمات التفـاؤل والأمـل أثنـاء كتابـة هذا المؤلـف حتـى انتـهيت منـه لنسـعد بـه جميعـاً بعـد أن أظـهر بـالواقع واليقيـن المكانـة المتألقـة للحضـارة الصينيـة القديمـة باعتبارهـا مـن أهـم حضـارات الشـرق المرتبطيـن بـه مصيريـاً ووجدانيـاً ونتبـاهى بوجودنـا فيـه مـدي الحيـاة

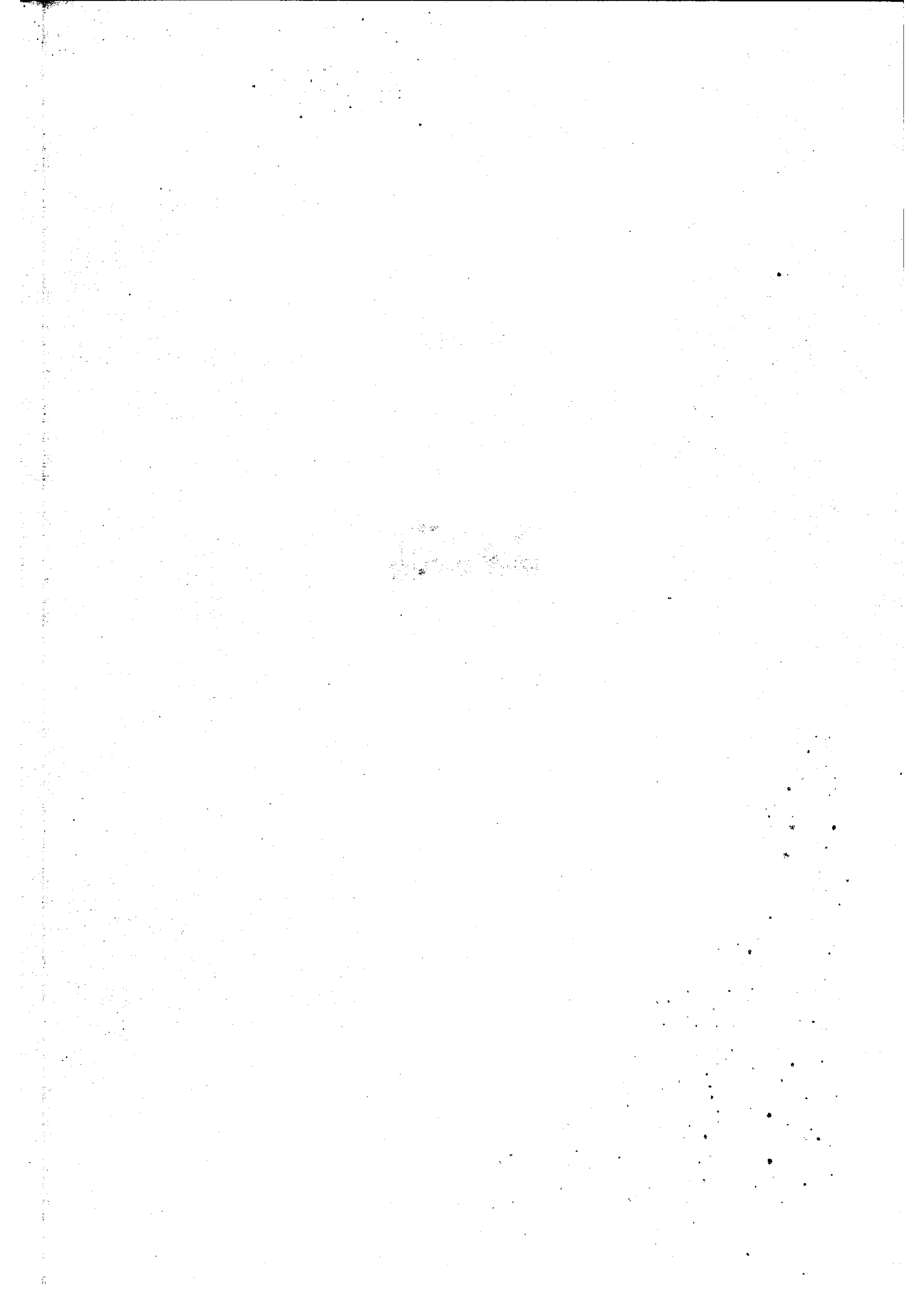


{ اطلبـــوا العلم لو كــان في الصـــين }

من الأقوال المأثورة في الفقه الإسلامي



المقدمة



تؤكـد المصادر التاريخية والشواهد المرئية لآثار الماضى البعيد بـأن الحضارة الصينية من أقدم وأعرق وأزهى الحضارات التى تأسست بجـذور عمـيقة فى العالم القديم - وأن الصينيون القدماء كانوا من أكثر الشعوب مدنية وتحضر منذ فجر التاريخ، حيث اغتنوا بالعلم والفنون وأدق أمور المعرفة، وأتقنوا بمهارة فلاحة الأرض وزراعة المحاصيل الزراعية المخـتلفة، واعتـنوا بالصناعة والحرف اليدوية المتميزة، وحققوا ببراعة إنجازات واختراعات عديدة، وأعتنقوا قيم ومبادئ أخلاقية صالحة، وتحلوا بـآداب اللـياقة لـيعطوا لمجـتمعهم أجمل صورة لمعنى الحياة الإنسانية الكريمة.

ولـذا فقـد صنعوا مع المجتمعات الشرقية القديمة التى عاصرت تألقهم وعلى الأخص مصر الفرعونية، وبلاد ما بين النهرين، والهند، مجد وشـموخ الحضارة الشرقية، كما أسسوا مع هذه المجتمعات حكمة الشرق الـتى حققت لكل شعوب العالم على مر العصور المختلفة رصيد هائل من المـثل العلـيا للحياة الطيبة، وحددت لهم معالم الطريق لرؤية أهم الأسس الـتى تستند عليها المعانى السامية للوجود الكلى فى هذا الكون، ووضحت لهـم المفاهـيم المـتكاملة للأخوة الجامعة التى تضمهم فى كيان الإنسانية الواحدة.

وقـد عبر عن ذلك الكثير من العلماء والمفكرين والفلاسفة كالذين ذكر بعضهم (ول ديورانت) فى مؤلفه (قصة الحضارة) مثل (ديدرو) الذى قـال (أن الصـينيون القدماء يفوقون كل من عداهم من الأسيويين فى قدم عهدهـم، وفى فنونهم، وعقليتهم، وحكمتهم، وحسن سياستهم، وفى تذوقهم الفلسفة - بل إنهم فى رأى بعض المؤلفين ليضارعون فى هذه الأمور كلها أرقـى الشعوب الأوروبية وأعظمها إستنارة). و(الكونت كيسر لنج) الذى

قـــال بأن (الصين القديمة قد أخرجت أكمل صورة من صور الإنسانية، وكانـــت فـــيها صورة مألوفة عادية ... وأنشأت أعلى ثقافة عامة عرفت فى العالم كله ... وأن عظمة الصين لتتملكني وتؤثر فى كل يوم أكثر من الـــذى قـــبله ... وأن عظمـــاء تلـــك الـــبلاد لأرقـــى ثقافـــة من عظماء بلادنـــا ... وأن أولئك السادة لهم طراز سام من البشر، وسموهم هذا هو الـــذى يأخذ بلبى ... أن تحية الصيني أنستقف لتبلغ حد الكمال! .... وليس ثمة من يجادل فى تفوق الصين فى كل شأن من شئون الحياة .. ولعل الرجل الصينى أعمق رجال العالم على بكرة أبيهم).[١]

- وإذا كانـــت الحضـــارة الصـــينية عميقة الجذور فإنها أيضاً ذاتية الأصول ولم تستمد أى أسس أو أى مقومات خارجية من حضارات أخرى أقـــدم مـــنها - لأنها زرعت ونبعت وتأصلت منذ عهودها الأولى وحتى القرن السابع قبل الميلاد فى بيئة صينية الأصل بجهود وكفاح شعبها القديم الـــذى كـــون مجتمع إنسانى قائم على الترابط والأخوة والمحبة الشاملة، وبالـــتالى تعتبر الحضارة الصينية فريدة الميلاد فى العالم القديم، ولم تكن مثل الحضارات التى تأثرت كل واحدة منها بالأخرى، أو مثل التى قامت وتأسســـت علـــى أكـــتاف الأســـبق منها، كالحضارات الحثية والإغريقية والفارسية والرومانية التى استمدت معظم أصولها من الحضارات الشرقية الأقدم منها وعلى الأخص مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين.[٢]

- وقـــد حـــاول بعض المؤرخين والمفكرين الغربيين الحاقدين على الحضـــارة الصـــينية ومكانتها المتألقة أن يثبتوا عكس ذلك بشتى الطرق والأســـاليب إلا أنهـــم فشـــلوا تماماً فى أن يقدموا أى دليل يشير من بعيد أو قريـــب بـــأن الحضـــارة الصـــينية القديمة قد تأثرت عند تأسيسها بأي حضارة أخرى، أو استمدت أى أصول أو مقومات من حضارات أقدم منها عندما زرعت أصولها منذ فجر عصورها التاريخية.[٣]

- لذلك فإن ما يقرره العالم (أولبرايت) بأن الحضارة الصينية ليست ذاتية الأصول عندما نبعت واستمدت مقوماتها من حضارات أقدم منها[٤]، ومـا يقــرره الفيلســوف الفرنسى (فنيلون) بأن الشعب الصينى ليست له حضـارة فائقــة ولا أصلية الجذور[٥] - ما هى إلا أقوال هشة ومصابة بالعوار ولا تستند إلى أى أدلة مقنعة وعارية تماماً من الحقيقة.

- والشــعب الصــينى القديــم لم يؤسس مجتمع إنسانى ويحقق فيه الخـيرات والإنجازات العديدة ألا بالكفاح والجهد المثمر، والتحدى بكل ما يملـك مــن ســواعد قوية وإرادة مشتركة وعزيمة ثابتة لظروف الطبيعة القاسية وكل الأمور الصعبة التى كانت تعترض طريقة - وليس من خلال الغــزو والاحــتلال والســلب لحقــوق وخــيرات شــعوب المجتمعات الأخرى - أي لم يكن الصينيون القدماء غزاه فاتحين مثل بعض الشعوب الـتى أنشــأت دول وإمبراطوريات بالحروب المدمرة والفتح كالهكسوس والفرس - ولذلك فإن المجتمع الصينى قد نشأ على أسس عادلة، وروابط قوية مليئة بالمودة والتضامن المشترك بين أفراده الذين جعلوا حياتهم تسير نحــو صــحبة لانهائــية من الأخوة والمحبة والاحترام الشامل إلى جانب الإلتزام فى حماية المصلحة العامة، وفى إطاعة القوانين الصالحة، والثورة ضــد القوانيــن الفاسدة لتحطيمها أو تعديلها، والاقتناع بكل المعايير التى توضــح وتؤكــد بــان الحياة الإنسانية الصالحة لا يمكن أن تتحقق مــن خــلال ما يحصل عليه الفرد من منفعة فى ظل حكومــة فاسدة ، وإنما بما يدخــل إلى قلب المجتمع ككل من خير وسعادة فى ظل حكومة عادلة يتمتع فيها الجميع بالحرية[٦] وخير دليل على ذلك ما ذكره (ول ديورانت) عن خطبة ألقاها دوق جو بين يدى الملك (لى وانغ) حوالى عام ٨٤٥ قبل الميلاد قــرر فيها بأن (الإمبراطور أو الملك يعرف كيف يحكم إذا كان

الشـــعراء أحراراً فى إلقاء الشعر، والناس أحراراً فى تمثيل المسرحيات، والمؤرخـــون أحراراً فى قول الحق، والوزراء أحراراً فى إسداء النصح، والفقـــراء أحراراً فى التذمر من الضرائب، والطلبة أحراراً فى تعلم العلم جهراً، والعمال أحراراً فى مدح مهاراتهم وفى السعى إلى العمل، والشعب حراً فى أن يتحدث عن كل شئ، والشيوخ أحراراً فى تخطئة كل شئ).(٧)

- وأهـــم ما يميز حضارة الصين عن غيرها من الحضارات العالمية الأخـــرى هو استمرارها وعدم انقطاعها أو حدوث أي تغير جوهرى فى أصولها منذ أن تأسست وازدهرت وتألقت فى العصور القديمة حتى عالم الـــيوم - وهـــذا يـــدل بأنها حضارة ذاتية الأصل، وعمق جذورها جعلها قـــادرة علـــى تحمـــل كـــل الظروف الصعبة التى مرت بها فى العصور المخـــتلفة - وأن اهتمام الصينيين بالمحافظة على تراثهم الحضارى القديم وصـــونه بكـــل قـــوة وعزيمة من أقدار الزمن التى ألحقت بهم الكثير من النكســـات يجعلهـــم الآن مـــن أرقـــى شـــعوب العالم فى البعد الأخلاقى والحضـــارى، وأعـــتقد أنهم سيظلون بإرادتهم الصلبة هذه يتمسكون بهذا التميـــيز إلـــى أبد الدهر(٨) - وقد عبر عن ذلك الكثير من فلاسفة وعلماء العصـــر الحديث مثل فولتير الذى قال صراحة [لقد دام المجتمع الصينى وهـــو يتمثل سياسياً فى إمبراطورية كبرى أربعة آلاف عام دون أن يطرأ عليه تغيير يذكر في القوانين أو العادات أو اللغة أو في أزيـــاء الأهلين... وأن نظـــام هـــذا المجتمع الحضارى لـــهو فى الحـــق خير مـــا شـــهده العـــالم مـــن نظـــم](٩) - وهـــنرى تومـــاس عـــندما قـــرر بصدق بأن (أصول الحضارة الصينية غاية فى جدتها اليوم كما كانت فى الماضى منذ آلاف الســـنين ... وأن الفلاســـفة الصـــينين القدماء الذين عبروا عن ضمير مجتمعهم، كانوا يعلمون بأن التقدم الروحي لا يقاس بمرحلة حياة فرد واحد،

أو قرن واحد أو حتى بألف عام ... لأن رحلة المودة بين القلوب مع التمسك بالقيم والمبادئ الصالحة والمثل العليا بالغة الطول، ومعالم طريقها يجب أن ينظر إليها بالقياس إلى الأبدية ... وإذا كانت ملامح هذه الفكرة قد عبر عنها نسبياً سبينوزا فى العصور الحديثة فإنه لم يأتى بجديد لأن حقيقتها المتكاملة قديمة قدم تعاليم فلاسفة وحكماء الصين الأوائل الذين جعلوا كل نشاط يتمثل فى ساعة زمنية تجعل كل ألف سنة بمثابة يوم واحد).(١٠)

- ورغم هذه المكانة المتألقة التى تتمتع بها الحضارة الصينية منذ آلاف السنيين - ألا أنها لم تنال حقها بالكامل فى كتابات معظم العلماء والمؤرخين مثلها مثل الحضارات الشرقية الأخرى التى تجلت معها فى وضع أسس الحضارة العالمية وأهم مبادئ الحكمة والمثل العليا، وفسرت بوضوح سر الوجود فى الحياة الإنسانية وجعلت مفاهيم الشعوب على مر العصور المختلفة تتعلق دائماً بالأمل البراق للاتحاد فى جسد الأخوة الواحدة وتنساب نحو محيط السلام الأبدى - وذلك لأن هؤلاء العلماء والمؤرخين قد أهتموا أكثر فى كتابة مؤلفاتهم العلمية والتاريخية بالحضارات الغربية القديمة التى تمثلت فى الإغريق والرومان وجعلوها تعبر بصفة الأساسية وبفيض براق عن أهم نظم وثقافات حضارة العالم القديم، مثل المؤرخ الألماني **يعقوب ومفلنج**، والمؤرخ الفرنسى **شارل رولان**، والمؤرخ الإنجليزى هنرى بكلى، والمؤرخ الأمريكى **شارلز أوستن بيرد**، وغيرهم كثيرون، وخاصة الذين ظهروا ووسعوا دائرة المعرفة التاريخية فى القرن التاسع عشر الذى يطلق عليه المؤرخون المعاصرون (قرن التاريخ) - كما أن بعضهم للأسف الشديد مثل **شارل فرير**، وفنيلون، وغيرهم أيضاً كثيرون قد قلبوا موازين الحقيقة عندما قرروا فى مؤلفاتهم - [التى أشفت صدور الحاقدين على سمو ومكانة

الحضـــارة الصـــينية وكـــل الحضارات الشرقية الأخرى، وأبهرت عيون وأشـــجان الغافلين الذين لا يعلمون شيئاً عن أصول الشرق ولا عن البداية الأولـــية لـــرحلة الحـــياة الإنسانية] - بأن جذور الحضارة قد نبتت أولاً فى الغـــرب وبعد أن أينعت وتأصلت تدفق تيار إزهارها نحو مجتمعات الشرق وتجـــاهلوا تماماً البراهين الأزلية التى أكدت بأن الحضارة كانت مثل الشمس بـــزغ نورهـــا أولاً فى الشرق ثم ما لبث هذا النور أن أنتشر بعد ذلك تجاه الغرب ... والأسباب الهامة التى أدت إلى هذا الإجحاف تتلخص فى الآتي:

* فـــى أوائـــل العصور الحديثة التى تمثل أهم عصور النهضة فى أوروبا كان يسود العالم فكر أدبى وفلسفى ينكر تماماً أهمية التاريخ تزعمه **كرســـتوفر دوسن** الذى قال [ما أسعد أمة ليس وراءها تاريخ] والفيلسوف الفرنســـى **جـــان جـــاك رســـو** الذى ذهب بآرائه الفلسفية إلى القول بأن (الحمقاء هم الذين يسمحون لأولادهم بأن يتعلموا التاريخ)[١١] ... والسبب فى ذلك يرجع إلى أن الشعوب الأوروبية قد خرجت بصعوبة بالغة الى بر الأمـــان مـــن بحـــور الفساد والفوضى والانحلال التى عاشت فيها خلال العصـــور الوسطى والتى أطلقوا عليها عصور الظلام والانحطاط بالنسبة لهم ... وبالتالى ليس من المعقول وهو يندفعون فى أوائل العصور الحديثة نحـــو ثـــورة علمية هائلة أن يجدوا علمائهم وأدبائهم وفلاسفتهم يجعلون مادة التاريخ ذات أهمية تدرس فى المدارس والمعاهـــد العلمية لأن ذلك قد يهدم عزيمتهم عندمـــا يتذكروا ماضيهم الفاسد، ويصيب أجيالهم بالإحباط عـــندما يعلموا حقيقة تاريخ أوروبا الأسود فى العصور الوسطى - وعلى هـــذا الأساس أهملوا تماماً مادة التاريخ، ولذا نجحت أوروبا بما حققته فى عصـــر النهضـــة خلال الفترة من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشـــر أن تنتشر هذا الإهمال للتاريخ فى المجتمعات الشرقية، وللأسف أن

معظـم المجـتمعات الشـرقية قد اقتنعت بذلك وانساقت وراء تيار الفكر الأوروبـي الزائف الذي أعتبر التاريخ من وسائل الرجعية ومحاربة التقدم وأهملت بالتالي تاريخها، ولم تعتنى بالوثائق والآثار التى تعبر عن أصالة حضـارتها وتألقهـا المستمر عبر العصور القديمة والوسطى وفى مطلع العصور الحديثة.

* عـندما ظهـرت خـلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ثورة فكـرية هائلـة فى أوروبا وأمريكا تنادى بأهمية أحياء دراسة التاريخ فى تنمية الحركة الوطنية وفى إيقاظ الشعور القومى المتدفق عند الشدائد، وفى معـرفة شـعب كل مجتمع أصول حضارته ليعتز بها ويجعلها سند قوياً لوجـوده فى الحاضر ولتطوره فى المستقبل، ونجحت هذه الثورة فى هدم كـل التيارات الأدبية والفلسفية التى كانت تدعو إلى إهمال التاريخ وعدم الفائدة من دراسته إلا إذا كانت للتسلية فقط - وعلى أثر هذه الثورة أصبح علـم التاريخ يدرس كمادة أساسية فى المدارس والمعاهد العلمية المختلفة، وعـادت الـروح إلى المؤرخين الذين تمكنوا من خلال ما كتبوه بأقلامهم الـتى لـم تهـدأ لحظة واحدة أن يوسعوا دائرة المعرفة التاريخية وعلى الأخـص (كما سبق أن وضحنا) فى القرن التاسع عشر الذى أطلق عليه بسبب ذلك (قرن التاريخ).

إلا أنـه في ذلك الوقت لم ينتشر فكر هذه الثورة بصفة فعالة فى المجـتمعات الشـرقية لأن معظمهـا كانت تعانى من حركـة الاستعمار الأوروبـي بالإحتلال والاستغلال وفرض النفوذ - ولعل حرب الأفيون الأولى والثانية بالنسبة للصين والتى دارت رحاها بداية من عام ١٨٤٠ م بعـد أن أتحـدت القـوى الرجعـية الصينية مع نفوذ الرأسمالية الأجنبية للاستعمار البريطانى لخنق الشعب الصينى وإعاقة تطوره، وأخذت الصين

بعــد هزيمتها فى هذه الحرب تكتسب خصائص بلد شبه مستعمر[١٢] خير دلــيل على ذلك ... كما أنه ليس من مصلحة الاستعمار الأوربى أن ينشر فكــر ثــورة أحــياء التاريخ فى المجتمعات الشرقية، ولذا فقد أهتم على حجبها، كما أخمد بكل قوته أى تيار أدبى أو فلسفى نابع من الشرق ينادى بضرورة الأهتمام بعلم التاريخ، وذلك حتى تعيش شعوب الشرق فى غفلة الحاضــر، وتنســى بالإهمال المتعمد من جانبه تاريخها العريق الذي كان سـيؤدي حــتما إلــى إيقاذ شعورهم القومى ويبعث فيهم روح الإحساس بالوطنــية التى تدفعهم نحو الثورة ضده لخلع أقدامه من أراضيهم وتحطيم كل الآثار التى نتجت من وجوده.

- المؤرخــون الغربــيون الذيــن اشتركوا فى توسيع دائرة المعرفة التاريخــية خلال القرن التاسع عشر، أهتم معظمهم وبصفة أساسية بتدوين تــاريخ الحضــارة الأوروبــية إلى جانب تاريخ الحضارة الأمريكية، ولم يتعرض للحضارة الشرقية إلا عدد قليل جداً منهم، وحتى هذا العدد القليل لــم يكــن معظمــه منصــفاً لهذه الحضارة لأنه جعل المراحل التاريخية للمجتمعات الشرقية يغلب عليها الحروب والدمار، وتعمد عدم ذكر الحقائق فــى الترتيــب الزمــنى لأنظمتها وإنجازتها الحضارية حتى يجعل السبق الحضــارى للإغريق والرومان ... ولهذا فإن معظم المراجــع والمؤلفات الــتى دونــت وساهمت بفاعلية فى توسيع دائرة المعرفة التاريخية مجدت الحضــارة الغربــية وجعلتها بدون حق الأساس الأول الذى استندت عليه المجــتمعات الشرقية بما فيها الصين فى بناء أصولها الحضارية أى قلبت موازين الحقيقة وجعلت تيار الحضارة يتدفق من الغرب للشرق.

* زعماء بعض الثورات الوطنية التى قامت فى المجتمعات الشرقية من أجل الحصول على الحرية والاستقلال، واستطاعوا بنضال شعوبهم أن

يقظنوا على الاستعمار والرجعية ونفوذ الرأسمالية الأجنبية - لم يهتموا فى بداية عهدهم الثورى بأحياء علم التاريخ وإتخاذه وسيلة فعالة فى تنمية الروح الوطنية والشعور القومى، وإنما أهتموا فقط بالمبادئ المعاصرة التى تنادى بالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، واعتمدوا عليها لتحقيق الآمال الوطنية وكل الأهداف القومية الحاضرة والمستقبلية - واستمر هذا الوضع سنوات عديدة إلى أن تنبهت الحكومات الشرقية منذ بداية النصف الثانى للقرن العشرين بأهمية هذا العلم ودوره الفعال فى كيان المجتمع وفى بلورة أصوله الحضارية ... والصين كانت من ضمن هذه المجتمعات التى حدث فيها ذلك أثناء مسارها الثورى الحديث - لأن زعماء الثورة الاشتراكية التى بدأت من ٤ مايو عام ١٩١٩م حتى تأسست جمهورية الصين الشعبية فى أول أكتوبر عام ١٩٤٩م - لم يهتموا بالتاريخ ولم يعتمدوا عليه فى بداية نضالهم الثورى - وظلوا على هذا الوضع بما يزيد عن خمسة عشر عاماً حتى عادوا إلى ما كانوا عليه فى العصور السابقة، وجعلوا التاريخ علم أساسى فى حياة المجتمع الصينى الحديث - وكتاب موجز تاريخ الصين يؤكد ذلك حيث ورد فيه ما يفيد بأنه قد تعرض لهجوم شديد بعد إصداره فى فبراير عام ١٩٥٦م، والمؤرخون الثلاثة الذين أشتركوا فى تأليفة مات منهم اثنان نتيجة الاضطهاد، وأن هذا الكتاب لم يعاد نشره إلا بعد أن عادت روح الأهتمام بعلم التاريخ فى عام ١٩٧٦م[١٣] .... وبالتالي فإن الحركة الحديثة لأحياء علم التاريخ فى الصين والمجتمعات الشرقية الأخرى بدأت بطيئة ومتأخرة عن الحركة الأوروبية بما يزيد عن مائة وخمسين عاماً.

* المؤرخون الغربيون الذين كتبوا عن الحضارة الصينية وبعض الحضارات الشرقية مثل ول ديورانت، وأندريه إيمارد، وجانين أو بوايه،

ومارسيل جرانت، ورينيه جروسيه - لم يهتموا فى عرضهم بدقة الترتيب الزمنى للأحداث التاريخية، ولم يتوسعوا فى تحديد كل الإنجازات والأصول الحضارية، كما لم يتعرضوا لبعض النظم الأساسية التى يرتكز عليها كيان أى مجتمع فى بداية تكوينه وخلال مراحل تطوره مثل النظم القانونية ... وبالتالي فإن المراجع التاريخية الخاصة بالحضارة الصينية، وبعض الحضارات الشرقية الأخرى لم تكن رغم الجهد المشكور لهؤلاء المؤرخين الذين ألفوها مراجع شاملة ومستوفاه لكل النظم والأصول الحضارية، مثل مستوى المراجع التاريخية الخاصة بالحضارات الغربية القديمة التى يتمثل أهمها فى حضارتى الإغريق والرومان، والتى كتبت بمهارة فائقة من جانب المؤرخين الأوروبيين الذين تحيزوا لها من أجل أن يجعلوا من نظمها وأصولها الأساس الأول فى بناء الحضارة العالمية.

* الكتب والمراجع التاريخية التى ألفها **المؤرخون الشرقيون** عن الحضارة الصينية وبعض الحضارات الشرقية الأخرى عددها قليل جداً كما أن بعضها كانت مختصرة، وأهملت فى العرض بعض النظم والأصول الحضارية، ... وبعضها أيضاً قد اعتمدت فقط فى مصادرها على المراجع الغربية التى تتحيز معظمها للحضارة الأوروبية - ولذلك فإن هذه الكتب والمراجع لم تصل فى رأينا إلى ذات المستوى المبهر الذى وصلت إليه الكتب والمراجع التى ألفها **المؤرخون الأوروبيون** عن الحضارة الغربية القديمة التى تتمثل فى الإغريق والرومان...

*** إلى جانب هذه الأسباب توجد عوامل أخرى عديدة يستخدمها الغرب حالياً لتحجيم مكانة الحضارات الشرقية عموماً وإطفاء نور تألقها لكى ينجح بشتى الطرق فى غزو الشرق فكرياً وثقافياً، ويسيطر عليه سياسياً واقتصادياً، وهذه العوامل لم نخوض فيها حتى لا نطيل فى عرض

هــذا الموضوع، وعلى الأخص إنها قد أصبحت مكشوفة ويمكن بالجهود الجادة المخلصة التصدى لها وإجهاض كل أساليبها حتى لا تفقد المجتمعات الشــرقية هويتها العريقة وأصول ونظم حضارتها القديمة ... وبالتالى فإنه مــن خــلال هذه الأسباب والعوامل لم تأخذ الحضارة الصينية مثل بعض الحضــارات الشرقية الأخرى حقها بالكامل فى العرض عنها وفى ترتيب أحداثهــا الزمنية وفى طرح كل أنظمتها وأصولها التى ظهرت وتألقت فى الأفــق مــنذ المــراحل الأولى للحياة الإنسانية، وقبل أن يظهر أى وجود حضارى فى القارة الأوروبية بما يزيد عن ألف سنة.

- وحيث أن مجال تخصصنا يتعلق بدراسة تاريخ وفلسفة القانون إلى جانــب دراسة تاريخ النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لإرتباطها بمــراحل ظهــور وتطــور القانون على مر العصور المختلفة ... فإن ما دفعــنى نحو إعداد دراسة عن أهم نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة رغــم أن طــريقها شائك والوصول إليها صعب للغاية للأسباب والعوامل السابقة - يرجع إلى أمور عديدة أهمها يتلخص فيما يلى:

* الكتــب والمــراجع الخاصة بتاريخ وفلسفة القانون فى مجتمعات العــالم القديــم، لا يوجــد بها دراسة متكاملة عن مراحل ظهور وتطور القــانون فى المجتمع الصينى القديم، وإنما اشتملت معظمها على دراسات فــى هذا المجال تتعلق بمجتمعات قديمة أخرى أهمها وبشكل غالب مصر الفرعونية، وبلاد ما بين النهرين، والإغريق والرومان - وبالتالى وجدت إنــه لــيس مــن المقــبول مطلقاً أن تكون هناك حضارة من أقدم وأرقى حضــارات العــالم القديــم وهى الحضارة الصينية التى تميزت بالدوام، وتربطــنا بهــا منذ الأزل أواصر ومفاهيم إنسانية عميقة نابعة من روح الشــرق، وليست لها دراسات متكاملة فى هذا المجال، فى حين توجد هذه

الدراســات لحضارات أخرى أحدث منها، وأقل منها مكانة، كما أن بعض هــذه الحضارات قد فقدت صفة الدوام وزال تألق وجودها منذ أن خطت أول أعتاب العصور الوسطى.

* المؤلفــات الخاصة بمادة تاريخ وفلسفة القانون التى تدرس لطلاب كلــيات الحقوق بالجامعات المصرية والعربية تخلو تماماً من عرض أى دراسة عن مراحل ظهور وتطور القانون فى المجتمع الصينى القديم رغم أنــه كان من أشهر المجتمعات القديمة وأغناها مدنية وحضارة – وبالتالى فإنه ليس من المنطق أن نحجب هذه الدراسة عن طلاب هذه الكليات تحت أى ســبباً كــان، ونكتفى بتدريس تاريخ وفلسفة قانون المجتمعات القديمة الأخرى رغم أن بعضها قد دخلت فى دائرة التفكك والانحلال وخيم عليها الظلام منذ زمن بعيد.

* إذا كــنا نهــتم بتدريس النظم القانونية الخاصة بالحضارة الأوروبية القديمــة وعلى الأخص حضارتى الإغريق والرومان لطلاب كليات الحقوق ونتباهى بذلك رغم أن الدول الغربية تسعى حالياً بكل جهودها وبكل ما تملكه مــن وسائل علمية حديثة إلى محو آثار كل حضارات الشرق القديمة – فإنه مــن الأجــدر لــنا أن نهتم أيضاً بتدريس النظم القانونية الخاصة بالحضارة الصينية القديمة التى حققنا معها مجد الشرق وشموخه منذ آلاف السنين.

* العلاقــات الطيــبة التى تربطنا مع الصين شعباً وحكومة منذ قديم الأزل، قــد يــزداد تقاربها نحو التآخى الشامل وتصبح بالود والمحبة من أقــوى دعــائم الشــرق فى مواجهة التحديات المطروحة الآن فى الساحة الدولــية مــن دول الغرب – إذا تم تدريس تاريخ وفلسفة النظم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الصينى القديم مثل ما يحدث بالنســبة للإغــريق والرومان – وذلك لأن تدريس النظم الصينية القديمة

سيشــعرنا بمــدى التقارب الأزلى مع شعب الصين فى المثل العليا وفى معظــم المفاهــيم الأساسية لمعنى الحياة الإنسانية، أي أنها ستكون دراسة مفــيدة وذات نفــع عــام في ظل الظروف الدولية التى تحيط بنا فى عالم اليوم.

- ولذلــك فأننــي أمــام هــذه الأمور الغاية فى الأهمية، إلى جانب إحساســي العمــيق بعبق روح الشرق المليئة بالود والمحبة وسبل الأخوة الجامعة، ودفء الأحضان المصيرية التى تربطنا بأواصره منذ بداية الحياة الإنســانية - أندفعت نحو إعداد هذه الدراسة لأعرض موضوعياً وفلسفياً أهــم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة، رغم علمي بأنها من أصعب الدراسات الخاصة بتاريخ النظم بسبب ندرة مراجعها العلمية، وعمق بحور أفكارها، وعدم سهولة إبداء الرأي نحو موضوعاتها الكثيرة التــي من الصعب جداً حصرها - ولذا فقد بذلت جهداً شاقاً طوال ما يزيد عــن خمس سنوات في إعدادها ، وإذا كنت قد انتهيت منها بهذا العرض الــذي ســأطرحه في الأبواب والفصول والمباحث القادمة إلا أنني مازلت أعتبره عرض متواضع أمام مكانة هذه الحضارة وما كنت استهدف تحقيقه مــن غايات أخرى نحوها لأن أسرار جذورها العميقة وأسانيد تألقها على مر العصور المختلفة لم تكتشف بالكامل وأنما الذى عرف منها حتى الآن قدر ضئيل فقط وسوف تثبت الأيام القادمة صحة ذلك.

- وقــد تمكنــت مــن خلال هذه الدراسة أن أضع موجز عن النظم القانونية للحضارة الصينية القديمة ضمن أهم نظم وقوانين حضارات العالم القديــم فــى مؤلفنا الذي قمت بإعداده في عام ١٩٩٢عن المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع.(١٤)

- وحيــث قد اتضح من خلال البحث والتحليل أن الحضارة الصينية

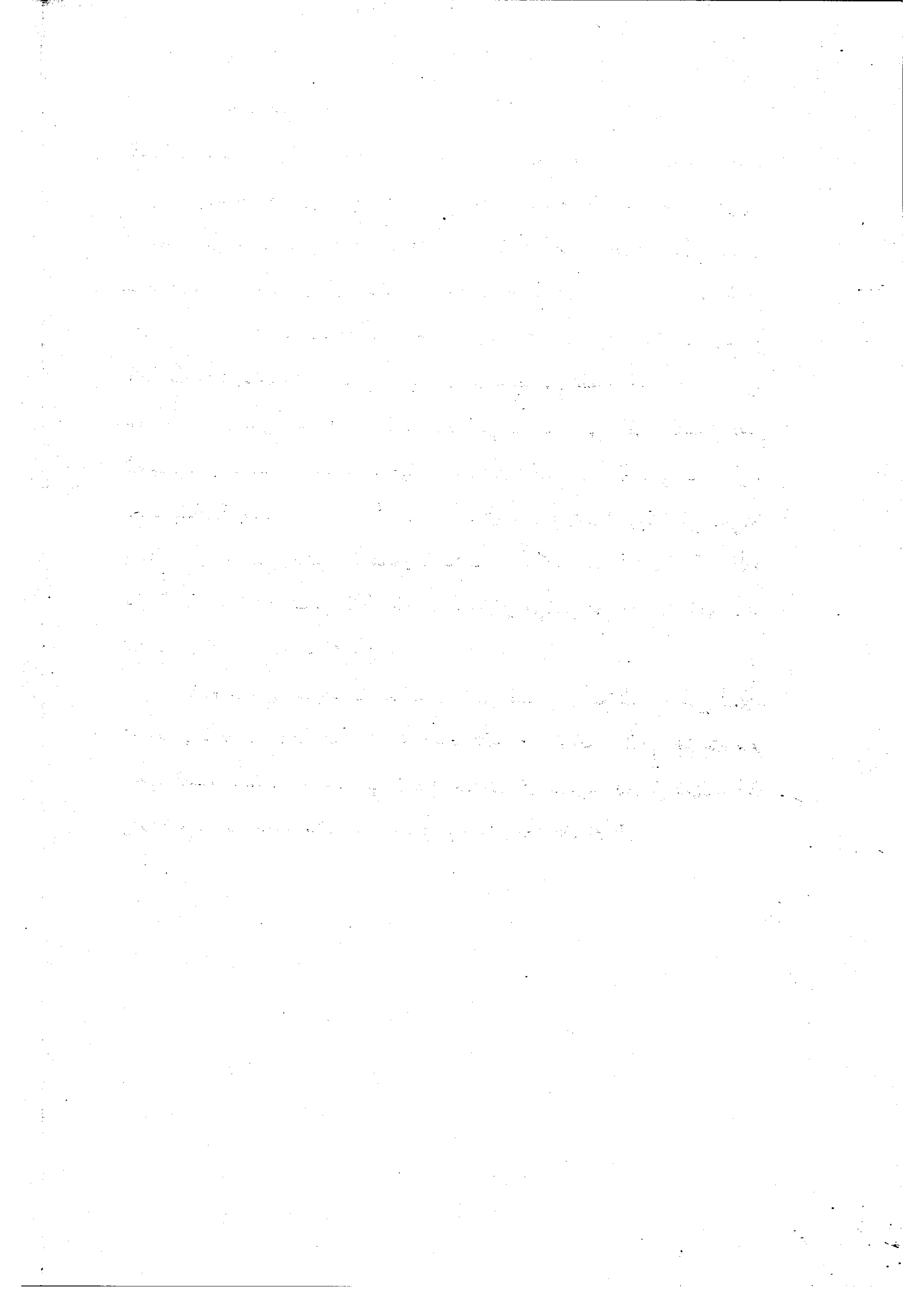
القديمة طويلة العهود ومليئة بأحداث الكفاح وقوة الإرادة والعزيمة، وغنية بالأصـــول العريقة والإنجازات والإبتكارات الرائعة التى أكتسبت معظمها صـــفة الـــدوام علـــى مر العصور المختلفة، وأنه من الصعب جداً جمعها بأمانة وبتسلسل زمني منظم فى مؤلف واحد - فقد قررنا أمام الالتزام بهذه المعايير والصدق فى التعبير الواضح عنها، أن تـــكون هـــذه الدراسة عن مـــراحل زمنـــية محددة وعبارة عن (جزء أول) يبدأ من العصر الحجري القديـــم وعلـــى الأخص منذ ٧٠٠٠ سنة حتى نهاية حكم إمبراطورية هان الشـــرقية فـــى عام ٢٢٠ ميلادية - على أن يتم إعداد جزء آخر أو أكثر يضـــم أيضـــاً بأمانـــة وصدق العهود التالية لهذه الحضارة حتى عصرها الحـــالى - هـــذا بالإضافة إلى أن الحقبة التاريخية التى سنعرض أحادثها تعتـــبر مـــن أهم المراحل التاريخية التى تأسست وتبلورت فيها أهم نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة.

- وعلـــى هـــذا الأساس فإنه لكى نوضح هذه الدراسة ونجعلها تتسم بالشـــمول البعـــيد عن الملل والأفكار المبعثرة، وتأخذ صفة الموضوعية والصدق فى التعبير، كما نظهر من خلالها إجابات مقنعة ومليئة بالإدراك والحس الواقعي عن مكانه نظم الحضارة الصينية القديمة، وما تميزت به من رقى وتألق - سنعرضها طبقاً للتسلسل الزمنى المرتب فى قسمين على النحو التالي:

القسم الأول: يحتوى على عرض المراحل التاريخية التى تطور فيها المجتمع الصينى من العصر الحجرى القديم حتى نهاية حكم إمبراطورية هان الشرقية ثم نوضح أهم النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى ظهـــرت وتألقـــت خـــلال هـــذه الحقبة، إلى جانب عرض أهم الأختراعات والإنجازات التى حققها الشعب الصينى القديم خلال هذه المراحل التاريخية.

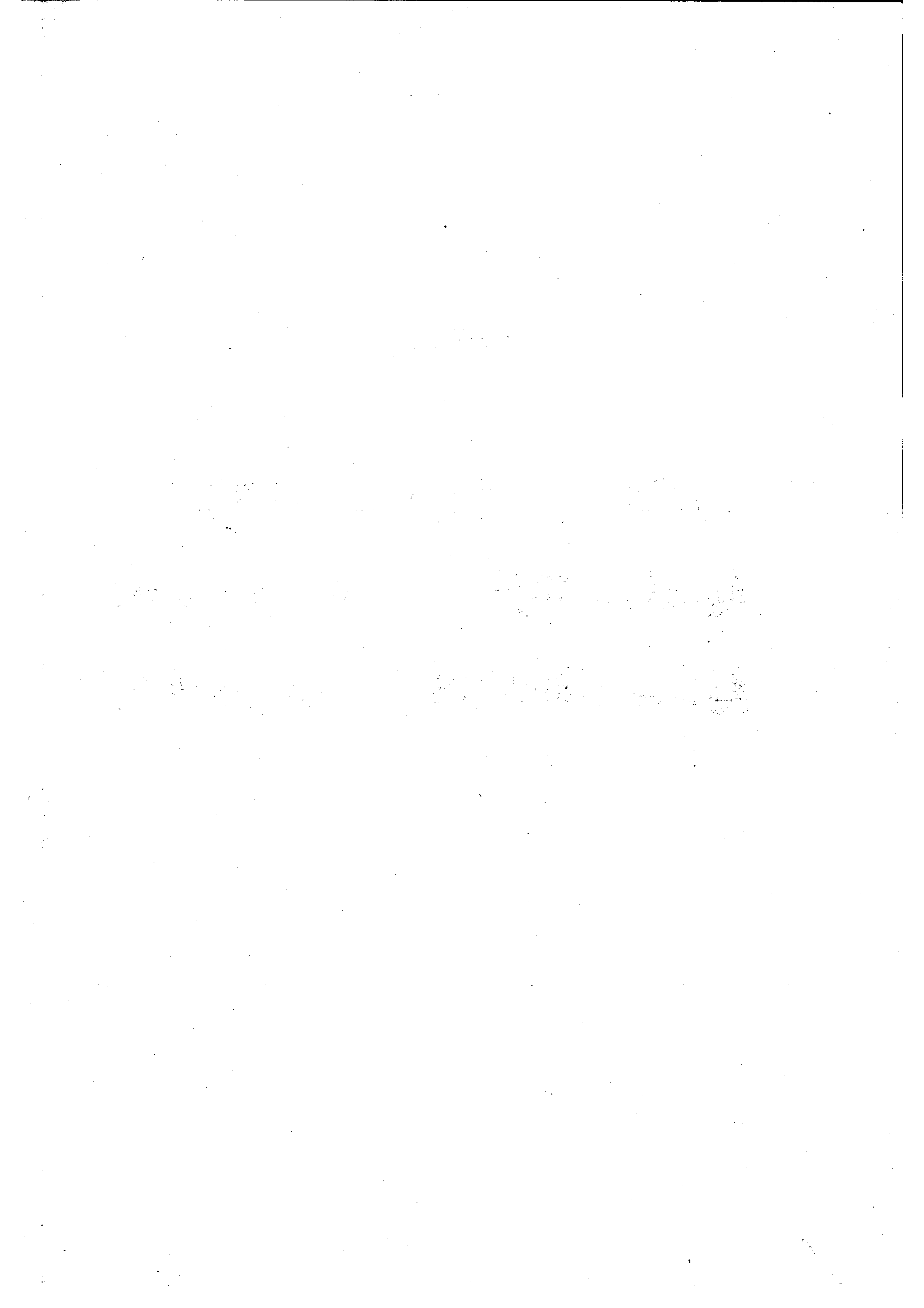
القسم الثانى: يتضمن عرض تفصيلى عن أهم مراحل ظهور وتطور القانون فى المجتمع الصينى القديم، ثم نعرض موضوعياً وفلسفياً أهم الشرائع وأحكام القوانين التي ظهرت في هذا المجتمع على مر زمانه العريق حتىأخر فترة حكم أسرة هان الشرقية - وحيث أن هذا المحتوى يمثل عصب تخصصنا، والوصول إلى كشف حقائقه هو السبب الرئيسى الذى دفعنا نحو إعداد هذه الدراسة، فإنه أمام ندرة المصادر التى تعرضت عن بعض تفصيلاته، قد جعلت من النظم التى تم عرضها فى القسم الأول عبارة عن مقومات ودعائم واضحة لكي تساعد أيضاً فى تحديد مفهوم فكرة القانون عند الصينيون القدماء، وتعبر برؤية صادقة عن أهم النظم القانونية للحضارة الصينية القديمة - وذلك لأنه إذا كان رأى جميع الفقهاء يؤكد بأن معرفة قانون أى مجتمع يعطى له صورة متكاملة عن كل نظمه الحضارية - فأنه من الممكن أيضاً أن تعبر النظم الحضارية لأى مجتمع عن القانون الذى ساد فيه خلال أى مرحلة زمنية معينة.

ثم ننهى عرضنا بخاتمة نشير فيها إلى أهم النتائج التى أمكن الوصول إليها من خلال هذه الدراسة مع الأمل فى تحقيق التآخي الشامل مع شعب الصين كخطوة إيجابية فى توحيد صفوف كل شعوب الشرق تحت راية واحدة ترمز لنا جميعاً بإننا روح واحدة وجسد واحد منذ الأزل.



القسم الأول

مراحل تطور المجتمع الصينى القديم وأهم نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية



تقديـــم

إذا كانـــت الحضـــارة الصـــينية من أقدم وأعرق الحضارات التى ظهـــرت فـــى العالم القديم، وإن جذورها عميقة ومحصنة من أى عطب، وتمكنـــت على مر العصور المختلفة من مواجهة كل الأخطار التى كانت تحاول مراراً وتكراراً وبأساليب عديدة تحطيم وجودها أو أعتراض مسيرة تقدمها وتألقها فإن ذلك يرجع إلى أن الحياة الإنسانية قد نشأت وتأصلت فى المجتمع الصينى على أسس وطيدة ومترابطة وذات أصل واحد قائم على الأخوة الجامعة المليئة بالود والمحبة والتضامن المشترك - وأن هذه الحياة قـد إســتمرت وتطـورت علـى دعائم من النظم والإنجازات الحضارية الـرائعة، رغـم مـا حدث فيها خلال فترات زمنية معينة من صراعات وأحداث دامية، وذلك لأن أواصرها القوية كانت تجعل الخير ينتصر دائماً على الشر مهما بلغت جسامته.

ولكـــي نثبـت ذلك سنعرض فى هذا القسم أهم المراحل التاريخية الـتى تطـور فـيها المجتمع الصينى القديم منذ بداية تكوينه فى العصر الحجرى القديم حتى نهاية حكم إمبراطورية هان الشرقية - كما سنوضح أيضـاً أهم النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تأصلت فـى هـذا المجـتمع إلى جانب عرض أهم الاختراعات والإنجازات التى حققها الصينيون القدماء خلال هذه الحقبة التاريخية.

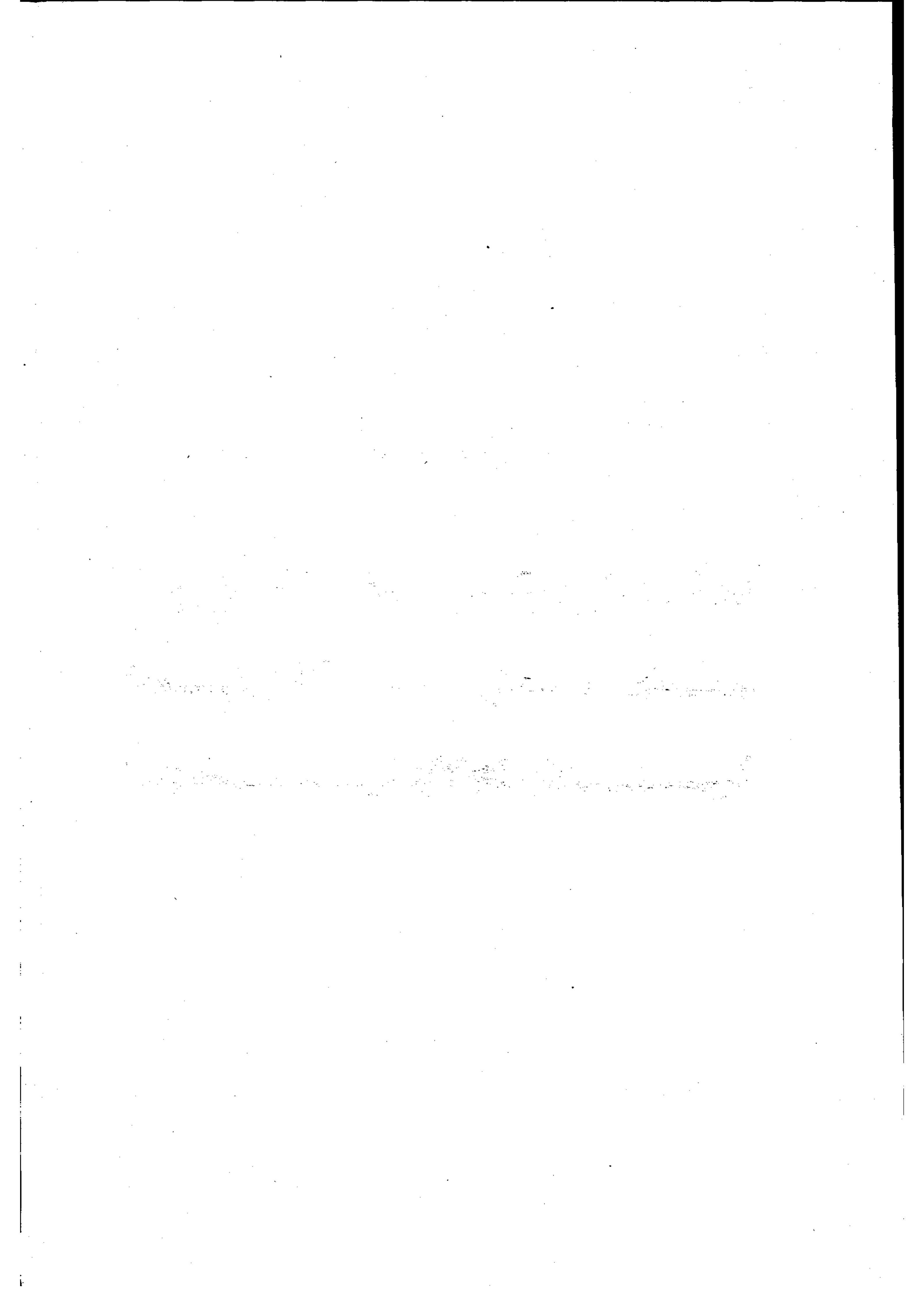
وحيـث أن المجـتمع الصـينى قد أرتكز أكثر منذ عهود ما قبل الأسـرات على مفاهيم النظم السياسية والاجتماعية لبناء كيانـه السياسى والاجـتماعى، وأن الـتألـق الحضاري الذي حققه قـد أرتكز فى معظم أساسـياتـه علـى النظم الاقتصاديـة والاختراعات والإنجازات الهائلة إلـى جانب النظم الثقافية فى مجال الفكر الأدبى والفلسفى - فقد فضلنا أن يكون عرضنا فى هذا القسم على النحو الآتي:

الباب الأول: المـــراحل التاريخـــية لتطور المجتمع الصيني القديم وأهم النظم السياسية والاجتماعية التى أرتكز عليها.

الباب الثاني: أهـــم النظـــم الاقتصاديـــة والثقافيـــة للمجتمـــع الصيني القديـــــم.

الباب الأول

المراحل التاريخية لتطور المجتمع الصينى القديم - وأهم نظمه السياسية والاجتماعية



تقديـــم:

تشـــير الآثار التاريخية التي عثر عليها العلماء والخبراء الصينيين المتخصصـــين فـــي البحث والتنقيب عن جذور الحضارة الصينية القديمة التـــي ظهـــرت في سالف الأزمان – بأن المجتمع الصينى كل من أوائل المجـــتمعات البشـــرية التـــي عاصرت مسيرة الإنسان البدائى الذي عاش وكـــافح بصـــبر وجلد قوى الطبيعة القاسية، وصمد بعزيمة وإصرار في مواجهة أخطارها وكوارثها من أجل البقاء والاستمرار – ثم اتحد مع غيره فـــي شـــكل جماعة لكى يعيش بداخلها ويأتلف بها ويؤمن حياته ومصدر رزقه، ومع مرور الزمن تكونت جماعات بدائية عديدة في مناطق صينية مخـــتلفة، ومـــن خلال انتشارها وتقاربها اتحدت معظمها في شكل عشائر وقبائل.

ونتـــيجة لـــتطور الحياة داخل هذه العشائر والقبائل بعد أن تمكن أفـــرادها مـــن تصنيع بعض الأدوات والآلات البدائية التي ساعدتهم على إتقـــان فنون الصيد والرعى والزراعة والدفاع عن النفس اتحدت وظهرت في هيكل اجتماعي أخر نظمت أسانيده سياسياً وإدارياً بعد أن توافرت فيه سـبل الأمـــان والاســـتقرار وأطلق عليه نظام الأسر الحاكمة التي مثلت بدعائمهـــا المليـــئة بالثبات والترابط وحب الحياة المشتركة بداية العصور القديمـــة التي تبلورت فيها الحضارة الصينية وأعتبرت برقيها وازدهارها من ضمن أروع حضارات العالم القديم – حيث أعلن المجتمع الصينى عن حضارته التي تميزت في كافة أمور الحياة بين جميع المجتمعات الأخرى في الشرق والغرب وذلك منذ مطلع القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد.(١)

وقد أكدت المصادر التاريخية المختلفة بأن المجتمع الصينى خلال هـــذه المـــراحل التي تطور فيها قد عرف نظام السلطة المركزية بعد أن

ظهـــرت فيه الجماعات الفطرية ثم العشائر والقبائل البدائية - كما أصبح ذات كـــيان موحـــد ومستقل ومدعم بنظم سياسية وإدارية منذ ظهور نظام الأســـر الحاكمة - ولإيضاح ذلك سنعرض دراسة تفصيلية عن المراحل التاريخـــية لنشـــأة كـــيان المجـــتمع الصـــيني القديم وأهم نظمه السياسية والاجتماعية ونقسمها على النحو التالي:

الفصل الأول: العصر الحجري.

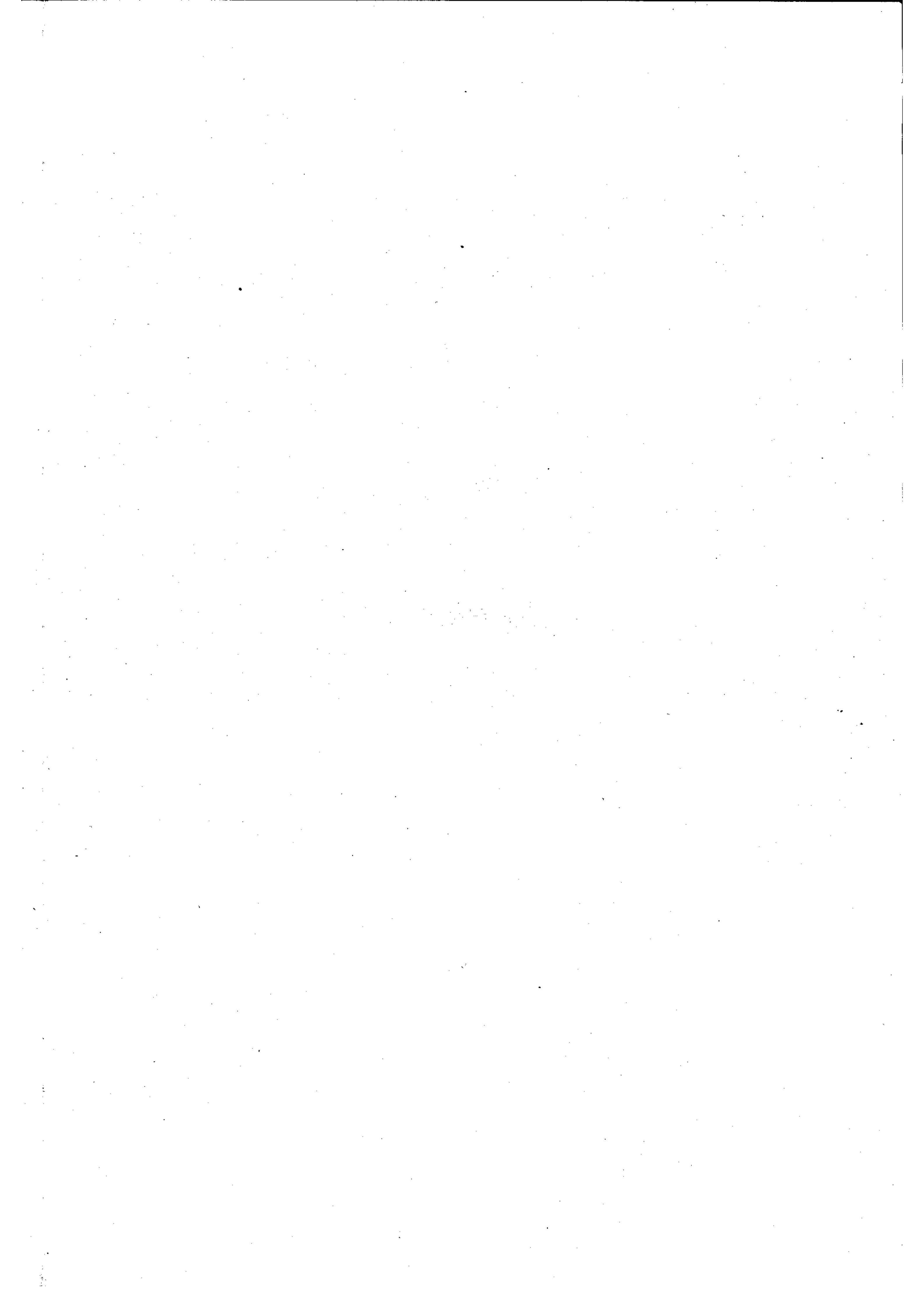
الفصل الثاني: العصر الملكي.

الفصل الثالث: عصـــر الانفصال وظهور الإمارات الإقطاعية ثم الممالك المنفصلة والمتحاربة.

الفصل الرابع: العصر الإمبراطوري.

الفصل الأول

العصر الحجري



تفـيد الحفائـر والـنقوش الأثرية التي تم اكتشافها خلال السنين الأخيرة - بأن الصين كانت من ضمن المناطق أو المواقع التاريخية الهامة التـي عاش فيها الإنسان البدائى منذ زمن متوغل في القدم يصعب تقديره على وجه التحديد الدقيق، وأن هذا الإنسان البدائى قد سكن كهوف الجبال ثـم هـبط وتجول بعد ذلك في الوديان والسهول الخصبة التي كانت حول الأنهار والبحيرات العذبة بحثا عن المآكل والملبس والمأوى حتى استطاع بكفاحـه أن يدير أمور معيشته وينجح بإرادته أن يكون مع أمثاله جماعة تحـدت بقـوة وإصرار ظروف الطبيعة القاسية، وتكاتفت من أجل البقاء والإستمرار في حياة مشتركة مليئة بالود والتعاون والتضامن.[1]

وعلـى أثـر ذلـك تكونت بمرور السنين جماعات عديدة تمركز معظمهـا في الصين الشمالية ومثلت عصراً زمنياً "يطلق عليه المؤرخون العصـر الحجـرى القديم" - ثم تطورت هذه الجماعات بعد أن استقرت وإزداد تـرابطها وتحسنت أنماط معيشتها وظهرت بعد إتحاد معظمها في شكل عشائر وقبائل ومثلت عصر أخر أكثر حركة ونشاط في أمور الحياة من العصر السابق "يطلق عليه العصر الحجرى الحديث".

ولبـيان مظاهـر نظـام الحياة الإنسانية الصينية في هذه المرحلة التاريخية سنعرض دراستنا على النحو التالي:

المبحـث الأول: العصـر الحجـري القديـم

المبحث الثاني: العصـر الحجـري الحديث

المبحث الأول

العصر الحجري القديم

كشفت المعلومات التي توصل إليها علماء الآثار وخبراء علوم الطبيعة والجيولوجيا والجغرافيا - بأن بداية هذا العصر كان منذ ٧٠٠٠ سنة تقريباً بعد أن أتحد الإنسان البدائي مع أمثاله وتكونت جماعات فطرية تمثل أقدم أسلاف الشعب الصيني، سكنت في البداية كهوف ومغارات الجبال واعتمدت في غذائها على صيد الحيوانات وجمع والتقاط الحشائش الجبلية وجذور النباتات ثم هبطت معظم هذه الجماعات إلى الوديان والسهول الخصبة وحول الأنهار حيث المناخ المعتدل والغذاء الوفير[٢] ... وذلك استناداً إلى الآثار العديدة التي تم اكتشافها في بعض المناطق الصينية عن حياة الإنسان البدائي، وذلك مثل الآتي:

*** الحفريات والنقوش التي اكتشفت في منطقة (يوانمو) بمقاطعة (يونان) التي تقع في جنوب غرب الصين، والتي تؤكد بالأدلة القاطعة بأن الإنسان البدائي قد عاش في هذه المنطقة في الماضي السحيق واستطاع أن يدبر أمر معيشته ويصمد بقوة وعزيمة في مواجهة الأخطار - وهذا الإنسان الصيني القديم يطلق عليه المؤرخون (إنسان يوانمو) ويوجد في متحف التاريخ الصيني الكائن في الجانب الشرقي لساحة (تيان أن) ببكين بعض الحفريات والأدوات البدائية التي كان يستخدمها هذا الإنسان والذى يعتبر أقدم إنسان عرف في الصين حتى الآن.

*** المتحجرات والنقوش العديدة التي عثر عليها في منطقة (لا نتيان) بمقاطعة (شنشى) التي تقع شمال غرب الصين، والتي ثبت من خلالها بأن الإنسان الصيني البدائي قد عاش في هذه المنطقة بعد أن صمد، وتمكن من التغلب على قسوة الطبيعة ونجح في جمع قوته - ويطلق عليه المؤرخون "إنسان لا نتيان"[٣].

*** البقايا العظمية التي عثر عليها علماء الآثار للإنسان الصيني البدائي الذي عاش في منطقة (تشو كوديان) التي تبعد حوالي ١٠٠ كيلو متراً عن مدينة بكين العاصمة التي تقع في شمال الصين – وثبت من خلالها بأنه قد تأقلم على أمور الحياة في هذه المنطقة وكان يتصف بالمميزات الأساسية للإنسان حيث استطاع أن يعيش حياة بدائية، وصنع أدوات بسيطة، وتمكن من استعمالها في معيشته والدفاع عن نفسه، كما عرف كيف يستخدم النار ويسيطر عليها – ويطلق عليه المؤرخون (إنسان بكين).(٤)

*** الآثار التي أشار إليها (تشى شين) رئيس معهد بحوث الآثار ببكين- مثل الجمجمة المتحجرة التي أكتشفت في عام ١٩٢٧م جنوب غرب ضاحية بكين لإنسان بدائي عاش في الأزمان البعيدة جداً، والجمجمة التي عثر عليها في الستينيات لإنسان (الكهف الجديد) الذى عاش قبل بداية العصر الحجرى القديم، وأيضاً الجمجمة الخاصة بإنسان "الكهف العلوى" والتي أكدت بأن الإنسان البدائى قد عاش وتناسل في مناطق بكين منذ بداية المراحل الأولى للعصر الحجرى القديم.(٥)

*** الآثار التي أكتشف في منطقة (قوانغدونغ) في حوض نهر اللؤلؤ والتي تدل على أن الإنسان الصينى للبدائى قد عاش فيها قبل بداية العصر الحجرى القديم ويطلق عليه المؤرخون (إنسان مابا).

*** الحفريات التي اكتشفت في منطقة (هوبى) في حوض نهر اليانغتسى والتي تدل على أن إنسان الصين البدائى قد عاش فيها أيضاً منذ بداية العصر الحجرى القديم ويطلق عليه المؤرخون (إنسان تشانغيانغ).

*** النقوش والأدوات الحجرية التي أكتشفت في منطقة (شانشى) في حوض النهر الأصفر والتي تدل على أن إنسان الصين البدائى قد عاش

فـيها مـع بدايـة العصـر الحجـرى القديـم ويطلـق عليه المؤرخون (إنسان دينغتسون).(٦)

*** وبالنسـبة لأهم المناطق التي تمركز فيها بكثرة الإنسان البدائى يشير بعض المؤرخين مثل وليام لانجر بأن المعلومات الأثرية تدل على أن معظم أسـلاف الشعب الصينى ولغتهم وحضارتهم ترجع كلها إلى المناطق الحالية فـي الصـين الشـمالية حيث تنتشر فيها الوديان والسهول الخصبة والأنهار العديـدة وخاصة النهر الأصفر ... وأن الشعب الصينى القديم ينتمى معظمه إلـى أجناس **(الطاى)** ومنهم **(الديو، واللاوسيين، والسياميين)** الذين عاشوا فـي الأصـل فـي **أقالـيم الكوانجـس والهند الصينية**- والأجناس **التبتيه والبورمـيه** ومنهم **(اللولو، والموسو، والشان، والتبتين)** الذين تمركزوا في معيشتهم داخل الأقاليم التي تقع جنوب غرب الصين.(٧)

وفـي كـتاب الصين الصادر عام ١٩٩٣م من دار النجم الجديد ببكين يشـير مؤلفـه **(تشين شى)** بأن الصين وأن كانت تتكون الآن من عدد ٥٦ قومـية إلى أن جذورها التاريخية تنحدر إلى ذريات قديمة ظهرت في سالف الأزمـان ... وأكبر هذه القوميات هى: **قومـية الهان** التي يمثل أبنائها حالياً نسـبة ٩١,٩٦٪ مـن مجمـل عدد سكان الصين أما أبناء القوميات الأخرى (وعددهـا ٥٥ قومـية) مثل **(منغوليا، وهونى، والتبت، والويغور، ومياو، ويـى، وتشـوانغ، والقازاق، وشه، وناشى، ومادنان، والتتار، والطاجيك، والأوزيـك ...)** فـأنهم يمـثلون فقـط نسـبة ٨,٠٤% من مجموع الشعب الصينى... ونتيجة أن قومية الهان تعتبر الآن أكثر القوميات تعداداً فقد أطلق علـى القومـيات الأخـرى مصـطلح الأقليات القومية رغم تمتع أبناء كافة القومـيات الصـينية بالمسـاواة التامة في جميع الحقوق الشرعية على مر العصور المختلفة.

- ويشـــير أيضـــاً تشـــين شى في مؤلفه بأن اللغة المنطوقة والمكتوبة لقومـــية هـــان والتي تنتمى قديماً إلى (الأرومة الصينية - التبتيه) هى التي تستخدم حالياً في كافة أنحاء الصين وتعتبر من ضمن اللغات العالمية..وهذه اللغـــة الهانية يعود تاريخها إلى ما يقرب من ٦ آلاف سنه حيث كانت عبارة عن رموز منقوشة في شكل بدائى، وأن المقاطع المستخدمة فيها حالياً منقولة من المحفوظات التي نقشت على دروع السلاحف وعظام الحيوانات منذ أكثر مـــن ٤ آلاف سنة، ومن النقوش البرونزية التي ظهرت بعد ذلك في عصور الصين القديمة - وتستخدم قومية (هوى) وقومية (مان) اللغة الهانية أيضاً - أمـــا بقـــية القوميات فيستخدم كل منها لغتها الخاصة، ولذلك يوجد لعدد ٢٣ قومية منها لغاتها المكتوبة.(٨)

- وملامح العصر الحجري القديم في الصين على ضوء ما توافر من معلومـــات أثـــرية ومـــا دونـــه بعض المؤرخين وعلى الأخص المهتمين بالحضـــارة الصـــينية القديمـــة - تشير بأن أســـلاف الشعب الصينى قد عاشـــوا في هذه العصر بعد أن تحدوا قسوة الطبيعة وصمدوا في مواجهة الأخطار فسكنوا في حياتهم البدائية الكهوف والمغارات الجبلية، وتجولـــوا في الغابـــات والأحراش بحثاً عـــن الغذاء بالتقاط الحشائش وجمع النباتات الجبلية التي رويت بمياه الأمطار، وبصيد وقنص الحيوانات لأكل لحومها وأستخدام جلودها في تغطية أجسادهم لحمايتهم من التقلبات المناخية والبرد القـــارص ... وقـــد أقتبســـوا النار من الغابات المحترقة بفعل الصواعق وحفظوهـــا طـــوال السنة حيث استخدموها للحصول على الطعام الناضج الســـهل الهضـــم ليساعدهم على تقوية أجسامهم، كما أستخدموها للأضاءة والتدفـــئة وطـــرد الضوارى بعد أن وضعوا المشاعل الدائمة في الكهوف الجبلـــية التـــي سكنوها لحمايتهم من غزو الوحوش(٩) ... وبمهارة وأتقان

اســتخدموا حجر الصوان واتخذوا منه سلاحاً بعد أن صقلوه ونببوا رأسه وحددوا معالم أطرافه .. وصنعوا أدوات بسيطة من عظام الحيوان وقرونه ســاعدتهم فــي أمــور معيشتهم ــ كما عرفوا فن النقش والحفر والرسم وتوصــلوا إلى إفراغ بعض الأدوات في قوالب وأشكال معينة(١٠) - مثل الأوانــي الفخارية ذوات الأرجل الثلاثية الجوفاء التي صنعوها من الطين بعــد حرقه بدرجة حرارة مرتفعة وصقل سطحه من الداخل والخارج بعد تصلبه ليكون ناعم الملمس حتى لا يخدش أيديهم عند استعماله في حياتهم اليومية.(١١)

وقــد حفظت جدران المغارات والكهوف التي سكنوها بعض معالم الفنون التي تمكنوا من ابتكارها، وكانت على قدر كبير من الذوق والإتقان حيث نحتوا عليها وعلى بعض الأحجار الكبيرة الملاصقة لها نقوش لبعض الــزهور وصــور الحيوانات أما بطريق النحت الدائرى أو النحت البارز أو النحــت الــتجويفى(١٢) ــ كما نحتوا على بعض الألواح الخشبية التي اســتخدموها في الأثاثات البدائية نقوش زخرفية بأشكال عديدة تميزت إلى حد ما بالرقى والجمال.

هــذا إلى جانب تعلمهم فن النحت على اليشم الذى يعتبر من أقدم الفــنون الجمــيلة في تاريخ البشرية حيث اكتشفت أثار عديدة في مناطق صــينية مختلفة تؤكد ذلك، مثل الحليا التي صنعوها من الأحجار الصغيرة ومــن عظــام وأســنان الحيوانات بعد أن ثقبوها بثقوب صغيره وربطوا بعضها البعض بخيط رفيع لتصبح قلادة للعنق وهى إلى الآن تعتبر القلادة الأولى في العالم أو أقدم قلادة ظهرت في العالم القديم.(١٣)

اســتطاع أيضــاً الصــينيون القدماء في هذا العصر أن يفرضوا

سيطرتهم على كثير من الحيوانات المفترسة مثل النمر والذئب والحصان الذبى والأبل والمرقط والدب، واستئنسوا بعضها مثل الغنم والبقر والغزال لتساعدهم في أمور المعيشة أو في تأمين الغذاء الذى يحتاجونه في الأيام التي يندر فيها الصيد ـ كما عرفوا بعض أنواع الزراعات البدائية البسيطة مثل زراعة الجاروس والحنطه والجديد والشعير ـ ولعدم كفاءة الأدوات الزراعية في ذلك العصر كان حجم الإنتاج الزراعي ضئيل ويعتبر مصدر ثانى للغذاء بعد الصيد.(١٤)

بالإضافة إلى ذلك فقد أكد أكثر من اكتشاف أثرى بأن الصينينون في هذه المرحلة الزمنية قد عرفوا السحر وكانوا يشاركون في الاحتفالات والمناسبات الدينية التي كان يرأسها السحرة في المعابد التي أقيمت داخل الكهوف والمغارات ـ وبأنه نتيجة لتلقنهم أعمال السحر واستسلامهم لطرق السحرة وتأملهم لما يحيط بهم من أسرار الطبيعة ظهرت في وجدانهم فكرة العقيدة الدينية(١٥) ـ هذا إلى جانب اهتمامهم بموتاهم وتأمين دفنهم بعد تجهيز أجسادهم ووضعها في أماكن معينة مع أهم الأدوات التي كانوا يستخدمونها بحرص واهتمام أثناء فترة حياتهم مثل الحلى والزينة، وبعد انتشار هذه العادة وأصبحت ذات أهمية في حياتهم حيث اعتبروها إيماناً راسخاً بعقيدة الخلود والبقاء ـ تطور الأمر بهم بعد ذلك إلى عبادة الموتى وتكريمهم في أوقات معينة.(١٦)

وترتيباً على ما تقدم – فإنه خلال هذا العصر كان لا يوجد غنى ولا فقير، ولا صاحب مكانة رفيعة أو وضيعة ـ وإنما كانت المساواة في كل الحقوق والواجبات هى التي تمثل القاعدة العامة بين الأفراد ـ وذلك لأن الأراضي والمواشى والحيوانات وأماكن الإيواء كانت عبارة عن ممتلكات

عامة ولم يثبت وجود أي مظاهر للملكية الخاصة أو أن شخصياً ما قد أستأثر ببعض هذه الأشياء أو أخذ نصيب أكثر من الآخرين في ذلك العصر.(١٧)

وفي ضوء ذلك كانت لا توجد سلطة مركزية ذات كيان سياسى معين تنظم علاقات الأفراد وتضبط سلوكهم ـ وإنما كان يسود هذا العصر النظام الذى ظهر في معظم المجتمعات القديمة التي بدأت حضارتها بالعصر الحجري القديم وهو نظام العدالة الخاصة أو القضاء الخاص القائم على ظاهرة القوة تنشئ الحق وتحميه ـ وفي ظل هذا النظام كان الأفراد في تنظيم العلاقات وترتيب الحقوق والالتزامات يفرقون بين ثلاثة أنواع من الجرائم رغم غياب السلطة المركزية وهى:

الجرائم الخاصة: التي كان يترك فيها للفرد المعتدى عليه أن يقدر العقوبة ويقتضيها بنفسه من المعتدى ـ **والجرائم العامة** : التي كانت تطبقها الجماعة على الفرد الذى كان يعتدى على كيانها أو مصالحها ـ **والجرائم الخارجية**: التي كانت تقع بين الجماعات البدائية(١٨) ـ وسوف نوضح ذلك تفصيلاً في الباب الأول بالقسم الثانى الخاص بأهم النظم القانونية التي ظهرت في عصور الصين القديمة.

وعلى هذا الأساس فإن نظام المجتمع الصينى في ذلك العصر لم تظهر فيه أى ملامح للسلطة المركزية ـ وإنما كان قائماً على مبدأ المساواة التامة بين الأفراد مع الاستناد على فكرة العدالة الخاصة في تنظيم العلاقات وترتيب الحقوق والالتزامات فيما بينهم.

* في نهاية هذا العصر ـ تحولت بعض الجماعات البدائية التي كانت تعيش بشكل عشوائي ـ إلى عشائر قائمة على رابطة الدم بين أفرادها من ناحية الأم ـ وهذه العشائر ظهرت في مناطق صينية عديدة مثل **(هيلو**

نغجيانغ) شمالاً و(شيجيانغ) في الشمال الغربي ويوننان والتبت في الجنوب الغربي، وتــايوان فــي أقصى الجنوب ــ وذلك إيذانا بانتهاء هذا العصر ودخــول المجــتمع الصيني إلى عتبة عصر أخر جديد هو العصر الحجري الحديث كما سنتبين في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

العصر الحجري الحديث

تـرجع بدايـة هذا العصر في الصين القديمة كما تفيد المعلومات الأثـرية التـي اكتشـفت في بعض المناطق التاريخية إلى مـا يزيد عن ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد – وذلك بعد أن تكونت جماعات بدئية أندمج فيها الأفـراد من أجل أن يأمنوا حياتهم وأمور معيشتهم ومستقبلهم ويتضامنوا ضـد المخاطـر والمصـاعب التي تهدد كيانهم الجماعى أو تمس أسانيد اسـتقرارهم، وبالتالي ازداد ترابطهم وتعاونهم في أعمال الصيد والقنص والـرعى وفي معرفة بعض أنواع الزراعات الموسمية إلى جانب تمكنهم مـن صنع أدوات بدائية وابتكار بعض معالم الفنون البسيطة بإتقان وكانت معظمها على قدر من الذوق والجمال.(١٩)

- يشير بعض المؤرخين بأن الجماعات البدائية التي تكونت في الصين القديمة وهبط بعضها من الجبال إلى السهول الخصبة والوديان وحول الأنهار العديـدة – قد مرت خلال هذا العصر بمرحلة ظهور العشائر ثم القبائل التي انتشرت بعد ذلك في مناطق عديدة ومثلت انعكاسا صادقاً لكفاح وتطور أقدم أسلاف الشعب الصينى في رحلة الحياة الإنسانية، حتى كونوا بعد ذلك شعب مـتكامل توفـرت فـيه قوة الإرادة والعزيمة وكل الدعائم القومية في بداية العصور القديمة.(٢٠)

ونظـام العشـيرة أو القبـيلة (Latribu) مـن أهم نظم تكوين المجـتمعات البشـرية القديمـة – وأعتبرها العالم الإنجليزي ماك لينان (Mac Lennan) فـي كتابه الذي أصدره في عام ١٨٦٥م عن الزواج البدائـي (Primitive Mariage) النظرية الوحيدة التي تفسر بموضوعية

كيفية تكوين المجتمعات القديمة التي انتشرت في كافة أنحاء العالم القديم - حيث وضح ذلك بوقائع تتلخص في الآتي:

** الإنســـان البدائــي قد عاش في أول مراحل حياته منعزلاً، وأمام تعرضه للمخاطر والكوارث والظروف الاقتصادية القاسية تلاقى مع أمثاله بطريق المصادفة فأندفع بحكم الضرورة نحوهم وأنضم إليهم لتأمين حياته ومســتقبله، ولكــى يــتعاونوا جمــيعاً في الحصول على القوت اليومى، ويتضامنوا في مواجهة الأخطار وقسوة الطبيعة.

** الجماعـــة في بداية عهدها "عقب تلاقى أفرادها بالمصادفة" كانت محــدودة الــرزق، وتشكو من ندرة الغذاء وصعوبة الحصول عليه حيث كانــت تعــتمد فقط على صيد وقنص الحيوانات وما تجود به الأرض من نباتات - ولما كان الحصول على الغذاء أو تدبير القوت اليومي لأفرادها صــعب للغايـــة ويحـــتاج إلى مجهود كبير وقوة جسمانية، فقد اضطرت الجماعـــة فـــي بدايـــة حـــياتها إلـــى التخلص من النساء حيث اعتبرتهم (أفــواه جائعة) لا تقدر بسبب ضعفهن على اقتحام المصاعب والمخاطر وبــذل الجهد الشاق للحصول على الغذاء ... وقد ترتب على أثر ذلك أن أصــبحت النساء بسبب ندرتهن مشاعاً بين رجال الجماعة، وظهر بالتالي مــن خلال هذه الظاهرة نظام زواج المشاركة الذى يختص فيه عدة رجال مــن أفراد الجماعة بامرأة واحدة (**Polyandrie** - وهو مصطلح يونانى مــألف مــن كلمتيــن الأولـــى **polos** ومعناها الكثرة والثانية **andros** ومعـــناها الرجل) وقد ترتب على هذه العادة أن أصبحت الجماعة في تلك الفترة تعيش في حالة (إباحية جنسية **Rtomiscuite sexuelle**).

** شيوع نظام تعدد الأزواج في الجماعات القديمة قد أدى إلى جهالة نســب الولــد إلـــى أبــيه، ونتــيجة لذلــك كـــان المولود ينسب إلى أمه

فقط - وبالتالي ظهر في محيط هذه الجماعات نظام الأسرة الأمية كوسيلة لمعـــرفة بـــنوة المولـــود فقط دون أن تكون للأم أي سلطة أو نفوذ داخل الجماعـــة - أي لا يشـــترط أن تكـــون لـــلأم دور قيادي داخل الجماعة أو العشيرة.

** مـــع تحسن الظروف الاقتصادية داخل الجماعة أو العشيرة نتيجة لتدبير مصادر أخرى للرزق بجانب الصيد والقنص مثل الرعى والزراعة تحسنت الأوضاع الاجتماعية إلى حد ما بين أفرادها وأصبح لكل أخوة لأم امرأة واحدة يختصون بها جميعاً، ونسب المولود إليهم بدلاً من أمه، وبعد فـــترة أمكـــن أن ينســـب إلى الأخ الأكبر - وبالتالي تحول تدريجياً نظام الأســـرة الأمية إلى نظام الأسرة الأبوية بعد أن أعترف للأخ الأكبر بحق انتساب المولود إليه.

** مـــع اســـتمرار تحســـن الظروف الاقتصادية وتوافر بعض سبل الاســـتقرار في حياة الجماعة، تطورت الأوضاع الاجتماعية وأختص كل فـــرد بـــزوجة واحدة، وأصبح كل مولود ينسب إلى أبيه، وبالتالي ظهرت الصورة المتكاملة لنظام الأسرة الأبوية (**Patriarcat**) داخل الجماعة.

** مـــع مرور الزمن تحول نظام الأسرة الأبوية من الزواج الفردي إلـــى نظام تعدد الزوجات نتيجة ازدياد عدد النساء وتحسن أمور المعيشة والأوضاع الاجتماعية لأفراد الجماعة.

** مـــن خـــلال نمـــو الأسر داخل الجماعات واتحاد بعضها تكونت العشيرة ثم القبيلة - ومع تطور العشائر والقبائل وارتفاع معدلات التعاون والتضـــامن بيـــن أفرادها في كافة المجالات ثم اتحاد بعضها، ظهرت في هـــيكل اجتماعـــي آخـــر يتمثل في المدن، ومع مرور الزمن واتحاد هذه المـــدن ظهـــر المجـــتمع في شكل متكامل وتحدد بالتالي نشاطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.[٢١]

وقـد أكد بعض العلماء والخبراء والباحثين في مجال الآثار وعلم الاجتماع والبيئة بأن المجتمع الصيني قد مر أثناء تكوين العشائر ثم القبائل التي أنتشر في مناطق عديدة منذ بداية العصر الحجري الحديث بالمراحل والتطورات التي أوضحها (ماك لينان) في نظريته التي نشرها في كتابة عن الزواج البدائي - كما أكدت النقوش العديدة ما يفيد بالدليل القاطع بأن العشائر الصينية قد مرت أثناء تكوينها بمرحلة الأسرة الأمية ثم الأسرة الأبوية في الفترة ما بين سنة ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ قبل الميلاد، فظهرت العشائر الأبوية التي تتحدد فيها الأنساب حسب رابطة الدم مع الأب وهذا يعني أفول المجتمع البدائي(٢٢) - والعشائر الصينية التي مرت بهذه المرحلة كانت عديدة ومعظمها أنتشر في الوديان والأراضي الخصبة وحول الأنهار وفي المناطق الجبلية والهضبية والرعوية والغابية على حدود الصين مثل:

*** عشيرة بأنبوه التي عاشت بالقرب من مقاطعة شنشي في حوض النهر الأصفر من حوالي ٦٠٠٠ - ٧٠٠٠ سنة - وقد شهدت هذه العشيرة ذروة المجتمع العشائرى الأمومي حيث نسب المولود إلى الأم وتبوأت المرأة مكانه قيادية في الإنتاج والحياة اليومية ... وعلى يد هذه العشيرة بدأ استعمال الفأس والرفش والسكين الحجرى المصقول وكذلك الأبرة والمخرز والصنارة والسهام ذات النصل الحجرى أو العظمى التي استعملت في الصيد.

يقـول بعض المؤرخين بأن الزراعة قد بدأت تظهر في عهد هذه العشيرة على يـد امرأة لفت نظرها نمو النبات من البذور المتساقطة على الأرض فتعلمت كيف ينبت الزرع .. وبعد ذلك قام أفراد بأنبوه بتنظيف الأرض من الأعشاب والأشجار باستخدام النار ثم مهدوها

بالــرفش الحجــرى والمعزقة الخشبية ودسوا فيها البذور بالعصا الخشبية المدببه - ومن المحاصيل التي زرعت في ذلك الوقت بعض الخضراوات والقنــب، والــذرة التي اعتبرت بها الصين أول مجتمع يزرعها في العالم القديم- وقد استعملوا في حصادها السكاكين الحجرية والفخارية وذلك كما سنرى في الباب الثاني.

ومع تقدم وسائل الصيد، كثرت فوائده وتوافر منه فائض للتربية - ومــن أوائل الحيوانات التي قاموا بتربيتها الخنازير والبقر والغنم والدجاج والكــلاب... ولكن رغم أن الزراعة وتربية الحيوانات قد أحتلت جزء من الإنتاج إلا أن الصيد البرى والمائي كان مازال يحتفظ بمكان هام ورئيسي في اقتصاد هذه العشيرة.

*** عشيرة (داونكو) التي عاشت في منطقة ما بين (شاندونغ) وشمال (جيانغســو) من حوالى ٦٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة وشهدت هذه العشيرة مدى الــتحول مــن نظام الأسرة الأمية إلى نظام الأسرة الأبوية ... وقد تمكن أفــراد هذه العشيرة من زراعة الأراضى المستصلحة وحصد المحاصيل التــي زرعــت بسكاكين من الحجر ومناجل من العظام والأصداف، كما تطــوروا فــي أعمــال الصيد وتربية الحيوانات وفي صناعة الفخاريات والحجــريات ونحــت اليشم والعاج إلى جانب بعض الصناعات الخشبية البدائية.(٢٣)

*** قبيلة (خمودو) ... تكونت في الفترة ما بين سنة(٦٠٠٠ - ٥٠٠٠) قــبل الميلاد وسكنت بالقرب من محافظة (يوياو) الحالية التابعة لمقاطعة (تشــجيانغ) التــي تقــع بمــنطقة شــرق الصــين فــي حــوض نهر (اليانــغتسى) ... وقــد عــاش أفرادها حياة مستقرة تعتمد على الزراعة وتربــية الحــيوان مــثل الخنزير والكلب والجاموس بالإضافة إلى الصيد

البرى والمائى – كما أتقنوا صنع المنحوتات العاجية البسيطة – وسكنوا في بيوت من الخشب.[٢٤]

*** قبيلة (يانغشاو) ... تكونت في الفترة ما بين (٦٠٠٠ – ٥٠٠٠) سنه قبل الميلاد – واحتراف أفرداها الزراعة البسيطة وصنع الفخاريات الملونة والمتعددة الأنواع والمختلفة الأساليب.

*** قبيلة [لونغشان] .. ظهرت في الفترة ما بين (٥٥٠٠ – ٤٥٠٠) سنه قبل الميلاد، وشاهدت التحول من الأسرة الأمية إلى الأسرة الأبوية بعد أن استقرت وتعلم أفرادها أساليب استصلاح الأراضي وزراعة بعض المحاصيل إلى جانب تميزهم بمهارة في أعمال الصيد البرى والمائي.[٢٥]

*** عشائر وقبائل منطقة (قانسو) التي تقع على المجرى الأعلى لنهر (هوانغ – هو) المسمى بالنهر الأصفر عند ملتقى الهضاب الثلاثة الكبرى (تشينغهاى – التبت ومنغوليا الداخلية – التراب الأصفر) في منطقة شرق الصين – وقد تكونت في الفترة ما بين سنة (٦٠٠٠ – ٤٠٠٠) قبل الميلاد وتمكن أفرادها من استئناس بعض الحيوانات وتربية المواشى بجداره إلى جانب تعلمهم بعض أنواع الزراعات الموسمية وصنع بعض الأدوات الحجرية والفخارية التي تساعدهم على أمور المعيشة.[٢٦]

*** قبيلة نيووا ... ظهرت في الفترة ما بين سنة (٦٠٠٠ – ٥٠٠٠) قبل الميلاد – (وقد ورد في الأساطير الصينية أن نيووا هي أم البشر وكانت عبارة عن امرأة في جسم الأفعى وقامت بترميم السماء، وإن أفراد هذه القبيلة كانوا يعبودنها عبادة مقدسة مليئة بالخوف والرهبة، ولذلك سميت القبيلة بأسمها في أعماق التاريخ القديم) – وقد تمكن أفراد هذه القبيلة من ابتكار فنون عديدة من خلال الأشغال اليدوية مثل صنع بعض الأدوات من قرون وعظام الحيوانات ومن الأحجار والأخشاب وتميزت بالجمال والإتقان.

*** قبيلة فوشي ... تكونت في الفترة ما بين سنة (٦٠٠٠ - ٥٠٠٠) قبل الميلاد - وتعلم أفرادها الزراعة والرعى إلى جانب اشتهارهم بفن الحرف اليدوية المختلفة، وإتقانهم لأعمال النقش والحفر على جدران الحوائط والأحجار والأخشاب.(٢٧)

وملامح هذا العصر من خلال المعلومات الأثرية التي اكتشفت وما سجله المؤرخون الذين اهتموا بالحضارة الصينية القديمة - تشير بأن أفراد العشائر والقبائل التي تكونت وانتشرت في المناطق الصينية العديدة قد ارتدوا ثياباً من الصوف قاموا بنسجها من شعر الأغنام وبعض الحيوانات بدلاً من جلودها التي كانوا يستخدمونها لحماية أجسادهم في العصر السابق- كما قام معظمهم ببناء مساكن من الحجارة أو الطين أو الأخشاب ووضعوا فيها أثاثات بدائية معظمها من الخشب والفخار واعتبروها لوازم للمعيشة بدلاً من التجول في أحراش الغابات والإقامة داخل الكهوف والمغارات التي عاشوا فيها قبل ذلك - وبالتالي يعتبر العصر الحجري الحديث هو البداية الحقيقية للمعيشة المستقرة التي مهدت لظهور القرى والمدن في الصين(٢٨) - وتوجد آثار عديدة تؤكد ذلك مثل التي اكتشفت في مقاطعة قانسو وتزيد عن ألف موقع أثرى لهذا العصر، أعظمها قيمة يتمثل في الأواني الفخارية الملونة كالطست الكبير المزخرف بخطوط متناسقة، والأناء المصمم على هيئة رأس أدمية، والبنايات التي شيدت على نمط القصر الصيني وتعتبر حتى الآن أعلى مستويات البناء في هذا العصر- هذا بالإضافة إلى اللوحة الأرضية التي يتعدى تاريخها ٥٠٠٠ سنة وعثر عليها في منطقة (دادبوان) بمحافظة (تشينان) وتعد وثيقة قيمة لدراسة تاريخ الرسم الصيني القديم.(٢٩)

فقد تطورت في هذا العصر الحياة الإنسانية وظروف المعيشة

داخل العشائر والقبائل الصينية، وترتب على تزايدها وانتشارها في مناطق عديدة وتمسك أفرادها بحب التعاون والتضامن إلى إتقان بعض الزراعات الموسمية مع استصلاح الأراضى بأساليب بدائية - إلى جانب احتراف تربية المواشي وبعض الطيور، وصيد الأسماك والحيوانات، وصنع الأدوات الحجرية والأوانى الفخارية الملونة، والآلات الخشبية الملونة البدائية، وابتكار فن متميز في النحت على الأحجار والأخشاب والحوائط والجدران - وتأكيد لذلك قد أشار "تشى شين" رئيس معهد بحوث الآثار ببكين العاصمة بأنه قد أكتشف في الثمانينيات بمحافظة بينغقو التابعة لبلدية بكين أكثر من ثلاثة ألف أداة حجرية وفخارية من بينها رحى لطحن الحبوب يعود تاريخها إلى سبعة آلاف عام، ورؤوس حجرية وفخارية لبعض الحيوانات مثل الغنم والقرد والسلحفاء وغيرها يعود تاريخها إلى ما يزيد عن ستة آلاف سنة، وبلطه حربية من الحديد تدل على أن تاريخ استخدام الحديد يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وأن الصينيون قد عرفوا الحديد وصنعوا منه بعض الآلات البدائية في هذا العصر... وفي متحف التاريخ الصينى الموجود في الجانب الشرقى بساحة (تيان أن) ببكين تجسيداً حياً لهذه الآثار.(٣٠)

توجد أيضاً معلومات أثرية تؤكد أن الطب الصينى قد ظهر في هذا العصر وبأن العشائر والقبائل كان يوجد بها أفراد استطاعوا تشخيص بعض الأمراض، وتمكنوا من علاج المصابين بها بواسطة عقاقير مستخلصة من نباتات الأرض (أعشاب) - ومن أشهر هؤلاء (شن نونغ) الذي يردد الطب الصينى المعاصر حكايته في أكثر من مرجع ويشيد بالقدرة التي كان عليها في تشخيص الأمراض وبمهارته الفائقة في علاجها مستخدماً بما يزيد عن مائة نوع من الأعشاب الطبية - وهذا يدل

علــى أن الطب له جذور عميقة في تاريخ الصين القديم[٣١] ... تعلم أيضاً الصــينيون القدمـــاء في هذا العصر فن الأوراق المقصوصة كفن شعبى عكس بعض المفاهيم الفلسفية التي كانت تدور في فكرهم وتعبر عن عمق مشاعرهم مثل صور النمر والتنين والعنقاء والثعبان وبعض أنواع النباتات حيــث كانــت معظمها تمثل في نظرهم مقدسات نسبت جميعها إلى فكرة الــتوتم (هــو عــبارة عــن حــيوان أو نبات تعتقد الجماعة بأنها تنحدر منه - ويترتب على هذا الاعتقاد بأن أفراد الجماعة تقدسه أو تأله كمصدر للخــير وحامى لهم من الكوارث وأعمال الشر)[٣٢] - وعلى هذا الأساس فــأنهم وأن كانوا يستمدون من هذه الحيوانات والنباتات مواد للإبداع في شــكل فــن الأوراق المقصوصـــة - إلا أنهم في الحقيقة كانوا يعتبرونها تعاويز أما يضعوها في أعناقهم أو يحملونها في ملابسهم أو يعلقوها على أبــواب وجدران مساكنهم اعتقاداً منهم بأنها تجلب لهم الخير وتحميهم من الكــوارث والأرواح الشــريرة ... ولذلــك يشير بعض علماء الاجتماع والمؤرخــون بأن قيمة الأوراق المقصوصة التي ابتكرت في هذا العصر لا تقتصر فقط على الفن والجمال بل تضمنت إلى جانب ذلك ملامح عديدة للعلــوم الثقافية والأفكار الفلسفية والعقائد الدينية المختلفة التي كانت سائدة فــي هــذا العصــر... وتؤكــد مــدى تعمق الصنينون في فكرة التديــن واهــتمامهم نحــو اكتســاب المعــرفــة وحب الحصول علــى العلــوم الإنسانية المختلفة.[٣٣]

وقد تضمن هذا العصر الذي يطلق عليه أيضاً المؤرخون عصر ما قــبل الأسرات في الصين عدداً من الفلاسفة والعلماء والأبطال والأباطرة الأســطوريين المشــهود لهم بالحكمة والعدل - ذكرتهم المراجع الصينية القديمـــة على أنهم شخصيات أسطورية في كيان الشعب الصينى - ومن

أشـــهر هـــؤلاء الأســـاطير القبتاريخية الملك (فوهسى) العادل - والملك (شــين فونـــج) الحكــيم - والزعيم (هوانغ دى) الذى لقب بالإمبراطور الأصــغر ويقال عنه بأنه قد ألف أول اتحاد بين القبائل الصينية وأنتصر علــى أعدائه بأسلحة مصنوعة من الأحجار الكريمة - والحكيم (لى زو) الــذي أخـــترع تربــية دود القز - والملك (شون) الذي تمكن من ابتكار أدوات الملــك - والملك العظيم (يوى) الذي روض الطوفانات، وأنتصر علــى قومــية مــياو بســلاح مصــنوع من البرونز ووحد معظم القبائل الصينية.(٣٤)

قـــبل نهاية هذا العصر كانت الأراضي والآلات والأدوات البدائية والمســـاكن والمواشي ممتلكات عامة في كل العشائر والقبائل - كما كان العمـــل جماعـــي ويشـــارك كل الأفراد في ثماره بلا استثناء أو ظلم في الـــتوزيع وعلـــى هذا الأساس كانت المساواة بين الأفراد قاعدة عامة أي لا يوجد بينهم غنى أو فقير، أو رفيع أو ووضيع كما كان سائداً في العصر الســـابق ولـــم يعثر بالتالي على أي تمييز في الأدوات الجنائزية يمكن أن تشير إلى وجود فوارق في الحياة الاجتماعية بين أفراد القبائل والعشائر.

وعلـــى أثـــر التطور الذي حدث في النظام الاجتماعي والاقتصادي والثقافي دلخل القبائل والعشائر التي انتشرت حول الأنهار والوديان والسهول الخصـــبة خـــلال هـــذا العصر - ظهرت النواة الأولى للسلطة المركزية في المجتمع الصيني حيث أصبح لكل قبيلة أو عشيرة شيخ أو قائد أو زعيم يتم تعيـــنه بالاختـــيار ليـــنظم شئونها فقط دون أن تكون له أي سلطة أو مركز مـــرموق أو يتمـــتع بأي ميزة معينة كما كان غير متفرغ وإنما يعمل لكسب الـــرزق مثل الآخرين، وذلك لأن كل أفراد القبائل والعشائر حتى ذلك الوقت كـــانوا متســـاوون في جميع الحقوق والواجبات - وبالتالي اقتصرت الوظيفة

المركزية لكل شيخ أو زعيم أو قائد قبيلة أو عشيرة على الآتي:

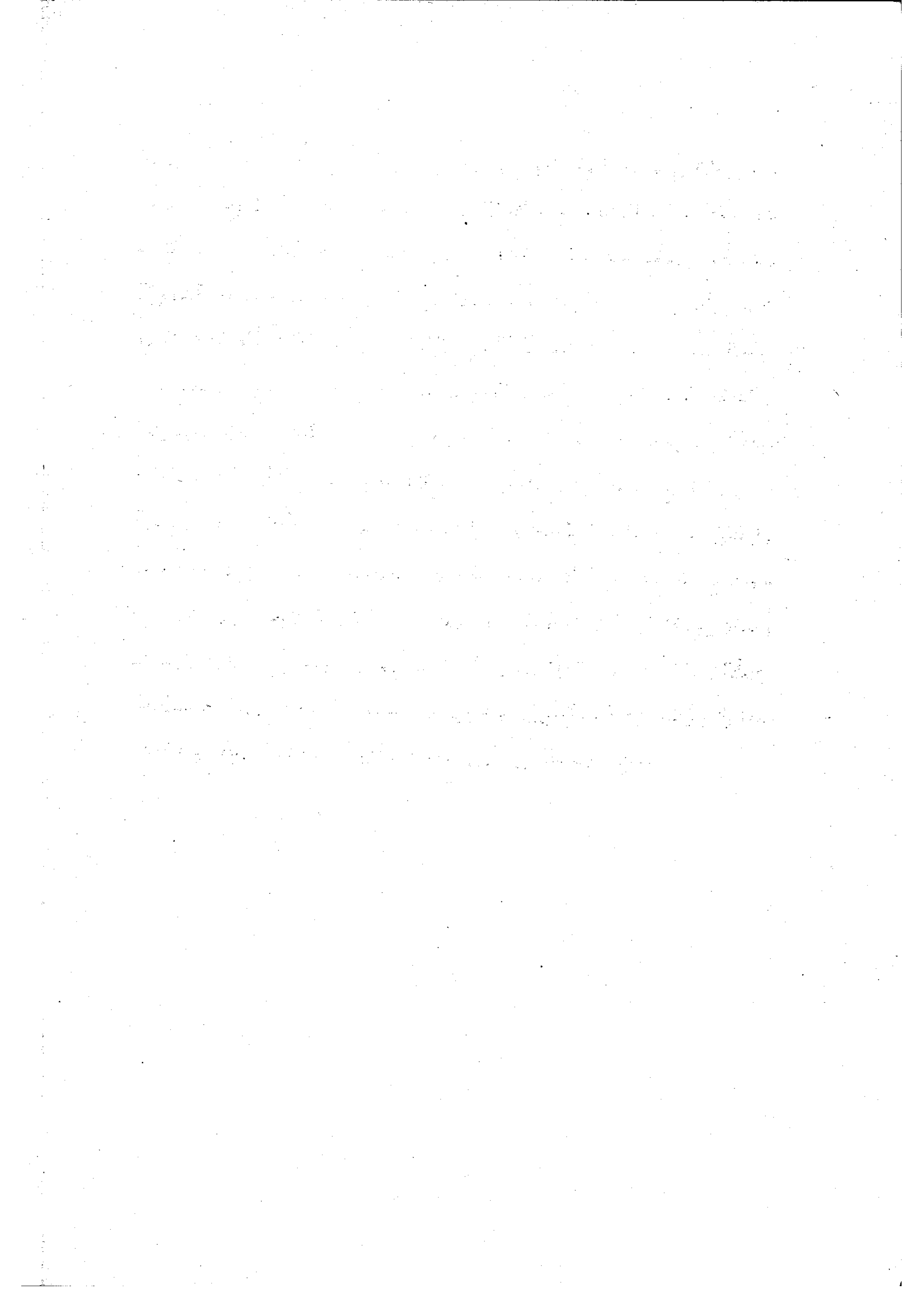
- تنظيم أمور العمل ومواسم الزراعة والحصاد داخل كل قبيلة أو عشيرة.

- رئاسة بعض الطقوس الدينية بعد انتشار فكرة التوتم وعبادة الأسلاف دون أن تكون له أي سلطة دينية أو تلحق به صفة الكاهن الأكبر أو الأعظم داخل القبيلة أو العشيرة إلا في نهاية هذا العصر.

- حل بعض المشاكل التي كانت تثور أو تحدث بين أفراد القبيلة أو العشيرة بالتشاور وإبداء الرأي دون أن تكون له سلطة الحكم أو العقاب - وذلك بعد أن تطور نظام العدالة الخاصة خلال هذا العصر نتيجة لظهور مرحلة تهذيب القوى المتمثلة في نظام التصالح والتحكيم كما سنرى في الباب الأول بالقسم الثانى الخاص بأهم النظم القانونية التي ظهرت في عصور الصين القديمة.

وأيضاً عندما أتحدت بعض القبائل والعشائر في كيان واحد لم يحدث تغيير على نظام كيانها الاجتماعي بل ظل كبير هذه القبائل أو العشائر أو زعيم هذا الاتحاد بنفس الصفة ويتعين بالاختيار دون أن ينفصل عن العمل أو يتمتع بأي امتيازات خاصة عن الآخرين.(٣٤) ولكن في أواخر هذا العصر وعلى الأخص في نهاية القرن الثاني والعشرين قبل قبل الميلاد، ظهرت الملكية الخاصة وهدمت أسانيد المساواة التي كانت سائدة بين الأفراد - حيث أدت الزيادة المستمرة في الإنتاج إلى إمكانية استيلاء بعض الأفراد على ثمار عمل الآخرين - كما استغل كبراء العشائر والقبائل مراكزهم واستولوا على فوائض المنتجات لحسابهم - وكان في مقدمة ما استأثروا به الحبوب والمواشي ثم امتلكوا الآلات والأدوات المختلفة وزينت نساؤهم بالأساور والخواتم اليشمية والملابس

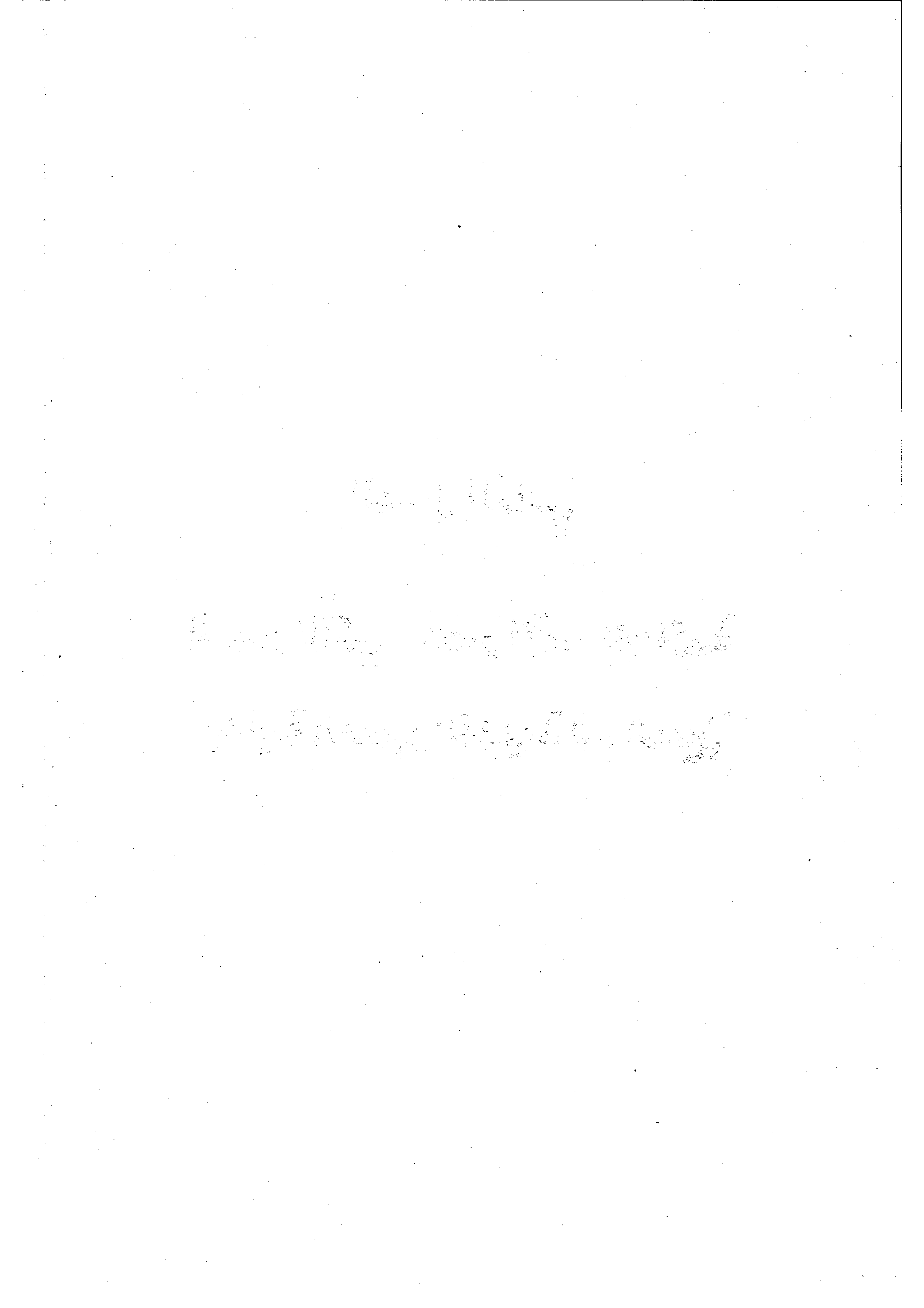
الملونـــة ... كمـــا تميزوا في الدفن حيث احتوت قبورهم على الكثير من المـــواد الجنائزية كرأس الخنزير وفكه الأسفل مع بعض الآلات والأدوات مـــثل الأوانـــي الفخارية وقلائد الرخام والفيروز وأوعية الخمور وأدوات الزيـــنة، بينما اقتصرت قبور أفراد العشيرة أو القبيلة الآخرين على مواد جنائزية بسيطة للغاية مثل لوازم الإنتاج والفخاريات العادية .. وهذا التميز قـــد أحـــدث تغيرات هائلة في الوضع الاجتماعي داخل العشائر والقبائل فظهـــر الغـــنى والفقـــير ومـــع مرور الزمن والتطور المستمر في الحياة الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية تولدت طبقتين في المجتمع الصيني - الأولـــى مـــن الأفراد الأغنياء وذات النفوذ والسيطرة، والثانية من الفقراء الكادحين الذين خضعوا أمام كسب الرزق للطبقة الأولى، ومع اتساع الهوة بين الطبقتين، وتفكك كل أواصر الملكية العامة، وإلغاء المساواة بين الناس تكـــون المجـــتمع العبودى على أشلاء المجتمع البدائى وظهر نظام الأسر الحاكمـــة الذي دخلت به الصين أبواب العصور القديمة في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد.[٣٦] وذلك كما سنرى في الفصل القادم.



الفصل الثاني

العصر الملكي - عصر الأسر الحاكمة

"بداية العصور القديمة فى الصين"



تقديـــم:

تحددت الملامح الحضارية للمجتمع الصيني في الفترة ما بين سنة (٢٨٠٠ – ٢٦٠٠) قبل الميلاد بعد أن اتحدت بعض العشائر والقبائل التي انتشـــرت فـــي مناطق عديدة حول الأنهار والسهول الخصبة والوديان(١)، وظهـــرت بعد ذلك بلاد الصين في الفترة ما بين سنة (٢٥٠٠ – ٢٤٠٠) قبل الميلاد وكأنها قد قسمت إلى قسمين حيث تميز كل قسم عن الآخر في بعض أمور المعيشة وذلك كالآتي:

الأول: كـــان عبارة عن مجتمع زراعي شمل العشائر والقبائل التي عاشت واستقرت في السهول الخصبة وحول الأنهار، وأتقن أفرادها زراعة بعض النـــباتات وتجمـــيع وتخزيـــن المحاصيل الزراعية إلى جانب تمكنهم من استصلاح بعض الأراضي بأساليب بدائية.

الثاني: تكـــون مـــن مجـــتمع بدوي ضم العشائر والقبائل التي عاشت في الوديان والهضاب وبعض المناطق الجبلية واعتمد أفرادها في تدبير أمور معيشـــتهم على الرعي واستئناس بعض الحيوانات مثل المواشي والأغنام إلى جانب الصيد والقنص.

وفي الفترة ما بين عام (٢٣٠٠–٢٣٠٠) قبل الميلاد حدث تقارب وتعـــاون بيـــن القســـمان بحكم ضرورة الحياة المشتركة ومتطلباتها حتى تضامنت عشائر وقبائل عديدة من كلٍ منهما ثم اتحدوا وكونوا مجتمع شبه مـــتكامل مدعـــم بنظم حضارية عند ظهور أول أســـرة حاكمة في الصين وأول نظـــام ملكـــي عبودي في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد الذي يعتبره المؤرخون بداية تاريخ العصور القديمة في الصين.(٢)

اســـتمر النظام الملكي منذ ذلك التاريخ حتى عام ٤٧٦ق.م – وقد

اتسم فيه المجتمع الصينى بحب الحياة المستقرة والتقدم الحضارى إذا كان النظام العبودى قد ظهر أول مرة فى هذا العصر، إلا أنه رغم مساؤه قد زادت فيه معدلات حجم الإنتاج وتحقق فيه قفزة حضارية تطور بها المجتمع الصينى اقتصادياً واجتماعياً، حيث تحمل العبيد باعتبارهم المنتجين الرئيسين كل العبء فى تحقيق ثروات مادية طائلة لأسيادهم إلى جانب التطور الذى حدث فى العلوم والثقافات العديدة التى ظهرت ولم تكن معروفة من قبل فى المجتمع البدائى السابق[٣] الذى تمثل فى العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث، ولبيان مظاهر هذا العصر والوقائع العديدة التى حدثت وأثرت فى **كيان المجتمع الصينى ونظام الحكم سنعرض مراحله التاريخية على النحو التالى:**

المبحث الأول: عهد حكم أسرة شيا (من القرن ٢١ – القرن ١٦) قبل الميلاد.

المبحث الثانى: عهد حكم أسرة شانغ (من القرن ١٦ – القرن ١١) قبل الميلاد.

المبحث الثالث: عهد حكم أسرة تشو الغربية (من القرن ١١ سنة ٧٧٠) قبل الميلاد.

المبحث الرابع: عهد حكم أسرة تشو الشرقية (من سنة ٧٧٠ –٤٧٦) قبل الميلاد.

المبحث الأول

عهد حكم أسرة شيا

- يقــول بعض المؤرخين بأنه إذا كان قد ظهرت حضارات إنسانية عديــدة فــى عــالم العصور القديمة ويحيط ببداية عهدها الغموض أو لم يتوصــل حــتى الآن العلماء والباحثون في علوم الآثار إلى التاريخ الذي ظهــرت فــيه على وجه التحديد - فأن بداية ظهور العصور القديمة فى الصــين يعتــبر إلى حد ما محدد وواضح التاريخ، حيث دخلت العصور القديمة بعد انتهاء عصرها الحجرى فى القرن الواحد والعشرين وبالتحديد فــى عام ٢٢٠٥ق.م عندما اعتلت أسرة [شيا] ويطلق عليها أيضا [هسيا] أو [هسى] عرش المجتمع الصينى وأعتبرت أول أسرة حاكمة مثلت النظام الملكى وافتتحت بداية العصور القديمة فى الصين.[٤]

- وهذه الأسرة قد تطورت منذ منتصف القرن الثانى والعشرين من عشيرة [شيا] التى كانت تقيم على ضفاف النهر الأصفر ونهر [لوهشوى] غــرب مقاطعة [خنان] وفى جنوب مقاطعة [شانشى] ثم امتد نفوذها إلى ملــتقى حدود مقاطعات [خنان] و[خبى] و[شاندونغ] بمحاذاة مجرى النهر الأصــفر شرقاً، والى حدود مقاطعة [هوبى] جنوباً - ورغم انها لم تنفرد بهذه الأقاليم إلا أن نشاطها كان طاغيا على غيرها من العشائر[٥] ... وقد استمرت فى هذا التطور إلى جانب فرض نفوذها على العشائر والقبائل الأخــرى حتى تمكن زعيمها [يوى] مــن تأسيس كيانها السياسى وجعلها أول أســرة تحكم المجتمع الصينى وأعتبر بذلك أول ملوك الأسر الحاكمة في الصين القديمة.

- يقــول بعض المؤرخين بأن الملك [يوى] قد أشتهر بالقوة والحكمة

والعدل، وبأنه منذ صباه قد تميز فى مقاطعة [شانشى] مسقط رأسه بالشجاعة وقوة الإرادة وحب الزعامة وعندما وصل إلى مرحلة الشباب كان يهتم دائماً بالحصول على العلم والثقافة كما كان يحرص على اكتساب حب واحترام جميع أفراد عشيرته .. ولذلك تولى زعامة عشيرته بناء على رغبة معظم أفرادها .. وبعد أن تولى السلطة كأول ملك حكم الصين من أسرته نال تأييد شعبي مكنه مع صفاته وحسن قيادته من تنظيم شئون المجتمع الصينى وحمايته من الأخطار التى كانت تهدد كيانه من هجمات القبائل البربرية.(٦)

- يردد جانب من علماء التاريخ والفلسفة رواية أخرى لبداية العصور القديمة فى الصين من بينهم **الأستاذ الدكتور/ محمد فؤاء شبل** حيث أشار فى كتابه عن **"حكمة الصين"** بأن هذا التاريخ (قد بدأ بظهور خمسة أباطرة أسطوريين، اعتبرهم الصينيون أنصاف آلهة وعبدوهم ونسبوا إليهم كشف الزراعة، وتنظيم الري، وابتكار الأدوات الزراعية، والمركبات ذات العجلات، والقوارب .. وغيرها من الإنجازات الحضارية العديدة – وأن **كونفوشيوس** فيلسوف الصين العظيم ومريدوه اعتبروهم أبطال أزهى عصور الماضى المجيد ... ثم تلاهم الإمبراطور [ياو] أول حاكم بشرى حكم الصين فى الفترة من عام (٢٣٥٦ – ٢٢٥٥ق.م) ويعاصر حكمه [منتصف الأسرة السادسة من تاريخ مصر الفرعونية] – وقد خلف هذا الامبراطور وزيره القدير [**شون**] فى الفترة من عام (٢٢٥٥ – ٢٢٠٥ق.م)، ثم خلف [**شون**] الإمبراطور [يوى] مؤسس أول أسرة مالكة فى الصين عرفت باسم [**هسيا**] التى استمرت تحكم المجتمع الصينى حتى عام ١٧٦٦ق.م [وهذا التاريخ يوافق تقريباً بداية حكم الاسرة الثالثة عشرة الفرعونية].(٧)

توجـد روايـة أخرى تتردد فى بعض المراجع التاريخية الصينية القديمة تشير بأن (الزعيم هوانغ دى)الملقب بالإمبراطور الأصفر قد شكل اتحاداً قبائلياً منذ ما يزيد عن ٤٠٠٠سنة وتولى زعامته باختيار ديمقراطي – ثم تبعه بنفس النظام الديمقراطي الأباطرة [ياو]، [وشون]، [ويوى] على التوالى .. وتبعا لما جاء فى الأساطير كان الإمبراطور [ياو] غنياً جداً، وأنـه زود [شـون] المرشح لخلافته بالملابس والآلات والأدوات القيمة، وبـأعداد وفيرة من الماشية والأغنام، وكان [الشون] مخزن كبير فى بيته لتخزيـن الحبوب الزائدة كما كان يقايض ما لديه من البضائع مع العشائر والقـبائل الأخـرى .. وبعد أن توفى أعقبه فى الحكم الإمبراطور [يوى] الذى يعتبر آخر الأباطرة الذين جاءوا من عائلة نبيلة واستخدم كل ما لديه من قوة لفرض إرادته على الآخرين – وبعد وفاته تولى ابنه تشـى رئاسة الاتحاد واعتبر ذلك أول خرق لمبدأ الاختيار الديمقراطي فى الوصول إلى السلطة حيث صار الأمر وراثياً بعد ذلك – وأن الملك [تشى] هو الذى قام بتأسيس أسرة شيا التى استمرت تحكم المجتمع الصينى فى الفترة من عام [٢١٠٠ – ١٦٠٠ق.م] والـتى اعتـبرت بدايـة ظهور الدولة فى الصين (وأول مـرحلة مـن مـراحل العصور القديمة) وفى ظلها انتشر النظام العـبودى الذى تحول فيه كبراء العشائر والقبائل إلى قادة أغنياء، وانحط الفقراء إلى عبيد أرغموا على العمل المرهق لزيادة الإنتاج، وابتز أسيادهم الأغنياء كل ثمار كدهم.(٨)

ورغـم أن وقائع هذه الروايات لا تتطابق بالكامل مع بعضها من حيث بداية تاريخ العصور القديمة فى الصين إلا أنها تؤكد موضوعياً بأن أول أسرة حكمت الصين هى أسرة [شيا] أو [هسيا] ... وبأنه من الراجح أن الملك [يوى] هو الذى أسسها حيث أن المراجع الصينية تؤكد ذلك، كما

أن معظمهـــا يشـــير أيضا بأن هذا الملك كان من عظماء الصين فى بداية العصـــور القديمـــة، واشـــتهر بانتصاره العظيم على قومية [مياو] بسلاح مصـــنوع مـــن البرونز، وبقدرته الفائقة على ترويض الطوفانات لدرجة جعلته ينقذ بقوة الصين من فيضان مدمر أستمر تسع سنوات.(٩)

تفيد المعلومات التاريخية بأن ملوك أسرة [شيا] الذين تعاقبوا على الـــتوالى [طـــبقاً لقاعدة الوراثة] فى حكم المجتمع الصينى بعد وفاة الملك [يـــوى] قـــد وصل عددهم الى سبعة عشر ملكا .. وبأن معظمهم وخاصة الأوائـــل منهم قد جعلوا "أثناء فترة حكمهم" من تدعيم الروابط بين العشائر والقـــبائل ركـــيزة أساســـية للنهوض بكيان المجتمع الصينى ودفعه نحو الـــتطور- كما تشير أيضا هذه المعلومات بأن قوة ونفوذ حكم أسرة [شيا] قـــد لمع وظهر بوضوح فى كافة أرجاء الصين خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد.(١٠)

بحكـــم أســـرة شـــيا بدأ النظام العبودى فى المجتمع الصينى حيث ظهـــرت فـــيه طبقـــتان أساســـيتان هما طبقة ملاك العبيد وأطلق عليهم الأرســـتقراطيين وطـــبقة العبيد، وذلك إلى جانب طبقة العامة التي كانت تنتمي إلى أعضاء المشترك العشائرى والقبائلى، وتمارس الإنتاج الزراعي والحرف اليدوية لكسب الرزق ... ومن مظاهر النظام العبودى الذى ظهر أول مـــرة فـــى عهـــد حكم هذه الأسرة هو أن ملك [شيا] كان يمثل القائد الأعلـــى لطبقة ملاك العبيد الأرستقراطيين – ومن أجل حماية هذه الطبقة وقمع معارضة العبيد والعامة ظهرت الدولة فى كيان حكم أسرة شيا لتمثل الـــبداية الحقيقة لظهور السلطة المركزية المتكاملة فى المجتمع الصينى – وعلى أثر ذلك نظم ملك شيا مع الأرستقراطيين أجهزتها القمعية والجيش والســـجون، وشرعوا القوانين الجنائية، وبنوا الأسوار حول المدن – لأن

الملــك كان سلطته مطلقة وبالتالي أمسك فى يده كل سلطات الدولة العليا [السياســية والعســكرية والاقتصادية والمدينة والإدارية] كما نظم الأمور [الدينــية والأخلاقية]، وفرض مع الأرستقراطيين [الديكتاتورية على العبيد والعامة] – كما كون جيش قوى للدفاع عن الأراضي الصينية من الغارات الشرســة التى كانت تهب عليها من القبائل البربرية لنهب خيراتها – وقد حفرت على جدران المعابد صوراً عديدة تعبر عن صفات الجنود فى هذا العهــد، وما كانوا يرتدونه من ملابس حربية، ويحملونه من دروع وسهام وبلط حديدية كمعدات وأسلحة أساسية للقتال أثناء الحرب مع أعدائهم.(١١)

فى عهد هذه الأسرة تطور المجتمع الصينى حيث اتسعت مساحة الأراضي الزراعــية واستخدام الأفراد المعازق الخشبية والسكاكين الحجرية ومناجل الصــدف لتمهــيد الأرض وجــنى المحصول وعرفوا طرق عديدة للري واســتخدموا بعض التقنيات البدائية لمكافحة الجفاف والفيضان.(١٢) (وذلك كما سنرى فى الباب الثانى) – كما أتقنوا بعض الحرف اليدوية التى تتميز بــالذوق ودقة الفن مثل المقصوصات الورقية الملونة، واليشميات الشديدة الصــلابة الــتى كانت على شكل شرائح واقراط وخرزات، والمشغولات الفخاريــة مــثل القــدور والجرارات والطشوات والسلطانيات، والأدوات المضــفرة أو المجدولــة (الخيزرانــية) بأشكال فنية مختلفة وذات رسوم منــتظمة، مــثل المــراوح والصناديق والحصر القشية – وأيضا الأواني والأدوات الخزفــية الــتى صنعوها برسوم زرقاء وألوان مختلفة(١٣)، وقد عثر على عدد منها فى مقاطعة [هونان] التى تقع فى منطقة جنوب الصين الأوسط.

** ويوجد فى متاحف بكين آثار عديدة تؤكد ذلك مثل متحف التاريخ الصينى، والمتحف الوطني للفنون الجميلة فى الصين.(١٤)

استـــخدم الصـــينيون فى هذه الفترة "بأسلوب بدائى" فصول السنة الأربعـــة مـــن أجـــل تنظـــيم أمـــور معيشتهم وخاصة فى زراعة بعض المحاصـــيل الموسمية – حيث جعلوا لكل فصل من الفصول الأربعة لوناً واتجاهـــاً فـــى الأرض – فهو أخضر شرقا فى الربيع، وأحمر جنوباً فى الصـــيف، وأبيض غرباً فى الخريف، وأسود أو أصفر شمالاً فى الشتاء- وقـــد علـــق المؤرخ مرسيل جرانت على ذلك بأن الصينيون قد جعلوا من تعاقـــب الفصول أساساً جوهرياً للربط بين المدى الذى يمثل الأرض وما بهـــا من حقول ووديان وجبال، وبين الوقت الذى يمثل الزمن المقسم إلى أربعـــة فصـــول على مدار السنة ... وهذا النظام قد لعب دوراً هاماً فى العقلـــية الصـــينية وتأسست عليه فكرة تلاقى السماء والأرض، وأن العالم الإنساني يستند وجوده على التفاهم مع الطبيعة.(١٥)

ونتـــيجة لهذا التطور توفر لدى جانب من علماء هذا العهد بعض المعـــارف الفلكـــية والتقويمـــية التى نظمت الأجيال اللاحقة على أساسها التقويم السنوى وأطلقت عليه (تقويم شيا الصغير) – ولا يزال هذا التقويم مســـتعملا حتى اليوم تحت أسم (التقويم القمرى) أو (تقويم شيا).(١٦) ... وبالإضافة إلى ذلك توجد معلومات مؤكدة تفيد بأن الطب الصينى قد تطور فى هذا العهد عما كان عليه فى العصر البدائى السابق حيث ازداد عـــدد الأطـــباء الذين تمكنوا بدقة مـــن تشخيص بعض الأمراض ونجحوا نجاحاً باهـــراً فـــــى علاجها بالأعشاب الطبية العديدة التى استطاعوا اكتشافها بالخبرة والتجارب العلمية.(١٧)

إلـــى جانـــب ذلـــك حدث أيضا تطور ثقافي نتيجة اهتمام الملوك الشـــياويون بنشر الفكر الأدبي والفلسفي بين أفراد الشعب ولكن .. رغم هذا التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي حدث في كيان المجتمع

الصـــينى .. إلا أنـــه نتيجة الصراع الطبقي بين السادة والعبيد والذي لم يـتوقف طـوال فترة حكم هذه الأسرة الذى استمر حوالى ٤٠٠عام وكان يتمثل فى تمرد العبيد وهروبهم من ميادين العمل ومواقع الإنتاج، قد سبب بصفة مستمرة حالة من عدم الاستقرار السياسى وإن كان فى مرات عديدة يتم تهدئة الأوضاع بين الحين والأخر بالإجراءات القمعية التى كانت تتخذ ضد ثوار العبيد من جانب الملك وأفراد الطبقة الأرستقراطية.(١٨)

وفى القرن السادس عشر قبل الميلاد اشتدت حدة هذا الصراع بعد أن اعـــتلى آخــر ملــوك هــذه الآسرة الملك [شياجيه] العرش من عام (١٨١٨ – ١٧٦٦ ق.م) حيــث شــدد من اضطهاد العبيد والعامة ونهب معظــم خيرات الشعب ليعيش مع الأرستقراطيين حياة البذخ والترف بلا حــدود نتج عنه تدهور فى الإنتاج وضعف مستمر فى كيان المجتمع ... وأمــام هــذه الأوضـــاع اشتد عصيان وتمرد العبيد، الأمر الذى أدى إلى انهيار قدرة أجهزة الدولة فى مقاومة ثوراتهم وخاصة بعد أن انضم إليهم عامـــة الشعب، وحدثت اضطرابات عنيفة هزت سلطة الملك وجعلته غير قـــادر علـــى الاستمرار فى الحكم والسيطرة الفعلية على أمور وأوضاع المجـــتمع ... وعلـــى أثر ذلك انتهزت أسرة شانغ هذا التدهور واستولت علـــى العــرش بعد أن انهزم الملك [شـــياجيه] وتلاشت بالتالي أسرة شيا وغرب نظام حكمها من المجتمع الصينى.(١٩)

المبحث الثاني

عهد حكم أسرة شانغ

بعـد أن تدهـورت أوضـاع ونفـوذ أسرة [شيا]، وسقوط نظام حكـم الملـك [شـياجيه] أخـر ملوكهـا أثـر الضـربات الشـديدة الـتى كانـت توجـه إليه من تمرد العبيد رداً على اضطهاده لهم وفساد حكمـه... كانـت أسرة [شانغ] تتقوقع فى المجرى الأسفل للنهر الأصفر تتحيـن الفرصـة للوصول إلى عرش المجتمع الصينى على أكتاف هذه الأسـرة – ولذلك انتهزت ضعفها مع ارتباك أوضاعها السياسية وانقضت علـيها بقيادة زعيمها [شانغ تانغ] الذى قاد جيشا قويا مكنه من الانتصار علـى [شياجيه] وسحق قواته .. وعلى أثر ذلك تلاشت أسرة شيا، وحلت بدلا منها أسرة شانغ.[٢٠]

بعد أن أسس [شانغ تانغ] هذه الاسرة، فقد اتخذت عدة عواصم قبل أن يسـتقر [بـان تانغ] أحد ملوكها فى مدينة (ين) التى تقع شمال غربي [انـيانغ] بمقاطعة خنان فى منطقة جنوب الصين الأوسط لتكون عاصمة لهـا، ولهذا السبب قد عرفت أيضا هذه الأسرة في سجلات تاريخ الصين بأسـم [أسـرة يـن][٢١] .. وقد امتد نفوذ أسرة شانغ على مناطق عديدة وسيطرت على مساحات شاسعة من الأراضي الصينية حيث حكمت الجزء الأوسـط مـن خـبى شـمالا، ونهر اليانغستى وهوانجه وهوبى جنوباً، وشاندونغ شرقاً، وشنشى غرباً – وفى عصرها الذهبى أتسع ملكها أيضا وأمتد إلى البحر شرقاً، وإلى مقاطعة شنشى غرباً، ومقاطعة ليا ونينغ فى الشـمال الشرقى، وتجاوزت نهر اليانغستى جنوباً – وكانت توجد فى هذه المـناطق عشـائر وقـبائل عديدة خضعت جميعها لنظام حكم ملوك هذه

الأسرة الذين بلغ عددهم ثلاثون ملكاً، تعاقبوا على عرش المجتمع الصينى طبقاً لقاعدة الوراثة.(٢٢)

وإذا كانت أسرة شانغ قد حكمت المجتمع الصينى فى القرن السادس عشر قبل الميلاد إلا أن بعض المؤرخين يشير تحديداً بأن أول ملوك هذه الأسرة وهو الملك [شانغ تانغ] قد جلس على العرش بعد أن سحق أسرة [شيا] فى عام ١٧٢٣ق.م – وفريق آخر يقول بأنه كان منذ بداية عام ١٧٦٥ق.م، وفريق ثالث يردد بأنه كان فى عام ١٦٠٤ق.م – ولذلك فأنه من الأفضل أمام هذا الاختلاف وعدم اتفاق هؤلاء المؤرخون على تاريخ محدد لبداية عهد أسرة [شانغ] واعتلاء أول ملوكها عرش المجتمع الصينى أن نعتبر وصول أسرة شانغ إلى الحكم كان خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد دون تحديد لسنة معينة، وهذا ما تشير إليه معظم المراجع الصينية التى تعرضت لهذه الفترة التاريخية.(٢٣)

إلى جانب ذلك يشير أيضا بعض المؤرخين فى كتاباتهم – بأن أسرة [شانغ] هى الأسرة الأولى التي حكمت المجتمع الصينى وافتتحت سجل العصور القديمة خلال الفترة من عام (١٠٢٧ – ١٧٢٣) ق.م، وليس أسرة شيا ..، وهذا الرأي لا يتفق مع الواقع والمسجل بالفعل عن تاريخ العصور القديمة فى الصين، لأنه ينكر تماماً الدور التاريخي الذي قامت به أسرة [شيا].. كما أنه يمد العصر الحجرى البدائى إلى القرن السادس عشر ق.م فى حين أن هذا العصر قد انتهى في بداية القرن الواحد والعشرين ق.م بمجرد أن حكمت أسرة [شيا] المجتمع الصينى وافتتحت أولى مراحل العصور القديمة التى تبلورت فيها الحضارة الصينية.(٢٤)

ومن المعلومات المسجلة عن أسماء الحكام والملوك فى (تاريخ ين) والتى دلت عليها النقوش الأثرية تفيد بأن أسرة [شانغ] قبل أن

تقضـــى على أسرة [شيا] وتصل لعرش المجتمع الصينى قد حكمها ثلاثة عشـــر جيلا من الحكام بدءاً من الحاكم الأول [شى] حتى الحاكم ثم الملك [تانغ] – وبعد أن اعتلت عرش المجتمع الصنيى، فإن الملوك الذين تولوا السـلطة بالوراثة طوال فترة عهدها الذى أستمر حوالى ٦٠٠ عام قد بلغ عددهم ٣٠ ملكا أخرهم الملك [شانغ تشو].(٢٥)

وتضيف هذه المعلومات أيضا بأن ملوك سلالة [شانغ] قد اعتبروا أنفسهم أمام الشعب الصينى بأنهم ذو طبيعة مقدسة، وعاش كل واحد منهم بصـــورة واضـــحة فى قصر منفرد، واحيط به بصفة دائمة وزيره الأول وكـــان يطلق عليه [كنغ – شه]، وكبار قواده لكى ينقلون أوامره وتعليماته وقـــراراته إلـــى وزرائـــه الآخريـــن وحكام الأقاليم وفرق الجيش وأفراد المجـــتمع، كما كانوا يلتزمون بكل دقة بحفظ الوثائق والمستندات الهامة، وإدارة البروتوكلات أثناء الاحتفالات الكبرى التى كانت تقام داخل القصر، ومساعدة الملك أثناء قيامه ببعض الطقوس الخاصة فى المناسبات الدينية.

وبالإضـــافة إلـــى ذلك كان يوجد بالقصر أيضا موظفون آخرون يســـاعدون كـــبار رجـــال الملك فى أداء أعمالهم، إلى جانب الطهاة الذين يقومـــون بـــإعداد الطعام للملك وأعوانه، وعمال الأشغال الذين يلتزمون بصـــفة دائمـــة بـــنظافة القصـــر وصيانته، وخدم أطلق عليهم (شـــو) تم تخصيصـــهم لخدمـــة نساء القصر ... وبالتالى فإن النظام الملكى فى عهد حكـــم أسرة [شانغ] قد ازدادت مفاهيمه ومظاهره ومتطلباته الخاصة عما كـــان عليه فى عهد حكم أسرة [شيا] ويؤكد ذلك آثار عديدة موجودة حاليا فى متحف التاريخ الصينى الكائن بساحة تيان ببكين العاصمة.

وعلـــى أثـــر هذه الملامح الحضارية للنظام الملكى فى عهد أسرة شانغ ظهرت أول عاصمة رسمية لبلاد الصين فـــى القـــرن الرابع عشر

قبل الميلاد وإن كانت قد أسست كعاصمة شنغية أطلق عليها أسم **(تغان يسنغ)** تقع بالقرب من ضاحية **[مويه]** فى أقصى شمال مقاطعة **هونان** الحالية بمنطقة جنوب الصين الأوسط -- وذلك لكى تكون رمزاً سياسياً ونظامياً وإدارياً لمملكة هذه الأسرة، وكيان حضاري يعبر بوضوح عن سلطة ونفوذ النظام الملكى فى المجتمع الصينى أمام المجتمعات الأخرى في جنوب شرق آسيا[٢٦] .. وإذا كان معظم المؤرخين الذين اهتموا بالحضارة الصينية قد أشاروا بأن هذه العاصمة قد استمرت حتى نهاية حكم هذه الأسرة، إلا أن المؤرخ وليام لانجر قد أشار فى مؤلفه "موسوعة تاريخ العالم – الجزء الاول" بأن الأثنى عشر ملكا الآخرين من هذه الأسرة قد اتخذوا من مدينة **(انيانج)** عاصمة لهم منذ بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد – وذلك على أساس أن أسماء هؤلاء الملوك الذين حكموا فى عهد هذه الأسرة قد وجدت ضمن الآثار التى اكتشفت فى موضع هذه المدينة ومحفورة بالنقوش ذات الطابع الديني.[٢٧]

في عهد هذه الأسرة تقدم المجتمع الصينى فى نواحي عديدة عما كان عليه فى عهد حكم أسرة **[شيا]** – ومن أهم ملامح هذا التقدم ما يلي:--

** اتسعت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وتم بوفره زراعة محاصيل عديدة أهمها القمح والدخن والذرة وأشجار التوت والكتان وذلك كما سنرى فى الباب الثانى – وقد أكدت المكتشفات الأثرية أن الزراعة تمتعت بالصدارة فى اقتصاد مملكة [شانغ] أى كانت الإنتاج الرئيسي فى حياة الشعب الصينى، وأن أسماء دود القز وأشجار التوت والحرير قد ذكرت مراراً فى النقوش الأثرية ودلت على أن النبلاء فى مملكة [شانغ] قد استعملوا المنسوجات الحريرية فى ملابسهم.[٢٨]

أما بالنسبة للثروة الحيوانية وأهمها كان يتألف من الخنازير والبقر

والغنم والخيل والكلاب – فقد مثلت أيضا مركزاً مرموقاً فى اقتصاد المملكة، ولكن لم تصل إلى أهمية الزراعة بل كانت فى المرتبة الثانية، رغم أن التجار قد استخدموا بعضها مثل البقر والخيل فى جر العربات، كما استخدم جيش المملكة الفيل الذى كان يعيش فى ذلك الوقت فى حوض النهر الأصفر فى بعض العمليات الحربية.(٢٩)

* حدث تطور ملحوظ فى الحرف اليدوية مثل صناعة الفخاريات والعظميات والبشم، واستوعب النحاسون بمهارة صهر البرونز وسبكه، وصهر النحاس والقصدير داخل اتون كان يسخن حتى درجة حرارة ١٠٠٠ مئوية، وتم وضع المصهور فى قوالب فخارية نحتت عليها الخطوط والأشكال المطلوب إبرازها ... ومن الأدوات التى صنعوها بعد الصهر وتم اكتشافها اثريا القدور ذات الأرجل الثلاثية وأطلق عليها (تنغ) والأقداح ذات المقبض والفوهه الجانبية وسميت (جيوه) والأسلحة كالبلطة والرمح، وأدوات الإنتاج كالسكين والفأس(٣٠) .. هذا بالإضافة إلى اكتشاف سلاح استخدم فى الحرب خلال فترة حكم هذه الأسرة وأطلق عليه [يويه] يشبه البلطة فى الشكل دون الحجم حيث أنه أكبر منها تم صنع نصله من الحديد المطروق مما يؤكد أن الحديد قد عرف فى عهد أسرة شانغ وصنعت منه بعض الآلات الحربية والأدوات الإنتاجية(٣١) ... وعلى هذا الأساس فإن تقنية الإنتاج فى مملكة شانغ قد بلغت مستوى الأمد البرونزى، حيث تنوعت برونزيات مملكة شانغ، وشملت رئيسياً أدوات المطبخ وأوانى الشرب والأسلحة، ومن هذه الأدوات أيضا مرجل ضخم يسمى [سى مو وو وينغ] يزن ٧٠٠ كيلو جرام وهو عمل فني كبير – أما البرونزيات مثل الملاعق والكؤوس والحراب فكانت رائعة الصنع ولا مثيل لها فى العالم القديم من حيث عددها وتنوع أشكالها ودقة صنعها وجمال رسومها.

وبالإضـــافة إلى ذلك فقد استخدمت الأحجار والرخام فى صناعات عديـدة تمـيزت بالـروعة والجمال[٣٢] – كما تم بمستوى عالي تصنيع الأخشـاب والأدوات المضـفرة أو المجدولـة (الأدوات الخيزرانـيه)، والمقصوصات الورقية الملونة إلى جانب استيعاب الصينيون بمهارة فائقة فنون تربية ديدان القز وغزل الحرير ونسجه.[٣٣]

* تقـدم الطـب الصينى فى هذه الفترة عما كان عليه فى عهد أسرة شيا، حيث ازداد عدد الأطباء وارتفعت مهارتهم فى تشخيص الأمراض – إلـى جانـب تمكـنهم مـن عـلاج المرضى بأنواع عديدة من الأعشاب المخلوطـة والـتى تم غليها وذلك كابتكار جديد حيث كانت طرق العلاج المستخدمة فى العهود السابقة تعتمد على الأعشاب الفردية.[٣٤]

* نتـيجة الـتطور الذي حدث في الإنتاج الزراعي واتساع مساحة الأراضي المستصلحة وزيادة عدد المحاصيل الزراعية – قد أدى إلى تقدم بارز فى العلوم والمعارف الفلكية والتقويمية حيث عرف الشانغنيون الشهر القمـرى قياسا على تنازل القمر من محاقه الى بدره، وتمكنوا من التفرقة بين الشهر الكبير والشهر الصغير الذى يقتصر على تسعة وعشرون يوماً، وبيـن السـنة العاديـة أو البسـيطة والسنة الكبيسة – كما عرفوا بعض المجموعـات النجومـية، واعـدوا أقدم سجل تاريخى لكسوف وخسوف الشمس ما زال معروفا حتى الآن.[٣٥]

* ظهرت الكتابة فى هذا العهد أى افتتح الشانغنيون سجلها التاريخي حيـث اكتشـف حوالى مائة قطعة من دروع السلاحف وعظام الحيوانات الـتى استخدمت للكتابة عند اطلال مدينة (ين) وفى منطقة تشنغتشو، كما عثر على نقوش كتابية عديدة فى قرية [شياتون] بمحافظة [انيانغ] – وقد أعطت هذه الكتابة والنقوش تفاصيل كاملة عن نشاطات ملوك أسرة شانغ،

وملامح الطابع الحضارى للمجتمع الصينى فى ذلك العهد ... ويطلق على لغــة هــذه الكتابة اسم **(لغة العظام الكهنوتية)** كما أطلق عليها أيضا **(لغة العرافيــن)** حيــث أن جميع الكتابات كان يدونها العرافون فى ذلك الوقت للتنــبؤ بالأحداث – وهذه اللغة متكاملة نسبياً وتعتبر كتابتها أساسا للمقاطع الصينية المعروفة اليوم.(٣٦)

* علــى اثر ظهور الكتابة تطور الفكر الأدبي والفلسفي فى المجتمع الصــينى وكشفت الآثار القديمة عن وجود قصص أدبية وحكايات شعبية دونت بلغة العظام الكهنوتية، التى ابتكرت فى هذا العهد إلى جانب العديد من المعلومات العلمية والفنية التى كونت إلى حد ما صوره أساسية لثقافة مملكة **شانغ**.(٣٧)

* ظهــر فــن راقى فى هندسة البناء والتشييد – حيث أقيمت قصور ومساكن عديدة استخدم فى بنائها الأحجار والرخام والأخشاب بشكل متقن ورائــع الجمال يعبر عن مدى تطور المعيشة فى ذلك العهد – كما كشفت القــبور والمعابد التى عثر عليها ضمن الآثار العديدة على مدى دقة بنائها فى التعبير عن مظاهر نظام دفن الموتى والطقوس الدينية التى كانت تتبع فى ذلك الوقت.(٣٨)

ونتيجة لهذا التطور الحضارى مثلت العاصمة الشنغية **[نغان ينغ]** ذروة الفن الصينى وأبرزت بوضوح من خلال الآثار العديدة التي عثرت فيها وفى المناطق المجاورة لها ملامح مجد وتقدم المجتمع الصينى فى هذا العهــد .. وفى ذلك يقول **اندريه ايمارد** فى كتابه عن "تاريخ الحضارات العام – الشرق واليونان القديم" بأنه (فى عهد أسرة شانغ ظهرت فجأة أول عاصــمة صينية أطلق عليها [نغان ينغ] اجتمعت فيها كل الخصائص التى تتميز بها أى حضارة كثيرة التطور– حيث تواجد فيها مباني فسيحة وقبور

وآثار قرابيــن وطقوس سحرية، وأدوات عبادة وفنون استثمار النحاس والرخام واليشب والأخشاب، والكتابات الأدبية والفلسفية ... وهى تعتبر العاصمة الأولى للصين القديمة حيث لم يعثر بعد على أى اثار لعواصم أخرى سبقتها فى الزمن القديم ... ولذلك تمثل لنا العاصمة [نغان ينغ] حقا عظمة ومجد الفن الصينى فى العصور القديمة بما تقدمه لأجيال الحاضر من نقوش رخامية وأدوات خزفية ونحاسية طقسية دقيقة الصنع وفائقة الجمال، وكتابة تصورية تولد عنها رويدا رويدا نظام الأحرف الصينية... وهذه الاثار التى تم اكتشافها تتفق بالطبع مع التقاليد الصينية التاريخية التى تبرز بكل وضوح ابهة وعظمة بلاط سلالة شانغ).(٣٩) .... وأيضا يقول الدكتور/ فؤاد شبل فى كتابه "حكمة الصين" عن الطابع الحضارى الذى أظهرته العاصمة الشنغية لهذا العهد، بأن (أقدم ما وصل إلينا من المأثورات الصينية عن هذه الأسرة مصدره المدينة التى كانت عاصمة ملوك شانغ وعلى الأخص حوالي عام ١٤٠٠ ق.م "أى أوائل عصر اخناتون المصرى تقريبا" ... وكانت تلك العاصمة مركز حضارة متقدمة تنم عنها أبنيتها الضخمة ومنسوجاتها الحريرية المتقنة الصنع وأوعيتها البرونزية – وخلف لنا هذا العصر طائفة من الكتابات سجلت على الأحجار والعظام ودروع السلاحف – أما ما سجل فيها عدا ذلك فقد زال منذ أمد بعيد وتزودنا هذه السجلات بلمحة عارضة عن طقوس السكان الدينية وتنظيمهم السياسى والاجتماعى).(٤٠)

- وكما تطورت النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية – حدث أيضا تطور في النظم السياسية والإدارية والعسكرية خلال هذا العهد – فمن حيث النظم السياسية والإدارية قام ملوك أسرة شانغ بسلطتهم المطلقة بتنظيم الأمور الدينية والمسائل المدنية والإدارية، وترتيب أوضاع الأقاليم

الصينية بصورة افضل من عهد حكم أسرة [شيا] بمساعدة الوزراء وكبار القواد والموظفين الذين كانوا ينقلون أوامر هؤلاء الملوك(٤١) – أما بالنسبة للأمـور العسـكرية فقـد زادت فرق الجيش وأصبحت تتألف من الخيالة وعجـلات الحرب والمشاة، وكانت كل فرقة تتكون من ثلاثة آلاف رجل والخـيالة تنقسـم إلى ثلاثة أقسام يضم كل منها مائة خيال، كما تطورت أسلحة الحرب وتنوعت مثل البلطة والرمح والسيف المصنوع من النحاس ثـم الحديـد والسـهم والحـربة والقوس الخاص بإطلاق النبال والكرات الـنارية(٤٢) – وفى المتحف العسكري الثوري للشعب الصيني ببكين توجد آثار عديدة تؤكد ذلك وتشير إلى الحروب الكثيرة التى حدثت فى هذا العهد وانتصر فيها جيش مملكة **شانغ** على القبائل البربرية.(٤٣)

وطـبقا لمـا دلـت عليه الكشوف الأثرية وما ورد فى السجلات الخاصـة بلغـة العظام الكهنوتية كان المجتمع الصينى فى هذا العهد قائم أيضا على النظام العبودى ولكن بأوضاع شديدة القسوة من حكم أسرة شيا

فقـد اعتمد على العبيد فى جميع الأعمال الشاقة التى دفعت مملكة **شانغ** للتقدم الحضارى، فحفروا الخنادق وشقوا الترع والقنوات واصلحوا مسـاحات شاسـعة من الأراضي لتكون صالحة للزراعة، وصرفوا مياه الفيضـانات معتمديـن علـى ابسط الآلات والأدوات البدائية – كما قاموا بتربـية الحـيوانات والمواشـي لأسـيادهم؛ وصـنعوا الأدوات الراقية للأرسـتقراطيين وجمـيع الآلات المعدنـية والحجرية والعظمية الخاصة بوسـائل الإنتاج الزراعي والصناعي(٤٤) – وبالتالي حقق العبيد بأعمالهم الشـاقة المرهقة الثروات الوفيرة لملوك أسرة شانغ والأرستقراطيين، أي كانت تذهب ثمار كدهم إلى بيوت ساداتهم الذين كانوا يبتزون كل ما تنتجه هذه القوة البشرية المسلوبة الإرادة بدون شفقة أو رحمة.(٤٥)

بالإضـــافة إلى ذلك كان معظم جنود الجيش من العبيد، وقتل منهم الكثـــير نتيجة الحروب العديدة التي تميزت بها مملكة شانغ – كما استخدم العبـــيد أيضـــا كقرابين لأسيادهم، وقد ظهر فى بعض الحفريات أن عدد قرابين العبيد الذين دفنوا فى مقبرة واحدة بلغ أكثر من ثلاثمائة أو أربعمائة عـــبد، وعثر فى مقابر أطلال مدينة [ين] على أكثر من الفي عبد تم قيدهم وذبحهـــم كقرابين بشرية مما يدل على ضخامة عدد العبيد فى ذلك الوقت ومـــدى ما كانوا يتعرضوا له من قسوة وظلم واستبداد[٤٦] ... وقد وصف كـــتاب "تـــاريخ الصين. الجزء الأول" حياة العبيد ونضالهم فى هذا العهد حيـــث تضـــمن ما يفيد بأنه [فى المجتمع العبودى لمملكة شانغ لم يستولى ملاك العبيد الأرستقراطيين على وسائل الإنتاج فحسب بل استحوذوا على العبـــيد الذيـــن كانوا بمثابة "أداة ناطقة" وكانوا يسمونهم بالنار فى جباههم رمزاً لعبوديتهم، ويربطونهم فى أعناقهم عند العمل منعا من الهرب، وكان يحـــق للســـيد قتل عبده كما يقتل حيوانه، أو يقدمه قربانا للموتى بدلا من الماشـــية، وقد جاء فى سجلات "لغة العظام الكهنوتية" أن أحد السادة قتل ٢٦٥٦ عـــبداً فى إحدى المناسبات الطقوسية، ويدفن العبيد مع سيدهم بعد أن يقـــتلوا لهذا الغرض، وقد كشف فى قبر أحد ملوك شانغ عن أربعمائة عبد قـــدمـــوا قرباناً له .. وكـــان العبيد يجابهون هـــذا الاضطهاد البشع بالإهمال المقصود فى العمل وتخريب أدوات الإنتاج والهرب – كما قاموا بـــالعديد مـــن الانتفاضات التى ضعضعت حكم هذه الأسرة وحرمتها طعم الاســـتقرار).[٤٧] ... وعلـــى اثر هذه الأوضاع قد ساهم ملاك العبيد بقدر كبير فى التدعيم المادي والبشرى لحكم أسرة شانغ بهدف توطيد مصالحهم والمحافظة على مكانتهم ومناصبهم السياسية والعسكرية التى وزعت عليهم مـــن قـــبل الملك الذى كان يعتبر القائد الأعلى للدولة العبودية الممثلة فى مملكة شانغ.[٤٨]

وبذلك فأنه على الرغم من التطور الحضارى الذى حققه المجتمع الصـــينى فى هذا العهد – إلا أنه نتيجة الاضطهاد القاسى الذى تعرض له العبيد، لم يتوقف الصراع الطبقي بينهم وبين أسيادهم منذ بداية حكم مملكة شـــانغ حيث ظهرت انتفاضات عديدة اشتدت حدتها خلال الفترات الأخيرة من اثر تزايد الاضطهاد البشع للعبيد.

وبعـــد أن وصل الملك "شانغ تشو" إلى الحكم وكان طاغية وشديد الوطأة على العبيد والعامة – تصاعدت حدة تمرد العبيد فامتنعوا عن العمل والدفـــاع عـــن مصالح المملكة حتى سقط حكم هذا الملك الذي اعتبر آخر ملـــوك شانغ فى عام ١١٢٣ق.م تقريبا.[٤٩] – وبالتالى غربت قوة ونفوذ ومجد أسرة شانغ من كيان المجتمع الصينى وسطعت شمس سلالة أخرى جديدة هي أسرة تشو الغربية كما سنرى فى المبحث القادم.

المبحث الثالث

عهد حكم أسرة تشو الغربية

خــلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد قامت قومية [دونغيى] وهى إحــدى الاقليات التى كانت تقيم بين نهرى اليانغستى وهوانجه فى منطقة جنوب شرق الصين بالسيطرة على بعض السهول الوسطى مما أدى إلى إشتعال الحرب بينها وبين أسرة شانغ، وانتهت هذه الحرب بهزيمة قومية [دونغيى] فى عهد الملك [شانغ تشو] اخر ملوك شانغ.

وأثــناء ذلــك انتهزت أسرة تشو الغربية التى كانت تقيم فى نهر [وى] فى [شنشى] وتطورت سياسياً وعسكرياً فرصة اضطراب الأوضاع السياســية فى مملكة شانغ فشنت عليها هجوماً بقيادة [تشو وو وانغ] الذى كون جيشاً قوياً من عشائر مختلفة كانت تقيم فى جنوب وغرب الصين – وحيــث أن الملك [شانغ تشو] قد أرسل جيشه لمقابلة قومية دونغيى وظل هــذا الجــيش مرابطاً هناك بعد أن تحقق النصر من أجل أن يقضى تماما على كافة الأخطار المحتملة والتى كانت تهدد المملكة من بقايا قوات قومية دونغيى فاضطر هذا الملك إلى تجنيد العبيد لصد هجوم أسرة تشو .. وبعد أن التقى الجيشان فى ضاحية [مويه] القريبة من العاصمة [تغان ينغ] تمرد العبـيد الذيــن ذاقوا مرارة الظلم وقسوة الاضطهاد من هذا الملك الطاغى فامتنعوا عن القتال وهربوا من المعركة – فتمكن جيش أسرة تشو المهاجم مــن دخول العاصمة، وعلى أثر ذلك انتحر الملك [شانغ تشو] بعد علمه بالهــزيمة وتلاشــت بالتالــي أســرة [شانغ] وحلت بدلا منها أسرة تشو الغربية فى حكم المجتمع الصيني وذلك فى عام ١١٢٣ق.م تقريباً.(٥٠)

ويقــال أن شــعب تشــو كان يقيم فى بداية حياته فى إقليم [تاى]

بمحافظة **[وو قونغ]** التابعة لمقاطعة **[شنشى]** اليوم، وان ثقافته قد انتشرت فــى حوض نهر [وى] ثم امتدت فى المناطق الواقعة بين **[تشيشان وفنغ وهاو]** – وقد هجر شعب تشو موطنه مرات عديدة، واخيرا انتقل حاكمهم **[تاى وانغ]** الى [تشويوان] محافظة **تشيشان** التابعة لمقاطعة **شنشى** اليوم واتخــذ لفظ [تشو] أسماً لمملكته – وبعد أن توفى **[تاى وانغ]** تولى الحكم من بعد أبنه **[وانغ جى]** الذى تميز بالقوة، ولكنه قتل وتولى الحكم من بعده ابــنه [ون] الذى استولى على الدويلات المجاورة ووحد حوض نهر [وى] ثــم نقــل عاصمته الى **[فنغ]** بالقرب من **شيان** بمقاطعة **شنشى** اليوم فى المجــرى الأسفل من نهر [وى]، ومد نفوذه الى مقاطعتى **شانشى وخنان** منتهزا الضعف والتوتر السياسى الذى أصاب مملكة **شانغ** فى آخر عهدها – وبعد أن توفى **[ون]** تولى الحكم من بعده أبنه **[وو]** (وفى بعض المراجع التاريخية يطلق عليه "**وفا ونغ**") الذى قاد جيشاً قوياً وانتصر على مملكة شــانغ، وأسس مملكة **تشو** ونقل عاصمته من **[فنغ]** الى **[هاو جينغ]** التى تقــع (جنوب غرب مدينة **شيان** بمقاطعة **شنشى**) وحيث تقع عاصمة تشو فى الإقليم الغربي أطلق المؤرخون عليها أسم **[تشو الغربية]**.

وبعد وفاة الملك **[وو]**، تمرد شعب شانغ على مملكة تشو، فشن **[تشو قونــغ]** شــقيق الملــك **[وو]** والذى تولى الحكم من بعده حملات شديدة على الإقلــيم الشرقي وقضى على أكثر من ٥٠ دويلة شنغية وحطم كل نفوذ شانغ فــى الشرق – وفرضت تشو الغربية بعد ذلك نفوذها على المجرى الأسفل للــنهر الأصــفر، حتى أصبح حوض النهر الأصفر كله تقريباً تحت حكم تشو الغربية.(٥٢)

تشــير بعــض المــراجــع التــاريخية والفلسفية رواية أخرى لظهــور أســرة تشو الغربية منها كتــاب "حكمة الصين" للدكتور/ **فؤاد شبل** بــأنه

(فى عام ١١٢٢ ق.م شنت القبائل البدوية هجوما ساحقا على شعب شانغ، وكانت تقود هذه القبائل جماعة عرفت فى التاريخ الصينى بأسم تشو وهى الـتى أسست أسرة تشو المشهورة – ولاقت هذه الأسرة متاعب فائقة فى حكـم المجتمع الصينى نظرا لجهلها بأساليب الحكم المتحضرة، وهذا كان سيؤدى إلى الإطاحة بها لولا أن أنقذ البلاد من الفوضى والدمار شخصية عظـيمة، عرفـت فى التاريخ الصينى بأسم **[دوق تشو]** حيث قضى على أسباب الفتنة واقر الأمن والاستقرار، وأظهر عبقرية فائقة فى تنظيم البلاد على أسس مكنتها من مواصلة السير فى طريق الحضارة – ويعتبر بعض حكمـاء الصـين **[دوق تشـو]** مؤسس التراث الذي استندت عليه فلسفة **كونفوشـيوس** بـل يصفه بعضهم فى مرتبة أسمى من كونفوشيوس نفسه وذلـك لأنـه خـلال الأحداث التي جرت فى عهده، انصهرت طائفة من الآراء كانـت ذات أهمية عظمى فى التاريخ الصينى – وهذه الآراء يمكن إدراكها بإمعان النظر فى الأسلوب الذى نظم به المجتمع الصينى فى ذلك الوقـت ... حيـث كانـت الأسطورة الوراثية تهيمن على كل جانب من جوانب الحياة الصينية خلال عصر أسرة تشو، وأعتبر مؤسسوا العلاقات الأرسـتقراطية المشـهورين أبطـالاً أسـطوريين فى المجتمع الصينى، ومصداقا لهذا الرأي أمن أفراد الشعب بأن ملوك أسرة تشو منحدرون عن بطـل أسـطورى أطلقوا عليه أسم **[هوتشى]** ومعناه الحرفى [حاكم الاذرة العويجـة] وكان ربا للزراعة – وقـد ورد فى كتاب صينى قديـم يطلق عليه كتاب الشعر أن أمـه الحورية **[جيانغ يوان]** قد حملت فيه بأعجوبة عندما تخطت عتبة الآلة الأعظم، وبعد ولادته نجا من عدة كوارث بفضل الحمايـة التى أسبغها عليه الرب الأعظم، ولما بلغ أشده علم الناس كيفية زراعـة القمح.(٥٢) وبذلك فأن مركزه فى الأساطير الصينية يعادل مركز

اوزيـــريس فى أساطير مصر القديمة ... وقد أمنت عامة الشعب الصينى بـــأن أســـلاف الطـــبقة الارستقراطية يعيشون فى السماء، حيث يراقبون مصاير أخلاقهم، فيمنحونهم النصر فى الحروب، والرفاهية ورغد العيش وقت السلام، إلا إذا غضبوا عليهم فيحدث العكس، واعترافا بفضل هؤلاء الاسلاف كانت تقدم القرابين الى أرواحهم، مع إطاعة رغباتهم التى كانوا يملوها على العرافين والكهان – فكان أفراد الطبقة الأرستقراطية وفقاً لهذا الـــرأي يستمدون سلطانهم لا من أعمالهم ومآثرهم وقوتهم على الأرض – ولكن بفضل قدرة أجدادهم فى السماء(٥٣) – وطبيعي يستحيل على أى فرد من الجماهير لا ينتمى إلى المؤهلات المطلوبة أن يأمل فى بلوغه مركزاً مـــرموقاً ... وبذلـــك تألفت غالبية العامة العظمى من الصناع والفلاحين وكثـــيراً مـــنهم كـــانوا أرقاء لدى الأرستقراطيين وليست لهم حقوق على الإطـــلاق(٥٤) ..... وقد ورد بكتاب الشعر فقرة تفيد بأن (العامة راضية عن أحوالهـــا فلديها كفايتها من الطعام والشراب) لكن تشير فقرة أخرى من نفس الكتاب بأن (السماء تسحق عامة الناس، فيزداد الأغنياء غنى والفقراء فقراً).

ولمـــا كانـــت أسرة تشو الغربية قد فتحت المجتمع الصينى عنوه وســـحقت أسرة شانغ، لم يكن فى وسع ملوكها الاستناد على مبدأ الاسلاف فـــي ذلك الأمر، وبالتالي ابتكرت مبدأ جديد لكى تستند عليه فى حكم البلاد وهـــو مبدأ [**القضاء والقدر الواضح**] لتبرر استيلاءها على السلطة الفعلية مـــن حكامها الشرعيين (**سلالة شانغ**) بالقوة ... وأطلقوا على مذهبهم هذا [**قـــانون السماء**] حيث كانت السماء أعظم الأرباب أهمية – وبذلك ادعت أسرة **تشو** بأنها قد سحقت أسرة **شانغ** تلبية لأمر السماء .. إلا أن ذلك لم يمـــنع ملـــوك **تشـــو** والأرستقراطيين بعد أن استولوا على حكم المجتمع الصينى من جعل مبدأ الأسلاف وتمجيد ترابط العائلة أساساً شرعياً لسمو

مكانـــتهم أى اعتمدوا على نفس السمة التى سادت الحضارة الصينية منذ بدايـــة ظهورها ويوجد فى كتاب الشعر فقرات عديدة تفيد بذلك منها (من بيـــن جميع الرجال فى العالم ... لا يوجد ما يعادل الاخوة ... أن الاخوة يتعاركون داخل الأسوار – لكنهم يقفون متحدين ضد أى إهانة تصدر من الخارج .. فى حين أن أفضل الأصدقاء مهما يكن ـن كثرتهم، لن يقاتلون فـــى سبيلك)– ولذلك فأن تقديس الأسلاف وتمجيدهم وإعزازهم لم يبتكره **كونفوشـــيوس** كما يظن معظم الكتاب الغربيين لأنه توجد فقرة فى كتاب الشـــعر كتبت قبل زمن **كونفوشيوس** بأزمان طويلة تؤكد ذلك وهى تقول (لـــيس هـــناك من تعنى به أكثر من عنايتك بأبيك، ولا إنسان تعتمد عليه كـــأمك) ولـــم يكن تقديس الآباء والأجداد مجرد التزام أدبي في عهد حكم أســـرة تشـــو بل كان واجباً قانونياً، وكان عصيان الأبوين وتحدى الأخوة الكبار من الجرائم الخطيرة.

وبذلك فقد اتخذت الحضارة الصينية طابعاً محدداً وملامح واضحة فى عهد أسرة تشو التى يتفق تاريخ حكمها للمجتمع الصينى مع بداية حكم رمسيس الثاني تقريباً فى مصر القديمة.(٥٥)

بعـــد أن استقرت الأوضاع السياسية، أستطاع الملك **[وو]** أو **[وفا وانغ]** بعد أن سحق أسرة شانغ وأعتلى عرش المجتمع الصينى كأول ملك لأســـرة تشو – أن يسيطر على زمام الأمور الخاصة بالبلاد، وتمكن من فـــرض نفـــوذه وإخضــــاع مناطق عديدة لنظام حكمه كما جعل من مدينة **(هاوجينغ)** التى تقع جنوب غرب مدينة **[شيان]** بمقاطعة **[شنشى]** عاصمة جديـــدة للصين بدلا من العاصمة الأولى **(نغان ينغ)** التى ظهرت فى عهد أسرة شانغ.(٥٦)

ومن أجل توطيد سلطة ونفوذ حكم هذه الأسرة أنشأ ملوكها إمارات

عديـــدة فـــى بعض أنحاء الصين ووزعوها على أفراد عائلتهم ووزرائهم الذيـــن أنعمـــوا عليهم بألقاب التشريف – وكان الأمراء يحكمون نيابة عن الملـــك ويجبون له الأموال كما يمدونه بالجنود فى حالة الحرب ومن هذه **الامـــارات (لـــو، تشى يان، وى، سونـغ، جين)** وغيرها – وكانت حدود مملكـــة تشـــو أوسع من سابقتها [مملكة شيا، ثم مملكة شانغ] كما كان لها فضلاً عن ذلك الإمارات المشار إليها مناطق نفوذ أخرى واسعة فى أنحاء متعددة بالصين.(٥٧)

أهـــتم ملـــوك أســـرة تشو بتنظيم الجيش وتدريبه ودفعوا المجتمع الصينى بخطوات جادة ومنتظمة نحو التقدم والرقى حتى أصبح فى عهدهم مـــن ضـــمن أهـــم المجتمعات الحضارية فى العالم القديم – حيث تطور سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وذلك على النحو التالى:–

* ازدادت مساحة الاراضى الزراعية نتيجة إصلاح جميع الأراضي التـــي امتد إليها نفوذ مملكة تشو الغربية – وشهد بالتالي الإنتاج الزراعي نمـــو كبـــير(٥٨) أى تطورت الزراعة وازداد الإنتاج الزراعى على وجه الخصوص كما سنرى فى الباب الثانى.

* والأراضـــي الزراعية كانت ملك الدولة –،أى أن الملك كان يقوم بـــتوزيعها مع أعداد غفيرة من العبيد كمكافأة على الأمراء والوزراء على شـــكل قطع محددة ليستغلونها لحسابهم ويتوارثونها في المنفعة ولكنهم لا يملكون الحق فى بيعها.(٥٩)

* تقدمـــت الصـــناعة والحرف اليدوية المختلفة فى عهد مملكة تشو الغربـــية عما كانت عليه فى عهد أسرة شانغ – وأصبحت تنافس الزراعة مـــثل صـــناعة الجلود والغزل والنسيج وعلى الأخص الأقمشة الحريرية، والأواني النحاسية المزخرفة بالمينا البيضاء، والمرصعات الذهبية والفضية

والأدوات اليشــمية التى أصبحت فى تلك الفترة ذات مغزى اجتماعي ورمزاً للسلطة السياســية والطقــوس الدينــية والأخلاق الحميدة والسلوك الحسن، والأدوات المضفرة المصنوعة من الاشواك والاقصاب والتبن والخيزران – بالإضــافة إلى أنه قد صنع من الأخشاب والمعادن والخزف والحجر واليشب أدوات عديدة للزراعة، وعجلات للعربات وأسلحة للدفاع كالحراب والدبابيس والأقواس والسهام والتروس وسلالم المعارك – وكانت جميع الحرف اليدوية والصناعات المختلفة تقام على أكتاف العبيد.(٦٠)

* نتـيجة لازدهار الزراعة والصناعة تطورت أيضا حركة التجارة تطــوراً ملحوظــاً، وظهرت فئة نشطة من التجار قاموا خلال هذه الفترة بتــبادل الســلع والمنتجات العديدة بين مختلف المقاطعات وعلى الأخص المواد الغذائية والأولية – وعلى اثر هذا النشاط المستمر تطورت وسائل الــنقل وتحســنت طــرق المواصلات التي تربط بين المدن والمقاطعات الصينية المختلفة.(٦١)

* تطــور الطــب الصــيني أيضا فى هذا العهد نتيجة لظهور أطباء متخصصــون فــى الأمراض المختلفة وعلى الأخص الأمراض الباطنية والصــدرية والجراحة العامة والعلاج البيطرى – كما أكتشف المزيد من الأعشــاب الطبــية – التى تم تصنيع ومعالجة بعضها لتكون كعقاقير نقية سهلة التناول وذات فعالية فى شفاء المرضى وتعقيباً على ذلك يقول علماء الطــب الصينى المعاصرين بأن تصنيع هذه العقاقير من الأعشاب الطبية واســتعمالها الواســع فى علاج الأمراض قد أدى إلى بداية ظهور عملية تطويــر الأدوية المركبة فى الصين القديمة(٦٢) – ويوجد فى متحف تاريخ الطــب الصينى الموجود فى فناء معهد البحوث للطب التقليدى ببكين آثار عديدة تؤكد ذلك.(٦٣)

* تطور الفكر الأدبي والثقافي فى هذا العهد على أساس ثقافة مملكة شــانغ، وتجلــت هذه الحقيقة فى الإبداعات الفنية والأشكال المختلفة للغة المكــتوبة، وقصــص الأســاطير - وأصبحت بالتالي الأشعار والأغاني والأوامــر الملكــية والمدونــات الثقافية أرقى مستوى مما كانت عليه فى مملكــة شانغ - وقد عثر الآثاريون على كثير من النقوش المنحوته بمئات المقــاطع على البرونزيات التى يرجع تاريخها إلى هذا العهد - كما ظهر كــتاب الأغاني الذي ضم عدد كبير من القصائد التى تعتبر أقدم مأثورات الأدب الصــينى كتبــت فــى عهد هذه الأسرة وهى من أرقى ما قدم عن الشعر الشعبى فى عصور الصين القديمة.(٦٤)

* أقام الملوك والأمراء وملاك العبيد فى مدن تحيطها حقول متر امية الأطــراف - وهــذا النظام قد ظهر فى عصر أسرة شانغ ولكن بصورة مبســطة ومحــددة أما فى عهد هذه الأسرة فقد عم واتسع مداه وانتشر فى مناطق عديدة - وسخر العبيد لزراعة هذه الحقول.(٦٥)

* وعلــى أثر هذا التطور الحضارى فى المجالات المختلفة ظهرت مــدن جديــدة تــم تشييدها بأساليب ونماذج معمارية حديثة وذات طراز راقــى- وذلــك مثل مدينة بكين اليوم حيث أنشئت عام ١٠٤٥ق.م وكان أســمها قديمــا [جينغتشــنغ] وتقع أقصى شمال السهول الشاسعة بشمال الصــين، تحيطها الجبال من جوانبها الثلاثة، ومنذ القدم كانت هذه المدينة نقطة اتصال بين سهول جانبى الصين والجبال التى تقع فى الشمال، وفى القــرن الــرابع المــيلادي صــدر تسجيل شامل لجميع الأعمال اليدوية والمعماريــة الخاصة بناء قصور الأباطرة فيها وبأن هذه المدينة يجب أن تكــون مربعة الشكل وعلى كل جانب من جوانبها الأربعة ثلاث بوابات، وفى القرن الثاني عشر الميلادي أصبحت مركزاً سياسياً وعاصمة لأسرة

جين وأطلق عليها مدينة [دادو] ثم تغيير أسمها الى مدينة [بينغ] فى عام ١٣٦٨م، وفى عام ١٤٢٠م تحول أسمها الى **بكين** كما هو معروف اليوم(٦٦) ... وأيضا تم بناء مدينة "**بينغياو**" فى عام ٨٣٧ق.م فى مقاطعة "**شانشى**" الحالية حيث أحيطت بأسوار عالية ومهدت فيها طرق عديدة وقسمت أرضها معمارياً وأقيمت عليها مباني فخمة عبارة عن مساكن وحوانيت مازال باقياً منها إلى الآن سبعون مكانا ويعتبرها العلماء والمهندسين المعماريين المعاصرين من المعجزات الأثرية الهامة التى تدل على عظمة الفن المعماري فى عهد هذه الأسرة.(٦٧)

يقول **وليام لانجر** فى موسوعة تاريخ العالم بأن [هذه الأسرة قد سيطرت على الإقطاعيين التابعين لها سيطرة تامة – وعاش كل ملك من ملوك هذه الأسرة مسئولا عن إقامة حفلات التضحية لأجداده ولآلهة الأرض والسماء وللتقويم الزراعى، وذلك فضلا عن اهتمامه بشئون الحكم والإدارة – واقتصر تملك الأراضي وشغل الوظائف على طبقة أرستقراطية معروفة الأصول والفروع، وتدل أسماؤها القبلية على ذلك – وأن الفلاحين عاشوا عيشة مشاعة فى الحقول صيفا وفى القرى شتاءاً وأفلحوا الأرض مشاعة لاميرهم ودرجوا على الزواج باختطاف البنات من جماعات القبائل المجاورة مرة واحدة – وأن القبائل الصينية التى خضعت لحكم هذه الأسرة ظلت فى ذلك العهد محوطة ومختلطة بقبائل متبربرة أى أقل من الصينيين حضارة].(٦٨)

وأيضا يقول الدكتور **فؤاد شبل** فى كتابه (حكمة الصين) بأن (الحضارة الصينية لم تتخذ طابعاً محدداً إلا في عهد أسرة تشو الغربية التى بدأت تحكم المجتمع الصينى منذ عام ١١٢٣ق.م – هذا رغم أن الحقبة الأولى من حكم هذه الأسرة لم تشهد أعمالا ثقافية كاملة تنسب إلى

مؤلفيـن معينيـن، إذا دأب الموظفون الرسميون والمدرسون على الحفاظ علـى السجلات الأدبية وعكف المؤرخون على تسجيل الأحداث – وكانت الأرسـتقراطية هـي طابع النظام الأساسي في حكم الصين فى ذلك العهد أيضـا، فكان أفرادها هم أصحاب السيطرة السياسية وهم فى الوقت نفسه مـلاك الـثروة المادية ويحتكروا التعليم وملاك العبيد، ولم يكن ثمة تميز حقيقـي بين الموظفين الرسميين وأهل العلم، وكانت طبقة النبلاء الحاكمة هـى الـتى تشـغل الوظائف الهامة وتهتم بالأحداث السياسية وتواجه كل المشاكل التى تتعرض لها المملكة).(٦٩)

أسـتمر الـنظام العبودى فى هذا العهد حيث كانت جميع الأعمال تقوم على أكتاف العبيد الذين وقع عليهم عبء الإنتاج في الريف والمدينة– وفى كتاب الأغاني يوجد وصفا مفصلا لأحوال العبيد في هذا العهد – مثل مـا هو مدون فى قصيده بعنوان [فى سبعة شهور] التى تحدثت عن عبيد منطقة جبل [تشيشان] بمقاطعة [شنشى]، وقالت (انهم يخرجون للصيد في الشـتاء وسـط الـرياح الثلجـية فـإذا صـادوا الثعلب قدموا جلده إلى الأرستقراطيين وإذا اصطادوا الخنازير أعطوهم أكبرها، ويجمعون الجليد ويدخـرونه كـي يتمتع به الأرستقراطيين فى الصيف، وفى الربيع يصلح الـرجال الأدوات الزراعـية ويحرثون الحقول تحت إشراف الوكلاء، أما النساء فينهمكن فى جمع أوراق التوت وتربية دود القز للسادة، علاوة على طـبخ الأطعمة وإرسالها مع أولادهن إلى الذين يعملون فى الحقول، وفى الخـريف يمهـد الرجال مكان البيادر ثم يحصدون المحاصيل وفى آخر المطـاف يـأتى الأرسـتقراطيون فيأخذون الحبوب، أما العبيد فيدخرون النـباتات الـبرية ليقتاتوا بها فى الشتاء، وعندما تنتهي الأشغال الزراعية يأخذون فى بناء القصور وترميمها لأسيادهم).(٧٠)

ونتـيجة لسـوء حالـة العبيد كما هو واضح فى هذه القصيدة – بالإضـافة إلـى أنـه لم يكن لديهم ما يستر أجسادهم رغم أنهم المنتجين الرئيسـيين لهـذه الـثروات الهائلة التى امتلكها الأمراء، وكانت منزلتهم الاجتماعـية أدنـى من المواشي فكان كل خمسة عبيد يقايضون بحصان ورزمـة مـن الحريـر[٧١] – ويوجد نص آخر فى كتاب الأغاني يعكس شـكوى العبـيد المـرة وحقدهم الطبقى العميق يقول (أنتم أيها السادة لا تغرسون الرز ولا تحصدونه فبأي حق تنقلونه إلى منازلكم، ولا تصيدون من الجبال فبأي حق تأخذون هذه الخنازير والأرانب وتملأن بها بيوتكم؟.. أيها السادة أنتم لا تستطيعون سوى الآكل)،وعلى الجانب الآخر كانت حياة ملاك العبيد الأرستقراطيين تتضخم يوماً بعد يوم، وكان الملك يشن المزيد من الحروب الابتزازية فتزيد تبعاً لذلك أعباء العبيد والعامة.

وفـى عهـد الملك (تشو لى وانغ) الذى توج فى منتصف القرن التاسـع ق.م تفاقم الاضطهاد وازداد وضع الشعب سوءاً حيث وضع يده على الغابات والأنهار ومنع العامة والعبيد من الصيد فيها، وبث العيون فى أنحـاء الـبلاد للتجسـس على الناس حتى لا يتجرءون على التحدث مع بعضـهم خوفاً من بطشه ... وعلى أثر ذلك اضطربت أحوال المجتمع – وكانت عاقبة هذا الطغيان انتفاضة مسلحة قامت بها العامة فى‌عام ٨٤١ ق.م داخل العاصمة، ثم أعقبها اضطرابات أخرى في بعض المناطق الصينية وجهـت ضربات شديدة انهكت فيها سلطة ونفوذ هذه الأسرة حتى انهارت في عهد الملك [يو] وزال حكمها فى عام ٧٧١ ق.م.[٧٢]

– وإذا كـان جميع المؤرخين متفقون في الرأي بأن نظام حكم أسرة تشـو الغربية – كان نظام حكم مطلق لان كل ملك من ملوك هذه الأسرة

الذيـن حكمـوا المجـتمع الصـينى كان يمسك بيده كل السلطات الدينية والدنـيوية أى كان يمثل السلطة العليا التى تجبر جميع أفراد الشعب على الطاعـة العمـياء والخضـوع التام لجميع أوامره أو ما يصدر عنه من تصـرفات باعتباره القائد الأعلى للجيش وصاحب الصلاحية المطلقة فى تنظـيم أمـور المجـتمع ولا يجـوز لأي شخص أن يقاسمه فى سلطانه أو يراقـبه فى كيفية استخدامها – إلا أن هؤلاء المؤرخون قد اختلفوا فى تحديـد نظام وأوضاع المجتمع الصينى فى ذلك العهد – فالبعض قال أنه كان امتداداً للنظام العبودى الذى ظهر فى مملكتي شيا وشانغ(٧٣) والبعض الآخر قرر بأنه كان بداية ظهور النظام الإقطاعي في المجتمع الصيني(٧٤)

ونحـن نؤيد الرأي الثاني على أساس أن الأراضي الزراعية وأن كانـت ملكـاً للدولة إلا أن ملوك هذه الأسرة قد قاموا منذ توليهم السلطة بتقسيم معظمها إلى قطع شاسعة المساحات، ثم وزعوها كمكافأة على ملاك العبيد الذين كانوا يمثلوا أعلى طبقة فى المجتمع بعد الملك ومعظمهم كانوا مـن الأمراء والوزراء وذلك لكي يستغلونها لحسابهم ويتوارثوها دون أن يملكـوا الحـق فى بيعها – وبأنه من خلال ذلك ظهرت إقطاعيات عديدة سـخر فـيها العبيد لفلاحة الأرض وزراعاتها بالمحاصيل الرئيسية وهى الأرز والـذرة والقمح والفول والتوت والفواكه المختلفة – وبالتالى تحول تدريجـياً الـنظام العبودى فى هذا العهد إلى النظام الإقطاعي الذي ترسخ تماماً فى عهد أسرة تشو الشرقية كما سنرى فى المبحث التالى.

المبحث الرابع

عهد حكم أسرة تشو الشرقية

نتيجة لظهور الإقطاع فى عهد حكم أسرة تشو الغربية وترتب على ذلك حدوث تغيرات اجتماعية جذرية فى المجتمع الصينى بداية من القرن العاشر قبل الميلاد – من أثر تحوله التدريجي من النظام العبودى إلى النظام الإقطاعي – حيث اندمج نظام الملكية الزراعية بموضوع الإقطاع اندماجاً وثيقاً وأصبح التقسيم الطبقي لم يقتصر على المعنى السياسى والاجتماعى فقط، بل ضم بين ثناياه معنى اقتصادي أيضا [٧٥]... وفى ظل هذا النظام **(الإقطاعي)** كان الملك الذى أطلق **عليه "ابن السماء"** والسادة الإقطاعيون والوزراء وكبار موظفي الدولة هم سادة الشعب أى أصحاب الطبقة العليا فى المجتمع الصينى، لا سياسياً فقط ولكن اقتصادياً أيضاً، وقسمت على أثر ذلك ملكيات الأرض وفقاً لتوزيع الملك على أفراد عائلته وأصدقائه المقربين وأصحاب المناصب فى المملكة، وأصبح لكل واحد منهم إقطاعية تشمل مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية وزعوها على عامة الناس لزراعتها فقط دون أن يكون لهم أى حقوق فى امتلاكها بل كانوا مجرد أرقاء زراعيين فى حوزة سيدهم صاحب النفوذ والسلطة العليا فى إقطاعيته، أي كانوا يزرعون الأرض ويسلمون المحصول بعد جمعه لسيدهم كما كانوا يحملون السلاح وقت الحروب ويضحون بحياتهم فى سبيل مصالحه أيضا.[٧٦]

ومع استمرار هذه الأوضاع السيئة التى أصبحت فيها منزلة هؤلاء المزارعين (الأرقاء) الاجتماعية أدنى من منزلة المواشي فى حين كانت أوضاع الإقطاعيين تسمو يوماً بعد يوم – ظهرت انتفاضات عديدة من

عامـــة الشـــعب تعلـــن السخط على هذا النظام اشتدت (كما أوضحنا فى المبحـــث الســـابق) فى عهد الملك **[تشو لى وانغ]** الذى أعتلى العرش فى منتصـــف القرن التاسع ق.م بسبب تفاقم ظلمه واستبداده، وكانت نهاية هذا الطغيان ثورة مسلحة قامت بها العامة والعبيد عام ٨٤١ ق.م فى العاصمة **[هاوجيـــنغ]** حيث أقتحم المتمردون القصر الملكى بأسلحتهم وهرب الملك **[تشو لى وانغ]** وتسلم السلطة من بعده الوزيران **[تشو تونغ، وتشاو تونغ]** وظهـــر بالتالى نظام الحكم المشترك فى المجتمع الصينى – وفى عهدهما بـــدأ الاضمحلال ينخر فى كيان أسرة **تشو الغربية** حيث كانا غير قادرين على تنفيذ السيطرة الفعلية على أوضاع وكيان المجتمع الصينى بل تقوقعوا داخـــل العاصمة واجبروا على خوض معارك شرسة ضد بعض الإمارات التى تمردت على السلطة.

أثناء ذلك تولى الملك **[يو]** السلطة على أمل تحسين هذه الأوضاع الســـيئة إلا أن لـــم ينجح فى فرض سيطرته ونفوذه على أمور البلاد بل عمـــت الفوضى وأصبح الأمراء الإقطاعيين المولين له عرضة للأطماع القـــبائل البريرية التى شنت بلا هوادة غارات شرسة على أراضيهم لنهب مـــا بها من خيرات، واستمر هذا التدهور الى إن هاجمت أقلية **[شيرونـغ]** وهى إحدى الاقليات القومية العاصمة **[هاوجينغ]** سنة ٧٧١ ق.م واحتلتها معلـــنة زوال مملكة **تشو الغربية** بعد أن تام أحد أفرادها بقتل الملك **[يو]** داخل قصره.(٧٧)

ونتيجة لذلك قام ابنه **[بينـغ]** بتولى سلطة الحكم ونقل العاصمة عام ٧٧٠ ق.م إلـــى الاتجـــاه الشرقي في مدينة **[لويى]** (مدينة لويانغ اليوم فى مقاطعـــة خنان) وحيث أن مدينة **[لويى]** تقع فـــى شرقى العاصمة القديمة **[هاوجينغ]** فقد سميت مملكة تشو فى ذلك العام بمملكة **تشو الشرقية**.(٧٨)

وإذا كان ذلك يعنى أن حكم أسرة تشو لم يسقط بعد الا أن الحقيقة تثبت بأن أسرة تشو الشرقية قد بدأت كمملكة جديدة بعد إنتهاء عهد **تشو الغربية** حيث تمكن الملك [بينغ] أبن الملك [يو] الذى قتل أن يظهر منذ بداية حكمه فى العاصمة الجديدة [لويى] ملامح عهد جديد سيطر فيه على أمور المجتمع الصينى ونظم أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التى اختلت تماما فى نهاية حكم أسرة **تشو الغربية**، كما استطاع بقوته ونفوذه أن يوفر الأمان والاستقرار فى معظم الإمارات ويعيد القوة والتوازن لقوات الجيش حتى تمكن بقوة من قمع حركات التمرد وأن يصمد فى مواجهة الغارات التى تشنها القبائل البربرية.(٧٩)

نجح الملوك الأوائل الذين تولوا السلطة بعد الملك [بينغ] أن يحافظوا على كيان المملكة، كما مكنوا المجتمع الصينى من الاستمرار فى تقدمه الحضارى لفترة يطلق عليها معظم المؤرخين "**عصر الربيع والخريف**" من عام ٧٧٠ ق.م – ٤٧٦ ق.م وذلك على النحو التالى:-

** اتسعت مساحة الأراضي الزراعية نتيجة استصلاح أراضى بور عديدة بأيدي العبيد المسخرين، وعلى أثر ذلك ازدادت المحاصيل الزراعية وتحسنت جودتها.(٨٠)

** تطورت الصناعات المختلفة وخاصة بعد اكتشاف واستخدام الحديد والتقدم الباهر لعمليات صهر المعادن (حديد، برونز، نحاس) وقد وردت إشارة للحديد [فى قوانين مملكة جين المسبوكة على مرجل حديدى] برهنت بأن الصين قد أتقنت تماماً صناعة الحديد المسبوك فى القرن السادس قبل الميلاد، وأيضا المكتشفات الأثرية قد أكدت تماماً بأن الأدوات التى صنعت من الحديد كأدوات الزراعة قد استخدمت على نطاق واسع فى حقبة الربيع والخريف مثل القوالب الحديدية التى اكتشفت فى محافظة [شيغلونغ]

بمقاطعــة خــبى، والادوات الحديدية المختلفة التى عثر عليها فى المقابر بمحافظــة هوى التى تقع فى مقاطعة خنان [٨١] ... وبالتالى أدى استخدام الحديــد إلــى تحسين نوعية الآلات الزراعية والأدوات الخاصة بالحرف الــيدوية .. هــذا إلى جانب ظهور ابتكارات جديدة فى تصنيع الأخشاب والخــيزران، كمــا حــدث تميز واضح ومتقن فى غزل الحرير ونسجه وتصنيع الأقمشة الحريرية المطرزة.[٨٢]

** تطــورت العلــوم والمعارف مثل الرياضيات التى صارت علما مســتقلا، وكــان فــى المدارس الأرستقراطية مادة دراسية باسم [العدد] والمقصــود بهــا الرياضــيات، وظهر حينذاك جدول الضرب من خلال عملــيات قياس الأراضي وإحصاءات السكان والعربات والخيول، وأعتبر ذلك قفزة كبرى فى عمليات الحساب البدائى، وأيضا طرحت مسألة العلاقة بين الوتر والضلعين القائمين فى المثلث القائم الزاوية – وقد جاء فى كتاب [تشــوى سوان جينغ] الذى يعتبر من أهم المؤلفات الرياضية القديمة فى الصــين أن محاســبا يدعى [شانغ قاو] قد أشار فى هذا العهد إلى "الضلع الصــغير برقم ٣ والقاعدة برقم ٤ والوتر برقم ٥" وهى صيغة مبكرة لما ســمى بعد ذلك بفترة تزيد عن ٢٠٠ سنة بنظرية فيثاغورس – وأيضا قد حظــى الفلــك والتقويم بتطور مماثل حيث قدم علماء الفلك فى أمارة [لو] مســاهمة بــارزة فى مضمار الرصد الذى شمل القمر والشمس والنجوم، وســجلو ٣٧ كســوفا بيــن سنة ٧٠٢ – ٤٨١ ق.م ثبتت صحة ٣٠ منها وحــددوا مواعــيد بداية الفصلين الشتوي والصيفي، كما رصدوا فى عام ٦١٣ ق.م مذنــباً كــان يمر بالنجم القطبى وهــى أقــدم إشــارة رصد لمذنب في الفضاء.[٨٣]

** نتــيجة تطــور الزراعة والصناعة تطورت أيضا التجارة والحياة

الاجتماعــية وبناء المساكن وتجميل المدن بالحدائق والزهور - ويقال أن عــربات الخيول كانت تجرى ليل نهار فى شوارع العاصمة [لويى] وفى معظــم المدن كدليل على مدى الازدهار الذى أنتشر فى المجتمع الصينى خــلال هذه الفترة[٨٤] .... وبالتالى تطورت اقتصاديات مختلف الإمارات مــثل **تشــى (فى شاندونغ)** وجين فى [شانسى] وتشنغ فى [هوبى]، وعم الازدهار حوض النهر الأصفر كله - وقد عثر على مخلفات أثرية عديدة أكــدت ذلــك التطور فى [انهوى، وهونان، وهوبى، وجنوبى خنان] مثل شــرائح الخيزران والخشب التى نحتت عليها كتابات صينية وعبرت عن مــدى تطــور الحــياة الاجتماعية والازدهار الاقتصادي والعلمي فى تلك الفترة.[٨٥]

** ازدهــرت الــثقافة ازدهــاراً بالغــاً فى هذا العهد فقد ضم كتاب [الأغانــي] الذى ظهر فى العهد السابق لأسرة **تشو الغربية** مأثورات أدبية أخرى مثل الشعر الغنائي والمدائح الدينية والقصائد الروائية العديدة وعلى الأخص التى كانت تروى أحداث التاريخ ونظام الحكام أو تصف الأوضاع الاجتماعية لهذه الفترة، وكانت القصائد والأغاني العاطفية أو الوجدانية من النمط المتداول فى أوساط الشعب، وقد تمتع الكثير من قصائد هذا الديوان **(كتاب الشعر)** بدقة اللغة وجمال القافية وعفوية التعبير كما أمتازت بواقعية منطلقاتها المستمدة من الحياة اليومية مما أعطاها مكانة رائدة فى مضمار الأدب الواقعي.[٨٦]

وفى القرن السادس ظهر "**لاوتس**" واسمه الحقيقى [لى ار] ولد فى إمــارة [تشــو] وكان مسئولا عن تسجيل الأحداث التاريخية ثم عمل أميناً لمكتبة البلاط في أســرة تشو، وينسب اليه كتاب [الاخلاق] الذى نبتت فيه بعض بذور الفكر المادي - فقد قرر [لاوتس] فى هذا الكتاب بأن لكل شئ

طرفين متناقضين كالوجود واللاوجود، والحياة والفناء، والسمو والحقارة، والأعلـــى والأسفل، والقوة والضعف.... الخ – وقال أن كل طرف يتحول إلـــى نقيضه ويتضمنه " الكارثة تتضمن السعادة فى ذاتها والسعادة مصدر كارثـــة خفية"، وكان أيضا حائراً أمام تيار التحولات الاجتماعية الجارفة ودعا إلى السلبية في بعض الأحيان.(٨٧)

وأيضـــا ظهر **كونفوشيوس** (٥٥١ ق.م – ٤٧٩ ق.م)، الذي ولد فـــى إمـــارة [لو] وكان مسئولا عن القضاء فى هذه الإمارة، وهو مؤسس **المدرسة الكونفوشيوسية** ... وقد اهتم بالطقوس وطلب من الناس الإلتزام بالنظام المتمثل فى الطاعة بأن يكون الملك ملكاً والوزير وزيراً والأب أباً والابـــن أبـــناً، وأن يكون الوزير مخلصاً للملك والابن يطيع الأب، والفئة السفلي تخضع للفئة العليا "وكان يؤكد على ضرورة البر، وقال أن البر هو حب الناس – وطلب من الحكام أن يحبوا الشعب والا يفرطوا فى استغلاله لتخفـــيف التـــناقض الطبقـــي – وكان يؤمن بالقضاء والقدر، ويهتم بتعليم النشء.

بالإضـــافة إلـــى أن أحاديثه قد جمعت فى كتاب اسمه [**الحوار**] – ولذلـــك كان لكل من [**لاوتس**] و [**كونفوشيوس**] وتلاميذهم دوراً هاما فى تطـــور الفكر الادبى والثقافى فى أواخر هذا العهد الذى كان يمثل عصر الانفصال كما نشروا المعارف الاكاديمية القديمة.(٨٨) وسوف نعرض ذلك بالتفصيل فى الباب الثانى.

** ظهـــر فـــى هذا العهد أيضا مؤلفات عسكرية قيمة – مثل **الجنرال** [**سون وو**] الذى كان يجيد تدريب الجنود وقيادة عمليات القتال حيث آلف كتاب [**سون تسى بينغ فا**] لخص فيه تجاربه وتجارب الأجيال السابقة فى فـــن العملـــيات الحربـــية وهو يعتبر من أقدم وأشهر الكتب العسكرية فى

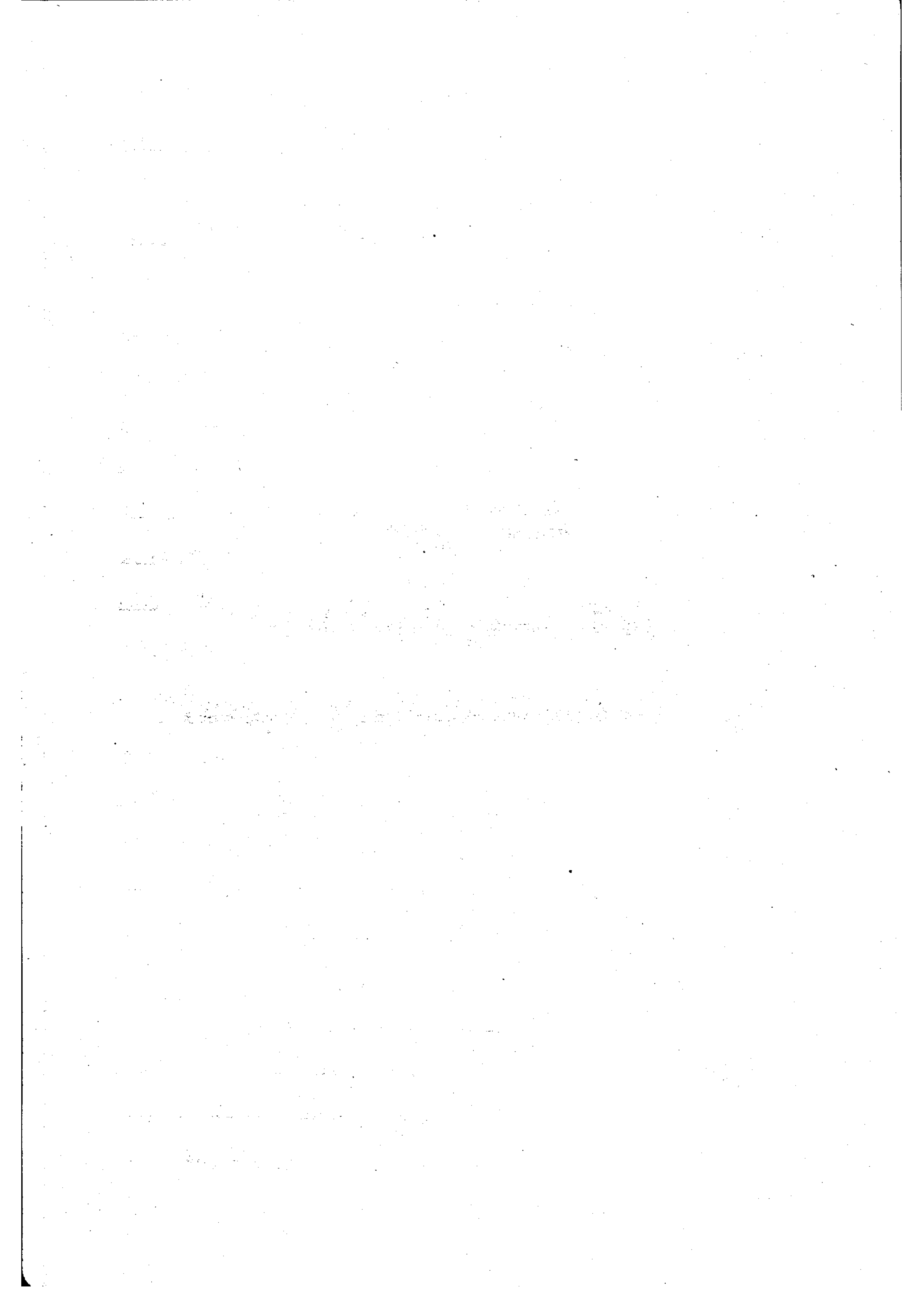
العالم- وقد ذكر فيه مبادئ فنية واستراتيجية بصورة مفصلة ووضع الأسس التى ترتكز فيها القوة العسكرية للانتصار على العدو، وكذلك أكد على ضرورة استقصاء أحوال طرفي القتال قبل الحرب وهو صاحب العبارة المشهورة [أن كنت على بينة عن أمر عدوك وأمر نفسك فلن تنهزم فى أى معركة تخوضها].(٨٩)

** ورغم هذا الازدهار وامتداد سيطرة أسرة تشو الشرقية على معظم المقاطعات مثل [شاندونغ، وخنان، وسيتشوان، وقويتشر] كما تمكنت من استثمار إقليم جنوب الصين، وربط [يونان] بقلب الصين لأول مرة في مجال الثقافة – إلا أنه منذ منتصف القرن السادس بدأ الانحلال يتفشى فى كيان هذه الأسرة وظهر الضعف فى حكم ملوكها – فلم يتمكنوا من أحكام قبضة يديهم على كافة الأمور السياسية وعجزوا عن فرض نفوذهم وسيطرتهم الفعلية على كافة الإمارات الإقطاعية وذلك نتيجة توغل نفوذ الأمراء الإقطاعيين فى شئون البلاد وقيامهم بعرقلة كل الجهود التى تبذلها السلطة الحاكمة فى توفير الآمان والاستقرار الذى كان يهتز بصفة مستمرة من أثر الغارات الشرسة التى كانت تشنها القبائل البربرية، والانتفاضات المتلاحقة من جانب العبيد، والتى تصاعدت حدتها فى نهاية القرن السادس بسبب ازدياد اضطهادهم حيث أرغموا أمام شغف الأمراء بوسائل البذخ والابتزاز على تشييد القصور والمباني وحفر الخنادق حول القصور لحمايتها من غزو الأعداء، إلى جانب قيامهم بأعمال الزراعة وحصد المحصول، وبالتالى لم يكن أمامهم إلا التمرد والهرب مسببين بذلك تخلخلاً وضعفاً فى بعض الإمارات، كما تجمع بعضهم عام ٥٢٢ ق.م فى مستنقعات "هوان فو" التى سيطروا عليها وقاموا باستصلاحها لأنفسهم ونظموا قوة مسلحة لمقاومة السلطة الحاكمة إلا أن الأمراء لم يمهلوهم

حيــث جهزوا لهم حملة عسكرية أطاحت بهم – وفى بداية عام ٥١٠ ق.م قــاموا بتنظــيم حملات مسلحة ضد قصور وقلاع الأمراء مستخدمين فى ســبيل ذلــك مخــتلف الوسائل كتسميم المواشي وإغراق الحقول وحرق المحاصــيل الزراعــية ... ومــع اســتمرار هذه الأحداث وعجز السلطة المركزية فى التصدي لهذه الانتفاضات، انتهز أمراء الإقطاع هذه الفرصة وأعلــن بعضــهم الاســتقلال بالإمارات التي يسيطروا عن النظام الملكي وخاصة بعد أن هاجم البدو المغول عاصمة أسرة **تشو الشرقية** فى **لويانغ** ونهــبوا خــيراتها وهــرب الملك الذى لم يصمد بقواته فى مواجهة هــذا الهجــوم الكاســح [٩٠] وفى ذلك يقول **وليام لانجر** وبعض المؤرخين أن السبب فى هذا الانحلال والاضطرابات المستمرة يرجع إلى أن حكم أسرة **تشو الشرقية** كانت منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد حكما ضعيفا فقدت فــيه الســلطة المركزية توازنها وتدنت فيه قوة ونفوذ الملك ولذلك كانت مطمــع للقــبائل الــبربرية، كما تضاءلت سيطرتها الفعلية على الإمارات الإقطاعــية ... ونتيجة لذلك تضعضعت قواها الأمر الذى أدى الى ظهور حكــام إقطاعيين فى الامارات الاقطاعية تلقب كل واحد منهم بلقب السيد الحــامى واســتقل بامارتــه عن السلطة المركزية بعد أن استهانوا تماماً بسلطات الملك ومع استمرار هذه الأوضاع انهارت تماما السلطة المركزية الفعلية لأسرة **تشو الشرقية** ودخل المجتمع الصيني فى عصر آخر أطلق عليه المؤرخون عصر الانفصال وظهور المماليك المتحاربة الذى اشتدت فــيه الصراعات الإقليمية منذ بداية عام ٤٧٦ق.م حتى عام ٢٢١ق.م كما سنرى في الفصل القادم.[٩١]

الفصل الثالث

عصر الانفصال وظهور الإمارات الإقطاعية والمماليك المنفصلة والمتحاربة



تقديـــم:

يعتبر هذا العصر الذى يمتد من عام (٤٧٦ ق.م – ٢٢١ ق.م) من أخطـــر العصـــور التي مر بها المجتمع الصينى – حيث تفتت فيه وحدة البلاد السياسية إلى إمارات إقطاعية ثم إلى ممالك منفصلة – وترتب على هذا التفتت أو على هذه الانقسامات الإقليمية اضطرابات ومنازعات شديدة وحـــروب طاحـــنة بيـــن هذه الإمارات ثم الممالك أشيعت فيها الفوضى والدمـــار فـــى معظم أنحاء الأراضي الصينية وابتلع القوى فيها الضعيف وتعـــرض خلالها الشعب الصينى لظروف سياسية سيئة للغاية، كما قامت القـــبائل الـــبربرية بانتهاز هذا الانهيار وشنت غارات مستمرة كانت أكثر حـــدة وشراســـة مـــن الـــتى حدثت فى العهود السابقة، وذلك من أجل أن يحطموا القوى الصينية لتكون غير قادرة على مقاومتهم وينتزعوا خيرات البلاد بالسلب والنهب.(١)

وإذا كان بعض المؤرخين يعتبر هذا العصر هو امتداد لحكم أسرة تشو الشرقية على أساس أنهم قد قسموا عهدها إلى فترتين الأولى من عام (٧٧٠ق.م – ٤٧٦ق.م) وأطلقـــوا علـــيها فترة أو حقبة **"الربيع والخريف"** والثانـــية مـــن عام (٤٧٦ق.م – ٢٢١ق.م) وأطلقوا عليها حقبة **"الممالك المتحاربة"**(٢) – إلا أننا لا نتفق معهم فى ذلك لأنه لا يمكن أن نلحق هذا العصـــر الـــذى افـــتقدت فيه السلطة الموحدة إلى كيان هذه الأسرة التي تقوقعت داخل العاصمة [لويانغ] دون أن يكون لها أى نفوذ أو سيطرة ما علـــى شـــبر واحد خارج حدود هذه العاصمة، كما أن معظم الممالك التى ظهـــرت فـــى هـــذا العصر كانت لديها قوة ونفوذ أقوى من هذه الأسرة وبالتالـــي نخـــالف الحقيقة والواقع لو اعتبرنـــا هـــذا العصر امتداد لعهد أســـرة تشو الشرقية.

ورغم أن هذه الأوضاع المختلفة والظروف السياسية السيئة والصراعات الدامية التى حدثت فى هذا العصر كانت كافية لفناء كيان أى مجتمع - إلا أن المجتمع الصينى لم ينهار من أثارها الملتهبة بل صمد بكل ما لديه من قوة وعزيمة وتمكن من مواجهتها حيث اعتبرت بالنسبة له عبارة عن كبوة اعترضت حركة مسيرته الوحدوية التقدمية فى الحياة الإنسانية لمدة معينة، لأنه سرعان ما نهض منها بعد أن اتخذها نقطة ارتكاز ليتخلص من السلبيات التى تراكمت عليه فى الماضى .. ولذلك خرج المجتمع الصينى من هذا العصر دون أن يهلك فيه أو يتجمد من عواصفه القاسية بل كافح بجلد عن حقيقة وجوده كما استمر فى تقدمه الحضاري.(٣)

ولإيضاح هذا العصر سنعرض تسلسل أحداثه وأن كانت متلاحقة وآثارها السلبية على نظام وكيان المجتمع الصينى - وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول:- عهد الإمارات الإقطاعية (٤٧٦ق.م - ٤١١ق.م)

المبحث الثاني:- عهد الممالك المنفصلة (٤١٠ق.م - ٢٢٦ق.م)

المبحث الثالث:- عهد الممالك المتحاربة(٣٢٥ق.م - ٢٢١ق.م)

المبحث الأول

عهد الإمارات الإقطاعية (٤٧٦ق.م-٤١١ق.م)

بعد أن تدهورت الأوضاع السياسية لنظام حكم أسرة تشو الشرقية بداية من منتصف القرن السادس قبل الميلاد وانهارت على أثرها قوى الدفاع الموحدة عن مصالح البلاد بعد أن تصاعد نفوذ الأمراء الإقطاعيين في شئون السلطة المركزية، وتعرضت الأراضي الصينية لغارات شرسة ومستمرة من القبائل البربرية - تفتت وحدة المجتمع الصينى وفقدت أسرة تشو الشرقية هيبتها ونفوذها عام ٤٧٦ق.م حيث عجزت تماماً على السيطرة وفشل آخر ملوكها الذى هرب من العاصمة [لويانغ] بعد أن اقتحمها المغول ونهبوا خيراتها عن تقديم أى حلول إيجابية أو ذات فعالية لعلاج هذا التصدع السياسى الشديد.(٤)

ونتيجة ذلك أنتهز أمراء الإقطاع في الإمارات الإقطاعية المختلفة هذا الاضطراب والتدهور بعد أن قويت شوكتهم بسبب غياب القوة الموحدة واختفاء السلطة المركزية، وأعلن كل واحد منهم استقلاله بإمارته استقلالا تاما واتخذ لنفسه لقب أمير، ودخل فى تنافس مع الإمارات الأخرى.(٥)

تفيد المصادر التاريخية بأن عدد الإمارات التي خضعت لحكم أمراء الإقطاع بعد انهيار حكم أسرة تشو الشرقية كانت تزيد عن مائة وأربعون إمارة، وان كل إمارة كانت مستقلة تماماً فى نظام حكمها وشئونها الداخلية عن الإمارات الأخرى، وكان أميرها الإقطاعي الذي نصب نفسه حاكماً عليها على خلاف دائما وتنافس شديد مع الأمراء الإقطاعيين حكام الإمارات الأخرى، حيث كان كل واحد منهم يرغب أن

يكــون الأقــوى ويبتلع الضعيف أو يتمكن أن يفرض نفوذه وسطوته على الآخرين طمعا بأن تصبح إمارته أكبر قوة في المجتمع الصينى بأكمله لكي يعتلى عرش البلاد ويفرض سلطة حكمه المطلق[٦]

.. ونتــيجة لهذه الأوضاع كان يحدث بين الحين والآخر منازعات شديدة ومعارك دامية استمرت على فترات متقطعة حوالي خمسون عاماً دون أن يخــرج مــنها بصــفة نهائية منتصر أو مهزوم، وإنما هدمت وفتت كيان الوحــدة الوطنية وأواصر الروابط القومية، وجعلت الحالة السياسية داخل معظم أرجاء المجتمع الصينى فى قلق وتوتر مستمر.[٧]

وتعقيــباً على ذلك يصف المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه حالة المجتمع الصــينى عند بداية هذا العهد فى كتابه عن [**الصين القديمة**] بالقول (حكام المقاطعــات الذيــن تم تعينهم فى عهد حكم أسرة تشو الشرقية لكي يمثلوا الســلطة الملكــية داخــل هــذه المقاطعات من أجل المحافظة على أمنها واســتقرارها ومــتابعة الــتزام أفرادها بتنفيذ القوانين والأوامر والأحكام القضائية التى تصدرها السلطة العليا فى العاصمة **لويى "لويانغ"**، وكان كل حــاكم [بواومو] منهم من النبلاء وأكبر إقطاعي ، ومن ذات المنطقة التى عيــن لحكمها، ويفرض عليه بصفته من أتباع السلطة العليا أن يقدم للملك باعتــباره العــاهل الوحيد الولاء والخضوع والطاعة، ويؤدى له ضريبة عينــيه كانت عبارة عن كميات هائلة من المنتجات التى تنفرد بها المنطقة التى يشرف على حكمها، كما يمده على الفور بالقوت والعتاد الذى تحتاجه المملكــة فــى زمن الحرب ... قد سعى هؤلاء الحكام فى منتصف القرن الســادس قــبل الميلاد أن يكون هذا النظام [الذى يشبه حالياً نظام الإدارة المحلية فى الدول الحديثة] هشاً أو بعيداً عن الكمال والدقة والانضباط لكى يــنعزلــوا عــن المراقبة الملكية ويتحرروا من السلطة المركزية ويعملوا

ضـدهـا فى بعض الأحيان من أجل الانفصال عنها .. ومع استمرار هذا الوضع أستقل كل حاكم بإمارته بداية من عام ٤٧٦ق.م بعد أن فشلت كل مساعى التوحيد التى قام بها آخر ملوك أسرة تشو الشرقية، حيث كانت عـزلة كـل مقاطعـة وصـعوبة المواصلات إليها تشكل بالنسبة للسلطة المركزية عوائق شديدة فى القيام بردعها وقمع حاكمها ... ولذلك كان هذا التدهور هـو تباشـير سقوط حكم أسرة تشو الشرقية وظهور الإمارات الإقطاعـية المسـتقلة التي أشاع حكامها بعد أن تجبروا وقويت شكيمتهم الفوضـى وعدم الاستقرار داخل المجتمع الصينى، وجعلوا حالته السياسية مليئة بالقلق والتوتر المستمر نتيجة المنازعات والحروب التى نشبت بينهم بسـبب محاولة كل واحد منهم إخضاع الآخرين لقوته ونفوذه لكي يسيطر علـى كل الإمارات وينصب نفسه ملكاً على البلاد بعد أن أصبح العرش الصينى فارغاً بسقوط نظام آخر أسرة تشو الشرقية.(٨)

وعلى أثر هذا التفتت الذى هدم كيان الوحدة الوطنية شهد المجتمع الصـينى فى هذه الفترة نظم إدارية وسياسية وقانونية عديدة حيث قام كل حـاكم بنفسـه بعـد أن استقل بإمارته واصبح أميراً عليها بأعمال الأمن والـنظام وفرض القوانين والأوامر والأحكام على أفرادها، وكانت معظم هذه النظم أشد صرامة من التى كانت تفرضها السلطة المركزية فى العهد السابق لأسرة تشو الشرقية من أجل أن يسيطر بفاعلية كاملة على إمارته ويخضع كل أفرادها لنفوذه وسطوته ويخمد أى تمرد يثار ضده.(٩)

ونظـراً للخلافات والنازعات الشديدة التى كانت تثار علىَ فترات بين هذه الإمارات الإقطاعية والتي تولـد عنها فى بعض الأحيان حروب داخلـية كمـا سـبق أن وضحنا – قد اختلفت أمام التنافس على القوة نظم وقوانين وسياسة كل أمارة إقطاعية عن الأخرى، وهذا قد أدى إلى تعددها

وتطور أساليب تطبيقها عما كانت عليه فى عهد السلطة المركزية الموحدة لأسرة تشو الشرقية.

وتأكــيداً لمــا تقدم يشير المؤرخ الفرنسى اندريه ايمارد فى كتاب "تــاريخ الحضارات العام، الشرق واليونان القديمة" بأن من أشهر هؤلاء الأمراء الإقطاعيين الذين عبروا عن صفات تعدد واختلاف النظم الإدارية والقانونــية والسياســية بين الإمارات الإقطاعية هو الكونت [هياو] الذى حكــم إمــارة (تشين) فى القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أقام بمساعدة وزيــره [يانغ] حكماً مطلقاً، وذلك من أجل فرض نفوذه وأحكام السيطرة التامة على إمارته، فوضع نظم إدارية وقوانين وأحكام كانت أشد صرامة من التى فرضها معظم حكام الإمارات الأخرى.(١٠)

ولكــن رغــم هذا الانفصال والتفكك .... إلا أن معظم المؤرخين يجمعــون من خلال ما أثبت تحت أيديهم من معلومات تاريخية بأن حركة التــطور الحضــارى لم تتعثر خلال هذه الفترة وأن كانت خطواتها غير موحدة إلى حد ما عن العهود السابقة ... وذلك نتيجة تسابق كل إمارة في إصــلاح شــئونها الداخلية من خلال تعديل نظامها الاجتماعي والإداري والسياسي إلى الأفضل مع تحسين إنتاجها الزراعى وإحداث تطور مستمر فــى الصناعات والحرف اليدوية المختلفة وعلى الأخص الآلات والأدوات الزراعــية والحربــية لكي تتفوق وتتميز بالقوة أمام الإمارات الأخرى – ولذلك اتسعت مساحة الأراضي المزروعة وازدادت المحاصيل الزراعية، وتطــورت صــناعة الحديــد والنحاس والبرونز والأخشاب والمنسوجات الحريرية(١١) – كما تطور الطب الصينى وتمكنت معظم الإمارات مــن تقلــيل المضــاعفات الجانبية التى كانت تحدث فى بعض الأحيان من أثر تناول المرضى للعقاقير المصنعة من الأعشاب الطبية(١٢)، وشهدت أيضا

العلوم الطبيعية في هذه الفترة تقدماً كبيراً حيث عرف علماء الفلك الصينيون الكواكب الرئيسية واستطاعوا تقدير حركات الشمس والقمر والكواكب الخمسة وهى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى والزحل، وقام المهندسون الهيدرولوجيون مثل [لى بيانغ]،[وتشنغ قوه] ببناء مشاريع الرى، وتأكيد لذلك اكتشف بصحراء غوبى بجيايويقوان "ألف لوحة من الرسوم والمنحوتات الجدارية التى تعود إلى هذا العهد وتعكس الحياة العامة للناس فى تلك الفترة مثل أعمال الزراعة وتربية المواشي والصيد واستصلاح الأراضي والعزف على الآلات الموسيقية ولعب الشطرنج ومواكب العربات والخيول والملابس والأواني المختلفة، كما أن بعضها يعكس مظاهر الفكر الأدبي والثقافي الذى كان عليه الصينيون فى ذلك العهد ... حيث أنه من المؤكد أن الفكر الأدبي والفلسفي قد تطور تطوراً باهراً لا نظير له فى العالم القديم بأسره إلا في اليونان القديمة، وذلك لأنه فى هذه الفترة كانت الافكار الفلسفية والأخلاقية والتربوية التى نادى بها الفلاسفة مثل [كونفوشيوس] و [لاوتسى] مازالت حية وتتردد بانتعاش داخل أرجاء المجتمع الصينى[١٣] حيث كان المثقفون الذين ينتمون إلى مدرسة كونفوشيوس ينادون بالوحدة وضرورة التضامن بين جميع أفراد الشعب على أساس حب الإنسانية والاخوة الجامعة، وأيضا "لاوتسى" الذى ولد عام ٤٨٠ق.م – وتوفى عام ٣٩٠ق.م – وكانت فلسفته قريبة جداً فى بعض الوجوه من فلسفة بوذا – وقد عارض مع مريدوه حركة انفصال الإمارات والحروب الداخلية بين الأمراء وظواهر الإسراف والتبذير واعتداء القوى على الضعيف وإهانة الغنى للفقير واستخفاف الأرستقراطيين بعامة الشعب واستغفال البسطاء منهم – ولذلك كانوا يدعون إلى السلم والتقشف والاخوة والمنفعة المتبادلة – كما ظهر فى هذه

الحقــبة مــئات الأســاتذة فى الأدب والحكمة الذين ينتسبون إلى المدارس الفلســفية المختلفة وكانوا يتجولون فى البلاد طولاً وعرضاً من أجل نشر المبادئ والقيم الأخلاقية بين جميع فئات الشعب الصينى.(١٤)

وإذا كانــت قد طرحت حلول إيجابية ودعائم إصلاحية عديدة من جانــب هــؤلاء الفلاسفة والعلماء وأهل الحكمة والأدب بهدف إنهاء هذا التصــدع الــذى أدى إلــى تفتت كيان المجتمع الصينى – إلا أن التنافس والصراع بين الإمارات الإقطاعية المنفصلة كان أقوى من هذه الحلول والدعــائم وأســرع مــنها انتشاراً حيث اشتعلت الحروب الدامية بين هذه الإمــارات في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، ابتلعت فيها الإمارات الكبيرة الإمارات الصغيرة، ومع استمرار هذه الأوضاع ظهرت الإمارات القويــة فــي شــكل ممالك، تنافست أيضا فى عهد آخر يطلق عليه عهد الممالك المنفصلة – وبالتالي فأنه من خلال هذا العهد فقد المجتمع الصينى وحدته الوطنية وانهار تماماً نظام حكم السلطة المركزية.

المبحث الثاني

عهد الممالك المنفصلة (٤١٠ ق.م – ٣٢٦ ق.م)

بعد أن اشتد التنافس والمنازعات بين الإمارات الإقطاعية التى انتشرت فى معظم أرجاء المجتمع الصينى وكان عددها يزيد عن مائة وأربعون أمارة كما وضحنا فى المبحث السابق – واشتعلت بينهم الصراعات والحروب الضارية منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد حيث كانت كل أمارة تطمع فى ابتلاع الأخرى لتكون الأكبر والأقوى وتسيطر بنفوذها على كافة الأقاليم الصينية من أجل الوصول إلى السلطة العليا المركزية واعتلاء حاكمها عرش المجتمع الصينى.

لذلك كان هذا التنافس والصراع الدموى من قبيل فرض النفوذ والاستيلاء على السلطة المركزية – فدارت الحروب الشرسة بين معظم الإمارات، واستمرت سنوات عديدة ولم تفلح نداءات الفلاسفة والأدباء ورجال السلام والمصلحين فى إيقاف رحاها وإنقاذ الشعب الصيني من طحن معاركها الدامية، حتى خفت حدتها بعد هلاك قوى معظم هذه الإمارات بهزائم قاسية، وتعاظم قوى ونفوذ عدد قليل من الإمارات بانتصارات ساحقة(١٥)، وبالتالي ترتب على هذا الصراع الدموى ابتلاع عدد قليل من الإمارات معظم الإمارات الأخرى التي انهارت قواها من الهزائم المتكررة، وكان عددها فى البداية بعد أن حققت الانتصارات الساحقة وازدادت قوتها ونفوذها خمسة إمارات أطلق على حكامها أسم "المسيطرون الخمسة" وهم [تشى هوان قونغ حاكم تشى، وسونغ سيانغ قوانغ حاكم سوانغ، وجين ون قونغ حاكم جين، وتشين موقونغ حاكم تشين، وتشو تشوانغ وانغ حاكم تشو] وبعد ذلك أصبحت هذه الإمارات

الخمسة فى صورة ممالك كبرى واكتسب كل حكامها صفة الملوك.(١٦)

وخــلال فترة قصيرة انقسمت مملكة **جين** القوية إلى ثلاث ممالك وهــى (**مملكــة الهــان** فى منطقة **خنان**، **ومملكة تشاو** فى منطقة **خبى**، **ومملكة ووى** فى منطقة **شانشى**) وبالتالي أصبحت هذه الممالك الثلاثة مع تشى، **وتشين**، **وتشو**، **وسونغ** سبع ممالك قوية تجابه بعضها بعضاً.

وفــى ذلــك يقــول **وليام لانجر** فى "**موسوعة تاريخ العالم**" بأن الإمــارات الكــبرى الــتى اكتســحت بانتصــاراتها الإمارات الأخرى وســيطرت عليها بقوتها ونفوذها قد تمركزت فى مناطق عديدة مثل [إقليم **تشا تتونج** الحالي، وغربى **لو**، وشانسى الحالية، **وهوبى**، ووسط وشرق **خــنان**، وأواسط **النهر الاصفر**] – وبأنها قد جعلت هذه المناطق فى تنافس مســتمر كمــا كانت كل منطقة تتظاهر بالتفوق الحضارى عن الأخرى – وبأنه بعد أن تحولت هذه الإمارات إلى ممالك خمسة وقسمت مملكة **جين** إلــى ثــلاث ممــالك هــى [**هــان**، **وتشاو**، **ووى**] – فأن باقي الإمارات الإقطاعية الأخرى قد أنهكت قواها وانهارت وأصبحت غير قادرة تماماً على الصمود فى الساحة السياسية نتيجة للهزائم القاسية التى ذاقت مرارتها من الحروب المتكررة.(١٧)

وعلــى أثر ذلك دخل المجتمع الصينى عهد جديد هو عهد الممالك الكــبرى المنفصــلة والتى كان عددها فى البداية سبع ممالك فقط حكم كل مملكــة أمــيرها الإقطاعــي وأتخذ لنفسه لقب ملك وقام بتنظيم شئونها الداخلــية والخارجية أى أصبح لكل مملكة نظام سياسي وإداري وقانوني وعســكري خــاص ومنفصــل عــن نظام الممالك الأخرى وذلك نتيجة الانفصال واستمرار وجود الضباب حول الوحدة الوطنية وعدم وجود أى تباشير للسلطة المركزية الموحدة.(١٨)

خــلال هذا العهد حدث مع مرور الزمن تنافس ومنازعات عديدة بيــن هــذه الممالك السبعة حيث كانت كل مملكة تطمع أن تكون الأقوى لتبــتلع بــنفوذها وســطوتها الممالك الأخرى لكي تنتزع السيادة الصينية وتصــل إلــى السـلطة العليا ويعتلى مالكها عرش المجتمع الصينى ... وبالتالي لم يحدث طوال هذه الحقبة صفاء وتقارب بين ملوك هذه الممالك لإنهاء هذا الانفصال أو الحد من أخطاره المستقبلية رغم المساعي العديدة التــي قــام بها المصلحين ودعاة السلام بين الحين والآخر لتحقيق الوحدة الوطنــية – بل كانت كل مملكة تصلح من أوضاعها وتزيد من قوتها فقط لتــنتزع الممــالك الأخــرى سياسياً واقتصادياً[١٩] – وذلك مثل ما قام به **[تشــين مــو قونغ]** ملك **[تشين]** عندما كلف المشرع **[شانغ يانغ]** باعداد خطة للإصلاح سنة ٣٥٩ق.م أعلنها بعد ذلك فى صورة تشريع جديد.[٢٠]

يشــير بعــض المؤرخين بأنه بالإضافة إلى هذا التنافس والنزاع المستمر كان يدور أيضا بين هذه الممالك السبعة صراع فكرى عنيف.[٢١] وذلك بسبب الخلاف الشديد الذى قام بين المدارس الفكرية التى تأسست في العهــد الســابق وأطلق عليها فى هذا العهد **"المدارس المائة"** فى الفلسفة، وفــى مقدمــتها **"المدرســة الكونفوشيه"** ويمثلها الفيلسوفان **كونفوشيوس ومنشيوس**، **"والمدرسة الموهية"** ويمثلها الفليسوف **موه تسى**، **"والمدرسة الطاويــه"** ويمــثلها الفيلســوفان **لاوتســى وتشــوانغ تسى**، **"والمدرسة الشــرائعية"** ويمــثلها كلا من **شانغ يانغ وهان فيى** – حيث خاضت هذه المــدارس صــراعا عنيفا فيما بينها فظهر العديد من الفلاسفة والكثير من المؤلفات الأدبية والفلسفية للعرض والدفاع والنقد ... لذلك فانه على الرغم مــا حققته هذه المدارس من انتعاش فكرى وفلسفي وعكست بشكل واضح التغــيرات الاجتماعــية التى حدثت فى هذا العهد، إلا أن الصراع الفكري

الــذي نتج من اختلاف اتجاهاتها قد ساعد على اتساع هوة الانفصال بين الممالك السبعة.[٢٢]

ولكن رغم ما حدث في هذا العهد من تنافس وتنازع وتوتر سياسي مســتمر إلا أن مســيرة الــتقدم الحضارى لم تتوقف وإنما تحركت نحو التطور وبخطوات سريعة إلى حد ما عن العهد السابقة فى عصر الأسر الحاكمــة – وذلــك لان كل مملكة كانت تجاهد بكل ما تمتلك من موارد طبيعــية وبشــرية وفنــية لكــي تتطور وتزيد من قوتها ونفوذها وتتفوق اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً على الممالك الأخرى.[٢٣]

وعلــى هــذا الأساس تطورت حضارياً أنشطة عديدة خلال هذه الحقبة أهمها كالآتى:-

* نتــيجة توطــيد الــنظام الاجتماعــي فى الممالك السبعة وتحرر **الكــادحون "العبــيد المــزارعون"** ومن قيد النظام العبودى أصبحت حالة الفلاحيــن أفضل نسبياً من حالة العبيد فى ظل نظام الرق حيث أصبح فى وســعهم العمــل لأنفســهم فــى أوقات معينة وأن يتصرفوا فى جزء من منــتجاتهم الزراعــية، وعلــى ســبيل المثال كان فلاحون مملكة **[تشين]** يســتأجرون الأراضــى الزراعية من الملاك نظير نصف المحصول فقط والنصــف الآخــر لهــم – وهذا قد رفع من حماسهم للزراعة وأدى إلى التوســع فــى مساحة الأراضي المزروعة وازدياد المنتج من المحاصيل الزراعية المختلفة وتحسن جودتها.[٢٤]

* حققــت الحــرف والصناعات المختلفة مزيداً من التطور وخاصة صهر الحديد – فقد استخدم الحرفيون الفحم النباتى للوقود، والمنفاخ لرفع حــرارة الايتون وتمكنوا من صنع الفولاذ والحديد الزهر بجدارة وتأسست معامل كبيرة عمل فيها مئات الحرفين – وشكلت مراكز لصهر الحديد فى

الممـــالك المختلفة – كما تطور إنتاج الملح وكانت مملكة **تشين** تستخلصه مـــن الـــبحر ومملكة **وى وتشاو** من البرك والمستنقعات، ونظير ذلك قد امـــتلك بعـــض أصحاب الأعمال مصاهر الحديد والملاحات فى آن واحد وحققوا أرباحا هائلة وضعتهم فى مصاف كبار الأثرياء.(٢٥)

* تقدمـــت أيضا صناعة الآلات والمعدات وخاصة الحربية، وازدهر الفـــن الحرفـــي فتحسنت منتجات المنسوجات الحريرية والكتان والأواني المرصـــعة للأطعمة والأدوات الموسيقية التي كشفت الآثار عن العديد من بقاياها.(٢٦)

* ازدهـــرت التجارة مع هذا التطور الذى حدث في الإنتاج الزراعي والصـــناعي، وظهـــرت أسواق بالسهول الوسطى وفى كل الممالك السبع تـــتعامل فـــى المواد الغذائية والمنتجات الزراعية والصناعية المختلفة – وعلـــى هـــذا الأساس حقق تجار كثيرون أرباحاً طائلة من خلال أعمالهم التجارية(٢٧) وسوف نرى ذلك تفصيلياً فى الباب الثانى.

** شهدت ميادين العلوم المختلفة تطور هائل خلال هذه الحقبة مثل:-

* الفلك حيث الف كل من **[قان ده]** من مملكة **تشو**، **[وشى شن]** من **[وى]** كتابا فى الفلك تم تجميعه بعد ذلك فى مجلد سمى **[قان – شى شينـغ جيـــنغ]** ومعناه كتاب **[قان شى فى مسارات النجوم]**، وهو أقدم المؤلفات الفلكـــية فى العالم، وسجلت فيه أسماء ٨٠٠ نجم من بينها ١٢٠ تم تحديد مواقعهـــا، ورصدت حركات المشترى والمريخ وزحل والزهرة وعطارد وحددت قوانين بزوغها وأفولها، كما احتوى المجلد على معطيات تقويمية شـــملت تقســـيم الســـنة بحسب الفصول، واخذ الفلاحون يرتبون أعمالهم الزراعية حسب هذه المواعيد.(٢٨) وسنوضح ذلك فى الباب الثاني.

* وفـــى الطـــب تنوعت طرق العلاج وظهرت أقسام الطب الباطني

والجــراحى والنســائي، وطب الأطفال، وتعددت أشكال وأصناف الأدوية فظهرت اللصقات والأشربة والخمر الطبي.(٢٩)

* تقدمــت العمارة أيضا وأصبحت أسوار المدن والقصور والمنشآت الأخرى أكثر ارتفاعا ومتانة وجمالاً.(٣٠)

** تطــورت أيضـــا النواحى العسكرية ومن أشهر العسكرين فى هذه الفترة [**سون بينغ**] وكان مستشار عسكرى فى مملكة **تشى**، وقد ألف كتاباً علـــى غـــرار كتاب [**سون وو**] الذى الفه فى العهد السابق بعنوان "**سون بينـــن بيـــنغ فا**" اكتشفت منه فقرات عديدة منقوشه على شرائح خيزران اســـتخرجت عـــام ١٩٢٧م مـــن قبور أسرة **هان الغربية وسون بينغ** هو صـــاحب الخدعـــة المشـــهورة فى تاريخ العسكرية الصينية ويطلق عليها "**محاصرة وى لإنقاذ تشاو**"(٣١)

وحيـــث لـــم تفلـــح جمـيع الجهـــود التى بذلت من جانب الأدباء والفلاســـفة والمصـــلحين ودعاة السلام لاحتواء سلبيات هذا الانفصال بين الممالك السبع – فقد اشتعل الصراع الدموى بينهم بحروب شرسة بداية من عـــام ٣٢٥ق.م دخـــل بها المجتمع الصينى عهداً آخر وهو عهد "**الممالك المتحاربة**" سنروى أهم أحداثه فى المبحث القادم.

وعلـــى هـــذا الأساس فأن كيان المجتمع الصينى بعد أن فقد تماماً وحدته وكل وجود للسلطة المركزية – قد ظهر فى خلال هذه الفترة وهو منقسم إلى سبع ممالك منفصلة انفصال تام – وكانت كل مملكة منها يتربع على عرشها ملك يباشر نفوذه وسيطرته عليها بنظام السلطة المطلقة حيث كـــان يجمع فى يده كل السلطات الدينية والدنيوية دون أن يشاركه أحد فى ممارســـة اختصاصـــاته – كمـــا كان هو القائد الأعلى للجيش وصاحب الصلاحية المطلقة فى تنظيم أمور شعب المملكة.

المبحث الثالث

عهد الممالك المتحاربة (٣٢٥ق.م – ٢٢١ق.م)

بعد أن تصاعدت المنازعات الشديدة بين الممالك السبع فى أواخر العهـــد السابق وفشلت كل جهود رجال السلام لاحتواء هذه الأزمة اندلعت بيـــن هـــذه الممـــالك حروب طاحنة اشتدت رحاها فى الفترة ما بين عام (٣٢٥ق.م – ٢٢١ق.م) وإذا كان معظم المؤرخين يضمون هذا العهد إلى العهديـــن الســـابقين أي يعتبروا العهود الثلاثة حقبه واحدة امتدت من عام (٤٧٦ق.م – ٢٢١ق.م) وذلـــك كمـــا أشرنا من قبـــل ، كمـــا أن جميعهم يلحق هـــذا العهـــد بالعهـــد الســـابق كحقبة واحـــدة امتـــدت من عـــام [٤١٠ق.م – ٢٢١ق.م][٣٢] – إلا أننا لا نؤيد ما انتهوا إليه ولذ فإن تقسيم عصر الانفصال إلى عهود ثلاثة يعتبر تقسيم خاص انفردنا به بعد أن تبين لنا بالواقع إن كل عهد قد تميز بأحداثه عن العهدين الآخرين – وعلى هذا الأســـاس فان المظاهر التى تميز بها هذا العهد عن العهد السابق تتلخص فى الآتي: –

* فـــي العهد السابق كانت الممالك السبع التى ظهرت منذ بدايته فى تـــنافس وتنازع مستمر حيث كانت كل مملكه تطمع بما لديها من مقومات وقوة أن تسيطر على الممالك الأخرى وتفرض عليها نفوذها – أما فى هذا العهد فقد أصيبت كل مملكة بالتنمر من أجل القضاء على الممالك الأخرى لتتسيد المجتمع الصينى بلا منازع، ولذلك اندلعت حروب شرسة بين هذه الممالك منذ بداية هذا العهد واستمرت ما يزيد عن مائة عام.

* العلاقات بين الممالك السبع كانت تشبه تماماً العلاقات الدولية فى

نواحـــي عديدة، فقد كانت فى العهد السابق بين الحرب والسلام – أما فى هذا العهد فكانت الحرب هى الصفة الغالبة عليها نتيجة استمرار المعارك طوال هذه الفترة.(٣٣)

* الجهـــود التـــي كانت تبذل فى العهد السابق من جانب المصلحين ودعاة السلام من أجل إنهاء الصراع والتنافس بين الممالك السبع وأعطت الآمـــال لتحقـــيق الوحدة الوطنية – قد بددت تماما فى هذا العهد من أثر الصـــراع الدمـــوى المســـتمر بشراسة ودون توقف بين هذه الممالك، أى انتشـــرت ظواهـــر اليأس والإحباط من إمكانية الوصول إلى حلول سليمة لإنهاء هذا الصراع الدموى خلال هذا العهد، وخاصة بعد أن اخفق الحلف الشـــمالي الجـــنوبى المســـمى [**بـــالحلف العامودى**] الذى تكون فى العهد الســـابق علـــى يد رجل السلام [**سوشن**] بين ست ممالك – وذلك نتيجة فشله فى الحد من تصاعد أزمة الصراع بين هذه الممالك واندلاع الحروب بينها منذ بداية هذا العهد.(٣٤)

* اعتـــناق الممالك السبع فى هذا العهد نظرية التوسع الأفقي للإقليم كأساس لدعم القوة والنفوذ، ولذلك قامت كل مملكة بالاستيلاء على أراضى الإمـــارات الأخـــرى بـــالقوة دون النظر إلى معاناة الشعب من الكوارث وطموحـــه فـــى توحـــيد البلاد، مثل ما قامت به مملكة **تشين** باغتصاب الأراضي الخاصة بالإمارات التي تقع في إقليم [**سزشوان**] الحالى، ومملكة [**شـــو**] الـــتي توسعت شرقاً بالقوة وضمت إليها بعض الأراضي الخاصة بالإمـــارات الســـاحلية – ولذلـــك أطلق على الممالك السبع أسم [**الكبريات الســـبع**] بعد أن توسعت كل مملكة على حساب الإمارات الأخرى – وهذه الـــنظرية قـــد ظهـــرت وتطورت فى العصور الحديثة وعلى الأخص فى ألمانـــيا خـــلال القرن التاسع عشر تحت مسمى "**المجال الحيوى**" بعد أن

اعتــنقها وصــاغها أكــبر أعلامها في الفقه والفلسفة وعلى رأسهم **هيجل** كمــبرر لاتساع الدول الكبرى على حساب الدول الصغرى حيث ابتدعت هــذه الــنظرية القول بأن (أى شعب فى دول أو مملكة كبرى لا يمكن أن يتقدم بحرية فى سبيل الإرتقاء، ولن يستفيد من حيويته ومزاياه الخاصة إذا ظــل محصوراً اقتصادياً وسياسياً فى نطاق إقليمي محدود ومقيد بروابط تحــيل دون تعديه هذا النطاق إلا بموافقة جيرانه المحيطين به من الدول الصــغرى- وبالتالي فإذا أراد أن يتوسع ولم يوافق جيرانه على هذا كان علــيه أن يــتخلص مــن حالة الحصار من أجل أن يجد مجال حيوي له) ولذلك فإذا كانت هذه النظرية قد أشعلت المعارك الضارية داخل المجتمع الصــينى فــى هــذا العهــد – فقد اعتبرت أيضا من أخطر العوامل التى ســاهمت بفاعلــية فى اندلاع الحروب داخل القارة الأوربية منذ النصف الــثانى للقرن التاسع عشر الميلادي بداية من الحرب السبعينية بين المانيا وفرنسا عام ١٨٧٠م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٥م(٣٥)

* اعــتمد حكــام الممــالك السبع فى هذا العهد على فكرة الصراع الدمــوى كأفضــل وســيلة لاكتساب القوة والسيطرة وفرض النفوذ – أى اعــتقدوا بــأن الحرب هى أساس التقدم والرخاء وهى الوسيلة التى تحقق أطماعهم فى الوصول إلى عرش المجتمع الصينى – وهذه الفكرة الخطيرة قد تفشت وتغنى بها بعض الحكام والزعماء فى العصور الحديثة – وكانت مــن أخطــر العوامل التى أشعلت الحروب والدمار وارتكبت بسببها أشبع الجــرائم الأخلاقية ومن أشهر هؤلاء الملوك والزعماء الذين اعتنقوا هذه الفكرة فى العصور الحديثة وجروا شعوبهم إلى الحروب والدمار من أجل توســيع ملكهــم والســيطرة على الشعوب الأخرى بالقوة القائد البروسى "هلمــوث فونمولــتك" الذى قرر بأن [السلام سراب والحرب سنة الخليقة

وتتجلى فيها أنبل الفضائل للإنسان] - وزعيم الفاشية **موسليني** الذى قرر بأن (السلام كلمة رنينها كرنين العملة الزائفة) - وزعيم النازية **هتلر** الذى قرر فى الكتاب الذى أصدره بعنوان **كفاحى** بأن "الجنس البشرى لم يرتفع شأنه إلا بكفاحه المستمر، وأن السلام الدائم يقوده إلى الاندثار" - والجنرال **اراكى** أحد ساسة اليابان البارزين الذى ظل طوال حياته يؤكد بالقول بأن [الحرب أم الخليقة والثقافة، وأن التنافس الدولي فى سبيل سيطرة الدولة وسيادتها مثله مثل كفاح الفرد ضد خصمه ومنافسه، وأن فى كلتا الحالتين تظهر الحياة الجديدة بالحياة وتتضح أمالها نحو التقدم والرخاء]- ولذلك فإذا كان حكام الممالك السبع فى هذا العهد قد قلبوا موازين العدل والأمان والاستقرار وأهدروا فى سبيل أطماعهم السياسية أهم مبدأ من مبادئ الأخلاق والفضيلة وهو السلام، واعتبروا أخطر عوامل الشر وهى الحروب والدمار هى التى سوف تحقق أحلامهم فى السيطرة وفرض النفوذ على كافة أرجاء المجتمع الصيني مهما كان الثمن - فأن كثيراً من الملوك والحكام والزعماء فى العصور الحديثة قد اعتنقوا هذه الفكرة بأن الحرب ارفع أخلاقيا من السلم وأنه إذا لم يكن للأمم أعداء تحارب ضدهم يدب فيها الضعف والانحلال الخلقي، ولذلك أشعلوا من أجل تحقيقها الحروب العديدة التى ذاقت فيها شعوبهم مرارة الخراب والدمار.(٣٦)

وعلى هذا الأساس اتصف هذا العهد بمظاهر وطباع جميعها مليئة بالصراع الدموي وأصبحت الحروب وما يحدث فيها من معارك طاحنة هى الوسيلة الوحيدة لاكتساب القوة والزعامة للوصول إلى السلطة العليا وتوحيد كيان المجتمع الصينى - وهذا ما جعلنا نعتبره عهد متميز بخصائصه عن العهد السابق الذى تأرجحت فيه أطماع كل من الممالك السبع بين الحرب والسلام من أجل الوصول إلى العرش وتوحيد البلاد.

اتفـق جميع المؤرخين على أن الشعب الصينى قد تعرض خلال تلـك الفـترة لظروف قاسية من ضراوة المعارك التى استمرت بين هذه الممالك حيث كانت كل مملكة تقاتل بشراسة لتحطم قوى الممالك الأخرى وتدمر كيانها السياسى دون أى اعتبار للخسائر المادية والبشرية التى كانت تتكـبدها – وبالتالـي كانت الحروب بين هذه الممالك عبارة عن حروب انـتحارية دارت رحاهـا بـلا رحمة ولا هوادة وجندت فيها معظم أفراد الشعب إلى جانب فرق المرتزقة مما أدى إلى إلحاق الكوارث والنكبات فى بعـض الأقالـيم الصـينية من أثر ما أشيع فى هذه الحروب من فوضى وخراب ودمار[٣٦]، وكان من الممكن لو تصاعدت حدتها أكثر من ذلك أو اسـتمرت لفـترة أطول أن تحدث تدمير شامل فى كيان المجتمع الصينى وتفقـده كـل مـا اكتسـبه من دعائم حضارية سابقة، وذلك مثل بعض المجـتمعات القديمـة الـتى ظهرت وتألقت ثم تعرضت لظروف مشابهة لأحداث هذا العهد فانهارت تماماً وتم فنائها وزوال حضارتها ولم يبق لها الآن سـوى سطور محدودة لذكرها فى سجلات التاريخ، وخير مثال على ذلك الحثيين.[٣٧]

وإذا كـان بعـض المؤرخيـن يشير بأن مسيرة التقدم الحضارى للمجـتمع الصـينى قد توقفت أثناء هذا العهد بسبب الحروب العديدة التى اندلعـت بين الممالك السبع – وبأنه فى الأوقات التى اشتدت فيها ضراوة المعـارك كانـت عجـلات هذه المسيرة تدار للخلف – أى أن الحضارة الصينية قد تقهقرت وفقدت بعض دعائمها التى اكتسبتها من كفاح وتجارب الماضـى خـلال الأوقات التى اشتدت فيها المعارك الشرسة بين الممالك المنفصـلة – فإننا نعارض هذا الاتجاه تماماً لأنه استند فقط على مظاهر الأحـداث التي تخلفت من هذه الحروب دون أن يتعمق بدقة وموضوعية

كاملـــة فى الإمكانيات التي أستند عليها المجتمع الصينى حتى تخلص من سلبيات هذا العهد وبناء دعائم حضارية جديدة – وبالتالي لم يفقد المجتمع الصـــينى توازنــــه الحضارى فى هذه الفترة ولم تتعثر جهوده نحو حركة التقدم الحضارى وإنما اكتسب أفكار ودعائم إيجابية جديدة ساهمت بفاعلية على الخروج من أزمة الحروب والانفصال ومهدت إلى السلام والاستقرار والوحـــدة الوطنـــية،(٣٨) أى كانـــت هذه الحروب عبارة عن ثورة شاملة للقضاء على الفساد والأطماع والانتهازية .... وتوجد أدلة عديدة من خلال الآثـــار التـــي اكتشـــفت عـــن هذا العهد تؤكد حدوث تطور حضاري فى المجالات المختلفة أهمها ما يلى:-

* اتسعت مساحة الأراضي المزروعة نتيجة تطور الآلات والمعدات الزراعـــية الـــتى اســـتخدمت فى عمليات استصلاح الأراضي – كما زاد الإنتاج وتحسنت جودة معظم المحاصيل الزراعية فى جميع الممالك السبع كما سنرى فى الباب الثانى.

* تطورت الصناعات المختلفة وعلى الأخص فن صهر وسبك الحديد والـــنحاس والبرونز فأتقنت صناعة الآلات الزراعية والحربية والأدوات الخاصـــة بأعمـــال البناء، كما تميزت المنسوجات الحريرية والصناعات الخشـــبية والخيزرانـــية بالفن الراقي، ووصلت صناعة الأواني الفخارية والخزفية وأدوات الطلاء والمشغولات اليدوية العديدة إلى مستوى رائع من الجمال والإتقان – فقد اكتشف إبريق نحاسي فى مدينة [تشنغدو] بمقاطعة [سيتشـــوان] سنة ١٩٦٥م صنع فى هذا العهد ونحتت عليه رسوم لأوراق التوت وبعض الآلات الخاصة بالصيد فى تلك الفترة.(٣٩)

* تقـــدم الطـــب الصـــيني فى هذه الفترة تقدماً ملحوظاً فقد ظهرت أعشـــاب طبـــية جديدة لعلاج بعض الأمراض، وأتقن الأطباء التشخيص

الطبــي وإعــداد الأدوية المركبة، ولذلك فقد حدث تطور هائل فى مجال الطب الصينى خلال هذه الفترة.(٤٠)

* تطــور أيضا الفكر الفلسفي والثقافي تطوراً باهراً فى هذه الفترة نتيجة للمدارس الفلسفية التى تأسست فى العهد السابق، كما حدث ازدهار فى الموسيقى، والكتابات والمؤلفات الأدبية والفنية والشعر الغنــائي(٤١) – فقــد اكتشــف مــن آثار هذا العهد مجموعة كاملة من الأجراس النحاسية مكونــة من ٦٤ قطعة يمكن العزف عليها ألحاناً قديمة وجديدة وهى تعتبر تحفة نادرة من الفنون الثقافية القديمة – كما ظهر فى هذه الحقبة شعــراء كثيرون منهم الشــاعر العظيم تشيــوى يــوان (٣٣٩ق.م – ٢٧٨ق.م) الــذى ينــتمى إلى الطبقة الأرستقراطية بمملكة تشو، وبسبب تطلعه نحو ضــرورة إصلاح الوضع السياسى وتحقيق الوحدة الوطنية والقضاء على حالــة الانفصال والحروب الإقليمية المتكررة غضب منه ملك تشو فأبعده عــن العاصــمة حيث عاش منفيا لمدة طويلة، إلا أن وعيه الاجتماعي قد ســاعدوه علــى معــرفة واقع الشعب فتعاطف مع قضاياه وبادله السراء والضراء ... وهو يعتبر من أكبر شعراء الصين القدامى وابتكر نمط جديد من الشعر كتبه بلهجة تشو واستمده من أغانيها الشعبية– ومن أهم أعماله قصــيدة طويلــة بعــنوان [لى ساو] كتبها فى منفاه "كأكبر ملحمة للشعر الغنائــي انطويل" تتألف من ٣٧٠بيتا عبر فيها عن قلقه على وطنه وحنينه إلــيه وضــمنها نقدا للتقاليد – وقد عكست هذه القصيدة وما بها من جمال اللغــة والخيال الخصب عبقرية ونبوغ هذا الشاعر العظيم – وأيضا نشر عــدد كبــير من الكتب التاريخية الفت جميعها فى هذا العهد مثل [الحديث عــن الدول]، [السجلات عن الممالك المتحاربة]، [كتب شرائح الخيزران عن الأحداث التاريخية]، كما دونت [حوليات الربيع والخريف] بقلم الكاتب

الكبير [تسوه تشيو مينغ] وقد شكلت هذه المؤلفات مع كتاب الأغاني "الذي ألف فى الفترة السابقة جزءاً هاماً من التراث الفريد للأدب الصينى.[٤٢]

* أحرزت أيضا العلوم الطبيعية تقدماً كبيراً فى هذا العهد حيث حقق علماء الفلك إنجازات رائعة عن حركات الشمس والقمر والكواكب المختلفة- وقام علماء الجغرافيا بتحديد معالم الكرة الأرضية بعد أن أدركوا أن الصين ليست العالم كله وحقق علماء الفيزياء تقدماً باهراً بعد أن وضعوا أسس عديدة فى هذا المجال مثل المؤلفات التى أعدها فى هذه الفترة العالم الفيزيائي [موه تسى] ووضع فيها بعض المبادئ الأساسية عن الضوء والميكانيكا.

* ظهرت إصلاحات اجتماعية عديدة فى جميع الممالك السبع من جانب بعض الفلاسفة والعلماء والمصلحين ورجال السلام الذين ظهورا فى هذا العهد تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وتحسين الإنتاج الزراعي والصناعي وتأمين وصيانة الموارد الطبيعية،وتطوير النظم الإدارية – كما ظهرت أيضا مسكوكات معدنية للمقايضة على نطاق واسع كدليل على تطور الحركة التجارية فى هذا العهد وكان كل مركز تجارى يملك مسكوكات خاصة للتبادل، وقد تم اكتشاف اكثر من ٢٠٠ مركز تجارى وعثر على مسكوكات عديدة فى منطقة منغوليا يرجع تاريخها إلى عهد الممالك المتحاربة[٤٣] وسوف نرى ذلك فى الباب الثاني.

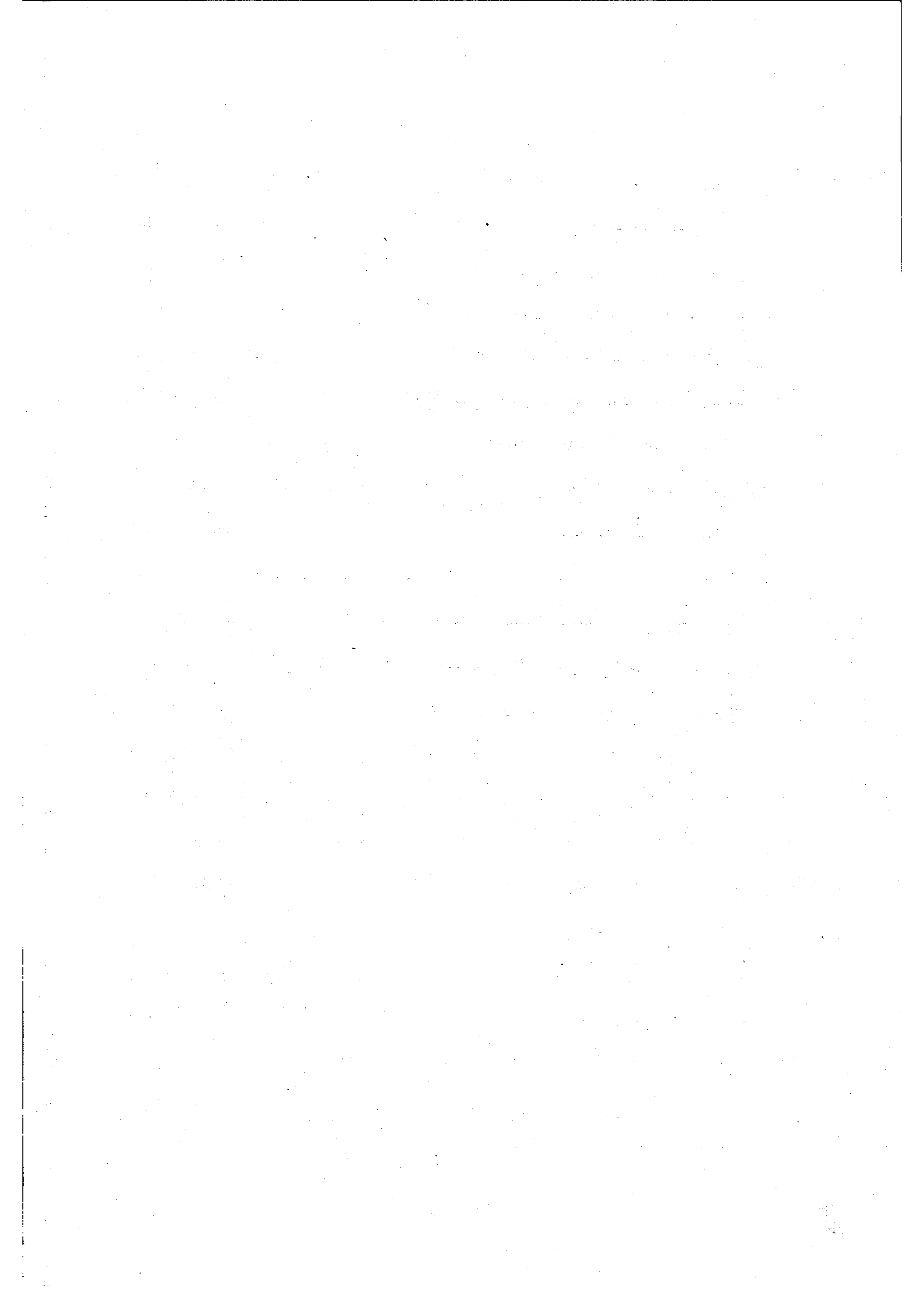
* اهتم في هذا العهد أيضا بإعادة بناء وتنظيم المنشآت القديمة، وتشييد الأبراج والأسوار حول المواقع الهامة والتى من خلالها تم إقامة سور الصين العظيم[٤٤]، كما سنرى فى الباب الثانى – بالإضافة إلى إنشاء مدن جديدة مثل مدينة [بايدى] التى أقيمت فى الطرف الغربي لمضيق [تشيو تيانغ] الذى يلتقى فيه نهر [اليانجستى] مع نهر [تساوتانغ] ومن

خلال آثار هذه المدينة يستطيع أى إنسان أن يشاهد مدى التطور الذى وصل إليه فن العمارة والذي على أساسه كانت تشيد المدن فى تلـك الفتـرة [٤٥].

* خـلال هـذا العهـد حـدث اتصـال وثيق بين الحضارة الصينية والحضـارات الأخـرى في الشرق والغرب مثل الهند وفارس وبلاد ما بين النهريـن والإغريق والرومان - حيث وجدت آثار عديدة تؤكد ذلك مثل التى اكتشـفت فـى واحة [توان - هوانغ] التى أصبحت بعد ذلك وحتى العصور الوسطى ممراً لجميع القوافل الواصلة بين الصين والهند عن طريق بكتريان والبـنجاب إلـى نهاية شواطئ الهند الغربية - وقد حققت الحضارة الصينية إنجازات عديدة من خلال هذه الاتصالات لان المجتمعات الأخرى كانت في ذلك الوقت فى قمة تطورها الحضارى.[٤٦]

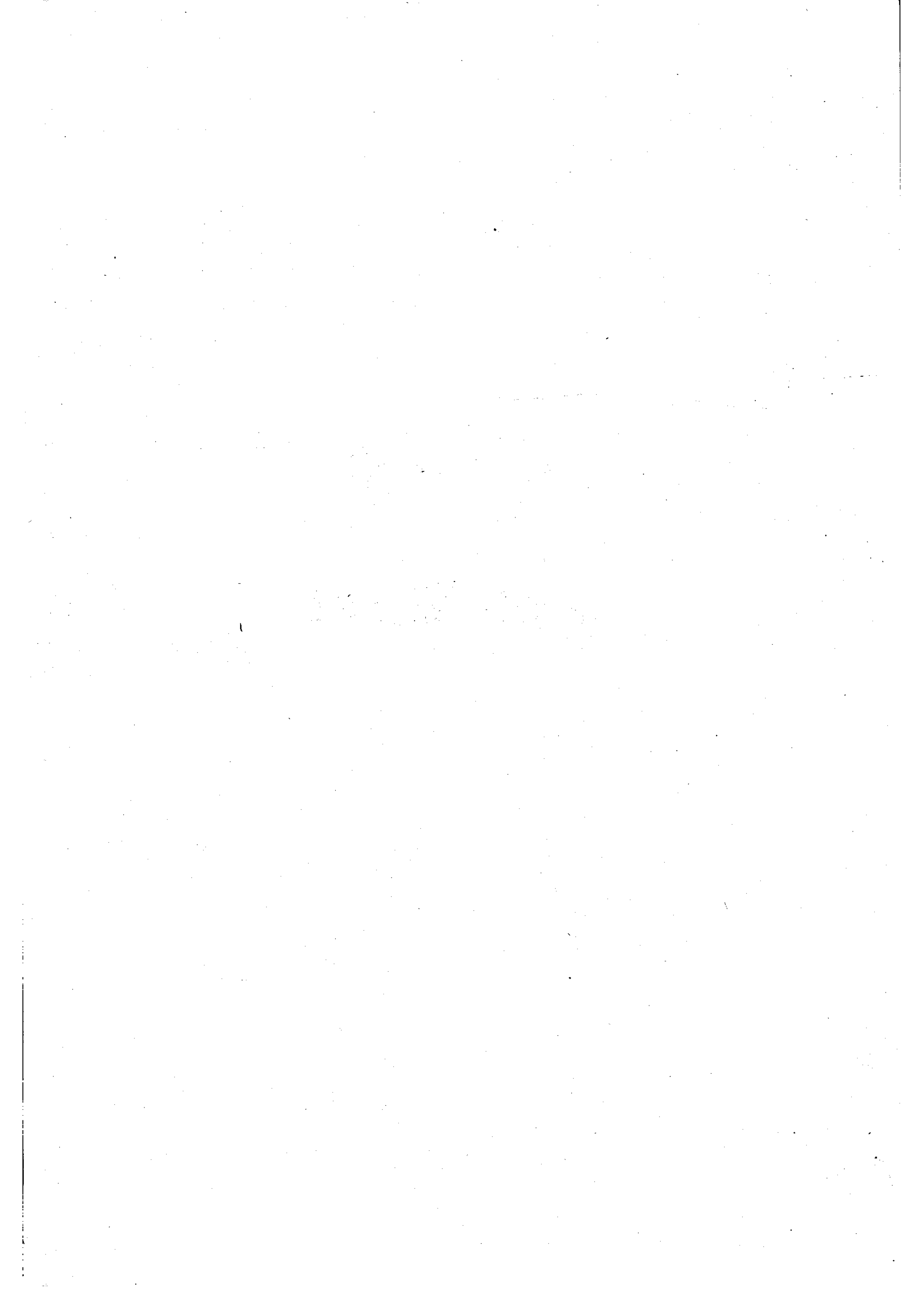
- وعلـى ضـوء ذلك فأن أدلة تقدم الصين حضارياً فى عهد الممالك المتحاربة عديدة ومؤكدة رغم ما حدث فى تلك الفترة من صراع دموى - وأنـه علـى أساس هذا التقدم وما نتج عنه من دعائم حضارية جديدة تمكنت الصين من الصمود والخروج من أزمة الانفصال والحروب الطاحنة، وحققت وحدتها الوطنية فى شكل إمبراطورية عظمى - كما سنرى فى الفصل القادم.

- وإذا كـان المجـتمع الصيني فى هذا العهد قد ظل كما كان عليه في العهد السابق معدوم الوحدة الوطنية وفاقد للسلطة المركزية - إلا أن الممالك السـبعة المنفصـلة فى هذا العهد لم تكن جميعها بذات القوة والسيادة والنفوذ ونظام السلطة المطلقة مثل ما كانت عليه فى العهد السابق - وذلك لان بعض هـذه الممالك قد اختل توازنها السياسي بعد أن أنهكت قواها العسكرية واهتز نظـام حكمهـا المطلق ومدى سيطرتها المتكاملة - من أثر شراسة الحروب الطاحـنة التـي اسـتمرت طـوال هذا العهد وذلك مثل ممالك[وى، وتشو، وتشاو].



الفصل الرابع

العصر الإمبراطوري



تحققــت في هذا العصر الوحدة الوطنية للمجتمع الصينى، وانتهى وضــع الانفصـــال الشـــائك والصـــراع الدموى الذي تفشى بين الممالك المــتحاربة وشتت كيان الأمة الصينية وجعلها بين الحين والآخر عرضة للانهــيار وفقد مكانتها الحضارية من سجلات العالم القديم – وذلك بعد أن تأسســت أول إمبراطورية في تاريخ الصين أعادت بقوة السلطة المركزية الموحــدة، وعــززت روابط الاخوة والصداقة والتضامن بين جميع أفراد الشعب الصينى، ودفعت قدرات المجتمع نحو التقدم والتطور.

ويعتــبر هــذا العصــر من أزهى عصور الصين المليئة بالدعائم الحضــارية العديــدة وخاصـــة المبتكرة حيث أحرزت خلاله تطور هائل وإنجــازات عظيمة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعســكرية – وذلــك رغم الأحداث السياسية والانتقاضات العديدة التي حدثت في بعض فترات هذا العصر من جانب الفلاحين وعامة الشعب ضد السلطة الحاكمة.

وحيــث أن هذا العصر قد أمتد من عام (٢٢١ق.م – ٢٢٠م) أي [٤٠١ســنة] وتعــددت فيه أنظمة الحكم المختلفة – فأننا سنعرض تسلسل أحداثه التاريخية على النحو التالى:-

المبحث الأول : العهد الإمبراطوري لأسرة تشين (٢٢١ق.م – ٢٠٦ق.م).

المبحث الثاني: العهد الإمبراطوري لأسرة هان الغربية (٢٠٦ق.م – ٢٥م).

المبحث الثالث: العهد الإمبراطوري لأسرة هان الشرقية (٢٥م – ٢٢٠م).

المبحث الأول

العهد الإمبراطوري لأسرة تشين

مـــنذ عـــام ٣١٠ق.م بدأت مملكة "**تشين**" ويطلق عليهـــا أيضـــا [**تسى ين**] تظهر قوتها ونفوذها على الممالك الستة الاخرى وهى [**الهان، وتشـــاو، ووى، وتشو، ويان، وتشى**] – وذلك من أجل تحقيق مصلحتها العليا في امتلاك أمور الزعامة والاستيلاء على عرش المجتمع الصيني – واتخـــذت لتنفـــيذ هذا الهدف خطوات جادة طورت فيها قواها الإنتاجية، وعـــززت قدراتها العسكرية حتى تعاظمت قوتها يوما بعد يوم واستطاعت بحروبها المتطورة أن تنتصر وتبتلع ممالك [**هان، ووى، وتشاو**] ثم مملكة [**تشو**] في عام ٢٥٦ق.م.(١)

وبعـــد أن استولى الملك **شانغ** على حكم **تشين** في عام ٢٤٦ق.م قـــام بشن حروب واسعة النطـــاق حتى تمكن خـــلال عشر سنـــوات من (٢٣٠ق.م – ٢٢١ق.م) مـــن ابـــتلاع المملكتيـــن الباقيتين [**يان، وتشى**] وبالتالـــي نجحت مملكة [**تشين**] من إخضاع الممالك الست تحت سيطرتها ونفوذها في عام ٢٢١ق.م، وأسست على ضوء هذا الانتصار الساحق أول إمـــبراطورية كبرى ذات قوة ونفوذ أنهت تصدع الانفصال وضمت معظم الأراضـــي الصينية في وحدة متكاملة أحيت فيها روابط الاخوة والصداقة والتضـــامن بيـــن أبناء الشعب من مختلف القوميات(٢) – كما تمكنت من توحيد المناطق الساحلية **بالجنوب الشرقى، وقوانفدونغ، وقوانغشى** والتي كانـــت تقيم فيها قومية "**يويه**" إحدى الاقليات القومية العريقة وكان أفرادها ينتشرون على سواحل الجنوب الشرقى وحوض نهر اللؤلؤ ويعيشون على الـــزراعة وصيد الأسماك، وقد تمت هذه الوحدة بالقوة حيث أرسل الملك

شانغ حملة عسكرية تكونت من خمسمائة الف جندى عام ٢١٤ق.م إلى هذه المناطق وتمكنت من ضمها إلى السلطة المركزية لحكومة تشين التي قامت بعد ذلك بتنظيم هذه المناطق إداريا ونقلت إليها بعض النظم المتطورة في الزراعة والصناعة والثقافة الأمر الذي أدى إلى تطور زراعتها وثقافتها وفنونها كما تعلم أبناؤها مهارات جديدة في مجال الصناعة والحرف اليدوية[٣] ... ولذلك يقول معظم المؤرخين بأن مملكة تشين قد حطمت قيود الانفصال ووحدت الصين بالكامل بداية من عام ٢٢١ق.م وفتحت المجال لتفجير طاقات الشعب الصيني الإبداعية في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع.[٤]

يرجع الفضل الأول في إنشاء هذه الإمبراطورية وإتمام وحدة الصين إلى الملك شانغ والذي ولد في مملكة تشين عام ٢٥٨ق.م، ووصل إلى السلطة وأصبح ملكا (لتشين) في عام ٢٤٦ق.م وعمره لم يتجاوز ثلاثة عشر عاماً، وكانت مملكته تفرض سيطرتها ونفوذها على الممالك الأربع [هان، ووى، وتشو، وتشاو] - وعندما بلغ عمره التاسعة والعشرين وأتقن أمور السياسة وفن إدارة المعارك قام بشن حروب ساحقة على مملكتي يان وتشى بداية من عام ٢٣٠ق.م حتى نجح في إخضاعها لنفوذه وسلطته عام ٢٢١ق.م - وبالتالي أصبح الزعيم الأوحد لكل الممالك السبع وتمكن باقتدار من اعتلاء عرش المجتمع الصيني وأسس أول إمبراطورية كبرى في تاريخ الصين ولقب نفسه بالإمبراطور بعد أن اتخذ اسماً جديداً هو (تشن. شه. هوانغ. دى) وفي بعض المراجع الصينية يطلق عليه أسم (تشين شى. هوانغ)[٥] .. وقد اكتسب من خلال ما حققه من إنجازات في توحيد البلاد شهرة عظيمة أبرزت فيها قوته وقدرته في إدارة شئون السلطة العليا ودوت في كافة أرجاء الأقاليم الصينية كما

انتشــرت ســيرته فــي بعض المجتمعات الحضارية الأخرى في الشرق وخاصة في الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين.(٦)

ولكــي يحافظ الإمبراطور[تشن . شه . هوانغ . دى] على كيان الإمــبراطورية ويدفعهــا إلــى الــتألق والمجــد ويجعلهــا مــن ضمن الإمــبراطوريات العظمى التي ظهرت في العالم القديم – اتبع نظام الحكم المطلــق حيــث امسك بيده كل السلطات وشكل حكومة مركزية واختص بنفســه فقــط بتعيين وعزل أعضائها، واقتلع جذور الإقطاع وقضى تماماً علــى نفوذ الأمراء الإقطاعيين الذين مزقوا وحدة المجتمع الصيني – كما قــام بإجراء إصلاحات جذرية عديدة وحد على أساسها كافة النظم السائدة بالــبلاد إلــى جانب توحيد اللغة المكتوبة ونظام النقد والمقاييس والمكاييل والموازييــن لكــي يــزيل كل ما يعوق وحدة البلاد ويعزز الكيان المتحد للإمــبراطورية، كمــا نظــم أيضا بأساليب اكثر تطوراً النشاط الزراعى وعملــيات الري وحركة المواصلات بين المدن المختلفة لكي يدفع الصين بقوة نحو تقدم الاقتصادي والاجتماعي.(٧) – وسوف نرى ذلك تفصيلاً في الباب الثانى.

– أهتم أيضا بتأمين المناطق الشمالية والشمالية الغربية لحمايتها من غزوات القبائل البربرية التي كانت تهب عليها بغارات شرسة لسلب ونهب خــيراتها، فقام بوضع خطط عسكرية مكنت القوات الصينية من التصدى لهذه الغارات كما أمر بتكملة بناء الأسوار التي شيدها في القرن الرابع قبل المــيلاد حكــام ممــالك [تشــين، وتشــاو، ويان] لصد غزوات الرعاة الشــماليين– وجعل من التحامها خط دفاع موحد لمسافة ٢٥٠٠ كيلو متر لتصبح بعد ذلك سور الصين العظيم الذي يبدأ غرباً من [ليناتو] بمحافظة [مينشــيان] بمقاطعــة قانسو اليوم ويمتد شرقاً إلى [لياودونغ] في شمال

غربـــي [لياويانغ] بمقاطعة [لياونينغ] اليوم – وهو يعتبر "كما سنرى في الـــباب الـــثانى" من أعظم الإنجازات الحضارية التي تحققت في العـــالم القديـــم[٨]، مـــثل معجزة الأهرامات التي شيدها ملوك الأسرة الرابعة في مصر الفرعونية خلال فترة ما بين (عام ٢٦٨٠ق.م – عام ٢٥٦٠ق.م)

وبالتالـــي فأنه على أثر هذه الإصلاحات أصبحت الصين في عهد الإمبراطور[تشن. شه. هوانغ. دى] إمبراطورية عظمى وذات قوة وسيادة ونفـــوذ فـــي منطقة شرق آسيا، وتطورت تطوراً باهراً في كافة الشئون السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية – حيث توحدت نظم الإدارة المحلـــية، ونظمـــت قوات الجيش، وازداد التوسع في مساحات الأراضي المـــزروعة وتحســـنت جودة المحاصيل الزراعية – وتطورت الصناعات المخـــتلفة وعلى الأخص الآلات والمعدات الحديدية والنحاسية والبرونزية والخشـــبية والخيزرانية، ووصلت صناعة المنسوجات الحريرية والأواني الفخاريـــة والخزفـــية والمشـــغولات الفنية المتنوعة مثل فن النحت على الأحجـــار والرخام والأخشاب وطلاء المعادن والمطرزات والمقصوصات الورقـــية إلى مستوى راقى في الشكل والإتقان[٩]، وقد وجدت آثار عديدة أكـــدت ذلـــك وعلى الأخص التي اكتشفت في كهوف [موقاو] الأثرية في منطقة قانسو[١٠]، كما تطور الفكر السياسى وفن الموسيقى والشعر الغنائي إلى جانب الطب وعلاج الأمراض بالأعشاب[١١].

- يوجـــد اتجـــاه مـــن جانـــب بعـــض المؤرخيـــن يشـــير بـــأن الإمـــبراطـــور"تشن . شه . هوانغ . دى" قد دعم أثناء فترة حكمه ركائز النظام الإقطاعي[١٢] .. وهذا الرأي لا نؤيده حيث يخالف الواقع ويتعارض مع الحقائق التاريخية للأسباب التالية:-

- الإمبراطور"تشن . شه . هوانغ . دى" لم يتمكن من تحقيق الوحدة

الوطنية وتوطيد كيانها وتأسيس أول إمبراطورية صينية إلا بتحجيم هيكل النظام الإقطاعي وتحطيم نفوذ الأمراء الإقطاعيين – وفي ذلك يقول **المؤرخان اندريه ايمارد وجانبيين اوبوايه** في كتابهما عن **"تاريخ الحضارات العام"** ما يؤكد ذلك بأنه (عندما حقق الإمبراطور **"تشن . شه . هوانغ . دى"** وحدة الصين طرأت على المجتمع وأحوال الأقاليم تغيرات هامة وعميقة الجذور، حيث أوجبت الظروف السياسية ضرورة اقتلاع نظام الإقطاع وامتيازات النبلاء بعد أن ترسخت أقدامها في عهد الممالك المتحاربة من أجل القضاء على أهم العوامل التي أدت إلى تفتيت وحدة المجتمع الصيني – وعلى هذا الأساس لم يستطع الإمبراطور **"تشن. شه. هوانغ . دى"** من تحقيق وحدة الصين وقيام حكومة مركزية مع فرض سلطانه المطلق إلا باللجوء إلى أساليب عنيفة قلبت الوضع رأساً على عقب بعد أن حطم تماماً نفوذ الإقطاع وامتيازات النبلاء، وان كان قد حذا في سبيل ذلك حذو المستبدين لترسيخ أقدامه في السلطة).

كما أنه بعد أن تأسست الإمبراطورية والإصلاحات التي تمت فيها لتنظيم كيانها ظهرت طبقة التجار وارتفعت مكانتها بالتدرج إلى أن استحوذت على قسط ضخم من النفوذ نتيجة لتطور عمليات التبادل التجاري واتساع نشاط الأسواق بين الأقاليم المختلفة، وهذا قد أدى بحكم الضرورة إلى انهيار نفوذ الإقطاع في جميع المناطق الصينية وخاصة بعد أن اتبعت نظم إدارية متحدة في إدارة جميع الأقاليم(١٣).

* الوحدة الوطنية التي تحققت في عهد أسرة تشين قد أحدثت تغيرات اجتماعية عديدة في أوضاع الشعب الصيني بعد انهيار نفوذ الإقطاعيين والأمراء الأرستقراطيين – ويؤكد ذلك **الدكتور فؤاد شبل** في كتابه عن **"حكمة الصين"** بأنه [... قد حدث تحرر شامل في عهد تشين تعرض

خلاله صرح الصين الاجتماعي لمتغيرات جوهرية – لأنه بعد تحطيم نظام الإقطـاع وامتـيازات الأمـراء أنتهز هذه الفرصة الكثيرين ذوى الأصل المتواضـع ليتولوا مراكز ذات أهمية سياسية – كما زال من الوجود كثير من العائلات الحاكمة السابقة بعد أن وفق "**تشن . شه . هوانغ . دى**" في توحـيد الصين تحت حكم أسرة تشين، حيث وجه ضربة قاضية أدت إلى إنـزال أفراد العائلات الأرستقراطية عدا أفراد أسرته إلى مصاف الأفراد العاديين] (١٤).

وبالتالي فأن الاتجاه الذي يشير بأن الإمبراطور "**تشن. شه. هوانغ. دى**" قـد دعم ركائز النظام الإقطاعي أثناء فترة حكمه لا يستند على أسس صـحيحة، وبعيد تماماً عن الحقائق التاريخية الثابتة والأسانيد التي حققت وحدة الصين وقيام الحكومة المركزية.

- اتهم بعض المؤرخين الإمبراطور "**تشن . شه . هوانغ . دى**" بأنه عـندما قـام بإجراء الإصلاحات العديدة لتنظيم أوضاع المجتمع الصيني وتدعـيم حكمه – قد بالغ في استغلال عامة الشعب والفلاحين حيث جعل الخدمـة العسكرية تشمل الشباب والكهول من الرجال وجعل النساء تنقل الإمـدادات العسـكرية، وأجـبر الفلاحين على تسليم ثلثى محاصيلهم إلى الحكومـة كضـرائب – كمـا سخر ٣٠٠,٠٠٠ رجل لتكملة بناء السور العظـيم، وعـدد ٥٠٠,٠٠٠ رجـل ليقـيموا كحامية في منطقة **لينغنان (كوانغدونـغ)**، وعـدد ٧٠٠,٠٠٠ رجل لبناء القصور، وعدد مماثل من الرجال لبناء ضريحه، وعشرات الآلاف من الرجال لإنشاء الطرق وشق الترع والقنوات(١٥) – وفي رأينا أن هذا الاتهام لا محل له لان ما قام به هـذا الإمـبراطور لم يخرج عن الأوضاع والظروف المألوفة التي كانت سـائدة في العصور القديمة حيث كان يتفشى في جميع المجتمعات القديمة

نظام الحكم المطلق ونظام تعدد الطبقات ونظام الرق وأن كثيراً من ملوك وأبــاطــرة تلــك العصــور قــد قاموا بأكثر من ذلك، بل ارتكبوا أبشع الجــرائــم الأخلاقية في تسخير شعوبهم من أجل تدعيم نفوذهم وسطوتهم في الحكــم(١٦).

- يوجــد أيضــا رأي لبعض المؤرخين يشير بأن الإمبراطور "**تشن. شــه . هوانـغ . دى**" قد قيد نشاط العقائد الدينية أثناء فترة حكمه وعزف عــن إقامة الطقوس الدينية التي كان ملوك أسرة تشو الغربية ثم الشرقية والأقدمــون يحرصون كل الحرص على إقامتها بصفتهم أبناء السماء على أســاس أنــه قــد أعتــبرها عقائد قديمة باليه ومتهالكه وأكل الدهر عليها وشــرب(١٧) ... وفــي الواقــع أن هــذا الــرأي غير صحيح أيضا لان الإمبراطور "**تشن. شه. هوانغ. دى**" لم يفعل ذلك إنما كل ما في الأمر أنه رغــب فقط في إقناع شعبه ورجال حكومته بصفته المقدسة التي يجب أن تــلازم شخصــه كأول إمبراطور للمجتمع الصيني - وبالتالي أحاط نفسه بسرية كاملة وعاش في قصر منفرد حتى لا يظهر لشعبه إلا في الأوقات الرســمية والظروف الاستثنائية والمناسبات الدينية الكبرى، وبالتالي ترك إقامة الطقوس الدينية لرجال بلاطه دون أن يتخذ أي إجراءات رسمية تهز مــن كــيان العقــائد الدينية القديمة أو نحد من إقامة الطقوس المتبعة منذ العهود السابقة(١٨).

- جانــب مــن المؤرخين يشير أيضا بأن الإمبراطور "**تشن. شه. هوانــغ . دى**" عــندما أراد تدعيم نفوذه وسلطته المركزية في حكم بلاد الصــين أمــر في عام ٢١٣ق.م بإشعال النيران في معظم الكتب الأدبية الكلاســيكية وتــرك فقط عدد قليل من المؤلفات الفنية التي تتعلق بالطب والــزراعة والصــناعة والأشغال اليدوية، واتهموه من خلال ذلك بأنه قد

حرق تراث الصين الثقافي وحرم على أفراد الشعب اقتناء كتب الشعر والتاريخ ومنع تماما ممارسة نشاط المذاهب الفلسفية المختلفة التي تكونت في العهود السابقة، كما قرر بعضهم بأنه من أجل القضاء التام على الثقافة الصينية القديمة قد ناصب المثقفين الذين عارضوا سياسته وشجبوا الحاضر ودافعو عن الماضى العداء ودفن بعضهم أحياء ليتخلص منهم – وبأنه بنتيجة ذلك قد تحللت ثقافة الماضى وبرز مثقفون جدد ينتقضونها ويعارضونها بشدة واجتهدوا في إقامة ثقافة أخرى جديدة بدلا منها تستند على سنن الحاضر(١٩).

وفي الواقع أن هذا الرأي قد تغالى في هذا الاتهام كما أستند على حجج وادعاءات معظمها باطل ولا أساس لها من الصحة وذلك للأسباب التالية:-

- الإمبراطور "تشن. شه. هوانغ. دى" لم يرتكب كل ذلك على وجه التحديد وإنما كل ما فعله أنه أمر فقط بحرق المؤلفات الأدبية والفلسفية التي ظهرت في عهود الإمارات الإقطاعية والممالك المتحاربة وأدت إلى اتساع هوة الانفصال وأحدثت بلبلة وخلل وصراع في الفكر الأدبي والفلسفي بين أبناء الشعب الصيني – وسبق أن وضحنا في الفصل السابق بأن الصراع الفكري بين المذاهب الفلسفية المختلفة كان من أخطر العوامل التي ساعدت على تفتيت كيان المجتمع الصيني وظهور المنازعات المستمرة بين الإمارات الإقطاعية ثم إشعال الحروب الضارية بين الممالك المنفصلة.
- أنه أراد أن يوحد مقاييس الفكر الأدبي ويمنع التعارض الشديد بين المدارس الفلسفية من أجل أن يوطد أسس التقارب بين الشعب ويدعم أسانيد الوحدة الوطنية التي تحققت على يديه بعد أن أسس أول إمبراطورية

جمعــت شــمل المجــتمع الصيني في كيان سياسي واحد ... ويؤكد ذلك الأســتاذ **الدكــتور فؤاد شبل** في كتابه عن "**حكمة الصين**" حيث قرر بأن الإمبراطور "**تشن. شه. هوانغ. دى**" قد حظر قيام نشاط المذاهب الفلسفية لشــدة اختلافها وبأنه لم يحرق الا ما في حوزة الناس من المؤلفات الأدبية المتضــاربة ولم يمس السجلات الرسمية بسوء – وقد اقتصر على تحريم التعلــيم الخاص لإرغام الناس على الاتجاه إلى طبقة المدرسين الرسميين ليتولوا تعليمهم، وابتغى من وراء هذا هو ووزيره الأكبر (**لى سسو**) الذي رغبه في حرق المكتبات الخاصة – توحيد مقاييس الفكر الأدبي والفلسفي لدى الشعب الصينى)[٢٠].

* الثابــت والمؤكد في معظم مؤلفات المؤرخين الذين تعرضوا لهذه الواقعــة – بأن الإصلاحات والتجديدات التي قام بها "**تشن. شه. هوانغ. دى**" بعــد أن أســس أول إمــبراطورية وحدت بلاد الصين قد تعرضت لمعارضة شديدة من جانب أصحاب الفكر الأدبي والفلسفي القديم وخاصة الكونفوشــين الذيــن اســتخدموا الكتب القديمة للتنديد بالإجراءات الجديدة لحكومة تشين ... وبالتالي فأنه خوفاً من تأثير هذه المعارضة على مستقبل الإمبراطورية قد شن هو ووزيره الأكبر (**لى سسو**) حملة ضدهم أدت إلى إحراق الكتب الأدبية والفلسفية القديمة التي يستخدمونها ضده ومنتشرة في أوســاط الشعب ومنها مؤلفات (**مدارس المائة**) كما اعتقل اكثر من ٤٠٠ كونفوشــى ودفنهم أحياء[٢١] أي أنه قام بهذا الإجراء من أجل أن يتصدى للهجوم الشديد الذي ندد بإصلاحاته، وبكل الجهود التي يبذلها لحماية كيان الإمــبراطورية مــن التصــدع والانهيار، وليس لأنه كان حاكم جاهل أو طاغى إلى هذا الحد لكى يتعمد فقط محو التراث الثقافي القديم ليشبع نزوة الغرور في نفسه.

وجـه أيضـا بعض المؤرخين نقد رابع للإمبراطور **"تشن. شه. هوانـغ. دى"** بأنـه فرض عقوبات شديدة القسوة أثناء فترة حكمه، وأعاد المجـتمع الصـيني إلـى العصر الحجري الذي كانت تطبق فيه العقوبة الجماعـية حيـث كـان يحاكم الأسرة بأكملها في حالة ما إذا ارتكب أحد أفرادها جريمة من الجرائم المنصوص عليها في القوانين التي قام بوضعها لكى يتمكن من فرض نفوذه على أوضاع البلاد(٢٢) ... وفي الواقع أن هذا النقد قـد فرض من وجهة نظر سطحية لأنه تجاهل تماماً حالة الفوضى التـي تفشـت في كيان المجتمع الصيني أثناء عهود الإمارات الإقطاعية المنفصـلة والممـالك المتحاربة - وبالتالي فان الإمبراطور **"تشن. شه. هوانغ. دى"** بعد أن أسس أول إمبراطورية وحدت الصين، قد فرض هذه العقوبـات مـن أجـل أن يتخلص من كل العوامل السابقة التي فتت كيان المجـتمع وكـادت تدفعه إلى الدمار والضياع وهذا الوضع لا يخرج عن المألوف في تلك العصور لان كثيراً من حكام وأباطرة المجتمعات الأخرى القديمـة وعلى الأخص الفرس، والإغريق والرومان قد فرضوا أثناء فترة حكمهـم عقوبـات بالغـة القسـوة وتفـوق بكثير العقوبات التي فرضها الإمبراطور **"تشن. شه. هوانغ. دى"** من أجل أن يأمنوا ملكهم، ورغم ذلك لـم يتعرضـوا لمـثل هـذا النقد بل دونت في سجلات التاريخ أمجادهم وانتصـاراتهم التـي تمكنوا من تحقيقها أثناء جلوسهم على عرش بلادهم وذلـك مـثل حمورابى ملك بابل (١٧٢٨ق.م - ١٦٨٦ق.م) **والاسكندر الأكـبر** إمبراطور الإغريق (٣٥٦ق.م - ٣٢٣ق.م) - **أشوكابريادرشـين** ملـك الهـند (٢٦١ق.م - ٢٢٧ق.م) وأباطرة الفرس **كورش** (٥٦٠ق.م) **وداريـوس الأول** (٥٢٠ق.م) **واحشويروش** (٤٨٠ق.م) - والإمبراطور الرومانى **أغسطس** (٢٧ق.م) - وغيرهم كثيرون(٢٣).

ولذلـــك فأن هذه الانتقادات بعيدة تماماً عن الموضوعية ولا يمكن أن تشـــوه المجد الذي حققه الإمبراطور "**تشن . شه . هوانغ . دى**" الذي جلـس على عرش المجتمع الصيني بعد أن تمكن بقوته ونفوذه من تحقيق الوحـــدة الوطنـــية وتأميـــن الصين من خطر الفوضى والحروب المدمرة ودفعها إلى التقدم والتألق الحضاري.

- لـــم يستمر الإمبراطور "**تشن. شه. هوانغ. دى**" في السلطة أكثر من عشرة سنوات حيث توفي في عام ٢١٠ق.م بعد أن وصل عدد سكان الصـــين مـــا يقـــارب الثلاثة عشرة مليوناً وسبعمائة ألف نسمة – وخلفه الإمـــبراطور الثانـــي لأسرة تشين الذي بدأ حكمه بفرض قوانين وأحكام وعقوبـــات قاسية جداً من أجل أن يتمكن من فرض سيطرته ونفوذه على أوضـــاع المجتمع وتكملت مسيرة الإمبراطور الأول – إلا أنه بعد شهور من بداية حكمه ظهرت عليه ملامح الاستبداد حيث بالغ بقسوة في استغلال عامـــة الشعب والفلاحين – الأمر الذي أدى إلى حدوث انهيار في الإنتاج واندفـــاع الشعب إلى هاوية الفقر بعد سنة تقريباً من جلوسه على العرش وهـــذه الأوضـــاع الظالمـــة قد فجرت أول تمرد من جانب الفلاحين ضد حكومـــة تشين – حيث حدث في شهر يوليو عام ٢٠٩ق.م أن أرسل هذا الإمـــبراطور مـــا يقرب من ٩٠٠,٠٠٠ فلاح فقير للمساعدة في الأعمال الخاصـــة بترمـــيم السور العظيم في موقع **يويياتغ** (محافظة **ميييون** قرب **بكيـــن**)، وعـــندما مرت قافلة الفلاحين [**يداتسهشياتغ**] بمحافظة **تشيشيان** (جـــنوب شرقى محافظة **سوشيان** بمقاطعة **انهوى**) هطلت أمطار غزيرة أغلقـــت الطريق وتعذر على القافلة مواصلة السير، وكان ذلك يعنى عدم الوصـــول إلـــى [**يويـــياتغ**] في الموعد المحدد وهى جريمة يعاقب عليها القـــانون بـــالإعدام الأمـــر الـــذي أدى إلى اجتماع العريفان [**تشن سنغ**،

دو قوانغ] اللذان كانا يخططان للتمرد من قبل - فقرر تشن (أن التأخير في الذهاب إلى يويبيانغ يؤدى إلى الموت والهرب يؤدى إلى الموت أيضا، والتمرد يؤدى إلى الموت على الأكثر، وأظن أن الموت في التمرد أفضل)... وبالتالي أعلن العريفان خطة التمرد وقاما بقتل ضابطين من القافلة ... ثم وقف [تشن شنغ] يخاطب الفلاحين ويحثهم على التمرد بالقول (أن الملوك والأمراء والقادة ليسوا أفضل منكم ...) وعلى أثر ذلك تحمس جميع الفلاحين ورفعوا راية الانتفاضة بعد أن اقسموا على الإطاحة بحكم أسرة تشين وكان سلاحهم الوحيد الهراوات فأشعلوا في [داتسهشيانغ] لهيب أول حرب فلاحية في تاريخ الصين واستولوا عليها ثم على محافظة [تشيشيان] وعدد من المحافظات المجاورة وانضم إليهم جموع أخرى من الفلاحين حتى أصبحوا بعد شهر واحد قوة كبيرة تتألف من حوالي سبعمائة عربة حربية وأكثر من ألف فارس وعشرات الآلاف من المشاة ومع مرور الأيام تعاظمت قوتهم وتقدموا في الزحف حتى احتلوا محافظة تشنشيان[محافظة هوايبانغ الحالية بمقاطعة خنان] وأقاموا أول سلطة فلاحية (تشانغتشو) في تاريخ الصين داخل هذه المحافظة.

وبعد ذلك قاما [تشن شنغ، ووقوانغ] بايفاد مبعوثين إلى مناطق شمال النهر الأصفر وشبه جزيرة شاندونغ وحوض اليانجستى الأوسط للعمل على تطوير القوى المعارضة لأسرة تشين الأمر الذي أدى إلى عصيان الفلاحين في معظم محافظات هذه المناطق وقاموا بقتل الولاة والمحافظين واستولوا على الحواضر الهامة.

وفي أوائل شهر سبتمبر من نفس العام كلف "تشن شنغ" شريكه في الانتفاضة "وو قوانغ" بقيادة جيش من الفلاحين المسلحين للهجوم على [سينغيانغ] وهى مدينة عسكرية هامة تقع في مقاطعة خنان وعهد إلى قائد

آخـــر اســـمه "تشو وان" بقيادة هجوم آخر على [قوانتشونغ] قلب الدولة فجمـــع هـــذا القائد عشرات آلاف من المحاربين واندفع بقوة حتى وصل بقواته إلى منطقة تبعد حوالي خمسين كيلو متر عن العاصمة [شيانيانغ].

- وعـــندما وصـــل أنباء هذا الزحف إلى الإمبراطور الثاني أصيب بحالـــة من الذعر والارتباك فكلف قائده [تشانغ هان] بسرعة جمع القوات والقـــيام بهجوم مضاد - وبالتالي دارت معارك طاحنة استمرت ما يقرب من شهرين وأسفرت عن هزيمة "تشو ون" وقتل [وو قوانغ] على يد أحد المتامرين، ثم استمر [شانغ هان] في الزحف بقواته وهاجم محافظة [تشن شـــيان] مركز سلطة الانتفاضة ليقضى على جميع المتمردين، وعندما قام [تشن شانغ] بقيادة قوات من المسلحين لمواجهة هذا الهجوم اغتاله سائق عربـــته، فتولى القيادة من بعده أحد قواده ويدعى [ليوى تشن] الذي نظم بســـرعة صـــفوف قوته وشن هجوم مضاد اكتسح به قوات حكومة تشين التـــي كـــان يقودهـــا [تشانغ هان] واسترجع محافظة (تشنشيان) واعدم الخائـــن الذي اغتال قائد الانتفاضة [تشن شانغ] ثم اتحد مع فصائل أخرى من الثائرين لمواصلة النضال والإطاحة بحكم أسرة تشين.

ولذلـــك فأنه مع مرور الأيام تعاظمت مرة أخرى الثورة الفلاحية، وامتدت جذورها في معظم المحافظات مما أدى إلى ظهور قوتين جديدتين الأولـــى بقـــيادة [لـــيوبانغ] الذي ولد عام ٢٥٦ق.م وتوفي عام ١٩٥ق.م والثانية بقيادة [شيانغ يوى] الذي ولد عام ٢٣٢ق.م وتوفي عام ٢٠٢ق.م

- وفـــي عـــام ٢٠٧ق.م تغلبـــت قـــوات [شيانغ يوى] على القوات الرئيسية لأسرة تشين التي كان يقودها [تشانغ هان] وفي عام ٢٠٦ تمكنت قـــوات لـــيوبانغ مـــن احـــتلال [شـــيانيانغ] العاصمة معلنة زوال حكم إمـــبراطورية تشـــين نهائـــياً - وبالتالـــي اقتسم [شيانغ يوى] السلطة مع

"لـيوبانغ" لفـترة محـدودة لم تزد على ثلاثة شهور حيث اشتعل بينهما الصـراع طمعـاً في الانفراد بعرش المجتمع الصيني[٢٤]، وانتهى الأمر بظهور إمبراطورية الهان الغربية كما سنرى في المبحث القادم.

المبحث الثاني

العهد الإمبراطوري لأسرة هان الغربية

بعد زوال أسرة [تشين] في مايو عام ٢٠٦ ق.م – اقتسم [شيانغ يوى] بعد أن لقب نفسه [ملك تشو الغربية المسيطر] السلطة مع "ليوبانغ" الذي أعطى لنفسه أيضا لقب [ملك الهان] – إلا أن هذا الوضع لم يستمر سوى ثلاثة شهور فقط حيث حدث في أول سبتمبر من نفس العام صراع شديد بينها لاغتصاب السلطة والانفراد بعرش المجتمع الصينى، أي أن كلا منهما قد جاهد من أجل ابتزاز ثمار الحرب الفلاحية لصالحه – ولذلك نشبت بينهما حرب شديدة الضراوة أطلق عليها حرب "تشو – هان" استمرت أربع سنوات وانتهت بانتصار [ليوبانغ] على [شيانغ يوى] في عام ٢٠٢ق.م (٢٥).

وبالتالي تزعمت أسرة الهان المجتمع الصينى، وأصبح [ليوبانغ] بعد أن بسط نفوذه على معظم أرجاء المجتمع الصيني الإمبراطور"هان قاو تسو" أي الإمبراطور الأول لهان وعرف فيما بعد باسم الإمبراطور[قاو دى]، واتخذ من [تشانغان] المعروفة اليوم باسم شيان عاصمة للإمبراطورية الجديدة التي أسسها وعرفت في تاريخ الصين باسم إمبراطورية هان الغربية(٢٦).

- وقد تسببت حرب [تشو – هان] في استهلاك معظم ثروات المجتمع الصيني وأحدثت ركوداً أقتصادياً في جميع القطاعات ورفعت أسعار الغلال وجعلت الشعب يزداد فقراً وجوعاً – وفي ذلك يقول معظم المؤرخين بأنه [من شدة هذا التدهور لم يكن هناك أربعة خيول متشابهة الألوان لعربة الإمبراطور، وأن كل وزير من وزراؤه لم يكن لديه سوى

عربة متهالكة تجرها الأبقار]. اتبع الإمبراطور[يوبانغ] أو [قاو دى] في بداية حكمه نفس التنظيمات السياسية التي كانت متبعة في إمبراطورية تشين ولعلاج حالة التدهور التي أصابت المجتمع اقترح مستشاره [لو جيا] خطة عاجلة للإصلاح قال بشأنها [كنا نعتمد في الدرجة الأولى على القوة العسكرية لإقامة سلطتنا، أما اليوم وبعد انتزاع هذه السلطة فأن الجيش وحده لا يكفي إذ أننا بحاجة أيضا إلى النظام القانوني الذي يتطلبه استقرار وتدعيم سلطات الدولة ... فأسباب انهيار أسرة تشين يرجع إلى ما كان يعاينه الشعب من الاستغلال الاقتصادي القاسي والاضطهاد السياسي الفظيع على يد الطبقة الحاكمة التي تجاوزت حدودها وأخلت بقوانينها القاسية موازين العدل والمساواة، فدفعت الناس إلى مقاومتها الأمر الذي جعل أسرة تشين تواجه المقاومة بالقمع الدموى مستخدمة قواتها المسلحة الضارية دون أن تعى حقيقة هذا الموقف لان القمع لا يؤدى إلا إلى اشتداد المقاومة، وقد ترتب على ذلك تفكك الدولة التي دامت حوالي ١٥سنة فقط] ومن خلال بيان هذا المستشار الذي وضح فيه أن السلطة الجديدة لإمبراطورية هان الغربية في أشد الحاجة إلى سياسة منظمة تقوم على تطور الإنتاج وخاصة الإنتاج الزراعي كوسيلة أساسية لعلاج الانهيار الاقتصادي وتغطية حاجات الناس - قد وافق الإمبراطور على اقتراحاته بعد أن تفهمها جيداً، وأمر وزيره الاكبر "شياو خه" بوضع تشريع أستمد معظم نصوصه من قوانين إمبراطورية تشين فيما يتعلق بنظام الضرائب والسخرة والتجنيد وغيرها، وعرف التشريع الجديد باسم [القانون ذى التسعة أبواب لإمبراطورية الهان الغربية] والأبواب عبارة عن الأقسام التي اشتمل عليها هذا القانون وذلك في أواخر عام ٢٠١ق.م كما وضعت في بداية عام ٢٠٠ق.م أنظمة لقياسات الحقول وتحديد الجبايات الزراعية

علــى يــد مسئول المالية "تشانغ تسانغ" وطبق "شياو خه" نظام التسجيل السـكاني الذي حظر الانتقال الحر على الفلاحين وبعض ملاك الأراضي والموظفيــن الصغار، وأجبر الذين تركوا أراضيهم على السخرة للسلطات المحلــية للقــيام بــزراعة الأرض، ومنعت الحكومة المركزية الاحتكار والمضــاربات التجارية، وحرمت التجار من شغل أي وظيفة في الدولة، وفرضــت علــى الشــعب جملة من الأعباء حيث فرضت ضريبة على الأراضــي الزراعــية وضريبة رأس على أفراد عامة الشعب إلى جانب أعمال السخرة والتجنيد الإجباري، وسوف نعرض ذلك بالتفصيل في القسم الثاني.

ورغــم أن النظام القانوني الجديد الذي وضعه [شياو خه] قد اتسم بالشــدة إلى حد ما إلى أنه قد ساهم في تحقيق تحسن ملحوظ في مستوى معيشــة الكادحيــن بالمقارنــة مــع مــا عانوه من قسوة وظلم في عهد إمــبراطورية تشــين – كمــا أدى إلى ظهور تحسن ملحوظ في الاقتصاد الريفــي والتخلص من آثار الحروب السابقة حيث عنى "تساو تسان" الذي خلــف [شياو خه] في الوزارة بتطوير الإنتاج الزراعي وأعطاه الأسبقية على سائر الأعمال وخير مثال على ذلك أنه قد جعل العمل في بناء مدينة تشــانغان عاصــمة أســرة هــان الغربية قاصراً على مواسم الفراغ من الزراعة وجنى المحاصيل – هذا بالإضافة إلى ظهور تطور في الصناعة والحرف اليدوية والنشاط التجاري (٢٧).

وبعد وفاة الإمبراطور الأول (قاو دى) في عام ١٩٥ق.م خلفه في الحكم الإمبراطور الثاني "هوى دى" الذي استمر على سياسته – ومن عهد هــذا الإمــبراطور حــتى عهد الإمبراطور "جينغ دى" الذي حكم المجتمع الصــيني فــي عام ١٤٠ق.م [أي حوالي أربعة وأربعون عاماً] قد تطور

أيضـــا الاقتصاد الريفي حيث اعتنى الأباطرة الأوائل لأسرة هان الغربية بالزراعة وتربية دود القز إلى جانب تحسين جودة المحاصيل الزراعية[٢٨] وسنوضح ذلك في الباب الثاني.

وإذا كان الأباطرة الأوائل لأسرة هان الغربية قد تمكنوا من أحكام السيطرة علـى معظـم أرجـاء المجتمع الصيني وتطورت في عهدهم الحضـارة الصـينية في كافة الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسـكرية إلا أنـه نتـيجة منحهم امتيازات خاصة لبعض النبلاء الذين ظهـروا في عهدهم وينتمون برابطة الدم إلى سلالتهم قد أدى إلى حدوث بعض الاضطرابات السياسية من جانب هؤلاء النبلاء كما تعرضت مناطق الصين الشمالية لغارات القبائل البربرية التي شنت هجمات مستمرة لسلب ونهب خيرات البلاد وأحدثت إرباك في كيان الإمبراطورية السياسي[٢٩].

وأثـناء هـذه الظروف تمكن الإمبراطور(واو.واو) [ويطلق عليه أيضـا فـي بعض المراجع التاريخية التي تعرضت لتاريخ الصين القديم (هان.وو.دى)] الذي ولد (عام ١٥٦ق.م – وتوفي عام ٨٧ق.م) وهو من نفـس سلالة أسرة هان الغربية – أن يجلس على عرش المجتمع الصيني فـي عـام ١٤٠ق.م وكـان يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، واستطاع أن يفـرض نفـوذه ويسيطر بقوة على كافة أنحاء البلاد ويحد من الأوضاع السيئة التي كانت ستؤدى إلى انهيار كيان الإمبراطورية، وأعاد للمجتمع الصـيني الأمان والاستقرار حيث قام خلال السنوات الأولى لحكمه بعمل إصـلاحات عديـدة فـي كافة الشئون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسـكرية، واصدر مجموعة قوانين مكنته من اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنظيم أمور الإمبراطورية، واستند عليها لتخلص من طبقة النبلاء وإلغاء الامتـيازات التي كانوا يتمتعون بها، وكل ما كان لهم من نفوذ، واستعان

في إدارة شئون البلاد برجال قانون مشهود لهم بالعدل والنزاهة والحكمة، كما جعل الالتحاق بالوظائف الحكومية يقوم على نظام الاختيار لتعيين الأفضل دون النظر إلى كونه من الإشراف أو من عامة الشعب، وسوف نعرض ذلك بالتفصيل في القسم الثاني.

* نظم صفوف الجيش ودعمه بالمعدات والآلات الحربية وبالتدريب الراقي ليرفع من كفاءته القتالية، كما أضاف إلى سور الصين العظيم بعض الأجزاء الباقية وجعله حصناً عسكرياً إستراتيجياً هاماً ... وذلك من أجل الدفاع عن جميع الأراضي الصينية وتأمين حدودها من الغارات البربرية، وإظهار قوة الإمبراطورية ومدى قدرتها على فرض النفوذ والسيطرة على كافة الأقاليم الصينية.

ونتيجة لذلك قد تمكن من القضاء على القبائل البربرية وأهمها قبيلة "شيو نغنو"(٢٩) – التي يرجع تاريخ ظهور غاراتها الشرسة كما يقرر معظم المؤرخين إلى بداية عهد هذه الأسرة حيث كانت المناطق الشمالية بمقاطعات خبى وشانتشى وشنشى مسرحاً لغارات هذه القبيلة، ثم توسعت في اعتداءاتها حتى شملت عام ٢٠٠ق.م جنوب غربى تايوان بمقاطعة شانشى، وقد تصدت لها قوات ضخمة من الهان تقدر بحوالي ٣٢٠ ألف جندى ولكن لم تفلح في القضاء عليهما أو الحد من خطورة غاراتها لأنها دبرت لهم بأحكام وبسرعة خاطفة كمين في شمال شرقى "داتو نغ" ترتب عليه انقطاع تموين جيش الهان سبعة أيام كاملة، وحاول الإمبراطور "قاو دى" إنقاذ الجيش المحاصر بكافة الطرق "الحربية الا أنه لم ينجح، فأضطر حتى لا تهلك قواته إلى التراجع والمساومة فزوج زعيم هذه القبيلة بأميرة من أسرة الهان وأعطاه هدايا ضخمة من الغلال والحرير، كما عقد معه اتفاقات تجارية لتبادل الحرير المنتج من المدن الصينية بمواشي وفراء

المنطقة التي تسيطر عليها قبيلته – وبهذه الخطة تمكن الإمبراطور الهانى "قــاو دى" أن يحـد من اعتداءات قبيلة "شيو نغنو"، رغم أن معظم أمراء هـذه القبـيلة لـم يقتنعوا بما حققه زعيمهم الامر الذي أدى بعد ذلك إلى مواصلة غاراتهم ولكن كانت معظمها على المناطق الشمالية النائية.

وفـي فـترة حكـم الإمبراطور"وو.دى" التي تطور فيها المجتمع الصـيني اقتصــادياً توافرت الدعائم السياسية والمادية والبشرية لخوض الحرب ضد هذه القبيلة للقضاء على أخطارها – فبدأت سلسلة من المعارك الشرســة الطويلــة الأمد بين الطرفين بداية [من عام ١٣٨ق.م حتى عام ١٢٠ق.م] ثم بلغت ذروتها في ربيع عام ١١٩ق.م حيث تحرك جيشان من الهــان مؤلفــان من مائة ألف فارس ومئات الألوف من المشاة الأول كان بقـيادة [وى تشينغ] والثاني بقيادة [خوه تشيوى بينغ]، وتوغلا في أعماق الصــحراء المنغولــية في عدة اتجاهات – وقد استغل القائد "وى تشينغ" ظهــور عاصفة ترابية شديدة فوجه بعد أن أقام خط تحصين من العربات الحربية طابوراً من خمسة آلاف فارس لاقتحام مواقع العدو، ثم أمر قوات المشــاة بالزحف نحو هذه المواقع باتجاهين لمحاصرتها، وبعد أن أطبقت هذه القوات على جيوش قبيلة "شيو نغنو" انفجر قتال مرير بين الطرفين، وعــندما اتضح لزعيم هذه القبيلة أن قواته ليس لديها القدرة على الصمود طويــلا لمواجهــة جـيش الهان في هذه المعركة اخترق الحصار بحماية مجموعة من مقاتليه وهرب نحو الشمال الغربي إلا أن قوات الجيش الأول للهان ظلت تطارده وأبادت أكثر من عشرة آلاف من جنوده.

أما الجيش الثاني للهان بقيادة "خوه تشيوى بينغ" فقد خاض معركة أخـرى شـديدة الضراوة على جبهة ثانية انتصر فيها بعد أن أباد ما يزيد عـن عــدد ٧٠الف رجل من جيوش "شيو نغنو" وبالتالي دمرت قوة هذه

القبيلة ولم تستطع بعد هذه الهزيمة القاسية التحرك مما أتاح الفرصة للإمبراطور "وو.دى" أن يفرض نفوذه وسيطرته على المناطق التي كانت تحتلها وهجر إليها أكثر من مليون نسمة وخاصة إلى مناطق ممرات **خشى وختاو** لتأمينها ضد أي غزو آخر- وقد قام هؤلاء المهاجرون بزراعة أراضي هذه المناطق وكانت معظمها أراضى بكر ولم تطأها قدم من قبل(٣٠).

- استطاعت جيوش الهان أيضا بعد تحطيم كيان هذه القبيلة أن تصل إلى حدود أفغانستان وأمنت الطريق التجاري الممتد من **كانتون** حتى **البغال**، وجعلت السيادة الإقليمية للإمبراطورية تتسع غرباً حتى "**توانغ سو**" وجنوباً حتى "**كانتون**" وسيطرت على منطقة (**كان سو**) وبلاد "يونان" وشمالي "**انآم**" و "**وفرغانا**" ومدن أخرى عديدة ولذلك اعتبر الإمبراطور "وو.دى" صاحب الهجمات المظفرة التي جعلت الصين إمبراطورية ذات قوة وسيادة كما جعلها تأخذ صفة الدولة الفاتحة(٣١) "وتوجد بقاعة حروب العصور القديمة بالمتحف العسكرى الثوري للشعب الصيني الكائن بشارع **فوشينغ** ببكين العاصمة آثار عديدة تؤكد ذلك"(٣٢).

وقد ازدهر الاقتصاد الصيني وبلغ ذروته في عهد الإمبراطور "وو.دى" بعد أن كتب له المجد بتدمير قوة قبيلة **شيونغنو** الخطرة وتمكن من فتح المناطق الغربية – فشاع استعمال الخيل والبقر لحراثة الأراضي الزراعية فيما بين بحر **موهأي** إلى ممرات **خشى** بمقاطعة قانسو ومن السور العظيم إلى نهر اليانجتسى، فتطور الاقتصاد الزراعى، – كما تطورت الصناعة حيث انتشرت مصانع الحديد في معظم المحافظات، واكتشفت مناجم عديدة للذهب والفضة وخاصة في منطقة **سيتشوان** وظهرت أشغال البرونز والطلاء وأعمال التطريز والصباغة والتقطير

وكالــة الحــرف اليدوية على مستوى أرقى مما كانت عليه في العصور السابقة من حيث المهارة ودقة الصنع وكمية الإنتاج، وبلغت صناعة الغزل والنســيج قمة التطور وخاصة صناعة المنسوجات الحريرية مثل الحرير الدمقسى والحرير المطرز والحرير الشفاف(٣٣).

- وقد ساهم تطور الصناعات المختلفة والإنتاج الزراعي إلى انتعاش حركة التجارة وأصبحت تشانغان مركزاً رئيسياً للنشاط التجاري، ولويانغ وتشــنغدو وهــاندان وليتســى ونانيانغ مدناً تجارية مزدهرة ونشطة - وانشــغل كــبار التجار في المدن بالمضاربات، وفتح التجار المتوسطون والصــغار المــتاجر وأصبحوا يشترون البضائع بأثمان بخسة ويبيعونها بأســعار عالية، ونقلت العربات والقوارب البضائع من منطقة إلى أخرى مما حقق قدر كبير من التكامل الاقتصادي(٣٤).

وبعد أن أمنت الحدود الشمالية والغربية كان التجار من وقت لآخر يرســلون البضــائع الصينية وخاصة الحرير إلى أقصى البلاد الواقعة في الغــرب - كما كانوا يجلبون من هذه البلدان المنتجات التي يحتاجها حكام أسرة هان الغربية وشعب الصين في السهول الوسطى - وعلى أثر تزايد هــذا النشاط التجاري تم إنشاء طريق الحرير المعروف اليوم بين الصين وغــرب آســيا وأوروبا، وأقامت عليه حكومة هان الغربية عام ٦٠ق.م هيئة رسمية لإدارة الشئون العامة وتأمين المواصلات على هذا الطريق كما تأسست إدارات محلية في جنوب سيتشون الغربى وقويتشو ويوننان (سوف نوضح ذلك بالتفصيل في الباب الثانى).

وبفضــل هــذه الإجراءات قد تم ربط المناطق الغربية بالحكومة المركزية وإدخالها بعد ذلك في دائرة التطور الحضارى والسياسي لعموم الصين(٣٥).

فـي فـترة حكـم الإمبراطور"وو.دى" تطور أيضا الفكر الفلسفي والدينى وازداد نفوذ **الكونفوشية** وأصبحت تمثل الأفكار والآراء الرئيسية للسـلطة المركـزية – وقـد كان للوزير الأكبر "**دونغ تشونغ شو**" دور رئيسـي في هذا المجال حيث إنشاء لحساب الطبقة الحاكمة دعامات كاملة مسـتمدة مـن الأفكار **الكونفوشية** أكد فيها على أن الإمبراطور يجب أن يفعـل بمقتضى وحي السماء وأن يطبق "**سياسة العطف**" على الشعب من أجـل أن تهبه السماء محصولا زراعياً وافياً، وكان يروج لفكرة "**التواهب بيـن السـماء والإنسان**" بهدف تأليه الإمبراطور "**وو.دى**" لتوطيد حكمه وحمايته من أي تمرد أو عصيان شعبى – ومن أجل أن تأخذ هذه الأفكار مداهـا الاجتماعـي الكامل أنشئ عدد كبير من المدارس بإدارة الحكومة المركزية والإدارات المحلية اقتصرت الدراسة فيها على كتب الكونفوشيين مـثل "**كـتاب التاريخ**" و"**كتاب الطقوس**" و"**كتاب الطوالع**" و"**كتاب الربيع والخـريف**" ومنع الشعب من تداول كتب المدارس الاخرى التي كانت لا تزال موجودة في عموم المجتمع الصينى، أي تعرضت الاتجاهات الفكرية الأخرى للكبت بعد أن أصبحت الكتب الكلاسيكية الكونفوشية هى المقررة رسمياً دون غيرها في الأكاديمية الإمبراطورية وكافة المدارس الأخرى – ومن تعاليم "**دونغ تشونغ شو**" المستمدة من الكونفوشيه "الخضوع المطلق الثلاثـي – أي خضـوع الوزراء للإمبراطور، والأبناء للآباء، والزوجة لزوجها" أصبحت للكونفوشية مكانة رفيعة في تاريخ الفكر الفلسفي ومثلت بالتدرج أيديولوجية المجتمع الصيني منذ ذلك الوقت(٣٦).

- تقـدم أيضا خلال هذه الحقبة النشاط العلمي والثقافي في مجالات مختلفة على المستويين النظري والعملي – فقد ظهـر في الفترة من عـام (١٢٠ق.م – ٩٠ق.م) كـتاب "**الحسـاب ذو التسعة ابواب**" الذي تضمن

٢٤٦ مسألة رياضيات تتعلق بكيفية قياس المساحات والأبعاد وحساب حجم حفريات البناء وسعة المخازن مع العديد من مسائل الحساب والجبر والهندسة - كما لمعت في هذه الفترة أسماء بعض العلماء في مختلف دروب العلم والثقافة مثل "سيماتشيان" الذي أعد كتاب [سجلات التاريخ] في عشر سنوات وهو يعتبر كما سنرى تفصيلاً في الباب الثاني من أعظم الكتب التاريخية والادبية التي عكست بلغة بسيطة وحيوية التاريخ العام للمجتمع الصيني عن حقبة تتقارب من ثلاثة آلاف سنة بداية من العهد الحجرى الحديث حتى منتصف عهد حكم أسرة هان الغربية(٣٧).

- وإذا كان بفضل الإمبراطور "وو.دى" قد وصل المجتمع الصيني إلى تطور هائل في كافة اوجه الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وارتفعت مكانة إمبراطورية هان الغربية وتميزت بالقوة والتألق الحضارى في منطقة شرق آسيا من خلال فتوحاته العسكرية لبلدان وأقاليم عديدة .. إلا أنه بعد وفاته عام ٨٧ ق.م حدثت إضرابات شديدة وثورات شعبية في بعض الأقاليم أشيع فيها الفوضى وعدم الاستقرار - واستمر هذا الوضع إلى أن تمكن أحد أحفاده ويدعى "سوان - تى" وفي بعض المراجع التاريخية الصينية يطلق عليه أيضا "شيوان - دى" من الاستيلاء على السلطة المركزية واعتلاء عرش المجتمع الصيني في عام ٧٣ق.م.

- استطاع الإمبراطور "شيوان - دى" بعد جهد كبير أن يتخلص من كافة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأعاد حالة الأمان والاستقرار في كافة أنحاء الأقاليم بعد أن عزز روابط التآخي والتضامن بين أبناء الشعب من مختلف القوميات، وساهم بقدر كبير في استمرار تطور الحضارة الصينية - كما تابع خلال فترة حكمه الفتوحات العسكرية التي قام بها من قبل الإمبراطور "وو.دى" في التركستان الصيني -

فاستولى على النقاط الرئيسية في حوض تاريم وقضى تماماً على خطورة قبيلة "**شيونغنو**" حيث استسلمت نهائياً في عام ٥١ق.م وتحولت أراضيها إلى إقطاعية تابعة للهان الغربية، ولذلك يعتبره أيضا معظم المؤرخين من الفاتحين الذين ساهموا بقوة واقتدار في اتساع حدود الإمبراطورية الصينية وتأمين أراضيها من كافة هجمات القبائل البربرية التي كانت تدمر بعض المدن وتنهب خيراتها[٣٨].

ولكن بعد نهاية عهد الإمبراطور"**شيوان – دى**" في عام ٤٩ق.م حدثت أيضا اضطرابات سياسية عنيفة وفوضى شديدة في بعض الأقاليم ولم يتمكن الأباطرة الثلاثة الذين تعاقبوا على العرش في الفترة من سنة (٤٨ق.م – ٩م) ومن بينهم الإمبراطور"**يانوانغ**" من السيطرة على هذه الأوضاع السيئة، لضعف شخصيتهم ونفوذهم وهلاك قواتهم من أثر التعرض المستمر لقمع الانتفاضات العديدة التي حدثت – وعن هذه الفترة يقول المؤرخ الصيني **جيان بوه تسان** (١٨٩٨م – ١٩٦٨م) في الفصول المتعلقة بالعصور القديمة بكتاب موجز تاريخ الصين – بأنه لقد شهد نصف القرن التالي لحكم الإمبراطور "**يوان دى**" (٤٨ – ٣٣ق.م) تفكك حكومة هان الغربية – حيث ساد الفساد البلاط. الإمبراطوري وأصبح أصهار العائلة الإمبراطورية والوزراء المقربون من الأباطرة شخصيات هامة، وحازوا الثروات الطائلة عن طريق الاختلاس والابتزاز والسرقة وقبول الرشوة وإساءة استعمال الامتيازات – وازدادت الضرائب وأصبحت مرهقة للناس ... فبينما كان الدخل السنوي للإمبراطور من ضرائب الأرض والسكان والخدمة العسكرية والتبغ والأعمال التجارية ومن الضرائب على الممتلكات ومن احتكارات الملح والحديد كان يفوق الملايين من القطع النقدية – كان الفلاح المجبر على السخرة مدة تسعين

يوماً في السنة بالإضافة إلى ما يدفعه من الضرائب لا يملك قوت يومه .. وبالتالي فأن هذا الاستغلال الخالي من الشفقة قد حرم الفلاح من ثمرة جهوده – وجعل الأوضاع تزداد سوءاً منذ عام ٣٠ق.م بعد أن نزلت الكوارث الطبيعية الكثيفة على مناطق واسعة من الريف الأمر الذي أدى إلى نشوب انتفاضات الفلاحين والصناع اليدويين – ومع أن هذه الانتفاضات قد قمعت، إلا أن الأزمة الاجتماعية بقيت على حالها، ففي إحدى سنوات المجاعة القاسية في المناطق المحيطة بتشانغان، جرت مقايضة ما يزيد على نصف الكيلو غرام من الذهب ببضعة كيلو غرامات من الفاصوليا، ودفعت المجاعة الناس إلى حافة اليأس] (٣٩).

وعلى أثر ذلك كانت هذه الظروف السيئة أن تقضى تماماً على حكم أسرة هان الغربية إلى أن تمكن "ونغ منغ" ويطلق عليه أيضا "وان مانغ" أو "وانغ مانغ" وهو من أحد أحفاد الإمبراطور "وو.دى" من انتزاع السلطة والجلوس على العرش الإمبراطوري في عام ٩م (٤٠).

ومن أجل إصلاح هذه الأوضاع السيئة وتخفيف حدة التناقضات الاجتماعية وإنقاذ البلاد من الانهيار خاصة وأن عدد سكان الصين قد بلغ ٦٠ مليون نسمة ومساحة الأراضي المزروعة قد بلغت ١٢٠ مليون مو [المو وحدة مساحة في الصين تساوى ٠,٠٦٦٧ هكتار] حسب إحصاء أجرى في عام ٢م – قام الإمبراطور "ونغ منغ" بعرض برنامج إصلاحي تضمن أهداف عديدة أهمها يتلخص في جعل جميع الأراضي الزراعية ملكاً للدولة، ومنع الاتجار بالعبيد، وعين موظف مسئول عن الأسعار وتقديم القروض للفلاحين، وجعل الدولة تشرف على عمليات تداول الملح والحديد والسلع الهامة.(٤١) وسوف نعرض ذلك بالتفصيل في الباب الثاني.

- إذا كان الهدف من هذه الإصلاحات هو فرض بعض القيود

والضــغوط علــى الأثرياء من طبقة الملاك والتجار لتخفيف حدة التناقضات الاجتماعــية والهوة العميقة بين الأغنياء والفقراء من عامة الشعب - إلا أن الإمــبراطور[ونغ منغ] لم يقدر بدقة حجم المشاكل التي تراكمت وتضخمت داخــل المجتمع الصيني في الفترة السابقة الأمر الذي جعل من الصعوبة أن تــنجح هذه الإصلاحات بمفردها في علاج هذه المشاكل- كما أنه أخطأ أيضا عــندما اعتمد على الملاك والتجار في تنفيذ هذه الإصلاحات وهم بالطبع لا يرغبون في تنفيذها لأنها ضد مصالحهم.

ولذلك فقد فشلت هذه الإصلاحات رغم التعديلات العديدة التي أدخلت علــيها، ولم يستفيد منها عامة الشعب - وبالتالي فشل الإمبراطور[ونغ منغ] في إحراز أي تقدم للسيطرة على الموقف و الحد من خطورة الظروف السيئة التي يمر بها المجتمع الصيني - كما لم يتمكن بكافة الطرق من إعادة الأمان والاستقرار في معظم أرجاء الإمبراطورية خاصة بعد أن قامت في عام ٢٢م سلســلة مــن الانتفاضــات الفلاحية دمرت معظم قواته الأمر الذي أدى إلى ســقوط حكمه وزوال نظام حكم أسرة هان الغربية، ودخول المجتمع الصيني فــي مرحلة نظام حكم أخر هو نظام حكم أسرة هان الشرقية[٤٢] كما سنرى ذلك تفصيلا في المبحث التالي.

- وترتيــباً على ذلك لم يكن نظام حكم أباطرة أسرة هان الغربية مطلقاً بالمعــنى الدقيق - لان الإمبراطور وأن كان يجمع بين يده السلطتين الزمنية والدينــية ويباشــر ســلطاته التشريعية والتنفيذية والقضائية - إلا أنه لم يكن مطلــق الحــرية فــي ذلك لوجود طبقة من الأثرياء تكونت من كبار الملاك والــتجار كانــت تقــيد سلطاته في بعض الأحيان - وهذه الطبقة لم تكن من الإقطاعييــن لان النظام الإقطاعي الذي إقامته أسرة تشو قد انتهى أبان حكم أســرة تشــين في عام (٢٢١ق.م) كما لم تكن من أصحاب النسب والحسب والامتــيازات الارثية وإنما كانت من الأثرياء فقط وان كانوا يمارسون أحقر الأعمال[٤٣].

المبحث الثالث

العهد الإمبراطوري لأسرة هان الشرقية

بعد أن انتزع الإمبراطور "ونغ مانغ" اخر أباطرة أسرة هان الغربية السلطة في عام ٩م، وفشلت جميع إصلاحاته نتيجة إلغاء القوانين التي وضعها قبل أن يمضى عليها ثلاثة سنوات تحت ضغط الأرستقراطيين والبيروقراطيين وكبار ملاك الأراضي، وازدادت بالتالي الأوضاع السيئة في المجتمع الصيني – اندلعت انتفاضات عديدة من جانب الفلاحين ضد حكم هذه الأسرة أهمها انتفاضة هوبى التي تتزعمها في عام ١٧م "وانغ كوانغ منغ" وأطلق عليها انتفاضة "جيش الغابات الخضر" حيث تقوقع أفرادها المتمردون في أعماق الغابات، ونتيجة نجاحهم في شن حملات شديدة الضراوة على المواقع الحكومية وتوزيع ما يفتحونه منها على الفقراء حصلوا على تأييد ثورى من جانب الكادحين الأمر الذي ترتب عليه زيادة عددهم إلى حوالي ثمانين ألف في بضعة شهور – والأخرى انتفاضة "جيش الحواجب الحمر" [حيث كان أفرادها المتمردون يصبغون أهدابهم باللون الأحمر] التي تزعمها "فان تسونغ" عام ١٩م في محافظة جيو يشيان بمقاطعة شاندونغ واستطاع أن يضم حوله الآلاف من الفلاحين والكادحين ويقودهم في حملات عسكرية ضد المواقع الحكومية التي كانت موجودة في مقاطعات خنان وشنشى وشانشى.

ولمواجهة هذه الانتفاضات وجه الإمبراطور [ونغ مانغ] في عام ٢٢م قوة عسكرية إلى مقاطعة شاندونغ للقضاء على "جيش الحواجب الحمر" وقوة عسكرية أخرى إلى مقاطعة خنان للتصدي "لجيش الغابات الخضر" – إلا أن القوة الأولى قد ألحقت بهزيمة نكراء من جيش الحواجب

الحمر في معركة [دو نغبينغ] غربى شاوندنغ، وبعد ذلك بقليل ذاقت القوة الثانـــية هـــزيمة مماثلة على يد "جيش الغابات الخضر" في منطقة يشيان بمقاطعة خنان.

وأمـــام انهـــيار جيش الإمبراطور[ونـــغ مانغ] أصبح الطريق إلى العاصـــمة تشانغان مفتوحاً أمام جيوش الفلاحين التي توجهت بقوة نحوها وتمكنت من احتلالها بالتنسيق مع جماهير العاصمة التي قامت بثورة هى الأخـــرى وانضـــمت إليهم، وأسقطت حكم الإمبراطور"وانغ مانغ" معلنة زوال حكم هذه الأسرة في عام ٢٤م.

وأثـــناء هـــذه الأحداث – قام ابن أحد ملاك الهان الغربية ويدعى الأمـــير لـــيو شـــيو (٥ق.م – ٥٧م) بتكوين قوة من المسلحين في مدينة نانـــيانغ بمقاطعـــة خنان، واستطاع من خلالها أن يصبح قائداً في "جيش الغابات الخضر" وبذكاء ودهاء استغل مركزه القيادى في قتل عدد كبير من زعماء وقادة هذا الجيش وأنهى تماماً نفوذ "وانغ كوانغ" الذي اضطر إلى التقوقع والانسحاب الإجباري من الساحة السياسية.

وفـــي غمـــار هذه الأوضاع تمكن [لـــيو شيو] من احتلال مناطق عديـــدة بعـــد أن ازدادت قوته ونفوذه وانضمت إليه معظم فلول الاهداب الحمـــر، وتخلص من الزعماء المحليين الذين ظهور في أعقاب انتفاضات الفلاحين.

وبالتالـــي نجـــح فـــي اغتصاب ثمار النصر الذي حققه الفلاحون والكادحون ونصب نفسه إمبراطوراً بعد أن أعلن تأسيس أسرة جديدة هى أســـرة هـــان الشرقية في عام ٢٥م وأتخذ من مدينة [لويانغ] عاصمة لها، وأطلـــق علـــى نفســـه أسم الإمبراطور "كوانغ وو دى" وفي بعض الكتب والمراجع التاريخية يطلق عليه أيضا [قونغ سون شو][٤٤].

تشير بعض الأساطير الصينية بأن الإمبراطور"كوانغ وو دى" كان مسيطراً في الفترة الأخيرة لنظام حكم أسرة هان الغربية على مدينة **بايدى** التـي تقـع فـي الطرف الغربي لمضيق **تشيو يتانغ** الذي فيه يلتقي نهر اليانجستى مـع نهر **تساوتانغ**، وقيل بأنه كان يوجد في هذه المدينة بئراً انطلـق مـنه تنين أبيض إلى السماء، وبان **"كوانغ وو دى"** قد شاهد هذا الانطلاق وتلبس ظواهر هذا التنين واكتسب منه القوة والشجاعة التي تميز بهـا بعد ذلك، وبأنه عندما نصب نفسه إمبراطوراً على المجتمع الصيني وأسـس إمـبراطورية هان الشرقية في عام ٢٥م أطلق عليه أبناء الشعب لقـب **الإمبراطور الأبيض** كما سميت مدينة **بايدى** باسم **مدينة الإمبراطور الأبيض**(٤٥).

اسـتطاع الإمبراطور "كوانغ وو دى" أن يسيطر بقوة على معظم الأقالـيم الصينية وأن يعيد لها الأمان والاستقرار بعد أن أجرى العديد من الإصـلاحات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية ورغم أنه كان مصمماً على جمع ضريبة الأرض بالكامل حيث أمر بإجراء مسح جديد للأراضي الزراعـية وأصـدر قراراً بتحرير جميع العبيد حتى يعود جميع الفلاحين الذين انفصلوا عن الإنتاج إلى الزراعة إلا أن هذه الأوامر لم تنفذ بصورة جديـة بسـبب معارضـة ملاك الأراضي الذين مثلوا القاعدة الاجتماعية الكبرى في بداية عهد أسرة هان الشرقية ومنحوا امتيازات عديدة من أجل مساندة الحكومة المركزية في أحكام السيطرة على أوضاع البلاد(٤٦).

ولكـن مع مرور الزمن وبعد انتهاء حكم الإمبراطور "كوانغ وو دى" استجاب ملاك الأراضي لمطالب الفلاحين وقدموا بعض التنازلات في عهد الإمبراطور "مينغ دى" الذي حكم في الفترة ما بين عام (٥٨م- ٧٥م) ونتـيجة لذلـك بـدأ الاقتصاد يتحسن فاستصلحت الأراضي البور بأيدي

الفلاحيــن وأعيدت عمليات صيانة مشاريع الرى التي أهملت ولاسيما في مجــرى النهر الأصفر الذي كان مسرحاً للفيضانات – وبالتالي ازدهرت الزراعة[٤٧]، والصناعات المختلفة وعلى الأخص الصناعات المعدنية، كما حققــت الحرف اليدوية التي شملت نسج الحرير وضع الخزف والأوعية والآلات والأدوات الخشــبية تقدمــاً ملحوظاً في الكم والنوع – وعلى هذا الأساس شهدت قوى الإنتاج منذ بداية عهد أسرة هان الشرقية تطوراً كبيراً بالمقارنة مع عهد أسرة هان الغربية وخاصة بعد اختراع الورق عام١٠٥م علـــى يد العالم **تسأي لون**، والانتهاء من فتح طريق الحرير المتجه نحو المجــتمعات الغربــية بالكـــامل والذي على أثره انتعشت التجارة المحلية والخارجــية واتصـــل المجــتمع الصيني بالمجتمع الأوربي[٤٨]، ولتوثيق الروابط بينهما ، أوفدت حكومة الهان الشرقية في عام ٩٧م سفيراً لها إلى الإمــبراطورية الرومانــية يدعــى "**قان ينغ**" كما وصل وفد رومانى إلى الصين بحراً في عام ١٦٦م وقدم إلى الإمبراطور الصيني **هان هوان دى** (١٣٢م – ١٧٦م) هديــة ثمينة من العاج وكانت هذه الزيادة بداية التطور الهــائل في العلاقات الخارجية بين المجتمع الصيني ومعظم بلدان أوروبا [وذلك كما سنرى في الباب الثانى].

هــذا بالإضافة إلى الإنجازات الهائلة التي ظهرت أثناء هذه الفترة في ميادين العلوم والثقافة مثل:

* الكتاب الذي وضعه المفكر العظيم "**وانغ تشونغ**" عن فكرة التوازن وقــدم فيه تفسيرات منطقية عن الظواهر الطبيعية المختلفة من وجهة نظر علمــية بحتة معارضاً بذلك الاعتقادات الخرافية التي كانت سائدة من قبل في المجتمع الصينى.

* الابتكارات التي وضعها عــالم الرياضة والفلك الفــذ "**تشانغ هنغ**"

(٧٨م – ١٣٩م) حيث اخترع كرة فلكية تعمل بالطاقة المائية لرصد النجوم ومعرفة مداراتها، كما اخترع جهاز لرصد الزلازل وتحديد اتجاهاتها في عام ١٣٢م، وتمكن من خلاله تسجيل زلزال حدث في شرق مقاطعة قانسو، ومن المعروف أن هذا الجهاز لم يظهر في أوروبا إلا في عام ١٨٣٢م أي بعد ١٧٠٠م من اختراعه على يد **"تشانغ هنغ"**(٤٩). وسنوضح ذلك في الباب الثاني.

* الكتاب الطبي الذي ألفه عالم الطب **"تشانغ تشونغ جينغ"** (١٥٠م – ٢١٩م) والذي لقب من خلاله بلقب الطبيب المقدس.

* مسحوق "مافى" المخدر الذي اخترعه عام ١٤٩م الطبيب الفذ "هوا قوه" صاحب أول نظرية لعلاج الصداع بالإبرة الفضية – وكان يعطى هذا المخدر عن طريق الفم مخلطاً بالخمر واعتبر ثورة كبيرة في عالم الطب وشاع استخدامه بعد ذلك في معظم مجتمعات العالم القديم [وسنوضح ذلك في الباب الثاني].

* المدونات التاريخية والأدبية التي ظهرت في تلك الفترة مثل كتاب تاريخ الهان" الذي ألفه عالم التاريخ [بان قوه] (٣٢م – ٩٢م) وكتاب الأدب الصيني الذي وضعه [تشانغ خنغ] (٧٨م – ١٣٩م) وقد أعطت هذه المدونات برهاناً أكيداً عن مدى التقدم الملحوظ في الفكر الأدبي والفلسفي وفي كتابة التاريخ خلال فترة حكم أسرة هان الشرقية(٥٠).

* خلال المائة سنة الأولى لحكم أباطرة سلالة هان الشرقية ازدهرت أيضا الفتوحات الصينية – وأمكن من خلالها إعادة السلام في معظم أرجاء المجتمع الصيني خاصة بعد أن ثبتت الحماية الصينية على واحات تركستان نتيجة الغزوات المظفرة التي قام بها قائد الجيش الفذ **"بان تشاو"** وانتهت في عام ٩٤م، وترتب عليها تأمين طريق الحرير بالكامل من

غـارات القبائل البربرية، واستطاعت الصين بواسطة خيولها المدربة والمحطـات العديدة التي أقامتها على هذا الطريق أن تتصل بسهولة تامة وبـدون أي أخطار بأفغانستان والهند وإيران وبلاد العرب والإمبراطورية الرومانـية وأن تقيم على أثر ذلك علاقات مختلفة مع هذه البلدان وخاصة فـي الفـترة من (٩٨م – ١٢٧م) والتي على أثرها حدث التحام كبير بين أوروبا وشرق آسيا في الفكر الثقافي والفلسفي (٥١) ... بالإضافة إلى ذلك أن الديانة البوذية قد دخلت من الهند إلى الصين خلال الفترة(٦٠م – ٧٠م) بواسطة هذا الطريق الذي يعتبر إلى الآن من أهم الإنجازات العظيمة التي حققتها الحضارة الصينية في العصور القديمة(٥٢).

ولكن رغم هذا التطور الحضارى الهائل ظهر منذ بداية عام١٦٠م بـوادر الانحـلال تنخر في كيان المجتمع الصيني نتيجة لضعف شخصية ونفوذ الأباطرة الذين حكموا الإمبراطورية بعد هذا التاريخ فلم يتمكنوا من المحافظـة على وحدة البلاد وأحكام السيطرة الفعلية على حكام المقاطعات الذيـن عيـنوهم وعظم شأنهم من الامتيازات التي منحوها لهم، وبالتالي وقعـت السلطة الفعلية في أيدي هؤلاء وشاركهم فيها أقرباء الإمبراطور ورجـال البلاط الأمر الذي جعل الإمبراطور في حكم المعزول عن إدارة شئون البلاد.

- وعـن هذه الأوضاع تشير المراجع التاريخية الصينية بأنه خلال هـذه الفترة قد انغمس حكام المقاطعات والأمراء وأقرباء الإمبراطور في أمـور الفسـاد والترف على حساب عامة الشعب، وأن قصبورهم الفاخرة كانـت تتعفـن فيها المأكولات الشهية من كثرتها في حين كانت الشوارع تمتلـئ بجثـث الكادحين التي تجمدت من شدة الجوع وقسوة البرد – كما مارسـوا الرشـوة والاخـتلاس علنا وافسدوا القانون والقضاء، واستغلوا

الفقـــراء وابـــتزوا أمـــوال الشعب بأساليب بشعة ولم يكتفوا بسرقة خزينة الدولـــة بل تعدوا ذلك وقاموا بالسطو على المارة والأبرياء، وابعدوا ذوى الكفـــاءة والموهـــبة عن المناصب الرسمية حتى تخلو لهم الساحة من أي معارضة ويرتكبوا بحرية تامة كل أمور الفوضى والفساد.

- ومـــع تفشـــى هذه الأمور السيئة حدث تنافس وصراع شديد بين هـــؤلاء على السلطة حيث كانت كل فئة تجاهد من أجل أن تدمر الأخرى لاعتلاء عرش المجتمع الصيني بعد أن أصبح الإمبراطور في حكم العاجز عن إدارة شئون البلاد.

وقد ترتب على هذه الأوضاع الفاسدة قيام عامة الشعب بالعصيان والتمرد على هؤلاء الحكام والأمراء من أجل التخلص منهم ومن أساليبهم الظالمـــة ... وفـــي ذلـــك يقـــول شاعر مجهول عن تلك الحقبة بأن [هذه الأوضـــاع قـــد حتمـــت على الجياع أن يشهروا سيوفهم في وجه هؤلاء الفاسدين وهم لا يجدون في بيوتهم أن كان لهم بيوت ما يأكلونه] (٥٣)

وعلى اثر ذلك هب الكادحين في وادى اليانجستى الأوسط والأسفل وشـــبه جزيرة شاندونغ ضد هؤلاء وضد نظام حكم هان الشرقية، وتزعم هـــذا الانتفاضـــة **"تشانغ جياو"** وفي بعض المراجع التاريخية يطلق عليه **"هوانـــغ جيـــن"** وهـــو من مقاطعة خبى، ويقال بأنه في بداية ظهوره قد استحدث دينا جديدا يسمى **[تاي بينغ تاو]** دعا إليه في أوساط الجماهير، وخـــلال عشرة أعوام من الدعوة أنضم إليه مئات الألوف فنظمهم في ٣٦ وحدة، وبلغ عدد الوحدة منها ما بين ١٠ الف إلى ١٢ الف فرد.

وعلـــى أثر هذه الزعامة التي اكتسبها قرر القيام بانتفاضة شاملة للإطاحة بنظام حكم أسرة هان الشرقية حدد موعدها في يوم ٥مارس عام ١٨٤م، إلا أن خطـــته انكشـــفت بخيانة من أحد اتباعه فاضطر إلى تقديم

موعـــد الانتفاضـــة إلـــى فبراير، فجهز جيشه الذي سمى "**جيش الشالات الصفر أو العمامات الصفراء**" (لان مقاتليه كانوا يتلفعون بها) وشن هجوماً مفاجــئاً على المواقع الحكومية واستولى بقواته على مدن عديدة بمقاطعتى **خبى وخنان** وحاصر العاصمة **لويانغ** – وأمام هذا الهجوم الساحق نظمت القوات الحكومية صفوفها وقامت بهجوم مكثف على جيش الشالات الصفر فـــدارت بين الطرفين سلسلة من المعارك الشرسة أسفرت عن انتصارات أولية لجيش الشالات الصفر، إلا أنه أثناء ذلك القتال توفي زعيم الانتفاضة "**تشـــانغ جـــياو**" بســـبب تعرضه لمرض مفاجئ في عام ١٨٥م، وتولى الـــزعامة من بعده شقيقه الأصغر "**تشانغ ليانغ**" الذي واصل القتال ووجه ضـــربات مميـــتة للقوات الحكومية أدت إلى شل حركتها تماماً في عـــام ١٨٦م ... ولكن بعد أن اعتقد جيش الشالات الصفر بأن كفتهم قد رجحت نهائـــياً وأن النصر قد أصبح حليفهم، شنت عليهم القوات الحكومية هجوماً مباغـــتاً اربكهم وأدى إلى قتل قائدهم "**تشانغ ليانغ**"، وبدأت على اثر ذلك سلســـلة جديـــدة من المعارك الشرسة بين الطرفين استمرت ما يزيد عن ســـبعة شـــهور أنهـــك فيها جيش الانتفاضة من الضربات المتلاحقة التي انهالـــت عليه من القوات الحكومية المدعمة بقوات ملاك الأراضي، الأمر الذي أدى إلى إلحاقهم بهزيمة ساحقة أنهت هذه الحرب في عام ١٩٩م.

ورغم أن هذه الانتفاضة قد قضى عليها في هذه الحرب إلا أن ذلك لـــم يكـــن غـــير نصر مؤقت لأسرة هان الشرقية حيث تلاشت تماماً بعد عشرين عاماً للأسباب الآتية:

* المعـــارك المريرة التي دارت بين جيش الحكومة وقوات الشالات الصـــفراء قد أنهكت قوى السلطة المركزية وأحدثت أزمة اقتصادية داخل كيان المجتمع الصيني.

* الجهود التي قامت بها الحكومة لصد انتفاضات الفلاحين، وجعلتها تنشأ جيوشاً محلية تشرف عليها سلطات الأقاليم مع قوات ملاك الأراضي- قد أتاح الفرصة لرجال البلاط والأمراء وحكام المقاطعات أن يستغلوا في فرض نفوذهم الشخصي ويتصرفوا كأنهم ملوك بلا سلطان عليهم -- ولذلك حدث بعد القضاء على قوات الشالات الصفراء صراعات عنيفة بينهم طمعاً في السلطة العليا (تشبه الصراعات الدامية التي حدثت من قبل في عهد الإمارات الإقطاعية والممالك المنفصلة المتحاربة) مما أدى إلى ظهور اضطرابات سياسية شديدة عمت معظم الأقاليم الصينية.

* بقايا قوات الشالات الصفراء التي نجت من المعارك الشرسة التي انتصر في نهايتها جيش الحكومة - قد انتشرت في مقاطعات عديدة وواصلت النضال ضد السلطة ونظام حكم سلالة هان الشرقية، مما أدى إلى حدوث توتر سياسي مستمر وعصيان وتمرد من جانب الفلاحين.

* القبائل البربرية قد انتهزت هذه الأوضاع السيئة واستعادت قوتها مرة أخرى وأخذت تشن غارات مستمرة لتحطيم قوى أسرة هان الشرقية مع سلب ونهب خيرات بعض المدن الصينية وعلى الأخص التي كانت تقع بالقرب من الحدود الشمالية.

وأمام هذه الأمور التي أشاعت في معظم أنحاء المقاطعات الفوضى والانحلال وأنزلت خسائر فادحة في أرواح الشعب وممتلكاته انهارت إمبراطورية هان الشرقية وعزلت رسمياً عن الحكم في عام ٢٢٠م- وترتب على ذلك تفتيت وحدة المجتمع ودخول الصين عصر آخر يطلق عليه المؤرخون عصر الانشقاق (٢٢٠م - ٢٦٥م) حيث انقسم المجتمع الصيني إلى ثلاث ممالك "وى - شو - وو" واستمر هذا التقسيم وتطور من خلاله النظام الإقطاعي الذي اتسعت فيه هوة

المتناقضات الاجتماعية بين أبناء الشعب حتى توحدت الصين مرة أخرى بعد تأسيس إمبراطورية جين في عام ٢٦٥م التي انهارت بسبب الصراعات الشديدة على السلطة بين الأرستقراطيين في عام ٣١٦م، وتفتت على أثرها الصين مرة أخرى وقسمت إلى ست عشرة مملكة في حقبة عرفت في تاريخ الصين بحقبة الممالك الست عشر التي شاع فيها الفوضى والانحلال إلى أن تمكنت مملكة وى الشمالية من توحيد البلاد عام ٣٨٦م.

وترتيباً على ما تقدم سنكتفي بعرض هذه الأحداث التاريخية عن عصور الصين القديمة – حيث سنعتبر تاريخ سقوط أسرة هان الشرقية عام ٢٢٠م وتقسيم الصين إلى ثلاث ممالك مدخلاً للعصور الوسطى المبكرة للمجتمع الصيني ثم ظهور أسرة جين الغربية هو البداية الواقعية لهذه العصور(٥٤).

وبالتالي فإن السجل التاريخي للحضارة الصينية قد افتتح في العصر الحجري القديم ثم الحديث – وأن المجتمع الصيني قد انتظم كيانه السياسي والاجتماعي وتألق حضارياً منذ ظهور عصوره القديمة التي بدأت بتأسيس مملكة [شيا] في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد – حيث دون في هذا السجل الجهود المميزة التي قام بها الشعب الصيني في بناء كيانه وحضارته التي تعتبر من أعظم حضارات العالم القديمة – كما أشير فيه بكل فخر كفاح ونضال هذا الشعب ضد الظلم والاستبداد، ومدى قدرته القوية في إسقاط أنظمة الحكم الفاسدة التي ظهرت خلال تلك الفترة من أجل أن يعيش في ظل العدل والمساواة وعلى أسس من الترابط والتآخي والوحدة الوطنية.

وفي ختامنا لهذا الباب نود أن نشير بأنه إذا كان جميع المؤرخين والباحثين في تاريخ الحضارة الصينية القديمة قد اتفقوا في الرأي بأن نظام

الحكم في المجتمع الصيني القديم منذ بداية حكم أسرة شيا في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد وحتى نهاية حكم أسرة هان الشرقية عام ٢٢٠م، كان يقوم على النظام المطلق الذي من خلاله كان الملك أو الإمبراطور يجمع في يده كل السلطات ويجبر جميع أفراد شعبه على الطاعة والالتزام بجميع أوامره وتصرفاته حيث كان "كما وضحنا في الفصول السابقة" هو القائد الأعلى للجيش وصاحب كل الصلاحيات المطلقة في إدارة شئون المجتمع وتنظيم أمور الشعب، سواء كان الكيان السياسى للمجتمع الصيني قائم على نظام العبودى أو الإقطاعي أو الأرستقراطي أو النظام الاختياري الحر .. كما اتفقوا أيضا بأن نظام الجلوس على عرش المجتمع الصيني من حلال حكم الأسر التي تعاقبت عليه كان وراثى بأن يخلف الابن الأكبر أباها الملك في الحكم أو يختار الملك في حياته من يخلفه من أبنائه سواء كان الأوسط أو الأصغر أو يوصى بالحكم من بعده لأحد أشقائه – أي اتفقوا بان نظام الحكم كان مطلق ويقوم على حق الولادة إلا إذا حدث اغتصاب للسلطة وتم الاستيلاء على العرش عنوة واعتلى الحكم ملك أو إمبراطور آخر لا ينتمي بأي صلة قرابة للملك أو للإمبراطور السابق وذلك مثل ما حدث عندما كانت تستولى أسرة على حكم أسرة أخرى كما وضحنا في عرضنا السابق – إلا انهم اختلفوا في الرأي حول مدى توافر الروح الديمقراطية في الكيان السياسي للشعب الصيني خلال العصور القديمة... فبعضهم قرر بأن الصين القديمة لم تعرف مطلقا أي نظام ديمقراطي ... والبعض الآخر قال عكس ذلك وأكد بان الروح الديمقراطية كانت معروفة ومتوافرة في كيان المجتمع السياسي منذ بداية حكم أسرة شيا حتى نهاية حكم أسرة هان الشرقية.

- وحيث أن تعريف الديمقراطية بمعناها العام يعنى حكم الشعب بالشعب وللشعب.

- فأننا نتفق مع أصحاب الرأي الثاني وذلك لوجود العديد من الدلائل والأحداث التاريخية التي تشير وتؤكد بأن روح الديمقراطية قد ظهرت وعرفت في المجتمع الصيني القديم وأهمها يتلخص في الآتي:

* منذ بداية عهد أسرة شيا والفكر الصيني يتطور في مسألة الحكم حتى اصبح يشمل مفهوم عام بأنه للشعب وبموافقة الشعب وليس من الحكومة للشعب.

* استقرار الأمان والسلام والمحافظة على النظام في المجتمع الصيني القديم لم يرتكز كما وضحنا في الفصول السابقة على سلطان ونفوذ وسطوة الحكومة المركزية أو بما تملكه من جيش منظم ومدرب، بل كان على اقتناع الشعب بصلاحية نظام الحكم والدليل على ذلك التمرد والعصيان الذي حدث مرات عديدة من عامة الشعب الصيني خلال تلك العصور القديمة عندما كان الملك أو الإمبراطور يظلمهم أو يستبدهم .

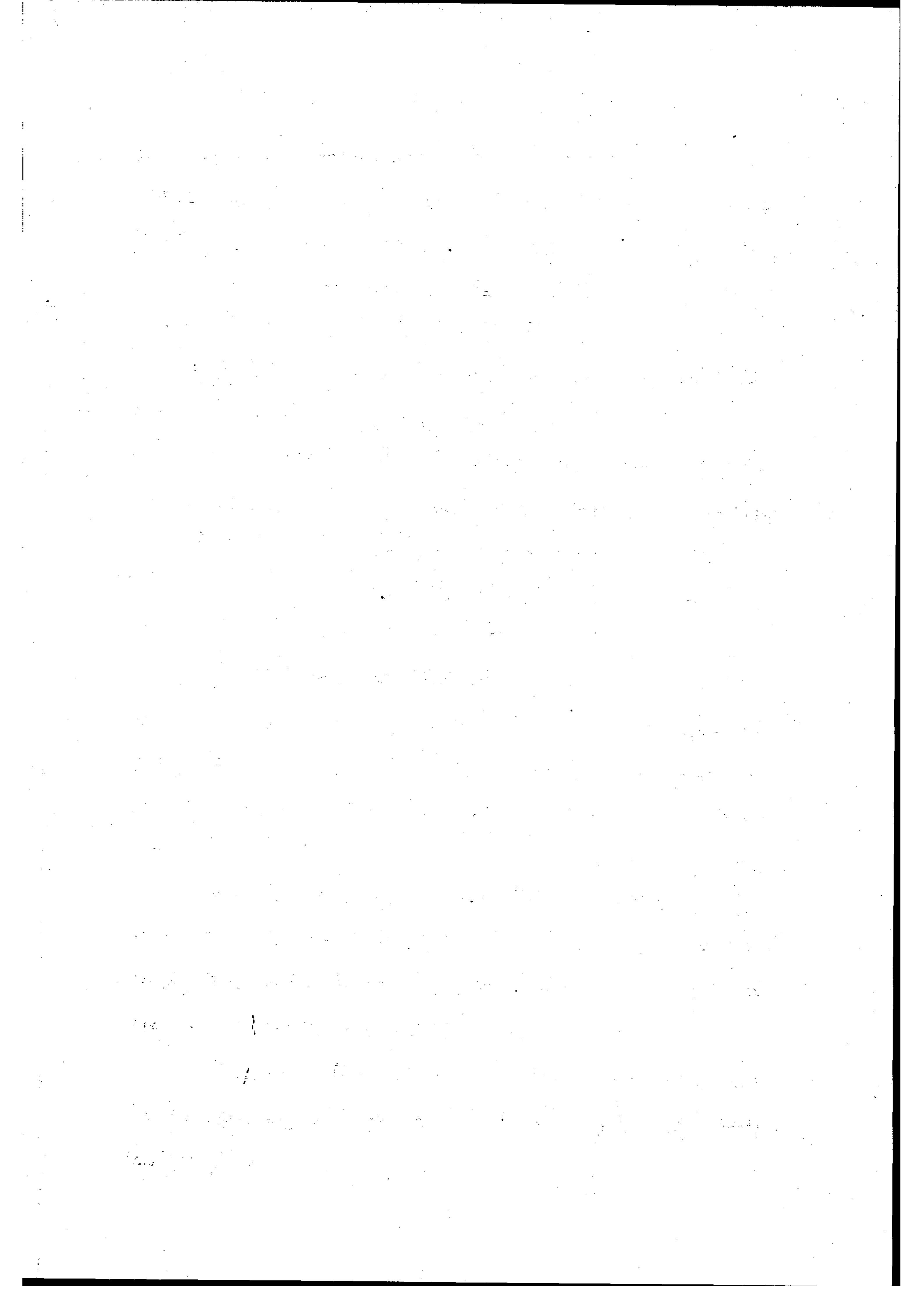
* الثورة على الأوضاع الظالمة كانت حق مسلم به للشعب الصيني منذ بداية العصور القديمة - وقد نص على هذا الحق في كتاب التاريخ [الذي يتألف من عدد كبير من البلاغات والتوجيهات والتصريحات والخطب التي ادلى بها الحكام والحكماء ابتداء من مطلع التاريخ الصيني أو منذ بداية عصر الإمبراطورين الأسطوريين ياو - وشون] وكتاب **منسيوش** المعلم الثاني للكونفوشيوسية ، [ومركز هذا الفيلسوف بالنسبة لكونفوشيوس كمركز أفلاطون بالنسبة لسقراط] حيث وضع في كتابه الذي يطلق عليه [**مصنفات منسيوش**] أفكار فلسفية عديدة طورت اتجاهات كونفوشيوس وخاصة فيما يتعلق بأسس الديمقراطية السليمة والمحبة السامية بين أفراد الشعب - وفي ضوء هذه المفاهيم عرف الشعب الصيني بأن نظرية الثورة مستندة على فكرة (**تفويض السماء**) ومعناها أن السماء

قد عهدت إلى الحاكم بأن يحكم الشعب لما فيه خيرهم وسعادتهم – فإذا انحرف وظلمهم واستعبدهم واستبد هم يكون قد أضاع حقه في حكمهم ويقتضي في ذلك الأمر أن يقوموا بالثورة عليه لعزله ليتولى الحكم من بعده حاكم أخر اصلح منه– وخير دليل على ذلك ما عرضناه بالفصول السابقة حيث اتضح من خلالها بأن الشعب الصيني لم يترك ملك أو إمبراطور ظلمهم واستبد هم بقسوة وإنما قاموا بالثورة ضده وتمكنوا من إسقاط حكمه إما بقتله أو بطرده وخلعه من على كرسي العرش.

وفكرة (**تفويض السماء**) لا تطابق نظرية (**الحق الالهى**) التي ابتدعها ملوك أوروبا لأنفسهم من أجل أن يبرروا حكمهم المطلق وتصرفاتهم المليئة بالاستبداد والقسوة والظلم حيال شعوبهم، وإنما تتعارض معها تماماً وبالتالي لم تعرف الصين مطلقاً خلال عصورها القديمة نظرية الحق الإلهي التي لا يمكن أن تظهر معها أي أفكار أو مفاهيم ديمقراطية داخل المجتمع.

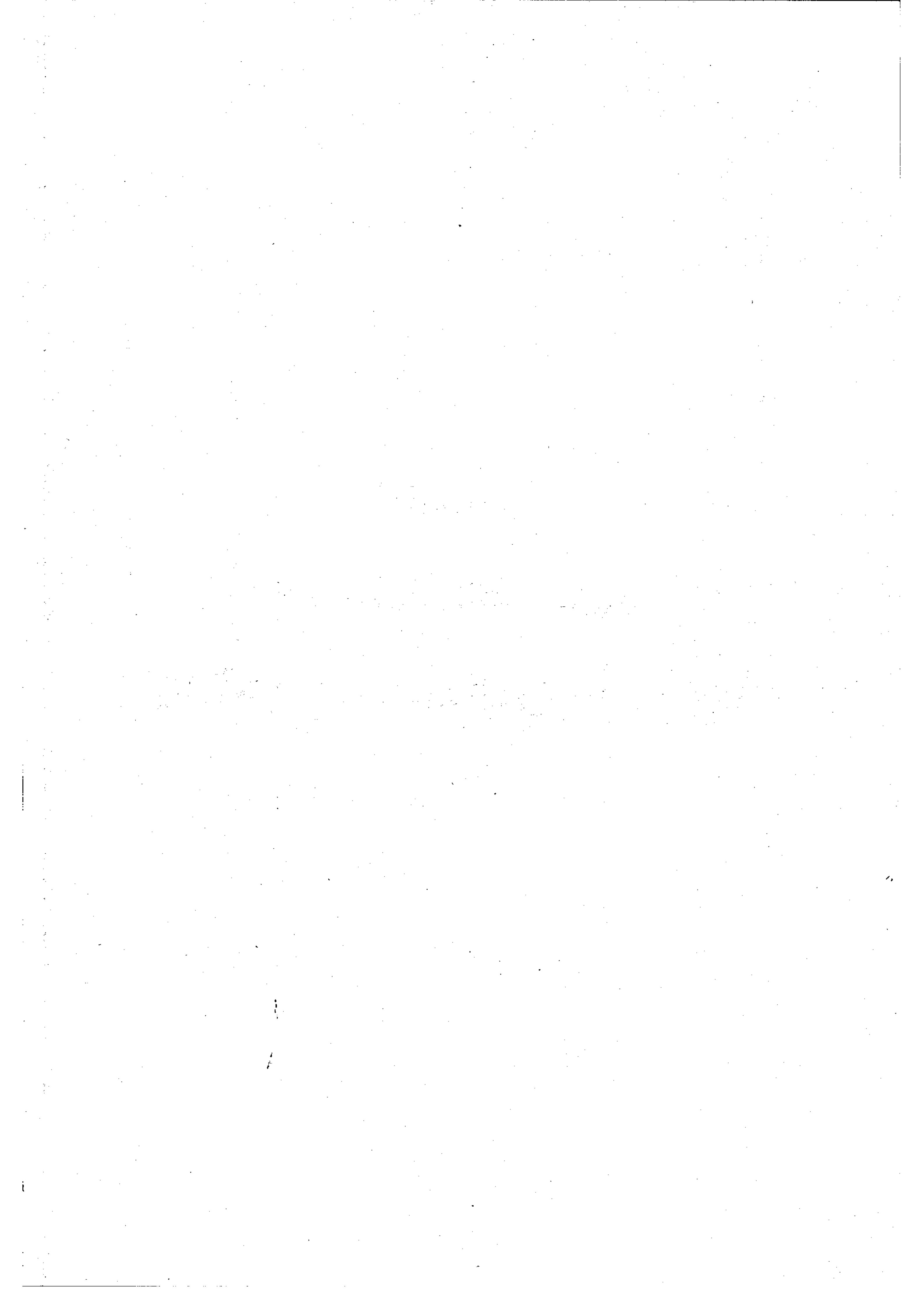
بعد أن تم القضاء على النظام الإقطاعي الذي ظهر أثناء حكم أسرة تشو الغربية وتحطيم نظام امتيازات النبلاء الذي توغل في المجتمع الصيني وعلى الأخص خلال فترة حكم أسرة تشو الشرقية – فقد تم تطبيق نظام اختيار موظفي الدولة من بين عامة الشعب المشهود لهم بالعلم والكفاءة والنزاهة والعدل والحكمة أبان حكم أسرة هان الغربية وخاصة بعد أن نص عليه صراحة في القانون الذي قام بوضعه الإمبراطور [**هان وو دى**] الذي جلس على عرش المجتمع الصيني في عام ١٤٠ق.م ليكون مصداقاً للمثل الصيني القائل منذ فجر التاريخ "يتساوى الناس جميعاً في لون دمائهم" وذلك كخير تعبير عن انتعاش الديمقراطية في هذا العهد.

وعلى هذا الأساس فقد عرف الشعب الصيني القديم مفهوم الديمقراطية وهو بذلك يعتبر من أوائل شعوب العالم القديم تمتعاً بالخلق الديمقراطي(٥٥).



الباب الثاني

أهم النظم الاقتصادية
والثقافية للحضارة الصينية القديمة



تقديم :

إذا كان المجتمع الصيني من أقدم المجتمعات الإنسانية كما وضحنا في الباب الأول، فأن حضارته أيضا من أزهى حضارات العالم القديم - صنعها الشعب الصيني بالعزيمة والكفاح والتحدى، وتألق بها على مر العصور القديمة بين المجتمعات الأخرى في الشرق والغرب.

- ورغم أن المجتمع الهندى كما يقول معظم المؤرخين قد اشترك مع المجتمع الصيني منذ بداية العصر الحجرى الحديث وطوال العصور القديمة في إظهار ملامح حضارة جنوب شرق آسيا حيث كانوا في تلك الفترة هما القطرين الوحيدين في هذه المنطقة الذين يملكان الحياة المستقرة والترابط المتحد والقوة الفعالة في تحقيق الإنجازات - إلا أن كلٌ منهما قد كون حضارته بأساليب ونظم وعلاقات مختلفة عن الآخر وأن كانوا قد تشابها إلى حد ما في الظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية[١] - ولذلك قرر بعض المؤرخين بأن الحضارة الصينية كانت منذ بداية ظهورها على نقيض الحضارة الهندية نتيجة تميز كل منهما بخصائص معينة أهمها يتلخص فيما يلى:-

١ - الحضارة الهندية كانت لها منذ بداية ظهورها علاقات عديدة ومتنوعة مع حضارات المجتمعات الغربية وعلى الأخص الإغريقية والرومانية، فقد زارها هيرودوت في الفترة من عام ٤٧٠-٤٢٩ق.م ووصف حضارتها بالروعة والتطور في المصادر اليونانية، وبعد أن فشلت حملة الاسكندر الأكبر على أراضيها لضمها إلى الإمبراطورية الإغريقية عام ٣٢٧ق.م، أقامت علاقات دبلوماسية وطيدة مع سوريا ومصر ومقدونيا والقيروان وبلاد ما بين النهرين، كما عين الإغريق بعد وفاة الاسكندر الأكبر عام ٣٢٣ق.م سفيراً لهم في الهند يدعى **ميجاستين**

وصـف خـلال فـترة عمله بها أهل المدن الهندية بأنهم [لا يكذبون ولا يسرقون، وبأنهم عندما يكتبون العقود يقولون أن الشهود والأختام لا حاجة إلـيها] – هذا بالإضافة إلى قانون مانو الذي أعده فقهاء الهند منذ ١٠٠٠ سـنة ق.م وانتشر في كل مجتمعات العالم القديم، حيث كان يحتوى على قواعـد قانونـية عديدة تتعلق بالعلاقات الدولية المختلفة من حرب وسلام وتمثـيل دبلوماسـى وسـفارات وكانـت نصوصه على درجة كبيرة من الأسـلوب الـراقى المهذب المعبر عن ضرورة حسن المعاملة الإنسانية والتسامح والمحبة والود مع كافة شعوب دول العالم القديم ... وذلك كدليل على أن الحضارة الهندية قد ارتبطت بعلاقات دولية عديدة مع المجتمعات الأخرى في الشرق والغرب.(٢)

أما الحضارة الصينية فقد تقدمت وتألقت وهى تدير ظهرها، دون أن تلتفت إلى مجتمعات عالم البحر الأبيض المتوسط، أى اتجهت مباشرة بنظرها نحو المحيط الهادى ولم ترتبط بأى علاقات وطيدة مع المجتمعات الغربية إلا بصفة غير مباشرة في العهود الأخيرة لعصر إمبراطورية هان بعـد أن تـم إنشاء طريق الحرير بالكامل وتأمينه بالحصون والمحطات الدفاعـية "كما سبق أن وضحنا في الباب السابق" ... وقد ترتب على ذلك تشـبع التطور الثقافي والاجتماعي للحضارة الصينية بطابع البيئة المميزة للشـعب الصـيني في جنوب شرق آسيا في حين تأثرت النواحي الثقافية والاجتماعية للحضارة الهندية ببعض ملامح الحضارة الغربية التى تأثرت هى الأخرى في مراحل تطورها بالفكر الأدبي والفلسفي للحضارة الهندية نتـيجة العلاقـات المسـتمرة التى تمت بين الحضارتين طوال العصور القديمة.(٣)

٢ – الحضارة الهندية ظهرت كما يشير معظم المؤرخين وعلى الأخص

اندريـــه ايمـــارد وجانين اوبوايه وهى مليئة بطباع ونظم وعادات وتقاليد وعقـــائد ولغـــات متعددة وبعضها كان في تناقض شديد، وذلك نتيجة أن أراضـــيها العامـــرة قد هاجر إليها منذ آلاف السنين أجناس عديدة جاءت معظمهـــا مـــن الشمال الغربى لممرات جبال الهملايا وجبال سليمان ومن الشمال الشرقى لمجرى نهر براهما، وكان جميع المهاجرين يتدفقون عليها بقصـــد الاستقرار في سهولها الخصبة حيث كانت قطر متسع وبه الأنهار العديدة والأراضى الصالحة للزراعة في فترات الصيف والشتاء، وبالتالي أصـــبح لســـكان الهـــند القديمـــة طابع خاص حيث اختلطت فيه الأجناس والســـلالات المخـــتلفة مثل قبائل الدرافيديين التى سكنت الهند منذ حوالي سنة ٣٠٠٠ق.م وينتمون إلى جنس شعوب البحر الأبيض المتوسط وجاءوا إلـــى الهـــند من الغرب عن طريق ممرات جبال سليمان وهضبة بلوشتان وانتشـــروا في شمال الهند وخاصة في مناطق سهول نهرى السند والجانج ولا يـــزال يوجـــد بقية منهم تعيش وتستقر حتى الآن في منطقة بلوشتان ويعـــرفون بأســـم جماعـــة البراهوى ويتكلمون اللغة الدرافيدية، وقبائل الآريـــون الذيـــن هاجـــروا إلى الهنـــد خـــلال الفترة مـــا بين سنتي ١٦٠٠-٨٠٠ ق.م عن طريق ممر خيبر وكانوا يتكلمون اللغة الآرية وهى "السانسكريت القديمة" التى انتشرت في سهول الجانج والسند وامتدت بعد ذلـــك إلى مناطق أخرى في شمال الهند، وعلى أثر ذلك تعددت الأجناس واللغـــات والأديان والعادات والتقاليد داخل الشعب الهندى وان كانوا رغم هـــذا الاختلاف قد أعطوا أكبر تعبير يؤكد وحدة البشرية حيث تماسك هذا الشـــعب واندمج في بوتقة الحياة وازدهر وابتكر في كافة العلوم الإنسانية وفي فلسفة الأخلاق.(٤)

أمـــا الحضـــارة الصـــينية فقد ظهرت وتقدمت وتألقت على نظم

وعـــادات وتقاليد وعقائد ولغات شبه متحدة نتيجة التلاحم المتين بين قوى الشعب المستند إلى الوحدة العرقية - كما كان للنظام الإقطاعى الذي ظهر بوضـــوح فـــي عهــد الإمارات والممالك المنفصلة، والنظم القومية التى ظهرت في العصر الإمبراطورى دور هام في تدعيم وحدة الشعب الصيني فـــي العقـــائد والطباع والثقافة حيث فرضت هذه الأوضاع وبشكل منظم ومستديم مجموعة متناسقة من الأفكار والتقاليد.(٥)

هـــذا رغـــم أن الشـــعب الصيني الذي بلغ تعداده في العام الثانى المـــيلادى ٦٠مليون نسمة وحالياً ١,١٣مليار نسمة ينتمى إلى ٥٦ قومية- وأن كانـــت قومية هان هى قوام الأمة الصينية حيث يمثلون ٩١,٨٪ من مجمـــوع ســـكان الصين - أما القوميات الأخرى وعددها ٥٥ فأنها عبارة عن أقليات تمثل ٨,٢٪ فقط من سكان الصين بعضها يصل عدد أبناء كل مـــنها الآن إلـــى حوالـــي ملـــيون نسمة وهى [المغول، وهوى، والتبت، والويغـــور، ومياو، ويى، وتشوانـغ، وبويى، وكوريا، ومنشوريا، وتونـغ، وياو، وباى، وتوجيا، وهانى، وقازاق، وداى، ولى] - وقوميات عدد أبناء كل منها الآن يزيد عن ١٠٠ آلف نسمة دون المليون وهى [ليسو، وشه، وقاوشان، ولاقو، وشوى، ودونغشيانغ، وناشى، وجينغبوه، وقرغزوتو، وداوور، ومـــولاو، وتشيانغ، وقهلا، وشيبوه] أما القوميات التى يقل عدد أبناء كل منها الآن عن ١٠٠الف نسمة فهى عبارة عن [بولانغ، ودولونغ، وســـالار، وماونـــان، واتشانغ، ونو، وتاجيك، وازبيك، وروسيا، والتتر، واونكه، واولونتشون، ودانغ، وجينوه، وباوان، ويوقو، وجينغ، وختشه، ومنـــبا، ولوبـــا] هذا بالإضافة إلى وجود عدد من سكان مقاطعات يوننان وقويتشو وسيتشوان ومنطقة التبت لم تحدد انتمائيتهم القومية حتى الآن.

ومعظـــم هـــذه الأقلـــيات تســـكن في المناطق الجبلية والهضبية

والــرعوية والغابــية على حدود الصين حيث تتوافر فيها ثروات وموارد عديــدة، وأيضا رغم أن لكل من ٥٤ قومية من بين ٥٥ قومية [حيث أن قومــية هوى تشترك مع قومية هان في النطق بلغة واحدة وهى لغة هان] لغــة خاصة على الأقل إلا إن التفاهم بين هذه القوميات من حيث اللغة لم يكــن على مر التاريخ شاذاً على الإطلاق - وبالتالي رغم تعدد القوميات وتعــدد اللغــة إلا أن ذلك لم يؤثر على التلاحم الذي تم بين أبناء الشعب الصــيني منذ فجر التاريخ وأن هذا التلاحم قد استند عليه هذا الشعب في بناء حضارته.(٦)

٣ - المجــتمع الهندي وأن كان قد تعرض لاضطرابات وحوادث دامية في بعض مراحل تطوره نتيجة اختلاف الأجناس والسلالات التى هاجرت إلــيه واختلطت في كيانه "كما سبق أن وضحنا" وذلك مثل قبائل الآريون الذيــن دخلوا الهند عن طريق ممر خيبر كغزاه فاتحين في الفترة ما بين عــامى ١٦٠٠-٨٠٠ ق. م ووقع بينهم وبين سكان البلاد معارك ضارية حتى كتب لهم البقاء بالقوة في شمال الهند واندمجوا في حياة مشتركة مع بــاقى الســكان ونشروا لغتهم المعروفة باللغة الآرية وهى "السانسكريت القديمــة" وديانتهم التى كانوا يحملونها وهى "الديانة البراهمية" في معظم أنحــاء الأراضي الهندية إلي جانب اللغات والديانات الاخرى(٧) - إلا أن الهند رغم احداثها وظروفها الداخلية قد فضلت التوسع وجذب بعض البلاد والمجــتمعات الاخــرى المنتشرة حول حدودها لنظامها وسياستها وكونت معهــا تآلف وحدوي بالوسائل السليمة حيث كانت غنية بالدعاوى الدينية والمــبادئ الفلسفية العديدة التى أكسبتها القدرة علي إقناع الغير بالاحترام والــتقدير فــنظروا إلــيها بنظرة تسامح وود وانجذبوا إليها واتحدوا معها وخضــعوا طواعية لنظامها وسياستها دون الالتجاء إلى المعارك الحربية

وفـرض الـنفوذ بـالقوة، أى أن الحضارة الهندية قد فرضت نفسها على المجتمعات الاخرى اعتماداً على تفوق ثقافتها الأدبية والفلسفية.(٨)

أمـا المجتمع الصيني فلم يتبع هذه الوسائل السلمية دائما وإنما توسع واخضع جميع المناطق والأقاليم التى كانت تقع داخل حدوده وخاصة الحدود الشـمالية بالحـرب والقوة مع فرض نظمه وقوانينه وعاداته وتقاليده ولغته ودياناته الأساسية عليها، وذلك حتى يحقق سيطرته الفعلية ويزيد من مساحة إقلـيمه، أي أن السيطرة الصينية على الأقاليم والمناطق المختلفة كانت نتيجة الغـزو الكـامل مـع تدعيم هذا الغزو بفرض مجموعة من القوانين والنظم الاجتماعـية والاقتصادية والثقافية السائدة في المجتمع الصيني لكي يلتزم بها ويتـبعها شـعب هذه الأقاليم والمناطق ليسير خضوعاً وطواعية تحت نفوذ السـيادة الصـينية(٩) وذلك مثل قبائل **شيونغنو** التى استسلمت وخضعت بعد معـارك ضـارية عـام ٥١ ق.م وتحولـت أراضـيها إلى إقطاعية تابعة لإمبراطورية هان الغربية "كما وضحنا في الباب السابق".

٤ - اتسمت الحياة الروحية وأمور العبادات والطقوس الدينية في المجتمع الصـيني بالاسـتقرار وعـدم الارتياب والقلق وذلك نتيجة للأسباب السابق الإشارة إليها.

أمـا المجتمع الهندي فقد كان عكس ذلك تماماً حيث ظهرت فيه منذ بدايـة مـراحل تطوره تعدد واضح في الديانات والأمور الخاصة بالعبادات والطقوس الدينية، وهذا التعدد لم يكن في تناسق وإنما كان يتمثل في اتجاهات مخـتلفة للعقـائد والأفكـار التـي أدت إلى إحداث قلق وتوتر مستمر وعدم استقرار في الحياة الروحية داخل المجتمع الهندى.

٥ - المجـتمع الهندي جعل من الحكمة والآراء الفلسفية أساساً لوضوح الحياة الإنسانية على مر العصور القديمة.

أما المجتمع الصيني فقد اعتبر النظام والسيطرة على الذات أساساً للاستقرار والطمأنينة في الحياة وأن كل فرد من أفراد الشعب يجب أن يتبع النظام ويهذب نفسه ويتحرر من الخطيئة حتى يستطيع أن يعيش في أمن وسلام كما اعتبر الوجهة الأدبية التقليدية للأفراد هي بمثابة مدى التزامهم بقواعد النظام المقررة من جانب السلطة الحاكمة.

٦- المجتمع الهندي كان يأخذ في الغالب بالوسائل التقريبية في الأمور الاقتصادية والاجتماعية دون التمسك بالشكلية والضوابط المحكمة.

أما المجتمع الصيني فقد كان عكس ذلك تماماً حيث جعل من الدقة والانضباط أساساً لكل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولذلك فقد تميز بوضوح في المكاييل والموازين والمقاييس والأرقام الحسابية ودقة المسافات واعتبرها مبادئ علمية تمسك بها والتزم بتطبيقها كأساس لانتظام الحياة الإنسانية داخل المجتمع.

٧- المجتمع الصيني تميز ببعض الزراعات مثل الذرة والارز والأعشاب الطبية وبعض الصناعات مثل الخزف والورق والأواني الفخارية والمنسوجات الحريرية المطرزة والمصنوعة من خيوط دود القز.

أما المجتمع الهندي فقد تميز بزراعات وصناعات أخرى عديدة مثل اكتشافه لزراعة القطن وغزله وتصنيعه في شكل منسوجات قطنية رفيعة، انتقلت بعد فترة تزيد عن مائة عام إلى مجتمعات العالم القديم في الشرق والغرب.

ولكن رغم هذا التباين الظاهر في تطور الحضارتين الهندية والصينية إلا أن هذا لا يعنى بأن كل منها كانت منفصلة عن الاخرى، وإنما كانت بينهما اتصالات دائمة واندمجت آثارهما وتشابكت ثقافتهما في نواحي عديدة وبشكل يثير العجب في مناطق عديدة مثل منطقة الهند

الصينية ومنطقة نيبال ومنطقة التبت – كما كانت الديانة البوذية من أقوى عناصـــر هذا التلاقي بين الحضارتين حيث ظهرت داخل المجتمع الهندى خـــلال القرن السادس قبل الميلاد، ودخلت المجتمع الصيني في الفترة ما بين سنتى (٦٠-٧٠م) عبر طريق الحرير[١٠] [كما سبق أن وضحنا في الباب السابق].

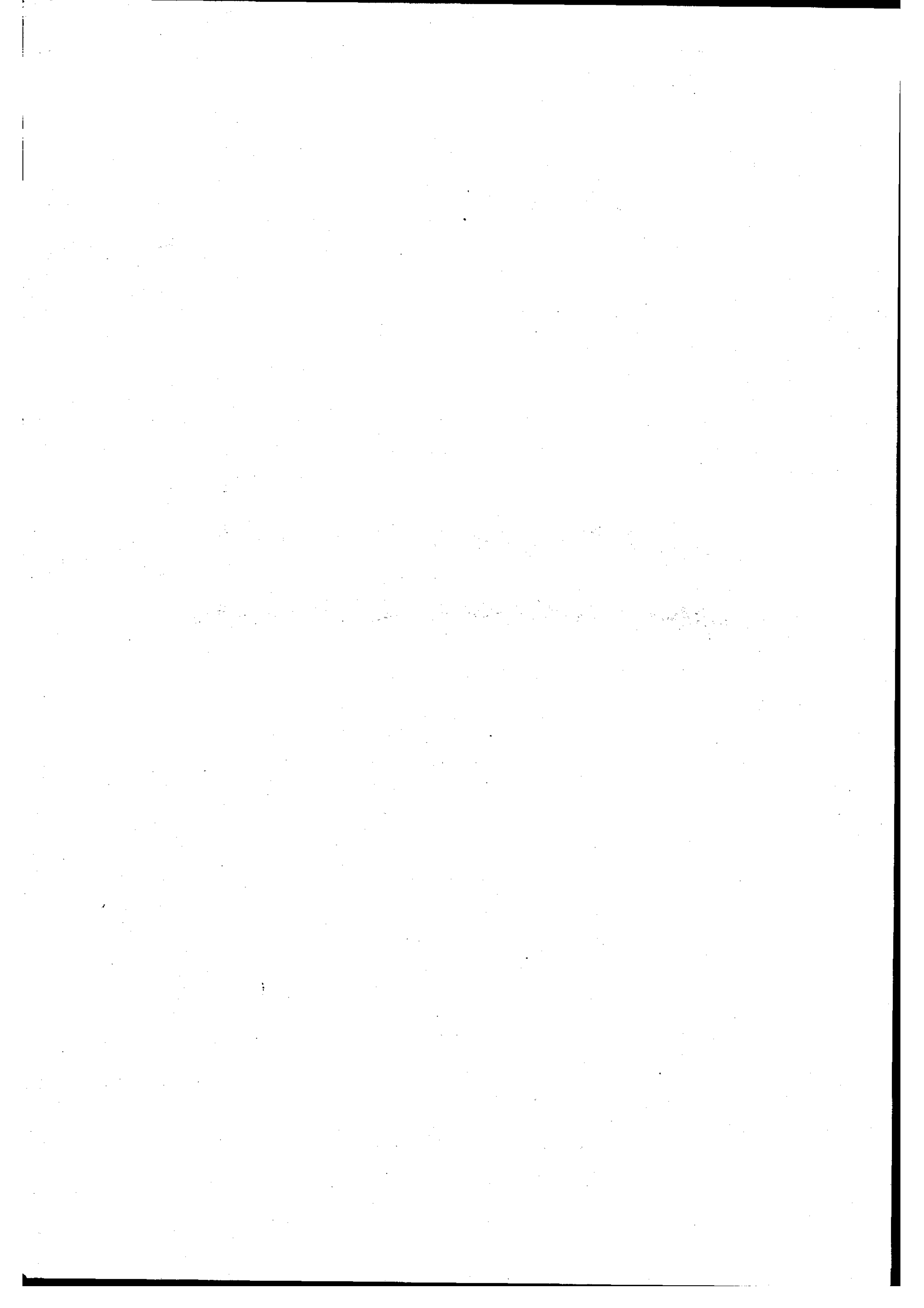
وإذا كانــت الــنظم الــتى تميزت: بها الحضارة الصينية وأذهلت بعضها شعوب المجتمعات القديمة الاخرى في الشرق والغرب قد ارتكزت على أسس ودعائم عديدة ظهرت بوادرها منذ بداية العصر الحجرى القديم وازدهــرت على مر العصور القديمة فأنه إلى جانب ما عرضناه من نظم سياســية واجتماعية وإدارية وضحنا بها إلى حد ما كيان المجتمع الصيني فــي الباب الأول – سنعرض في هذا الباب أهم النظم الاقتصادية والثقافية الــتى تمــيزت بها هذه الحضارة إلى جانب أهم الابتكارات والاختراعات التى حققتها لكي نحدد طابعها الإنساني وما أضافته أو دعمت به الحضارة العالمية على مر العصور المختلفة وذلك على النحو التالي:-

الفصــل الأول: أهــم النظم الاقتصادية والاختراعات والإنجازات الكبرى للمجتمع الصيني القديم.

الفصل الـثاني: أهم النظم الثقافية في مجال الفكر الأدبي والفلسفي للمجتمع الصيني القديم.

الفصل الأول

أهم النظم الاقتصادية والاختراعات والإنجازات الكبرى للمجتمع الصيني القديم



تـتفق آراء معظـم العلماء والمؤرخين بأن الاقتصاد من العوامل الهامـة في تكوين حضارة كل مجتمع، بداية من كفاح الإنسان البدائي في البحـث عن القوت والمأوى إلي أن يذوق طعم الحياة المستقرة المضيئة بفنون الـزراعة والصناعة والتجارة الداخلية والخارجية، كما أن تطور الـنظم الاقتصـادية المخـتلفة يساهم بقدر كبير في تطور النظم الأخرى وعلـى الأخص السياسية والاجتماعية والقانونية والأدبية والفلسفية نتيجة لما تحدثه هذه النظم من تأثير فعال داخل كيان المجتمع.(١)

- الصـين القديمـة مليـئة بالنظم الاقتصادية المختلفة التي ظهرت بذورها الأولى منذ أن بدأ الشعب الصيني يدخل عتبة تاريخ الحضارة في العصـور السـحيقة - وحيث أنها كانت عديدة ومتنوعة وتطورت بصفة مسـتمرة بجهود وكفاح هذا الشعب ـ فأننا سنعرض في هذا الفصل أهم الـنظم الاقتصـادية والاخـتراعات والإنجازات الكبرى التي تميزت بها الحضـارة الصـينية بدايـة مـن العصر الحجري القديم حتى نهاية حكم إمبراطورية هان الشرقية عام ٢٢٠م وذلك على النحو التالي:-

المبحث الأول: النظام الزراعي للمجتمع الصيني القديم.

المبحث الثاني: النظام الصناعي والحرف اليدوية المختلفة للمجتمع الصيني القديم.

المبحث الثالث: النظام التجاري للمجتمع الصيني القديم.

المبحث الرابع: أهـم الاخـتراعات والإنجازات الكبرى للمجتمع الصيني القديم.

المبحث الأول

النظام الزراعي للمجتمع الصيني القديم

إذا كـــان إنســـان الصين البدائي قد عاش على الصيد والقنص في بدايـــة حـــياته لتدبـــير قوته اليومي بالجهد والكفاح، إلا أنه بعد أن عرف الـــزراعة اعـــتمد عليها ثم جعلها تحتل المقام الأول في حياته وفي تحقيق اســـتقراره مـــع الآخرين ــ لأنه تطور في معيشته خلال الزمان السحيق [الذي يطلق عليه المؤرخون العصر الحجري القديم والحديث] من التجول فـــي الأحراش والغابات للحصول على الطعام إلي أن أقبل على الأراضي الخصـــبة يحرثها ويستنبتها، بعد أن صنع من الأحجار وعظام الحيوانات بعض الآلات والأدوات الضرورية البدائية وعرف الرعي وتدجين بعض الحـــيوانات وتمكـــن من تمهيد التربة وتخليصها من الأعشاب والمخلفات الضارة ــ وحينما نجح في زراعة أنواع عديدة من المحاصيل ورأي نفسه مرتـــبطاً بما لديه من آلات ومعدات زراعية وإن كانت في صورة بدائية وبما يحصل عليه من ثمار قام ببناء الأكواخ والمنازل ليسكن فيها ثم كون مع غيره مجتمعاً تشبع بحب التضامن والعمل المشترك والدفاع عن سلامة الجماعة ضد كافة المخاطر.[٢]

وبالتالـــي كانت الزراعة من أهم العوامل التي ساعدت على توفير سبل الحياة المستقرة وظهور الجماعات الصينية البدائية التي اتخذ أفرادها مـــن صـــوف الحيوانات وبعض الألياف النباتية ملبسا لهم بدلا من جلود الحيوانات، وصنعوا من الأعراش والأحجار أواني وسلال وأدوات عديدة لمعيشتهم وحفظ حاجاتهم.[٣]

** وإذا كانـــت الزراعة واستمرار تطورها قد ساهمت بقدر كبير في

إنهـــاء العصر الحجري ودخول الصين أعتاب العصور القديمة في القرن الواحــد والعشرين قبل الميلاد ـ إلا أن ذلك لا يعنى أن المجتمع الصيني قــد احترف بأكمله الزراعة واستصلاح الأراضي في بداية هذه العصور، وإنما كان ينقسم كما وضحنا في الباب السابق إلى قسمين الأول ريفي اهتم بالأرض وزراعتها وتمركزت جماعاته في قرى عديدة حول الأنهار وعلى الأخص في منطقة حوض النهر الأصفر والثاني بدوي اهتم اكثر بالرعي وتربـــية الحيوانات والمواشي وانتشرت جماعاته في السهول والوديان ـ وبالتالي كان اتحاد القسمين في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد قد مثل بداية العصور القديمة في الصين حيث عبر عن مدى تضامن وتلاحم قوى الشـــعب الصـــيني في مجتمع قومي متحد احترف في معيشته استصلاح الأراضـــي وفـــنون الزراعة وأتقن بمهارة أمور الرعي وتربية الحيوانات والمواشي إلى جانب الصيد والقنص.(٤)

** وهذه الأوضاع لم تستمر طويلا لأنه خلال القرون الأولى للعصور القديمـــة قـــد تحول نشاط بعض البدو إلى مهنة الزراعة ثم ارتبط الرعي بفلاحة الأراضي وما تجود به من ثمار كما لم يصبح الصيد والقنص من المصـــادر الهامـــة لكسب الرزق بقدر ما اعتبر من وسائل التسلية وإبراز القوة والمهارة لدى بعض الأفراد وخاصة طبقة النبلاء ـ وبالتالي سرعان مـــا طغت الزراعة على كل نشاط آخر، وأصبحت مع عمليات استصلاح الأراضـــي مـــن الصـــفات الأساسية التي تميز بها المجتمع الصيني في العصـــور القديمة، أي كانت الزراعة وجهود الانتصار على الأرض من أهـــم العوامـــل التـــي ارتكز عليها الشعب الصيني في بلـــورة حضارته القديمة(٥).

ورغـــم أن الاهـــتمام المـــتزايد بالزراعة قد أدى إلى ظهور نظام

الإقطاع الذي أنبت بذور الطبقيةوأشعل الاضطرابات والانتفاضات العديدة في معظم الأقاليم الصينية "كما وضحنا في الباب الأول" ... إلا أن التطور المستمر في النشاط الزراعي الذي أدى إلى زيادة المساحات المعمورة واتساع رقعة الأراضي الصالحة للزراعة وتعدد المحاصيل الزراعية وجودة نوعياتها قد ساهم بقدر كبير على تطوير الصناعة وازدهار مجال النشاط التجاري ودفع الصين بخطوات واسعة نحو التقدم الحضاري بصورة أذهلت معظم المجتمعات المتحضرة في شرق وغرب العالم القديم منذ بداية عهد الأسر الصينية الحاكمة.(٦)

تشير المراجع التاريخية الصينية بأن الزراعة قد ظهرت في الصين خلال فترات العصر الحجري، وأن عشيرة بانبوه التي عاشت في حوض النهر الأصفر وشهدت ذروة المشترك العشائري للأسرة الأمية التي كانت المرأة تأخذ فيها مكانه قيادية في الإنتاج والحياة اليومية خلال الفترة "من ٦٠٠٠-٧٠٠٠سنة ق.م" ــ قد بدأت في عهدها الزراعة على يد امرأة لفت نظرها نمو النبات من البذور المتساقطة على الأرض فتعلمت كيف ينبت الزرع وبالتالي علمت عشيرة بانبوه الزراعة وكيفية تنظيف الأرض من الأعشاب والأشجار بالنار ثم تمهيدها بالرفش الحجري والمعزقة الخشبية وبذرها بالعصا الخشبية المدببة، ومن أهم المحاصيل التي زرعتها هذه القبيلة في ذات الوقت الذرة ــ وبأنه على هذا الأساس اعتبرت الصين أول بلد يزرع الذرة في العالم القديم واستعملت في حصادها السكاكين الحجرية والفخارية.(٧)

وفي رواية أخرى تستند إلى مأثورات الشعر والغناء عن بداية الحياة في مملكة تشو، تشير بأن تشى الحاكم الأول لمملكة "تشو" ابن "الحورية جيانغ يوان" هو أول من زرع الذرة في العالم التي كانت القوت

الرئيســي للشعب الصيني وعلى أثر ذلك أصبح تشى مبجلاً بين الصينين واعتبروه اله الزرع.[٨]

وإذا كانــت الصين هي أول من اكتشفت زراعة الذرة فهي أيضا أول بلـد تــزرع الأرز في العالم حيث قامت قبيلة خمدو التي تكونت في الفــترة ما بين سنة (٦٠٠٠ ــ ٥٠٠٠ق.م) باكتشاف زراعته في حوض نهــر اليانجتسـى بمــنطقة شرق الصين ثم انتشرت زراعته بعد ذلك في مناطق صينية أخرى واعتبر محصول هام لغذاء الشعب.[٩]

وأيضا أتقن الصينيون زراعة النباتات الخشبية التي تطورت على مــر العصــور المختلفة حتى وصل عددها الآن إلى ٧٠٠٠ صنف منها ٢٨٠٠ صـــنف مــن الأشجار بعضها خاص ولا يوجد مثيل لجودتها في العــالم مــثل الجنكة والميتاسكوايا والتنوب الفضي والأرز الذهبي وتنوب تايوان وسروفوجيان وقناب داود ويوكوميا الكورتكس، ومن أهم الأشجار النباتــية التــي بــرع الشعب الصيني في زراعتها شجر التوت التي على أسـاســها اخـــترع "ولــى زو ــ الوارد اسمه ضمن مشاهير الشخصيات الأســطورية في الكتب الصينية القديمة" تربية دود القز على أوراق التوت واســتخلص مــنها خيوط الحرير التي استخدمت في صناعة المنسوجات الحريــرية التــي تعتبر من أهم اكتشافات الحضارة الصينية القديمة، هذا بالإضــافة إلــى الأعشاب الطبية العديدة التي برع الصينيون القدماء في زراعــتها واستخدامها في علاج الأمراض، وقد وصل عدد أصنافها الآن إلــى ٣٠٠٠ صــنف معظمهــا يستخدم كمواد للأدوية الثمينة، ومن أهم الأعشــاب الطبية النفيسة التي اكتشف زراعتها في الصين ولا يوجد حتى الآن مثيل لجودتها ونقائها في العالم، أعشاب الجشن التي تزرع في جبال تشانغباي وزهر قرطم الصباغين في منطقة التبت وثمار الحضض الصيني

في منطقة نينغشيا وسانتس بمقاطعة يوننان وقويتشو وغيرها(١٠).

ونتـيجة لطفو الزراعة على كل نشاط آخر أصبح الانتصار على الأرض وجعلهـا صالحة للزراعة مع جنى المحصول الجيد والوفير، من السـمات التـي تميز بها الشعب الصيني في بداية العصور القديمة ومن العوامل الهامة التي ساعدت على تطوره، حيث أصبحت كل قرية تتنافس بشـجاعة مـن أجـل زيادة مساحات أراضيها الزراعية وتعدد الأصناف المـزروعة بها لكي تنتج معظم ما تحتاج إليه، كما تحولت معيشة الأفراد مـن سكن الكهوف إلى الإقامة داخل البيوت التي بنيت على شكل أكواخ مسـتطيلة أو مستديرة وكل بيت كان يشغل حوالي عشرة أمتار وتجاوره المـزروعات الأكـثر قيمة مثل الخضار والأشجار المثمرة وبعدها حقول النباتات الأخرى مثل الذرة والأرز والقنب، وكل منطقة سكنية كانت تشكل قرية، وكل قرية كان يوجد بها مبنى كبير مستطيل الشكل استغله أفرادها في النشاط الاجتماعي(١١).

ــ والمجـتمع الصيني في بداية هذا التطور كان كما وصفته المراجع التاريخـية الصـينية القديمة تسوده المشاعية البدائية ويخلو من الطبقات والملكـية الخاصة وظواهر استغلال الإنسان للإنسان حيث كانت الملكية عامة والمساواة والعدالة المطلقة سائدة بين الأفراد واستمر هذا الوضع إلى أن ظهر في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد نظام الأسر الحاكمة التي حولـت المجـتمع الصيني من النظام البدائي إلى النظام العبودي الذي فيه تفككـت الملكـية العامـة وألغيـت المساواة بين الناس أي ظهر المجتمع العـبودي علـى أشلاء المجتمع البدائي ... ولكن رغم هذا التحول إلا أن الـزراعة قـد تقدمـت فـي النظام العبودي حيث شقت الترع والقنوات وتطـورت الآلات والمعـدات الزراعـية ممـا أدى إلى اتساع مساحات

الأراضـــي الصالحة للزراعة وزيادة المحاصيل الزراعية وتحسن جودتها أي حقــق هذا النظام قفزة في التطور الزراعي، وجعل المنتجين الرئيسين وهم طبقة العبيد "الفلاحين" يحققوا لأسيادهم ثروات مادية طائلة [لم يعرفها المجـتمع البدائي من قبل] وهذه القفزة قد حققت تطور هائل في الصناعة وفـــي النشـــاط الــتجاري ودفعت الصين بقوة نحو التقدم الحضاري في مجالات عديدة.(١٢)

* ففــي عهــد أســرة شـــيا التي تعتبر أول أسرة نالت شرف حكم المجتمع الصيني من القرن الواحد والعشرين إلى القرن السادس عشر قبل المـــيلاد قد شهدت الزراعة وتربية المواشي تطوراً ملحوظاً عما كانت علـــيه فـــي العهـــود السابقة حيث اتسعت مساحات الأراضي المستصلحة وازداد الإنتاج الزراعي وتنوعت المحاصيل وتحسنت جودتها بشكل أظهر الطابع الريفي على معظم أقاليم المجتمع الصيني المعمورة ــ وذلك نتيجة اســتخدام الشياويون معازق الخشب وسكاكين الحجر ومناجل الصدف في تمهـــيد الأرض وزراعـــتها، واســـتوعبوا بعـــد فترة وجيزة أهمية الري واستخدموا بعض التقنيات البدائية لمكافحة الجفاف والفيضان، وظهر منهم مـــن اشتهر بمهارته في ترويض الفيضانات كالقائد "شيايوى" الذي أشير إليه كبطل أسطوري في الكتب الصينية القديمة.(١٣)

وحيـــث يجمع المؤرخون الصينيون بأن المجتمع العبودي قد ظهر فـــي الصـــين بداية من حكم أسرة شيا ــ وأن هذا المجتمع قد انقسم إلى طبقتيـــن أساسيتين **الأولى:** طبقة ملاك العبيد الأرستقراطيين، الذين تملكوا الأراضي الزراعية بمساحات شاسعة وكان قائدهم الأعلى ملك شيا.

والثانـــية: طـــبقة العبيد ، الذين قاموا بفلاحة الأراضي وجنى المحصول وتربية المواشي لصالح الطبقة الأولى .. وإلى جانب هاتين الطبقتين كانت

توجـد طـبقة العامة المنحدرة من أعضاء المشترك العشائرى والتي زاول أعضائها أعمال الزراعة والحرف اليدوية ــ أي أن التطور الذي حدث خلال حكـم أسرة شيا في الإنتاج الزراعي واستصلاح الأراضي وتربية المواشي وشـق الـترع والقنوات وبناء السدود ضد الفيضانات كان على أكتاف طبقة العبـيد وبعـض أفراد طبقة العامة لصالح طبقة ملاك العبيد وملك شيا الذي أمسك بسلطة الدولة العليا وفرض مع الأرستقراطيين الديكتاتورية على العبيد والعامـة لكـي يرهـبهم ويفـرض عليهم الالتزام في العمل لزيادة الإنتاج الزراعـي دون الحصول على عائد عادل عن ما يبذلوه من جهد.[١٤] "وذلك كما وضحنا في الباب السابق".

ومـن أهـم زراعـات هذا العهد الذرة والأرز والجاروس والحنطة والقنـب والشـعير، والخضـراوات مـثل الخيار والكوسة والبصل والثوم، والفواكـه مثل العنب البرى والتوت إلى جانب أصناف عديدة من الأعشاب التي استعملها الشياويون كتوابل وفي علاج بعض الأمراض.[١٥]

** وفي عهد أسرة شانغ التي حكمت المجتمع الصيني [بعد انهيار حكم أسـرة شيا] من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد ــ احتلت الزراعة وعمليات استصلاح الأراضي وتربية المواشي المركز الأول فـي النشاط الاقتصادي الصيني ــ حيث أهتم ملوك هذه الأسرة اهتماماً بالغاً بالإنـتاج الزراعـي وعيـنوا نظير ذلك مفتشون لملاحظة جودة الأراضي الزراعـية مـع العمـل على زيادة مساحات الأراضي المستصلحة، وفنيون لتنظـيم وتطويـر طرق الري وزيادة شق الترع والقنوات وبناء السدود ضد الفيضـانات، ومراقـبون لرفع معدلات إنتاج المحاصيل الزراعية وتحسين جودتهـا، ومهنـيون للإشـراف على الثروة الحيوانية التي أصبح لها مكاناً مـرموقاً فـي هـذا العهـد وكان أهمها يتألف من الخنازير والبقر والأغنام والخيول.

وكـــان العبيد يعملون جماعات في الإنتاج الزراعي معتمدين على الآلات والأدوات الزراعـــية البسيطة، فاصلحوا الأراضي وقسموا الحقول وصـــرفوا مـــياه الفيضـــانات وبنوا السدود وشقوا الترع والقنوات وجنوا المحصـــول كمـــا قاموا بتربية المواشي ــ وكانت ثمار كدهم تذهب إلى بيوت سادتهم أصحاب الطبقة الأرستقراطية الذين ابتزوا كل ما أنتجوه في هذا المجال.(١٦)

ــ وعن أحوال الفلاحين العبيد في هذا العهد يقول أندريـــة ايمارد في مؤلفـــه "تـــاريخ الحضارات العام" بأنهم كانوا ثمرة مجامعة وليس زواج قانوني كما هو الحال عند النبلاء، حيث كانوا يخرجون في ربيع كل سنة إلـــى الحقول وتتم المجامعة بينهم في الهواء الطلق، كما كان لهم الحق في التلاقـــي كمـــا يريدون طيلة موسم الأعمال الزراعية، ولكن عندما يحين موعـــد الـــرجوع إلى القرية في بدء الشتاء وينزووا في بيوتهم تنتهي عند أذن الحياة الجماعية ويفترق كل شاب عن الفتاة التي اختصها ولا يمكن أن يتلاقيان إلا بصورة خفية ــ وعند عودة فصل الربيع يتلاقيان مرة أخرى أو يخـــتار الواحـــد مـــنهما رفيقاً آخر ــ وبالتالي تطور الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية على أكتاف هؤلاء العبيد دون أن يكون لهم أدنى حقوق بـــل اعتـــبروا أدوات بشرية مسلوبة الإرادة، أو أدوات ناطقة تعمل بشقاء لصـــالح الملـــك وطـــبقة الأرستقراطيين دون مقابل أو أي حق مادي أو قانوني.

ومـــن أهـــم مـــزروعات ذلك العهد بإضافة إلى مزروعات العهد الســـابق الدخن والقمح والكتان واللوبياء بالإضافة لظهور أعشاب أخرى اســـتخدمت أيضـــا كتوابل وفي علاج أمراض عديدة، وفواكه جديدة مثل الكمـــثرى والكرز والمشمش والخوخ والكستنا، وأشجار تم استثمارها مثل

شجر البندق والجوز والسنديان والدردار، كما تم الاهتمام بصورة خاصة بأشجار التوت لاستثمارها في تربية دود القز من أجل استخدام الخيوط المستخرجة منها أيام الخريف في أعمال نسج الحرير طوال أسابيع الشتاء.(١٧)

** خلال عهد أسرة **تشو الغربية** التي ظهرت بعد انهيار أسرة شانغ وحكمت المجتمع الصيني من القرن الحادى عشر حتى عام ٧٧٠ قبل الميلاد انتعشت الزراعة بدرجة كبيرة نتيجة الانتصار الساحق على الأرض وزيادة المساحة المزروعة بعد أن استخدمت في الفلاحة الآلات والمعدات الزراعية التي صنع معظمها من المعادن مثل المحراث والمنجل والفأس والمجرفة.(١٨)

ورغم أن الإنتاج الزراعي كان يقوم على أكتاف طبقة العبيد مثل العهود السابقة إلا أن النظام العبودي قد تطور سريعاً في هذا العهد حيث أصبحت جميع الأراضي الزراعية ملكاً للدولة أي للملك وكان الملك يوزعها على الأمراء والوزراء على شكل قطع محددة المساحات لكي يستغلونها لحسابهم ويتوارثونها دون أن يملكون الحق في التصرف فيها بالبيع أو التنازل لأشخاص آخرين ــ وكان هذا التوزيع يتم على سبيل المكافأة ويشمل علاوة على قطعة الأرض أعداد غفيرة من العبيد المزارعين ... وعلى هذا الأساس كان الملك والأمراء والوزراء يقيمون في مدن تحيطها حقول مترامية الأطراف تقسمها القنوات والترع والطرق إلى تسع مربعات ولذلك أطلق على هذه الحقول أسم "**حقول المربعات التسعة**" وترمز مساحة كل حقل إلى مقدار المكافأة الملكية التي حصل عليها الأمير أو الوزير من ملك تشو... وهذا النظام عممته أسرة تشو الغربية في معظم المناطق الصينية التي كانت تسيطر عليها وعلى الأخص في الوادي الأوسط والأسفل للنهر الأصفر.

وحيث سخر العبيد لزراعة هذه الحقول فكانوا يسكنون في الأراضي الزراعية داخل أكواخ من القش والبوص، وعند اقتراب الحصاد كانوا يشددون الحراسة على الزراعات المختلفة ضد السارقين وضد الحيوانات مثل الخنازير البرية والطيور الجارحة لان المحصول كان له دور رئيسي في كيان مملكة تشو الغربية فإذا جاء بطرح جيد ووفير اعتبر علامة نصر أكيدة أما أن كان رديئا وضعيفاً أعتبر سيجلب الفاقة والجوع ويزعزع نظام السلطة في المملكة.[١٩]

— يشير معظم المؤرخين بأن المجتمع الصيني في عهد أسرة تشو الغربية كان مجتمعاً زراعياً مزدهراً يتفوق على عهد أسرة تشانغ، حيث تطورت الآلات والمعدات الخاصة بالفلاحة واستصلاح الأراضي الزراعية، الأمر الذي أدى إلى اتساع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة وظهور نمو كبير في الإنتاج الزراعي حيث أضاف الصينيون إلى محاصيل العهود السابقة وهى الجاروس والحنطة والشعير والأرز والذرة مزروعات أخرى جديدة مثل الكوسة والخيار واللوبيا والحمص والبصل والثوم والبطيخ والعنب وبعض الأعشاب التي استعملت كتوابل ودواء لعلاج بعض الأمراض.[٢٠] — أي تطورت الزراعة وازدادت المحاصيل وتحسن الإنتاج الزراعي في كل المناطق التي سيطرت عليها هذه الأسرة بنفوذها كما ساهمت بقدر كبير في استثمار حوض النهر الأصفر — ويؤكد ذلك الآثار التي تم اكتشافها مثل النقوش على البرونزيات وما أشير من معلومات في (كتاب الأغاني، وكتاب التاريخ) الذين يعتبران من أقدم المأثورات الصينية بأن المجتمع الصيني في عهد حكم أسرة تشو الغربية كان مجتمعاً زراعياً مزدهر ويتفوق على مجتمع أسرة شانغ من حيث جودة أدوات الحراثة وازدياد أصناف المزروعات واتساع نطاق المساحات المزروعة في جميع الأقاليم التي فرضت عليها سيطرتها ونفوذها.[٢١]

استمر تطور الإنتاج الزرّاعي إلى جانب الاهتمام بتربية المواشي والطـيور في عهد أسرة تشو الشرقية التي حكمت بعد انهيار حكم أسرة تشـو الغربـية فـي الفـترة من عام ٧٧٠-٤٧٦ق.م فقد اتسعت: مساحة الأراضـي الصالحة للزراعة حيث استخدمت الفؤوس والمعازق التي أتقن صنعها في هذا العهد من الحديد، كما استخدم النورج لأول مرة في حرث الأرض وشـقت تـرع وقـنوات عديدة ... وبالتالي ازدادت المحاصيل الزراعية وتحسنت أيضا جودتها، وأصبحت بساتين الخضار والفاكهة ذات مسـاحات شاسـعة، وتخصصت مناطق مختلفة بمزروعات معينة بدلاً ما كانـت تنـتج محاصيل عديدة بعضها كان لا يتناسب مع طبيعة الأرض والطقس ـ وهذا التخصص قد ساهم بقدر كبير في انتعاش حركة النشاط الـتجاري الـذي أدى نتيجة كثرة تبادل المنتجات الزراعية بين المناطق والأقالـيم المختلفة أما بالبيع أو بالشراء أو بالمقايضة إلى ظهور طبقة من الـتجار الأثرياء الذين اقتصر نشاطهم فقط على تجارة البذور والمحاصيل الزراعية.[٢٢]

سـخر العبـيد أيضا (كما كان في عهد تشو الغربية) في القيام بكافة الأعمـال الخاصـة بالزراعة وتربية المواشي والطيور لصالح طبقة الأمراء الأرسـتقراطيين وعلى رأسهم الملك الذي كان يطلق عليه في بعض الأحيان أمـير الأمـراء أو النبـيل الأول باعتـباره المالك الوحيد لجميع الأراضي الزراعـية وصاحب الحق في توزيعها على الأمراء للانتفاع بها فقط، وحيث كانـت مساحة كل قطعة أرض زراعية ترمز إلى مقدار المنحة الملكية التي حصـل عليها النبيل من الملك سواء كان من الوزراء أو كبار الموظفين أو قـادة الجيوش أو من نبلاء الريف ـ فقد ظهرت خمس فئات للنبلاء في هذا العهد نتيجة لاختلاف ثرواتهم المادية.

الفئة الأولى: كانت تمثل أكبر أثرياء المجتمع الصيني بعد الملك وعددها كان قليل ومعظم أمرائها من أفراد أسرة الملك وذلك نتيجة لقيام الملك بمنح أراضي زراعية لأقاربه بمساحة تزيد عن الأمراء الآخرين.

والفئة الثانية: أقل ثروة من الفئة الأولى ومعظم أمرائها من الوزراء وكبار قادة الجيوش.

والفئة الثالثة: أقل ثروة من الفئة الثانية ومعظم امرائها من كبار الموظفين في المملكة.

والفئة الرابعة: أقل ثروة من الفئة الثالثة طبقاً لمساحة الأرض الزراعية ومعظم أمرائها كانوا من الكهنة وأصحاب الخدمات الجليلة للمملكة مثل الأطباء والمهندسين الزراعيين والمعماريين إلى جانب بعض التجار.

والفئة الخامسة: وهى تمثل النبلاء الذين منحهم الملك أقل مساحة أرض زراعية ويملكون أقل ثروة من الفئات الأخرى ومعظمهم من الحراس والمحاربين الأقوياء وأصحاب المهن المتميزة مثل المدرسين والسحرة والمنجمون والكتاب والفنانون والرسامون وبعض أتباع أمراء الفئة الأولى والثانية.(٢٣)

نتيجة لتطور الزراعة عن العهد السابق ظهرت أصناف أخرى من المزروعات مثل الفرجل، وأنواع عديدة من الأعشاب التي استخدمت في علاج الأمراض وساهمت بقدر كبير في تطور الطب الصيني.(٢٤) ــ كما ازدهرت مناطق أخرى عديدة بالزراعة إلى جانب مناطق حوض النهر الأصفر مثل تشى (في شاندونغ) وجين (في شانشى) وتشنغ (في وسط خنان) وسونغ (في شرق خنان) وتشين (في شنشى) ويان (في جنى وشبه جزيرة لياودونغ)، وعلى أثر هذا الازدهار حدثت تطورات وتغيرات سياسية في هذه المناطق ترتب عليها اتساع حدودها الجغرافية باستمرار في الحقبة التي يطلق

عليها "الربيع والخريف[٢٥]" [كما وضحنا في الباب الأول].

** بعـــد انهيار حكم أسرة تشو الشرقية نتيجة لتوغل نفوذ الأمراء في شـــئون البلاد وتحول المجتمع الصيني إلى النظام الإقطاعي الذي ظهرت ملامحه منذ منتصف عهد أسرة تشو الغربية وانتشرت في نهاية عهد أسرة تشـــو الشـــرقية وتـرغــل في عهد الإمارات الإقطاعية والممالك المنفصلة والمتحاربة خلال الفترة من عام ٤٧٥ ـــ ٢٢١ق.م كما وضحنا في الباب الأول ـــ لـــم يفقـــد الإنتاج الزراعي أهميته ودوره في دفع مسيرة التقدم الحضـــاري رغم الاضطرابات السياسية والانتفاضات العديدة التي قام بها الفلاحيـــن، والحروب الشرسة التي اندلعت بين الممالك المنفصلة ـــ وذلك لان الأراضي المستصلحة اتسعت، والمحاصيل الزراعية ازدادت وتنوعت في هذه الفترة نتيجة انتشار الآلات والأدوات الزراعية الحديدية في فلاحة الأرض مـــثل الفـــأس والمعـــزقة بعد انتشار استخدام الحديد وإدخاله في صناعات عديدة منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد ـــ كما استخدم الثور والبقر في حرث الأرض، وتحسنت أساليب زراعة المحاصيل المختلفة بعد اســـتعمال الســـماد العضوي من القمامات وأسمدة الرماد والنباتات واتباع طريقة الحراثة العميقة والبذور المحسنة وغرسها في مواعيد محددة.

ـــ هذا بالإضافة إلى إنشاء مشروعات ري كبيرة الحجم لتوسيع نطاق الحقـــول المـــروية والوقايـــة مـــن الفيضـــانات والجفـــاف مثل مشروع "**دوجيانغيان**" المتعدد الأغراض الذي أقيم في مملكة تشين على حوض نهر [مينجيانغ] قرب [تشنغدو] بمقاطعة [سيشوان الحالية] ولعب دوراً هاماً في السيطرة على مياه النهر ومقاومة الفيضانات وري الحقول وتحويل سهول غـــرب [سيتشوان] إلى حقول خضراء مترامية الأطراف وقام بإدارة هذا المشـــروع (**لى بينغ**) الذي كان حاكماً للمنطقة ـــ والقناة التي شقت قرب

[شيانيانغ] بمقاطعة [شنشى الحالية] بطول ١٥٠ كيلو مترا لري أراضى عديدة في حوضى جينغشوى وويشوى وكان يقوم بإدارة العمل في القناة تشنغ قوه أحد خبراء الزراعة في ذلك الوقت كما تم إنشاء شونة كبيرة جداً للغلال في منطقة [أويى]، وكان يقوم بإدارتها الماركيزون – وقد أسفرت هذه المشروعات إلى ظهور ارتفاع ملموس في الإنتاج الزراعي.

– خلال المائة عام الأولى من هذا العهد ظهرت إلى جانب حقول المربعات التسعة" التي كانت تعتبر حقول عامة" حقول خاصة من الأراضي المستصلحة بأيدي العبيد المسخرين، وهذه الحقول الخاصة كانت ملكاً خاصاً للأرستقراطيين حيث استولوا على كل ما كانت تنتجه من محاصيل – وعلى مر السنين تضاعفت مساحة هذه الحقول بسبب التطور المستمر في تصنيع الآلات والمعدات الزراعية الخاصة بإصلاح الأراضي البور، وأضيفت بعد ذلك إلى حقول المربعات التسعة.

وكان من نتائج ذلك زوال نظام المربعات التسعة التي كان زراعها من العبيد المسخرين وحلت بدلاً منها الإقطاعيات التي يعمل فيها الفلاحين، وبالتالي زال تماماً النظام العبودي بعد أن ترسخت أقدام النظام الإقطاعي في جميع مناطق المجتمع الصيني – أي حدث تغيراً جذريا في طرفي علاقة الإنتاج الزراعي حل بموجبه الإقطاعيون والفلاحون محل ملاك العبيد والعبيد.[٢٦]

– وعلى أثر هذا التغير تحولت في بداية هذا العهد بعض الأراضي بالتدرج إلى أيدي طبقة جديدة من ملاك الأراضي والفلاحين، بعد أن أصبح الاتجار في الأراضي بالبيع والشراء أمراً عادياً، وبعد أن حصل أفراد هذه الطبقة على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وقاموا باستثمارها كمزارعين وهذا قد أدى إلى ظهور ريع جديد يتألف من

المحاصـــيل مقابل الريع السابق المؤلف من خدمات الفلاحين المجانية – كما فرضـــت ضـــرائب على الأراضي الزراعية لصالح أمراء الممالك المنفصلة بسبب حاجة كل منهم للمال لاستخدامه في تنظيم أمور المملكة وتقوية جيشها للدفاع عنها وحمايتها من أطماع الممالك الأخرى.(٢٧)

فـــي عهـــد الممالك المتحاربة وطد النظام الإقطاعي أقدامه بقوة في الممـــالك الســـبعة الكـــبرى، ورغم أن الكادحون قد تحرروا من قيد النظام العبودي ووقعوا في أغلال الإقطاع إلا أن حالة الفلاحين في النظام الإقطاعي كانـــت أفضل نسبياً من حالة العبيد في النظام العبودي السابق حيث كان في وسع الفلاحين أن يعملوا لأنفسهم في أوقات معينة وأن يتصرفوا في جزء من المحاصيل التي ينتجوها، كما كان بعضهم يستأجرون الأراضي الزراعية من مالكهـــا مقـــابل أن يدفعوا لهم نصف المحصول ويحصلون هم على النصف الآخر، فارتفع حماسهم في الإقبال على فلاحة الأرض وزراعتها، الأمر الذي أدى إلـــى ظهور زراعات جديدة إلى جانب ما تم إنتاجه في العهود السابقة، كما اكتشفت أصناف أخرى عديدة من الأعشاب ساهمت بقدر كبير في وضع نظـــم جديـــدة لعـــلاج الأمـــراض وأحدثت تطور ملحوظ في مجـــال الطب الصيني(٢٨).

وعلى هذا الأساس نرى أن استمرار تطور الإنتاج الزراعي وازدياد حجم إنتاج المحاصيل الزراعية وتحسن جودتها في هذا العصر قد حافظ على كـــيان المجـــتمع الصيني من الانهيار بعد أن سقطت السلطة الموحدة بزوال حكـــم أســـرة تشـــو الشرقية، كما ساعده على الصمود في مواجهة الفوضى والاضـــطرابات العديـــدة التـــي اجتاحـــت معظـــم الأقاليم الصينية من أثر الاضـــطرابات السياســـية المستمرة والصراع الدموي الشديد الذي حدث بين الممـــالك المنفصلة "الممالك المتحاربة" حتى تمكن من الخروج إلى بر الأمان والاستقرار.

** فـــي عهد أسرة تشين التي أنهت عصر الانفصال والتفكك وأسست أول إمـــبراطورية صينية في عام ٢٢١ق.م، توحدت من خلالها معظم أقاليم المجـتمع الصـــيني وعززت أواصر الإخاء والتضامن بين أبناء الشعب من مخـتلف القوميات ـ تطور الإنتاج الزراعي نتيجة اهتمام السلطة المركزية باستصـــلاح مســاحات شاسعة من الأراضي البور، وزيادة إنتاج المحاصيل الزراعــية وتحسين جودتها، كما أدخلت نظام الزراعة المتطورة في المناطق التـــي كـــان يعــيش فــيها سكانها على الصيد والزراعة البدائية مثل مناطق ســواحل الجــنوب الشرقي وقوانغدونغ وقوانغشي التي كان يقيم فيها شعب قوميه [يويه] حيث نقلت إليهم الآلات والمعدات الزراعية الحديدية لأول مرة وأمدتهــم بالبذور الجيدة والمتنوعة وعلمت أبناؤها مهارات جديدة في فلاحة الأرض وزراعتها بأساليب فنية حديثة.

بعــد أن أوجــد الإمــبراطور الأول [تشن شه هوانغ دي] نظام المقاطعــات والمحافظــات الــذي على أساسه قسم البلاد إلى ٣٦ مقاطعة "أصبحت فيما بعد ٤٠مقاطعة" تشتمل كل واحدة منها على عدة محافظات واختص بنفسه سلطة تعين وعزل ولاة المقاطعات والمحافظين الذين تولوا جمع الضرائب وتنفيذ أعمال التجنيد والسخرة لصالح السلطة المركزية ــ قد عزز ملكية الأراضي الزراعية في أنحاء البلاد معتمداً على نفوذه وقوة سلطته، كما أصدر تشريعاً ألزم به كلا من الملاك والفلاحين بتسجيل ما بحوزتهــم مــن الأراضي، ودفع الضرائب حسب المساحة المسجلة وذلك كوســيلة لاكتساب الملكية على أسس قانونية محددة لكي يتمسك كل مالك بأرضـــه الزراعية ويهتم بها وبما تنتجه من محاصيل مختلفة ويحدث من خلال ذلك تطور كبير في الإنتاج الزراعي.

تــم فـــي هذا العهد أيضا إنشاء مشروعات ري عديدة حيث شقت

القنوات والترع وتم بناء السدود ضد الفيضانات، والمصارف لتطهير الأرض – وهذا قد ساعد على تحقيق تطور هائل في مجال النشاط الزراعي أدى إلى إنتاج محاصيل عديدة وأعشاب طبية أخرى جديدة – كما كان لتوحيد النقد والمقاييس والموازين في هذه الفترة أثر هام في انتعاش حركة نشاط تجارة المحاصيل الزراعية بكافة المقاطعات الصينية.[(٢٩)]

** وفي عهد حكم إمبراطورية هان الغربية التي حكمت المجتمع الصيني في الفترة من "٢٠٦ق.م – ٢٤م" وذلك بعد سقوط نظام حكم إمبراطورية تشين – زاد الاهتمام بتطوير الإنتاج الزراعي وإعطائه الأسبقية على سائر الأعمال الأخرى، والدليل على ذلك أن الوزير الأكبر "تساو تسان" قد أصدر قراراً يشير إلى جعل العمل في بناء المدن والقصور قاصراً على مواسم الفراغ من الزراعة فقط – كم أن الأباطرة الأوائل لأسرة هان الغربية قد اعتنوا تماماً بالنشاط الزراعي وتربية دود القز – وخير دليل على ذلك المنشور الذي أصدره الإمبراطور "هان جينغ دى" حفيد الإمبراطور الأول "قاو تسو" وقال فيه (لا يمكن أن يحل الذهب واليشم والمجوهرات رغم غلائها وندرتها محل الغلال والكتان والحرير، فينبغي على الموظفين المحليين أن يحثوا الناس على استصلاح الأراضي البور والاهتمام بالزراعة وتحسين جودة المحاصيل الزراعية وزيادة إنتاج دود القز) ... وعلى هذا الأساس أحرزت الزراعة في أوائل عهد هان الغربية تقدماً ملحوظاً لدرجة جعلت الدولة تملك كميات هائلة من احتياطات الحبوب والأموال – كما تحسنت حالة الاقتصاد الريفي بعد أن اتخذت السلطة المركزية بعض الإجراءات ضد أساليب الاحتكار والمضاربات التجارية المختلفة التي تضر بالفلاحين وحرمت على التجار

شغل الوظائف الهامة بالدولة حتى لا يستغلوا مواقعهم الوظيفية في تحقيق أرباح طائلة من الإنتاج الزراعي على حساب المزارعين(٣٠)

ـــ وفي الفترة ما بين عام ١٤٠ق.م ـــ ٨٧ق.م وهى تعادل منتصف عهد حكم إمبراطورية هان الغربية بلغ ازدهار الإنتاج الزراعي ذروته بعد أن حلت تماماً الآلات والمعدات الزراعية الحديدية المتطورة محل الأدوات البدائية مثل المحراث الحديدي الذي بلغ طوله ٤٢سم وعرضه ٤٠سم كما أنشئت مشروعات ري في معظم أنحاء البلاد مثل مشروع قناة "**تشنغفوه**" الـــذي يـــتألف من مجرى رئيسي تتفرع من أعلاه ست ترع لري الحقول ومـــن أسفله قناة "**بايتشيوى**" البالغ طولها ١٠٠كيلو متر والتي من خلالها تم استصلاح أراضى بور عديدة ـــ هذا بالإضافة إلى التطور الذي حدث فـــي فنون الزراعة حيث ظهرت مؤلفات تناولت التجارب والخبرات التي استوعبها المزارعون الصينيون في مجال الفلاحة مثل كتاب "**تشى تشانغ تشـــى**" الـــذي يعتبر من أقدم الكتب الزراعية في الصين، وكتاب "**أساليب الفلاحيـــن الزراعية**" الذي ظهر في عهد لاحق متضمنا نفس الموضوعات التـــي تـــناولها كتاب "**تشى تشانغ تشى**" أي حدث تطور هائل في الإنتاج الزراعـــي خـــلال هـــذه الفـــترة التي يطلق عليها الحقبة الذهبية للنشاط الزراعي.

فـــي أواخـــر حكـــم هـــذه الأســـرة تضـــخمت ثـــروات الأمراء والأرســـتقراطيين وانتقلت ملكية الأراضي الزراعية كلياً من الفلاحين إلى المالكين، وأصبح الذين يملكون المساحات الشاسعة من الحقول الخصبة في تـــزايد مســـتمر وانضم إليهم النبلاء وكبار الموظفين وكبار التجار حيث كونـــوا القـــوة الســـائدة للأثـــرياء في المجتمع، أما الفلاحون الذين فقدوا أراضيهم فقد أصبحوا عبيداً ومشردين ـــ وبالتالي بلغ التناقض الشديد بين

الفلاحيــن وطــبقة الأثرياء ذروته مما دفع إلى اندلاع نيران الانتفاضات الفلاحية ضد نظام هذه الأسرة بداية من عام ٣٠ق.م حتى زال حكمها في عام ٢٤م.[٣١]

** في عهد حكم أسرة هان الشرقية التي حكمت المجتمع الصيني بعد انتهاء حكم أسرة هان الغربية في الفترة من ٢٥م ــ ٢٢٠م تطور الإنتاج الزراعــي بعــد قمــع قــوات الفــلاحين المتمردة وقيــام الإمبراطــور "قوانــغ وو دى" بإصــدار قرارات أمر فيها بإجراء مسح جديد للأراضي الزراعــية وتحريــر جمــيع العبيد حتى يعود الفلاحون الذين هربوا من الحقــول إلى الزراعة مرة أخرى ــ ولذلك بدأ الاقتصاد الزراعي يتحسن وعلى الأخص منذ عهد الإمبراطــور "مينغ دى" الذي حكم خــلال الفترة مــن ٥٨ ــ ٧٥م حيث أعيدت عملية صيانة مشاريع الري التي سبق أن أهملــت فــي الفــترة الأخيرة لحكم أسرة هان الغربية مثل إصلاح شبكة خزانات المياه التي تمتد إلى حوالي ٢٠٠كيلو متر في منطقة رونان، كما أنشــئت مشروعات ري على نطاق واسع في بعض المناطق وخاصة في مجــرى الــنهر الأصــفر الــذي كان مسرحاً للفيضانات، وحوض نهر اليانجســتى الــذي أصــبح أكثر نمواً وتطوراً وقد ساعد على إنجاز هذه المشــروعات ظهــور المــنفاخ المائي الذي استخدم في المصاهر لصنع الآلات والمعدات الخاصة بالزراعة وبإقامة السدود والخزانات على نطاق واسع.[٣٢]

وعلــى هذا الأساس ازدهرت الزراعة بشكل عام وتطورت تطور هائل عن عهد أسرة هان الغربية نتيجة اتساع مساحات الأراضي الصالحة للــزراعة وازديــاد حجم المنتج من المحاصيل الزراعية وتحسن جودتها، وبالتالــي ظهــر تميز واضح للمجتمع الصيني في الإنتاج الزراعي خلال

المائة وخمسون عاماً الأولى لحكم هذه الأسرة حيث توافرت الحبوب بكافة أنواعهـا، وزاد إنـتاج الأرز والفاكهة والخضراوات المتنوعة والأشجار المثمرة والأعشاب الطبية التي استخدمت بكفاءة تامة في علاج الأمراض المخـتلفة ــ كما اتسع مجال نشاط تجارة المحاصيل الزراعية بين الأقاليم الصـينية كتجارة داخلية، وبين المجتمع الصيني والمجتمعات الأخرى في الشرق والغرب كتجارة خارجية بعد إنشاء شبكة طرق عديدة أهمها طريق الحرير الذي حقق للصين فوائد اقتصادية هائلة خلال هذه الفترة وعلى مر العهود الأخرى التي تلت حكم أسرة هان الشرقية.(٣٢)

في أواخر حكم هذه الأسرة وعلى الأخص منذ عام ١٧٠م طفحت أيضا الآثار السيئة للأثرياء وأصحاب النفوذ حيث توغلت طبقة كبار ملاك الأراضي من خلال الامتيازات السياسية والاقتصادية التي منحت لهم في الاسـتئثار بمساحات شاسعة من الأراضي المستصلحة والحقول الخصبة علـى حسـاب الفلاحين الذين اجبروا على العمل كعبيد.... وبالتالي تملك الأثـرياء والأمراء مزارع وبساتين ومراعى ضخمة اعتصروا فيها جهد الفلاحين دون أن يعطوهم الحد الأدنى لقوتهم اليومي .. ومع استمرار هذا الوضـع وتدخل الأثرياء والأمراء وأقارب للملك ورجال البلاط في الحكم انفجـرت طـبقة الفلاحيـن وقامت بانتفاضات عارمة ضد هذه الأوضاع الظالمة أطلق عليها في عام ١٨٤م بانتفاضة الشالات (العمامات) الصفراء التـي قادهـا "تشانغ جياو" وعمت البلاد كلها .. مع أن هذه الانتفاضة قد قضـى علـيها قبل أن تقضى على طبقة الملاك، إلا أن بقايا القوات التي اشتركت فيها قد تحالفت مع قوات الانتفاضات الأخرى وواصلت النضال ضـد طـبقة الملاك حتى انهار نظام حكم أسـرة هـان الشرقية في عام ٢٢٠ق.م "كمـا سبق أن وضحنا في الباب الأول" وإذا كنا سنكتفي بمتابعة

تطور نشاط الإنتاج الزراعي حتى نهاية حكم إمبراطورية هان الشرقية ـ إلا أن ما تقدم يشير بوضوح بأن المجتمع الصيني قد انطلق في تحقيق إنجازاته الحضارية الهائلة بعد أن أصبح مجتمعاً زراعياً ـ ورغم ظهور النظام العبودي ثم النظام الإقطاعي وأثارهما السيئة داخل المجتمع إلا أن التطور المستمر في الإنتاج الزراعي قد ساعد هذا المجتمع وبدفعات قوية على التخلص من الاضطرابات السياسية العديدة التي حدثت على مر العهود المختلفة ومكنه من تحقيق وحدته الوطنية وحضارته المزدهرة والتي تعتبر من أرقى حضارات العالم القديم.

ولذلك يعتبر الصينيون من أوائل شعوب العالم في ممارسة الزراعة وفي الاهتمام الشامل بأمرها في العصر الحجري القديم والحديث وعلى مر العصور القديمة ـ هذا بالإضافة إلى أنها كانت الحرفة الأولى والأساسية لهم وتعبر تماماًعن أصول حضارتهم العريقة.(٣٤)

وتأكيد لتفوق الحضارة الصينية في مجال الزراعة ـ قد تم بعد أن أقامت الصين علاقات اقتصادية مع المجتمعات الإنسانية الأخرى تصدير كميات كبيرة ومتنوعة من المحاصيل الزراعية التي أتقن الشعب الصيني زراعتها بمهارة فائقة إلى هذه المجتمعات وخاصة البلدان الأوروبية التي انبهرت من جودتها وتعدد أصنافها وتعلمت منها بعد مئات السنين كيفية تقليد زراعتها مثل الأرز والقمح وبعض الفواكه والخضراوات والزهور.

فمعظم المؤرخين الأوروبيين قد أشاروا في مؤلفاتهم بأن فن الزراعة الصيني كان له أثر كبير على الزراعة الأوروبية التي قاست مئات السنين لكي تتمكن من تقليدها، وأن جانب كبير من المزارعين الأوروبيين قد تعلموا من الصينيين فنون زراعة المحاصيل المختلفة وأيضا قد أثرت الزهور والحدائق الصينية على الشعب الأوروبي – وفي

ذلك يقول المفكر العالمي (ك.م.بانيكار) في كتابه "آسيا والسيطرة الغربية" بأنــه [كان للحديقة الصينية في الذوق الأوروبي أثر لا يقل أهمية ـ وأن هـذا الأثــر قد وصل إلى منزلة البروز عندما انشأ الإنجليزي السير وليم تشـامبرز الحديقــة الصينية في حدائق كيو عام ١٧٥٩م، وكان تشامبرز على شئ من الإلمام بالحدائق الصينية وذلك لأنه أقام في كانتون واحدر بعـد أن تعلم من الصينيين فن زراعتها بعض التصميمات الخاصة بكيفية إنشـائها ـ وكــان الإعجاب بطراز الحديقة الصينية قائماً على فكرة أنه ينبغــي للحديقة أن تجمع بطريقة طبيعية وفي خطة كثيرة الجوانب ولكنها موحــدة، اشد الأشكال الطبيعية الصرفة بوصفها مركبا يوصل إلينا عدداً جمــاً مــن الإيحاءات المتنوعة، كان ظهورها رد فعل جاء حيال الصيغة الرســمية الجــامدة لحدائــق لويــس التاسع عشر بما تحوى من صفوف الأشــجار التــي زرعت كلها في خطوط مستقيمة وثورة على تصميماتها المتناسقة الموحدة ... وترتيباً على هذا التأثير قد قلد الناس بجميع عواصم أوروبــا الحديقــة الصينية في كيو، وقلدتها فرنسا بحماسة بالغة، كما أن أمراء ألمانيا تطرفوا في هذا المضمار، وهم قوم كانوا على الدوام ميالين لمحاكــاة ما يستمتع به جيرانهم من مباهج ومسرات ومن فرط هذا التأثير قد تم إقامة قرية صينية بأكملها في الناحية الجنوبية من بحيرة فلهلم شوهى عــام ١٧٨١م حيــث شيدت جميع الأكواخ من طابق واحد على الطراز الصيني وأجاد المهندسون تقليد طراز المباني، وسميت القرية "مولانج" كما سميت البحيرة الصغيرة الواقعة عند سفح التل الذي تقوم عنده القرية باسم "هوكــنج" ..][٣٥] وهــذا دليل على أن الحضارة الصينية في مجال النشاط الزراعــي كان لها أثر كبير على بعض الوسائل الخاصة بطرق الزراعة في مجتمعات العالم القديم وعلى الأخص المجتمع الأوروبي.

المبحث الثاني

النظام الصناعي والحرف اليدوية المختلفة للمجتمع الصيني القديم

- تعـددت الصناعات والأشغال الفنية المختلفة، وكونت مع الحرف اليدوية المتنوعة رموز ودلائل عبرت عن مدى رقى الحياة الإنسانية داخل المجتمع الصيني القديم.

- وإذا كـان الإنتاج الزراعي وفن فلاحة واستصلاح الأراضي من العوامل الأساسية التي استند عليها الشعب الصيني في بناء حضارته "كما وضـحنا فـي المبحث السابق" إلا أن الصناعات العديدة والحرف اليدوية المختلفة قد مكنت هذا الشعب من بلورة حضارته حتى أصبحت من أزهي حضارات العالم القديم.

- ورغـم أن الحضـارة الصـينية قد تشابهه مع معظم حضارات المجتمعات الأخرى القديمة في بداية ممارسة النشاط الصناعي على أساس أن كل حضارة (كما يقول العلماء والمؤرخين) قد مرت في بداية ظهورها بالعصـر الحجـري القديـم ثم الحديث قبل أن تدخل إلى أعتاب العصور القديمـة، وأن إنسـان العصر الحجري في هذه الحضارات قد بدأ نشاطه الصـناعي باسـتعمال الأحجار والأخشاب وعظام الحيوانات وصنع منها أسلحة مدببة الرأس، وبعض الأواني البدائية والأدوات البسيطة التي صقلها وحدد معالمها في قوالب وأشكال مختلفة لكي تساعده على ظروف معيشته إلا أن الحضـارة الصـينية قـد تميزت وهي في بداية مراحلها التاريخية ببعض الصناعات المعينة، والحرف اليدوية العديدة التي تطورت بعد ذلك بإتقان وإبداع وجعلت المجتمع الصيني يتألق بها أمام المجتمعات الإنسانية

الأخرى في الشرق والغرب ــ ولإيضاح ذلك سنعرض أهم ملامحها على النحو التالي:

صناعة الفخاروالخزف:

ظهــرت صـــناعة الفخـــار في الصين، منذ بداية العصر الحجري الحديث بعد أن أكتشف إنسان الصين البدائي النار من الغابات المحترقة بفعــل الصواعق وتمكن من حفظها طوال السنة لاستخدامها في الإضاءة والتدفئة وطرد الضواري وطهي الطعام، ثم لستعمالها بعد ذلك في صناعة بعــض الحرف اليدوية من بينها صناعة الفخاريات البسيطة التي انتشرت فــي مناطق صينية عديدة مثل[حوض النهر الأصفر، وحوض اليانجستي، ويونان، والتبت في الجنوب الغربي، وتايوان في الجنوب، وشينجيانغ في الشمال الغربي] حيث كانت تقيم فيها القبائل والعشائر التي ظهرت في هذا العصـــر مثل[يانبوه، وخمدو]. وأنتجت فيها فخاريات تم استعمالها كأوعية للشرب والطهي وحفظ الطعام، كما ظهرت في هذا العصر أولي محاولات الزخـــرفة بعـــد أن وجدت على بعض الفخاريات التي تم اكتشافها بعض الصور مثل صور الإنسان والحيوانات والأسماك والزهور إلى جانب رسوم على شكل خطوط دائرية ومستطيلة(٣٦)

ــ وإذا كان الفخار عبارة عن الأشياء التي تتشكل من الطين الذي يتم حــرقه، وأنـــه من الفنون التي عرفها الإنسان البدائي في كافة مجتمعات العـــالم القديـــم واستخدمه في شكل قدور وأقداح وأواني وألواح مثل التي استخدمها الفينيقيون والآشوريون والبابليون ونقشوا على بعضها أخبارهم، ونمـــاذج الفخاريات التي وجدت في مقابر قدماء المصريين وكان بعضها خشــن مصـــنوع بالـــيد والـــبعض الأخر فاخر ومطلي بالمينا وبالألوان الـــرائعة[حيـــث كان اللون الأخضر والأزرق والفيروزي الناصع من أهم

الألوان التي ميزت الفخار المصري]، والفخاريات الإغريقية ذات الألوان المختلفة وخاصةً الأحمر والأسود ـ إلا أن الصينيون القدماء قد أتقنوا صناعة الفخاريات وتفوقوا فيها وطوروها بإبداع وفن راقي على مر السنين حتى أصبحت في العصور القديمة من أروع رموز الحضارة الصينية التي أبهرت بدقة صنعها وجمال أشكالها وجودة أنواعها جميع شعوب العالم القديم مثل الطشوت الفخارية الملونة ذات التصميمات الهندسية الرائعة، والأوعية النصف دائرية والمواقد الثلاثية القوائم(٣٧) ... وفي ذلك يقول أندرية إيمارد في كتابه (تاريخ الحضارات العام. الشرق واليونان القديمة) بأنه [منذ فجر حكم سلالة شيا برزت مصنوعات من الفخاريات أطلق عليها مصنوعات (يان ـ شان في كان ـ سو)، وقد بلغ فن تزيينها دقة وجمالاً بقدر هائل لا يوجد لهما مثيلاً في المناطق التي نستطيع أن نقارن بين مصنوعاتها الفخارية كبلاد الشرق وأوروبا في الطور الذي سبق التاريخ وبين الفخاريات الصينية التي نتحدث عنها](٣٨).

وقد ساعدت صناعة الفخاريات وما حدث فيها من ابتكارات فنية على استيعاب النحاسون الصينيون مهارات صهر البرونز وسبكه حيث تمكنوا في أواخر عهد أسرة شيا من صهر النحاس والقصدير في آتونات سخنوها حتى ألف درجة مئوية ثم صبوا هذا المصهور الذي يطلق عليه مصهور البرونز في قوالب فخارية نحتت عليها الخطوط والأشكال المطلوب إبرازها ـ ولذلك مكنت القوالب الفخارية النحاسون من صنع أدوات و آلات برونزية عديدة مثل التي استخدمت في الإنتاج الزراعي كالسكين و المعزقة و الفأس، وفي الحروب والدفاع كالبلطة والرمح والسهم والسيف، وفي المعيشة كالقدور والطشوت والأقداح المختلفة الأنواع.(٣٩)

وبعد أن ظهر الحديد في أواخر عهد أسرة تشو الغربية ساهمت

الفخاريـــات أيضاً في أحداث تطور كبير في الصناعات الناتجة من صهر الحديد حيث ابتكر الصينيون أواني وقوالب فخارية تتحمل درجات حرارة هائلـــة مكنـــت الحرفيون (بعد أن استخدموا الفحم النباتي كوقود والمنفاخ الهوائـــي لرفع درجة حرارة الأتون) من صنع الآلات والمعدات والأواني الحديديـــة العديـــدة التـــي حققـــت إنجـــازات هائلة في الإنتاج الزراعي والصنـــاعي(٤٠)

ومـــع استمرار تطور صناعة الفخاريات ظهر في عهد حكم أسرة شـــانغ أول ابتكار في العالم القديم لصناعة الخزف، حيث تمكن الصينيون من صنع نوع من الفخار يختلف عن أنواع الفخاريات الأخرى في طريقة حرقه أطلق عليه خزف صيني وهو عبارة عن أواني وأوعية بيضاء اللون ونصف شفافة ومزججة ورقيقة وذات ملمس ناعم لا يخدش وطينتها صلبة وغير مسامية وذات أشكال رائعة الجمال.

وقـــد أجمع المؤرخون وعلماء الآثار بأن الصين هي التي اكتشفت صناعة الخزف ــ وانه خلال الفترة من عام (٢٠٢ق.م ــ ٩م) ظهر فيها خـــزف لا مثـــيل له في العالم القديم متمثلا في أواني الشاي الكبيرة ذات النقوش الجمـــيلة التي صنعت من عجينه فخارية ناعمة ونقية تم حرقها تحـــت درجـــة حرارة عالية جداً حتى تحولت إلى اللون الأبيض النصف شفاف والناعم الملمس والأكثر صلابة من الفخار العادي.(٤١)

تشـــير المعلومـــات الأثـــرية بأن صناعة الخزف قد انتشرت مع صـــناعة الفخـــار خـــلال عهد أسرة شانغ، وأن معظم الأقاليم الصينية قد أبدعـــت فـــي إنـــتاج الفخـــار والخـــزف الذي تم صنعه داخل أفـــران متخصصـــة(٤٢) _ وأن هـــذه الأفـــران قد أضافت على صناعة المنتجات الفخاريـــة والخزفـــية الروعة والجمال والإتقان حيث ظهر الخزف النقي

كالــزجاج، والخــزف الأبــيض المتميز بخفة وزنه ومتانة نوعيته وكثرة زخارفــه المتقنة، والخزف ذات الخلفية البيضاء والمينا الملونة، والخزف ذو اللمعــان البهي والألوان الزاهية، إلى جانب الفخار الأرجواني الملون وذات الألوان الثلاثية والمطلي على شكل قطرات الأمطار(٤٣)... وفي ذلك يقــول هنري مسبرو في كتابه عن الصين القديمة بأن [صناعة الخزف قد بلغــت حقــاً ذروة الفن الصيني القديم وأن اكتشاف هذه الصناعة الدقيقة والفائقة الجمال تتفق مع التقاليد الصينية التاريخية التي تبرز بكل وضوح أبهه وعظمه بلاط سلالة شانغ].(٤٤)

— وقد انتقلت صناعة الخزف من الصين إلى معظم مجتمعات العالم القديــم فــي الشــرق والغرب بعد عدة سنين، بداية بفارس وبلاد ما بين النهرين وروما ومصر ثم الدولة الإسلامية واليابان حيث ظهرت في هذه المجتمعات خزفيات بأشكال متعددة إلا إنها كانت أقل جودة وإتقان وجمال فنــي عن المنتجات الصينية... وأستمر هذا التقليد أو هذا الاقتباس الغير دقــيق إلى بداية العصور الحديثة حتى تمكن الأوروبيون في القرن السابع عشــر الميلادي من صنع خزف مشابه للخزف الصيني إلى حد ما بعد أن انتشــرت صناعة الخزف من خلال مصانع متخصصة في مدن أوروبية عديــدة مــثل **البندقــية** في إيطاليا، **وسيفر** في فرنسا، **وكولون ودرسدن** بألمانــيا، **وديلفــت** بهولــندا، **وســتافوردتر ولاميث ودربي وود جورد وورشســتر** بإنجلترا ـ ثم في أمريكا بعد أن تم صناعة الخزف لأول مرة في ولاية فيلادلفيا عام ١٧٦٩م وتطورت بعد ذلك على يد العالم **تشارلس بنز** وحققت نتائج باهرة بعد أن انتشرت هذه الصناعة في ولايات أمريكية عديدة.

ولذلــك فإنه أمام تاريخ الصين المشرق في صناعة الخزف تطلق

جميع شعوب العالم على جميع المنتجات الخزفية عموما لفظ "صيني" من قبيل الاعتراف المؤكد بأن الصين هي أول من أكتشف صناعة الخزف وأول من أتقنت إنتاجه بالروعة والجمال ـ كم أن كلمة "صين" في اللغة الإنجليزية تعني "خزف" وذلك كدليل على التصاق الخزفيات باسم الصين.(٤٥)

وعلى هذا الأساس تعتبر صناعة الخزف من ضمن الرموز الهامة التي تألقت بها الحضارة الصينية القديمة ومن الدعائم الهامة التي قدمتها الصين للحضارة العالمية.

صناعة المنسوجات الحريرية :-

أهتم المجتمع الصيني منذ بداية العصر الحجري الحديث بزراعة أشجار التوت في الأراضي الخصبة للحصول على ما تجود به من ثمار طيبة المذاق ـ وقد أزداد هذا الاهتمام بزراعة هذه الأشجار بعد أن اخترع "ولى زو" الذي يعتبر من مشاهير الشخصيات الأسطورية المشار إليها في معظم كتب التاريخ الصينية طريقة تربية دود القز على أوراق شجر التوت ليتغذى عليها ويفرز خيوط الحرير، الذي تم غزله واستخدامه في صناعة المنسوجات الحريرية التي تعتبر من أرقى المنسوجات التي عرفتها البشرية على مر التاريخ.

تشير المراجع التاريخية بأن زوجة الإمبراطور الأسطوري [لوهسى] قد علمت الناس الطريقة المثالية لإطعام دود القز بأوراق شجر التوت وأن السيدة (سى لنج) زوجة البطل الأسطوري [هوانغ دى] قد نشرت تربية دود القز بين الناس وعلمتهم طريقة نسج الحرير بدقة وإتقان.

وعلى هذا الأساس انتشرت زراعة أشجار التوت في جميع أرجاء الصين، وازدادت بشكل متميز في الحقول والبساتين عند بداية عصور

الأسـر الحاكمـة، حيث اهتم المزارعون الصينيون بزراعتها وقاموا بكل عناية خاصة برعايتها وهى في مراحل النمو حتى تثمر بجودة وتعمر في الأرض لسـنوات طويلـة، ويـتربى على أوراقها دود القز خلال فترات الربـيع والصـيف لـيفرز في الخريف خيوطاً رفيعة جداً تمتاز بالمتانة والأطوال الكبيرة واللون الأبيض اللامع الذي أطلق عليه خيوط الحرير ـ وعلـى أثر ذلك أتقن الشعب الصيني عملية استخراج هذه الخيوط وغزلها بدقـة ثـم نسجها يدوياً في شكل منسوجات حريرية طوال فترة الشتاء ـ والدليل على ذلك أن معظم السجلات التاريخية تؤكد بأن المجتمع الصيني فـي عهـد أسرتي شيا وشانغ (من القرن ٢١ ـ القرن ١١ق.م) قد أتقن بمهارة فن صناعة المنسوجات الحريرية بعد غزل الخيوط الناتجة من دود القـز، وأن هذه المنسوجات قد انتشرت في كافة أنحاء الصين.(٤٦) وتباهي الصـينيون بارتدائها في شكل ملابس غالية القيمة ورائعة الجمال ـ وأنه خـلال عهد حكـم أسـرتي تشيو الغربية والشرقيـة (من القـرن ١١ـ عـام ٤٧٦ ق. م) وفتـرة الممالـك المتحاربة (من عام ٤٧٦ـ٢١ق.م) اعتـبرت مـن أرقى فنون الأشغال اليدوية في العالم القديم وأبهرت بدقة صنعها وجمال خاماتها وأشكالها جميع شعوب المجتمعات الأخرى القديمة في الشرق والغرب.(٤٧)

ورغـم أن صـناعة الغـزل والنسيج قد تطورت بصفة عامة مع صناعة الحرير حيث أتقن الصينيون غزل ونسج القطن والصوف والكتان وأنـواع أخرى مثل نسج القنب في الربيع إلى جانب صنع ملابس بألوان زاهية من خيوط النباتات التي تعترش، ومن تضفير الأشواك و الأقصاب والقـراص والتبن في أشكال قطع دائرية أو مستطيلة رائعة الجمال ـ إلا أن المنسوجات الحريرية قد مثلت قمة هذا التطور وعلى الأخص في عهد

حكم إمبراطورية هان الغربية والشرقية (من عام ٢٠٦ق.م ــ٢٢٠ ق.م) لأنهــا في هذا قد أضيفت إليها الألوان الزاهية والمزركشة وطعمت بقدر كبــير من فن المطرزات، وغزت معظم شعوب العالم القديم من الهند إلى رومـــا عبر الداريق الطويل الممتد من غرب تشانغان عاصمة أسرة هان الغربــية ومخــترقة قــارة آسيا من الشرق إلى الغرب لمسافة ٧٠٠٠ كم وأطلق عليه طريق الحرير نظراً لمرور المنسوجات الحريرية عليه بصفة مستمرة أثناء تصديرها من الصين إلى كل بلدان العالم.[٤٨]

وعلــى أثــر الشــهرة التــي نالتها الصين في فن تربية دود القز واســتخراج خــيوط الحريــر وصناعة المنسوجات الحريرية بشكل متقن ورائــع الجمال أطلق عليها في هذا العصر أسم بلد الحرير، ورغم مرور عــدة قــرون على هذه الشهرة، وقيام دول كثيرة بإنتاج أنواع مختلفة من المنسوجات الحريرية إلا أن الصين مازالت حتى الآن تكتسب هذه الشهرة وتحــتل مركــزاً رئيسياً ومميزاً بين دول العالم في فن إنتاج المنسوجات الحريرية.[٤٩]

فن الصهر وتصنيع المعادن:

ــ تفوقــت الصــين مــنذ بداية عصور الأسر الحاكمة في عمليات استخراج المعادن وصهرها وتصنيعها بأساليب فنية دقيقة ورائعة الجمال وقد أشير في كتاب [تيان قونغ كاي وو] ومعناه الوثائق الكلاسيكية للعلوم والتكنولوجيا في الصين القديمة – بأن العالم الصيني "سونغ" كان أول من صنع في العالم القديم سبيكة من النحاس والزنك بعد أن أوضح لأول مرة أسلوب صهر الزنك الذي اعتبر في ذات الوقت إنجاز هام في تاريخ صهر المعــادن في الصين القديمة، والتي انفردت وحدها بين بلدان العالم القديم ولفترة طويلة بالقدرة على صهر هذا المعدن ــ هذا إلى جانب أن اكتشاف

الحديد واستخراجه في عهد حكم أسرة تشو الغربية[١٠٢٨ق.م- ٧٧٠ق.م] قد جعل المجتمع الصيني يسبق معظم المجتمعات الأخرى القديمة التي كانت تعاصره في فن الصناعات المعدنية مثل الآلات والمعدات الخاصة بالزراعة واستصلاح الأراضي البور كالفأس والمعزقة والمنجل والمحراث، وأسلحة الحروب المختلفة، والآلات الخاصة بالحرف اليدوية العديدة، والمعدات اللازمة لإقامة السدود لحماية البلاد من خطر الفيضانات – ولعل الأدوات والآلات والمعدات المعدنية التي اكتشفت ضمن آثار مقاطعات خبى وخنان وشنشى خير دليل على مدى تفوق الصين خلال عهد حكم إمبراطورية تشو الغربية ثم الشرقية في تصنيع المعادن وعلى الأخص الحديد.(٥٠)

– بالإضافة إلى ذلك – انه في عصر الانفصال والممالك المتحاربة اخترع أحد علماء الصناعة في الصين [المناخ الهوائي] لرفع درجة حرارة الآتون أثناء صهر الحديد والنحاس والزهر – كما استخدم الحرفيون الفحم النباتى كوقود شديد الحرارة في عمليات صهر المعادن – وهذا قد أدى إلى إحداث تطور هائل في حركة تصنيع المعادن، ونجح الصينيون على اثر ذلك في إتقان فن صنع الفولاذ والحديد المجلفن والزهر المصقول، بعد أن تأسست معامل كبيرة عمل فيها مئات الحرفيين، وأنشأت مراكز عديدة لصهر المعادن في مناطق مختلفة مثل مركز [وان] بمدينة [تايـنانغ] بمقاطعة [خنان]، ومركز [هانذان] بمدينة [هاندان] بمقاطعة [خبى]، ومركز [تانغ شى] بمدينة [شيبينغ] بمقاطعة [خنان].

وقد تطورت أيضا عمليات صهر وتصنيع المعادن في العصر الإمبراطوري وأقيمت على اثر هذا التطور مشروعات كبيرة اعتمد فيها على المعادن المصنعة وخاصة الحديد وذلك مثل المشروعات الخاصة

بالـــري وإقامة السدود واستصلاح الأراضي الزراعية التي سبق الإشارة إليها في الباب السابق – هذا بالإضافة إلى أن صناعة البرونز قد وصلت فـــي هذا العصر إلى قمة للفن والإتقان والروعة في كافة أرجاء المجتمع الصيني، وأصبحت من ضمن الحرف الهامة التي تفوقت فيها الصين على جمـــيع بلدان العالم القديم(٥١) ـ وفي ذلك يقول ول ديورانت [أصبح صب الـــبرونز ونقشـــه فـــناً من الفنون الجميلة الصينية، وأخرجت فيه الصين مجموعـــات عديـــدة جداً يتطلب حصر أسمائها وتصنيفها اثنين وأربعين مجلداً ... وكان يصنع منه أواني الحفلات الدينية والتماثيل المتنوعة وكثير مـــن الآنـــية الجمـــيلة التي طعمت معظمها بالذهب ـ وبهذا الفن الراقي لصناعة البرونز قد جعل الصين القديمة في مركز متفوق على جميع بلدان العـــالم القديم بعد أن أصبح لا يوجد في العالم كله ما يضاهي مصنوعات الصـــين البرونزية طوال العصور القديمة والوسطى، إلا ما صنع منه في إيطالـــيا فـــي عهـــد النهضـــة الأوروبية ... ولعلها لا يضاهيها من هذه المصـــنوعات إلا [أبـــواب الجـــنة] التي وضع تصميمها العالم المشهور [جبرتى] ليزين بها موضع التعميد في فلورنسا](٥٢)

فن تصنيع المطرزات :

أتقـــن الحرفـــيون الصينيون منذ بداية عصور الأسر الحاكمة فن تصـــنيع المطـــرزات علـــى المنسوجات وخاصةً المنسوجات الحريرية، وأصـــبح هـــذا الفن خلال عهد حكم أسرة تشو الغربية والشرقية من أهم الحـــرف الـــيدوية الراقية التي تتميز بالدقة وروعة الجمال والذوق المعبر عن بيئة ومكانة المجتمع الصيني في ذلك العهد.

وتشـــير معظـــم المراجع التاريخية ـ بأن الصين قد تفوقت على معظم بلدان العالم القديمة في فن تصنيع المطرزات على الأقمشة، وأن ما

ابـــتكره الحرفيون الصينيون في هذا المجال كان يدهش الشعوب الأخرى مـــن روعته ودقة إتقانه، وصعوبة تقليده ــ ولذا فان المطرزات الصينية كـــان لا يوجد ما يضاهيها في جميع مجتمعات العالم القديم وعلى الأخص في العصر الإمبراطوري، بعد أن أصبح فن التطريز يتم صناعته ميكانيكياً لأنـــه فـــي أوائل عهد حكم هان الغربية (٢٠٦ق.م-٢٤م) تمكنت زوجة **[تشـــي بـــان قوانغ]** صاحب الدور الهام في قيام الانتفاضة الفلاحية التي أسقطت نظام حكم أسرة [تشين] من اختراع أول ماكينة في العالم للتطريز البارز على الحرير الناعم والأقمشة المختلفة.(٥٣)

وعلى هذا الأساس تعتبر الصين القديمة أول من ابتكرت بإتقان فن تصـــنيع المطـــرزات، وصـــاحبت الفضل العظيم في اختراع أول ماكينة للتطريز البارز على المنسوجات المتنوعة ــ وأنها مازالت حتى عالم اليوم مـــتفوقة في هذا المجال، ومنتجاتها المطرزة تغزو بدون منافسة جادة أو حقيقة كل أسواق العالم.(٥٤)

صناعة الأخشاب:

عـــرف الشـــعب الصيني في عهود ما قبل الأسرات كيفية تصنيع بعـــض الآلات والأدوات الخاصة بالزراعة وبأمور المعيشة من الأخشاب وتطـــور في هذه الصناعة خلال العصر الملكي الذي ضم نظام حكم أسر شيا وشانغ وتشو الغربية والشرقية حيث أتقن بمهارة استخدام الأخشاب في الـــصـناعات المخـــتلفة التـــي كانـــت تـــتعلق بالزراعة وبالغزل والنسيج وبالأدوات المنزلية.(٥٥)

وخـــلال عهد الممالك المتحاربة [٤٧٦ق.م ــ ٢٢١ق.م] تطورت بشـــكل رائـــع الصـــناعات الخاصة بالأخشاب، وأصبحت بيوت وقصور الصينيون التي كانت تبنى من الحجارة والطوب تتزين في كل الاتجاهات

بالـــنوافذ والأبواب الخشبية المتميزة بالمتانة والجودة وجمال الفن الراقي، وأصبحت الصين من خلال ذلك من أهم مجتمعات العالم القديم في صناعة الأخشاب وعلى الأخص صناعة الأثاث.

ويـــرجع الفضل في هذا التطور إلى اهتمام أصحاب حرفة النجارة فـــي إبراز مهارتهم في الصناعات الخاصة بالأخشاب بعد اختراع بعض الأدوات الهامـــة لأعمال فن النجارة مثل [المنشار، والمثقاب، والمسحاج، والمســطرة، والمبرد ...] حيث استخدموها بإتقان وبشكل متميز في جميع ورش النجارة ومصانع الأخشاب.

وتشـــير بعض كتب الصين التاريخية بأن العالم المعماري الصيني [لوبـــان] الذي ولد في هذا العهد بمملكة [لو] داخل أسرة توارث أفرادها مهـــنة الـــنجارة، هو الذي أخترع هذه الأدوات والآلات الخاصة بأعمال الـــتجارة وذلـــك نتيجة اشتغاله مع أهله منذ طفولته في النجارة وصناعة الأثاثات، واكتسابه خبرات ومهارات فنية هائلة في هذا المجال دفعته إلى اخـــتراع هـــذه الأدوات التي شاع استخدامها في الصين بعد ذلك، وعلى الأخـــص فـــي العصـــر الإمبراطوري(٥٦)، وانتشرت بعد فترة في معظم مجتمعات العالم القديم بعد أن تألقت الصين في الصناعات الخشبية وعلى الأخـــص صناعة الأثاثات التي تأثرت بدقة صنعها وجمال أشكالها معظم بلـــدان أوروبـــا في العصور القديمة وطوال العصور الوسطى وفي مطلع العصـــور الحديـــثة(٥٧) ــ وفي ذلك يقول ول ديورانت بأنه [لقد كان أثاث المنازل يصنع في الصين من الأخشاب بأشكال متعددة ومختلفة، وفذة في صـــورتها، وكانت تبعث في نفس مالكها بهجة ومتعة، لا يدركها في بلاد الغرب إلا الخبراء الأخصائيون].(٥٨)

صناعة العقاقير الطبية :-

نتـيجة لـتفوق المجـتمع الصيني في الإنتاج الزراعي وازدهار زراعـة الأعشـاب الطبـية في معظم الأقاليم الصينية منذ بداية العصر الحجري الحديث، واستخدام هذه الأعشاب في علاج بعض الأمراض التي تصـيب الإنسان – اشتهرت الصين بطب الأعشاب والمهارة في صناعة العقاقير الطبية.(٥٩)

ويتردد على أثر ذلك في بعض كتب الصين التاريخية التي أشارت عن الطب الصيني القديم بأنه كان يوجد في العصر الحجري الحديث رجل عالم يدعى "شن نونغ" تخصص بمهارة فائقة في علاج المرضى مستخدماً في ذلك ما يزيد عن مائة نوع من الأعشاب الطبية التي تمكن المزارعون الصينيون من زراعتها بكفاءة تامة في الأراضي الخصبة.(٦٠)

في عهد حكم أسرتي شيا وشانغ (من القرن٢١– القرن١١ ق.م) تطور الطب الصيني تطوراً هائلاً على أثر النهضة التي حدثت في زراعة الأعشـاب الطبـية حيث زاد إنتاجها وتعددت أنواعها وتحسنت جودتها، وأمكـن تصـنيعها بصورة بدائية عن طريق التسخين بالماء والتخمير في أوانـي فخاريـة [على شكل قدور وطشوت وسلطانيات] حتى تكون سهلة التـناول إلـى حد ما في علاج العديد من الأمراض التي اكتشفت على يد أطـباء هذه الفترة – وقد برهنت على ذلك النقوش والرموز التي حفرت علـى جدران المعابد والقصور وعظام الحيوانات ودروع السلاحف وعثر عليها علماء الآثار عن هذا الزمان، حيث أفادت بأن المجتمع الصيني كان من أوائل المجتمعات الحضارية القديمة في استخدام الأعشاب الطبية لعلاج بعـض الأمراض التي تصيب الإنسان، وأن الشعب الصيني قد سبق كل شعوب العالم القديم في التصنيع البدائي للعقاقير الطبية.(٦١)

خلال حكـم أسـرتي تشــو الغربيــة والشرقيــة (من عــام ١٠٢٨ ــ ٤٧٦ق.م) ازدادت حـركة تصــنيع العقاقــير الطبية وتحسنت جودتهــا نتـيجة لاكتشاف المزيد من الأعشاب الطبية مع انتشار ظاهرة التخصــص الطبــي بعد أن ظهر أطباء أكفاء في التغذية والجراحة العامة والمتخصصة والأمراض الباطنية والطب البيطري.(٦٢)

ومــع استمرار هذا التطور في علاج الأمراض بالأعشاب الطبية بعــد تصــنيعها بدائــياً، شكلت في عهدي الإمارات الإقطاعية المنفصلة والممالك المتحاربة (من عام ٤٧٥ ــ ٢٢١ق.م) **المنظومة النظرية للطب الصيني**، كم نشطت الأفكار الأكاديمية واجتهد الأطباء والعاملون في مجال العقاقير الطبية الناتجة من الأعشاب المختلفة من تلخيص خبراتهم وخبرات أســلافهم فــي أبحاث عديدة تمكنوا على آثارها من وضع موسوعة طبية جليلة النفع أطلق عليه "نى جينغ" أي (موسوعة الإمبراطور الأصغر للطب الداخلي) وهى تعتبر من أقدم الموسوعات الطبية التي وضعت في الصين، وتــتكون مــن ١٨ مجلداً، وركزت على النظرية الأساسية للطب الصيني وعالجــت موضوعات عديدة مثل علم التشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا والــرعاية الصحية الواجبة وفن التشخيص للأمراض المختلفة إلى جانب علــم الأدويــة ومهــارة العــلاج بالوخز بالإبر الذي يطلق عليه "الاكيو بانكشر".(٦٢)

وحيــث أن الوخز بالإبر يعتبره الصينيون من وسائل العلاج مثل العقاقــير ــ فقــد وردت بمجلة "هو وهى" المصرية مقالة عن هذا العلاج تفيد بأن إسر العلاج بالوخز بالإبر قد بدأ علم ٣٠٠٠ ق.م حين تلقى أحد المحاربيــن الصــينيين القدماء حربه في صدره طرفها مصنوع من حجر مدبــب جعلته يشعر بفقدان الإحساس في بعض مناطق جسده البعيدة عن

مكان الإصابة، وأن هذا المحارب قد اندهش ومن حوله بهذا الأمر، وعقب هذا الحادث بفترة حاول نفس المحارب أن يكرر المحاولة باعتبارها تجربة شخصـــية يريد التأكد منها .. وبهذه الملاحظة البسيطة استطاع الصينيون اكتشـــاف وســيلة فعالة لعلاج وإزالة الألم . ومن وقتها بدأ الوخز بالإبر يأخذ شكــل نظـــام كامــل في الصين القديمة وعلى الأخص منذ عــام [١٦٠٠ ق.م] واختلفــت الإبــر المســتخدمة منذ القدم حيث تطورت من العظــام المدببة للحيوانات إلى الأحجار ثم تم تصنيعها من الذهب والفضة إلـــى أن تم تشكيلها من الصلب غير القابل للصدأ مع رأس من نحاس .. وبعـــد ذلك انطلق العلاج بالإبر الصينية كنوع من العلاج الشعبي في تلك الـــبلاد حـــتى جـــاء القرن السابع بعد الميلاد فبدأت المحاولات الأوربية للـــتعرف على حضارات الشرق الأقصى فكانت أول الكنوز التي حصلوا علـــيها كتاب الطب بالوخز وهو عبارة عن محادثة بين إمبراطور الصين الأصـــفر العظـــيم وطبيبه الخاص "شاي جو" فنهضت حركة الترجمة من الصينية إلى لغات العالم الأخرى، وانفتح العالم على بعضه في نهاية القرن الماضـــي وأصبحت الصين تعتز بطريقتها في العلاج بالإبر].. وقد جاء أيضاً في هذه المجلة حديث للأستاذ الدكتور فتحي نصر أستاذ علاج الآلام المزمنة بكلية طب الأزهر عن العلاج بالإبر الصينية أشار فيه بأن [الوخز بالإبـــر يـــؤدى إلـــى إفراز مواد كيماوية طبيعية مخزونة بالجسم تسمي أفـــيونات الـــدم، وتـــؤدى هذه المادة بدورها إلى إيقاف الألم، وبذلك يقل الاعـــتماد على المسكنات الخارجية ـــ ورغم ما سبق إلا أن الوخز بالإبر يتوقف أحياناً على الإيحاء النفسي والاقتناع الشخصي بمدي فاعلية هذا الطب الشـــعبي، ففلســـفة الوخز بالإبر تعتمد على أن الصينيين يؤمنون بأن الجسم يحـــتوى علـــى قنوات يسرى فيها تيار كهرومغناطيسى وهذه القنوات تصل

الجلـد بكل الأعضاء المختلفة ويمكن تنبيه هذه الأعضاء الداخلية عن طريق الجلـد، ومعظم الأمراض والشواهد التي تعتبر أعراضاً جسمية عضوية في الطـب الغربي مثل الكسل والصداع واضطرابات الجهاز الهضمي، تعد من مفهـوم الطـب الصـيني نتيجة اختلاف في طاقة الجسم وإرادة الإنسان ــ وتعتـبر الفلسـفة الصينية أن الإنسان هو المسئول الأول عن صحته، وهو مرشد ذاته، ووظيفة الطبيب تتوقف عند حد توجيه الإنسان إلى قنوات طاقته، ويحمل كل مريض في داخله جهاز للتمرينات الداخلية التي تعطيه الصحة والسعادة... وهكذا علّمت الصين منذ قديم الأزل أبناءها فلسفة الوقاية بدون طبيـب وخاصــة إنها كانت تعانى في بعض المناطق من نقص كبير في الأطـباء فـانطلق الشـعب الصـيني يعالج نفسه بنفسه حتى أطلق على الصينيين اســم "الأطباء الحفاة" حيث قاسوا من الفقر الشديد لكنهم كانوا أصحاء بفضل فلسفة التحكم في الأعضاء الداخلية عن طريق نقاط خارجية على الجلد وهي الوخز بالإبر].. وأيضاً أشار الدكتور المصري هشام عبد العظـيم في هذه المجلة عن هذا الموضوع بأن [العلاج بالإبر الصينية هو أهـم أنواع العلاجات الشعبية الصينية، وقد عرف لدى القدامى وتوارثته الأجـيال في تكتم شديد وحرص، على بقاء أسرار مدخل هذا العلم حكراً علـى الصـينيين وحدهم فكانت خرائط جسم الإنسان ــ التي تصف نقاط الحـس علـى الجلـد بمثابة كنوز يصعب الوصول إليها، بل كانوا أحياناً يلجـأون إلى التخلص من الخريطة بعد أن يحفظوها فتنتقل من شخص إلى شخص مباشرة قبل الوفاة حرصاً على إبقاء السر].

وأشـار فـي هـذه المجلة أيضاً الدكتور عطية سوريال أخصائي تخديـر ومدير مستشفى السلام بسوهاج بأن [في الشرق الوسط لا تتوافر نفـس خـبرة الصين في استعمال هذه الإبر، لكنها نجحت إلى حد ما في

بعض حالات الولادة حيث تمكنا من زراعة أو وضع الإبر بطريقة معينة تشـل الإحساس بآلام ولكن بدون شل الحركة ــ أن للإبر الصينية أهمية كبـيرة الآن وعلـى الأخـص في تسكين الألم في بعض السرطانات مثل سرطان المثانة ــ وأسلوب العمل بها يتلخص في وضع الإبرة على نقاط معينة موضحة بخرائط جسم الإنسان، وهذه النقاط تتصل بنهايات عصبية وبتحفـيز هـذه الـنهايات بالإبرة يتم فتح أو غلق بوابات عصبية متصلة بمراكـز مخـتلفة بـالمخ، وبذلك يمكن اعتراض مسار الألم في القنوات الخاصة به، فيحول دون وصوله لمناطق الإحساس وبذلك يتوقف الشعور بـالألم هـذا بخلاف تأثيرها الكيماوي] .. وعلى هذا الأساس يعتبر نظام الوخـز بالإبـر من الإنجازات الهامة التي حققها الشعب الصيني لتسكين الألأم الناتجة عن الأمراض منذ بداية العصر الحجري الحديث.(٦٣)

وعلـى أثـر موسـوعة (نى جينغ) الطبية تنوعت طرق العلاج فظهرت أقسام الطب الباطني والجراحي والعيون والعظام وطب الأطفال، وتعـددت أشـكال العقاقـير الطبية (الأدوية) فظهرت اللصقات والأشربة والخمـر الطبي .. ومن أشهر أطباء تلك الحقبة "بيان تشيويه" الذي ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد وهو طبيب شعبي كان يتجول بين الدويلات لـيقدم الخدمات الطبية لأبناء الشعب الصيني ــ وقد أستعمل أربع وسائل للتشـخيص، الأولـى النظر [تأمل لون الوجه أي شكل المريض]، والثانية التسـمع [يمعـنى الاستماع إلى ضربات القلب وحركة الأمعاء والقولون]، والثالـثة توجـيه الأسـئلة [يمعنى سؤال المريض عما يشكوه من الآلام ومكانهـا على وجه التحديد بالجسم]، والرابعة جس النبض [وذلك من أجل معـرفة سـرعة ضـربات القلب وحركة ضغط الدم] ــ وهذه الوسائل قد شـاعت بعـد ذلـك في الطب الصيني التقليدي أما العلاج فقد استخدم فيه

الطبيـــب "بيان تشيويه" عقاقير عبارة عن أشربة مختلفة من مستخلصات الأعشــاب إلى جانب التدليك والكي والوخز بالإبر المصنوعة من الحجر والمعدن.(٦٤)

وإذا كانــت الصناعة اليدوية للعقاقير الطبية قد تطورت أيضاً في فــترة حكم إمبراطورية تشين (٢٢١-٢٠٦ق.م) وعهد حكم إمبراطورية هـــان الغربية (٢٠٦ق.م-٢٤م) ـ إلا أن قمة هذا التطور كان في عهد إمــبراطورية هــان الشرقية (٢٥م ـــ٢٠٠م) حيث أنه في هذا العهد ظهر أشهر علماء الطب الصيني مثل:

* الطبيب تشانغ تشونغ جينغ (١٥٠م ٢١٩م) الذي ألف موسوعة طبــية مــن ١٨مجلــد عن الأمراض وخاصة مرض الحمى وتناولها من الناحيتيــن النظرية والعلاجية وسجل فيها ما يزيد عن ٤٠٠وصفة للعلاج بعد أن ابتكر نظرية الحكم على الأعراض قبل إعطاء العلاج وأبدع بإتقان فــي توضيح للمبدأ والأسلوب الواجب أتباعه في استخدام العقاقير الطبية لعــلاج المرضى ـ وقد أطلق على هذا الطبيب لقب "الطبيب المقدس" ولا تزال نظرياته محور الطب التقليدي في الصين حتى الآن.(٦٥)

* الطبيـــب هواقـــوه (غير معروف تاريخ ميلاد على وجه التحديد) وكــان طبيـــب مـــتجول لخدمة الشعب الصيني في مقاطعات جيا نغسو، شـــاندونغ، وخنان، وأنهوى ـــ وعرف بذكـــائه الشديد وخبرته الكبيرة فـــي فروع الطب المختلفة وخاصة الجراحة وتسكين الألأم ـــ وقد أخترع هــذا الطبيـــب مسحوق للتخدير أطلق عليه "مسحوق مافى" وكان يخلطه بالخمـــر ويعطـــيه للمرضـــى عن طريق الفم قبل أن يجرى لهم العمليات الجراحـــية، وقد شاع استخدام هذا المخدر في جميع أنحاء الصين ثم أنتقل بعـــد حوالي ٥٠٠ سنة إلى كوريا واليابان، والأقطار العربية، وهو يسبق

ظهور التخدير في أوروبا بحوالي ١٦٠٠ سنة ــ وأبتكر أيضاً هذا الطبيب طــريقه لــتقوية صحة الإنسان من خلال التمارين الرياضية، وعلى هذا الأســاس وضع طقما من هذه التمارين هي الأولى من نوعها في الصين كــنظام علمــي للرياضة العلاجية والتي فيها يقلد الإنسان حركات النمر والإبل والدب والقرد والطيور وعرفت بعد ذلك باسم **[مصارعة الحيوانات الخمسة للرياضة العلاجية]**.(٦٦)

وعلى أثر هذا النشاط الطبي الهائل وما قدمته الموسوعات الطبية الســابقة الإشارة إليها من إنجازات جليلة للطب الصيني تطورت بصورة مذهلــة صــناعة العقاقير الطبية حيث تمكن العلماء المتخصصين في هذا المجــال مــن خلط أعشاب مختلفة ودمجها بمهارة بالطحن أو بالغلاء أو بالتخمــير أو بالتــبريد أو بطريقة التقليب البطيء أو السريع واستخلاص الــناتج منها في شكل عقار جديد ــ وكانت هذه العقاقير المستخلصة سهلة التناول ومضاعفاتها الجانبية أقل وذات فعالية أكثر في علاج المرض عن العقاقــير الطبــية الأحادية التي كانت تستخدم من قبل بأعشاب فردية ــ وبالتالــي دفــع تطــور الطــب الصيني والاستعمال الواسع لمستخلصات الأعشــاب الطبــية إلى الابتكار المستمر في صناعة الأدوية المركبة التي وصلت إلى درجــة عاليــة من التطــور في عهد أســرة جين الغربيــة (٢٦٥م ٣١٦م)، وأصــبحت من أرقى وأفضل العقاقير الطبية في العالم القديم.(٦٧)

وعلى هذا الأساس يعتبر المجتمع الصيني من أهم مجتمعات العالم القديــم في تصنيع العقاقير الطبية، وأن ما حققه في هذا المجال يعتبر بكل صدق إنجاز عظيم يحتسب له في خدمة الإنسانية.

*** إن مــا قدمناه يشير فقط إلى رموز بعض الصناعات التي أبتكرها

وأتقنها بتميز المجتمع الصيني القديم، أي أن ما عرفناه يعتبر فقط على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر لأن الحضارة الصينية القديمة كانت تتميز بصناعات أخرى عديدة مثل: فن صناعة الأدوات الخرزانية، وصناعة المضفورات المتنوعة، والسجاجيد والمفروشات الملونة التي كانت تصنع من الصوف والكتان والحرير ـ كما تميز هذا المجتمع بتصنيع ورق الحوائط والزيوت الملونة والمواد اللاذقة، والآلات الموسيقية العديدة ... وجميع هذه الصناعات والابتكارات قد أعطت تجسيداً حياً ومعبراً عن مدى كفاءة وحيوية ونشاط الشعب الصيني القديم منذ بداية حياته الإنسانية.(٦٨)

وقد أثرت هذه الصناعات الصينية المختلفة على الحضارة الغربية تأثيراً كبيراً وذلك بعد أن اهتمت البلاد الأوربية بإقامة علاقات اقتصادية عديدة مع الصين، وعلى الأخص منذ بداية حكم إمبراطورية هان الغربية وتدفقت عليها بكثرة المنتجات الصينية المختلفة ـ وتأكيداً لهذا التأثر يقول المفكر العالمي بانيكار في الكتاب الذي ألفة عن (أسيا والسيطرة الغربية) بأن الصين قد أسهمت بسخاء في نمو الحضارة الغربية بعد أن أثرت بحضارتها الراقية على حياة وأخلاق وعرف وثقافة الشعب الأوروبي ـ لأنه بعد أن اهتمت أوروبا بإقامة علاقات تجارية مع الصين في العصور القديمة والوسطى، غزت المنتجات الصينية العديدة مثل الحرير والخزف (البورسلان) والمنسوجات القطنية المطبوعة، والأدوات الخاصة بطلاء اللك، والأثاثات الخشبية، وورق الجدران الملون والمنقوش البلاد الأوربية، وأذهلت حكامها وشعبها من روعتها ودقة صناعتها المتميزة بالجمال والدقة والمتانة.. ونتيجة لهذا الغزو قامت معظم هذه البلاد بتقليد صناعة المنتجات الصينية ـ ولذلك فإن أول صناعة للخزف في أوربا مقتبسة من

الصناعة الصينية قد بدأت في مصانع سيفر الكبرى التي تمكنت من إنتاج خـــزف ممتاز الجودة يشبه إلى حد ما الخزف الصيني ـ ثم انتشرت هذه الصـــناعة بعد ذلك في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا حيث ظهرت مصانع تقلد بعـــد مئات السنين التصميمات الصينية لصناعة الخزف مثل مصنع ميسن الذي أقامه بوتيجار عـــام ١٧١٠م في سكسونيا والذي من خلاله اكتسبت مديـــنة سكسونيا شهـــرة عـــالمية عظيمة في صنـــاعة الخزف، ومصانع [بـــو، وكانتون،ورستر] في إنجلترا، وبالنسبة لطلاء اللك فقد أكدت الكاتبة الإنجليزية المشهورة **كونستانس سيمون** في أحد مؤلفاتها **[مصمموا الأثاث الإنجليز أثناء القرن الثامن عشر]** بأنه كان يستورد من الصين كسلع هامة وأســتمر يبهر الأوروبيين سنوات طويلة حتى توصل الفرنسيين في نهاية القـــرن الســـادس عشـــر إلى سر صناعته، ومن ثم بدأت أوروبا تقلد هذه الصـــناعة، وأن أول مـــرة استخدم فيها طلاء اللك بإنجلترا كان في عام ١٦٦٣م أي بعد عده قرون من ابتكار صناعته في الصين.(٦٩)

ـ أما بالنسبة للأثاث الصيني فقد أكد انتشاره في معظم بلدان أوروبا الكاتـــب الإنجليزي المشهور **برنسى ماكسكويد** في الكتاب الذي أعده عن (**تـــاريخ الأثـــاث الإنجليزي**) حيث أشار بالدليل القاطع بدخول عادة تأثيث البـــيوت الإنجلـــيزية بالأثاثـــات الصينية في معظم أنحاء بريطانيا، وأن المهندس **توماس تشيبندل** صاحب ألمع أسم في صناعة الأثاث الإنجليزي قـــد عبر بصدق عن ذلك في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي حينما اعـــتمد فـــي معظـــم تصميماته على المؤثرات الصينية الخاصة بصناعة الأثاثات مثل المقاعد والكراسي المخرمة ذات الشباك والمناضد والمكاتب التي تتميز بدقة الفن الصيني في صناعتها.(٧٠)

ـ وقد أكد أيضاً عالم البناء الإنجليزي **هدسون** في الكتاب الذي أعده

عـــن [أوروبا والصين] بأن الخصائص المميزة لفن العمارة الصيني كانت لهـــا تأثــير واضـــح على حركه العمارة الأوربية من حيث خفة المبانى والأســقف المقعــرة والأعمـــدة المزخرفة والأجراس المدلاة من حافات السـقوف والأبواب والنوافذ والشرفات المزينة بأشكال عديدة ومتقنه بالفن الصيني الراقي.

وأيضـــاً انـــتقل فن التصوير بالألوان المائية من الصين إلى أوربا والدليل على ذلك أن [جون روبرت كوزنس] الذي أطلق عليه الأوروبيين أعظـــم عـــبقري مـــس المـــناظر الطبيعية بمرقاشه كان يعتمد أساساً في رسوماته على الأصول الفنية الصينية، كما أن أسكندر كوزنس والد جون وهـــو فـــنان كبير ومتميز قد تأثر في أعماله الأخيرة بابنه لدرجة جعلت معظم فنانين أوروبا يرددون في عبارة متحدة بأن أسكندر كوزنس يذكرنا رسمه تذكيراً عجيباً بالرسومات الصينية ذات اللون الواحد.(٧١)

ـ أشـــير أيضاً في كتاب (سوجدن وادموند صن) عن [تاريخ ورق الجدران الإنجليزى] كموضوع أخر عن مدي تأثر أوروبا بفن الصناعات الصينية ــ بأن [ورق الجدران قبل صناعته في أوروبا كان يستورد أصلاً مـــن الصين على مدى عدة قرون ــ وأن موضة استخدامه قد شاعت في معظم البلاد الأوروبية حيث كان يحوى صور ومناظر طبيعية ومزرقشة بطـــريقة متقنة للغاية على ضرب من العبك المصمغ وشفاف كالزجاج ــ وكـــان يعتبر من الفخامة حين تتزين به منازل العظماء والأثرياء ــ وأن أول مـــن صنع ورق الجدران في أوروبا تقليداً للورق الصيني هو العالم الفرنســـي (جان بابيون) في عام ١٦٨٠م أي بعد مئات السنين من ابتكار صـــناعته في الصين، وعندما بلغت موضة استخدامه أوجهها في أوروبا بـــدأت التقليدات الإنجليزية في الظهور حيث تمكن الفنان جاكسون بمدينة

باترسـيا من إنتاج ورق للجدران صالح للاستعمال وتصنيفات فنية تشبه إلـى حـد مـا ورق الجدران الصيني في عام ١٧٥٣م ثم وطنت مصانع تشـلس وتشرنجهام بعد ذلك هذه الصناعة في إنجلترا خلال القرن التاسع عشر الميلادي].[٧٢]

ـ أثـرت أيضـاً الصـين بفن صناعتها للمنسوجات وخاصة العبك والمنسوجات الحريرية تأثيراً بالغاً على صناعة المنسوجات الأوروبية ـ لدرجة أن صناع الأقمشة الإنجليز قد انزعجوا من شدة إقبال الشعب على المنسوجات الصينية، ورغم أن البرلمان البريطاني قد اصدر قوانين عديدة أقـرها كل من **الملكة آن والملك جورج الأول** تحرم على الشعب استخدام **الكالـيكوه** [وهو عبارة عن المنسوجات القطنية التي تتميز بالجمال الفني للصـباغة المعروفة باسم العبك] والحرائر وغيرها الواردة من الصين ـ إلا أنهـا كانت تهرب إلى داخل بريطانيا بكثرة شديدة ـ الأمر الذي جعل أحـد صـناع النسيج يقدم لملكة بريطانيا تظلماً شديد اللهجة عن النساجين الإنجلـيز يذكـر فـيه ذلك، وأيضا لم يكن صناع النسيج الفرنسيون أقل اضطراباً من هذا الموضوع بل قد أصيبوا بالقلق البالغ مما جعل **[لوقواه]** وزيـر لويـس الـرابع عشر يصدر أمراً في عام ١٧٠١م يحرم استيراد المنسوجات الصينية لحماية المنسوجات الفرنسية ـ وعن هذا الموضوع أيضـاً قد أشار معظم علماء أوروبا المتخصصين في صناعة المنسوجات بـأن الصـين قد علمت ولقنت معظم بلدان أوروبا على مر مئات السنين كيفـية إتقان صناعة المنسوجات وفن طباعة الأقمشة بالألوان المختلفة ـ ولذلك فأن أوروبا عندما قلدت صباغة الأقمشة الصينية لم تستطع لفترات طويـل أن تصل بهذا التقليد إلى درجة الكمال التي تماثل الأقمشة الصينية نفسها من حيث دقة التلوين.[٧٣]

ـ وعلــى ضــوء ذلــك فــأن هذه الأدلة الواضحة تؤكد مدي تفوق الحضارة الصينية القديمة في الصناعات المختلفة ـ ومدى تأثيرها الهائل على صناعات المجتمعات الإنسانية الأخرى وخاصةً البلاد الأوروبية التي استفادت منها كثيراً واعتمدت على أصولها الفنية العديدة مئات السنين.

المبحث الثالث

النظام التجاري للمجتمع الصيني القديم

** خــلال فــترات العصر الحجري القديم للحضارة الصينية لم تكن للتجارة أي وجود على الإطلاق في حياة الجماعات البدائية التي عاشت في هذا العصر حيث كانت تعتمد فقط كما وضحنا في الباب الأول على الصيد والقنص وما تجود به الأرض من زراعات بسيطة من أجل الحصول على القوت اليومي.

** وأيضاً لم تظهر للتجارة أي نشاط ملحوظ في حياة القبائل والعشائر التــي كانت تمثل كيان المجتمع الصيني في العصر الحجري الحديث رغم ظهور تقدم في النشاط الزراعي داخل المناطق الصينية القريبة من الأنهار والتي تنتشر فيها الأراضي الخصبة.(٧٤)

** أمــا في عهد حكم أسرة شيا التي تعتبر أول أسرة حكمت المجتمع الصــيني (مــن القرن ٢١حتى القرن١٦ ق.م) فقد ظهرت بعض ملامح للــتجارة الداخلية فقط تمثلت في نظام المقايضة داخل حدود كل منطقة أو مدينة ــ ولكن هذا النشاط التجاري لم يكن له دور ملموس في حياة الشعب الصيني في ذات الوقت مثل الزراعة وبعض الحرف اليدوية، وهذا يرجع إلى أسباب عديدة منها ما يلي:

١ ــ المجــتمع الصــيني فــي ذلــك العهد كان مازال متأثراً بالطابع العشــائري أو القبلي، ويمر بالمراحل الأولى للاندماج في كيان اجتماعي متحد، وبالتالي لم يظهر بوضوح النشاط التجاري الداخلي الذي يقوم على تبادل السلع والمنتجات بين المناطق والأقاليم المختلفة ثم التجارة الخارجية التــي تقــوم علــى تــبادل هــذه السلع والمنتجات بين المجتمع الصيني والمجتمعات الإنسانية الأخرى في الشرق والغرب.

٢ ـ اللغة ووحدات مقاييس الطول والحجم والوزن كانت في ذلك العهد غير متحدة في معظم المناطق والأقاليم الصينية أي كانت لكل إقليم أو منطقة لغة ووحدات قياس مختلفة عن الأقاليم والمناطق الأخرى.

٣ ـ لم تظهر في ذلك الوقت أي وحدات نقد متحدة في كافة الأقاليم الصينية والتي على أساسها يقوم نظام التجارة الداخلية ثم الخارجية بل كانت لكل منطقة أو إقليم وحدات نقد تختلف اختلافاً كبيراً عن وحدات النقد الموجودة في المناطق والأقاليم الصينية الأخرى.

٤ ـ معظم الطرق التي كانت تربط بين المناطق والأقاليم الصينية المختلفة كانت وعرة وغير ممهدة ـ وبالتالي مثلت مع بعد المسافة بين المناطق والأقاليم عوائق شديدة أمام أي نشاط تجارى ملموس في ذلك العهد.

٥ ـ نتيجة الاهتمام بالزراعة واستصلاح الأراضي في هذا العهد، كان النشاط الزراعي يمثل ركناً أساسياً في كيان المجتمع الصيني ـ وأصبح كل إقليم يزرع كل ما يحتاجه أفراده من محاصيل ومنتجات زراعية ـ وعلى هذا الأساس لم تكن لظاهرة التخصص في الإنتاج الزراعي لكل إقليم والتي تنشط حركة التجارة الداخلية ثم الخارجية أي ملامح واضحة في ذلك الوقت.

٦ ـ وسائل المواصلات البرية والبحرية كانت في ذلك العهد بدائية جداً ولا تساعد بأي وضع كان على انتشار حركة التجارة بين الأقاليم الصينية التي كانت تربطها طرق معظمها وعرة وغير ممهدة [كما سبق وأن وضحنا].(٧٥)

** بعد انهيار حكم أسرة شيا، وحل بدلاً منها حكم أسرة شانغ التي حكمت المجتمع الصيني (من القرن ١٦ ـ القرن ١١ق.م) ظهرت إلى حد

مـــا بعـــض ملامـــح التخصص في الإنتاج الزراعي بين الأقاليم الصينية المخـــتلفة ــ وذلك نتيجة لظهور تطور في النشاط الزراعي حيث اتسعت مســاحات الأراضي المستصلحة وازدادت المحاصيل الزراعية وتنوعت وتحســـنت جودتها، وتميز كل إقليم حسب ظروفه الطبيعية ومناخه طوال العام بزراعات ومنتجات زراعية معينة (كما وضحنا في المبحث الأول).. وهذا التخصص قد ساعد على دفع حركة التجارة بنشاط ملحوظ إلى حد ما بيـــن بعض الأقاليم والمناطق الصينية وعلى الأخص القريبة من بعضها، ولذلـــك كانـــت الحـــركة الـــتجارية داخلية فقط وتعتمد أساساً على تبادل المحاصيل الزراعة في المقام الأول ــ وهذا النشاط قد ساعد على ظهور طـــبقة مـــن التجار تخصصت بشكل شبه منتظم في العمليات التجارية ــ وتشـــير معظم الكتب والمراجع التاريخية التي تعرضت للحضارة الصينية القديمة بأن هؤلاء التجار قد استخدموا العربات الخشبية الكبيرة التي كانت تجـــرها الأبقـــار والخيول في نقل البضائع بين الأقاليم والمناطق الصينية المختلفة.(٧٦)

ولكن رغم ظهور هذا النشاط التجاري بصورة ملموسة إلى حد ما إلا إنـــه لم يكن نشاط متكامل في حياة المجتمع الصيني في ذلك العهد مثل الـــزراعة والحرف اليدوية والصناعات البسيطة وذلك لأسباب عديدة منها الآتي:

١ ــ النشاط التجاري كان يعتمد في المقام الأول على تبادل المحاصيل الزراعـــية بيـــن المناطق والأقاليم الصينية المختلفة وكان قائما على نظام المقايضـــة لأن وحدات النقد كانت مازالت مختلفة في معظم هذه المناطق والأقالـــيم إلى جانب اختلاف اللغة ومقاييس المسافات والأطوال والمقادير الخاصة بالأحجام والأوزان.

٢ ــ الطــرق التي كانت تربط بين المناطق والأقاليم الصينية المختلفة كانــت معظمها حتى ذلك الوقت وعرة وغير ممهدة وبالتالي كانت حركة تجارة البضائع فيها غير مؤمنة ومليئة بالمخاطر.

٣ ــ المعلومــات التاريخية تشير بان مملكة شانغ كان نطاقها الإقليمي ينشــط فــي الجزء الأوسط من خبى شمالاً، ونهرى اليانجستى وهوايخه وهوى جنوباً، وشاندونغ شرقاً، وشنشى غرباً ــ أما باقي المناطق الأخرى فكانــت ســيطرتها علــيها تكاد تكون معدومة ــ وبالتالي اقتصر التبادل التجاري علــى المــناطق التي كانت تنتشر في الجزء الأوسط فقط دون المناطق الأخرى.

٤ ــ الأدلــة والوثــائق التاريخــية أثبتت أن مملكة شانغ تميزت بقسوة العقوبــات وفظاعتها وبشدة النظام العبودي الذي لم يكتفي فيه ملاك العبيد الأرســتقراطيون من الاستيلاء على وسائل الإنتاج فقط بل استحوذوا على العبــيد أيضــاً، واعتــبروهم أداة ناطقة، وكان يحق لهم قتلهم كما يقتلون الحيوانات، وتقديمهم قرباناً للموتى بدلاً من الماشية [وقد سبق أن وضحنا ذلك في الباب الأول] ــ وحيث كان العبيد يجابهون هذا الاضطهاد البشع بتخريــب وســائل الإنــتاج والهروب من مواقع العمل وشن الانتفاضات العديــدة التــي زعزعــت كــيان هذه الأسرة وأشاعت في شعب المملكة الفوضى وعدم الاستقرار ــ فقد أدى ذلك إلى تحجيم النشاط التجاري بين المــناطق والأقاليم الصينية وعلى الأخص خلال القرن الحادي عشر ق.م الذي انهارت فيه هذه الأسرة بعد أن حكمت ما يقرب من ٦٠٠ سنه.(٧٧)

** بعد أن زالت مملكة شانغ وحل بدلاً منها حكم أسرة تشو الغربية ثم الشــرقية التــي حكمــت المجتمع الصيني (من القرن ١١ عام ٤٧٦ق.م) واســتطاعت أن تحقــق تطــور هــائل في النشاط الزراعي والصناعي

والسياســي والإداري ــ فقــد نشطت حركة التجارة الداخلية بين المناطق والأقالــيم الصينية المختلفة، وظهرت طائفة من التجار الأثرياء تشابه إلى حــد مــا طبقة الأمراء الأرستقراطيين، وذلك نتيجة حصولهم على أرباح وفــيرة من العمليات التجارية العديدة التي كونوا من خلالها ثروات طائلة عاشوا بها حياة مليئة بالبذخ والرفاهية.(٧٨)

ــ **كان النشاط التجاري في ذلك العهد يقوم على نظامين:**

الأول: وهـــو الــنظام القديــــم الذي كـــان يتم بالمقايضة من خــلال تبادل السلع والمحاصيل الزراعية بين المناطق والأقاليم الصينية المختلفة، وكـــان هــذا الــنظام هــو الشـــائع فـــي معظــم العملــيات الــتجارية.

الثاني: وهــو الــنظام الجديد في النشاط التجاري وكان يقوم على أساس طــريقة البــيع والشراء الذي تم منذ بداية حكم أسرة تشو الغربية بواسطة أشياء تعادل وحدات النقد ــ كانت في البداية نوع من الأصداف ثم تحولت بعــد ذلك وأصبحت قطع من العظام ــ ومع بداية عهد أسرة تشو الشرقية تطــورت إلــى نظام القطع النحاسية في شكل وحدات أطلق عليها أسماء عديــدة مــثل وحــدة "**وان**" وكانت تزن ثلاث أوقيات من النحاس، وحدة "**الكين**" وكانت تزن نصف أوقية من النحاس، ثم السبائك وكانت كل واحدة منها تزن عشر أوقيات أو أثنى عشر أوقية من النحاس.(٧٩)

ــ ولكــن رغــم هذا التطور إلا أن النشاط التجاري كان في مراحله البدائــية بسبب مشكلة عدم توافر الطرق الممهدة وفشل السلطة المركزية فــي ذلــك الوقــت من التغلب عليها، كما أن وسائل النقل النهري كانت محــدودة للغايــة ــ هــذا إلــى جانب أن التجارة الخارجية بين الصين والمجــتمعات الأخــرى كانت شبة منعدمة بسبب أن الشعب الصيني كان يعــتقد حــتى ذلــك الوقت أنه يمثل العالم كله وبأنه لا توجد شعوب ولا

مجتمعات أخرى ذات حضارة خارج حدود الصين ــ وبالتالي كانت حركة التجارة تقتصر فقط على التجارة الداخلية التي كانت تتم في الغالب بواسطة القوافل والعربات الخشبية التي جهزت خصيصاً لنقل البضائع وتجرها الأبقار والخيول في الطرق البرية التي كانت معظمها وعرة وغير ممهدة، وبأنه بواسطة هذه الوسائل البرية تبادلت المناطق والأقاليم الصينية المواد الغذائية والمحاصيل الزراعية والمواد الأولية كالملح والنحاس والذهب والخشب والخيزران والزنجفر والجلد والحرير والصوف إلى جانب بعض الآلات والمعدات والأواني الناتجة من الصناعات البدائية والحرف اليدوية المختلفة(٨٠)ــ وقد وصف هنرى مسبارو في كتابة عن الصين القديمة ذلك الأوضاع بالقول [أن التجارة لم تتسع أيضاً في هذه الفترة، رغم أنها قامت أساساً على مبدأ الشراء والبيع أو المقايضة، وأن التجار قد حصلوا على أرباح كبيرة، وبعضهم أصبحوا أثرياء وصاحبوا الأمراء الإقطاعيين وعاشوا مثلهم في حياة مليئة بالبذخ والرفاهية، حيث كانوا يأكلون أفضل الطعام ويسكنون في بيوت تحيط بها الحدائق ويرتدون الثياب الحريرية المزركشة ويركبون في تنقلاتهم عربات يزينها الذهب والخشب وتجرها الخيول المدربة .. ولكن مشكلة أيجاد الطرق الممهدة ووسائل المواصلات السريعة قد عرقلت أتساع التجارة بين القطاعات وجعلتها لا تنافس بصورة جدية الزراعة والازدهار الذي حدث في الصناعة خلال هذه الفترة...] (٨١)

** وفي فترة الإمارات الإقطاعية المنفصلة والممالك المتحاربة التي يطلق عليها المؤرخون الصينيون فترة الخريف التي كانت منذ بداية (عام ٤٧٦ــ٢٢١ق.م) ــ نشطت حركة التجارة الداخلية نشاطاً ملحوظاً وأصبحت تمثل ركناً أساسياً في حياة الشعب الصيني نتيجة لانتشار ظاهرة

التخصـــص الإنتاجـــي بصورة شبه متكاملة في مجال الزراعة والصناعة والحـــرف الـــيدوية حيث أصبحت معظم المناطق والأقاليم الصينية تتفرد بتخصـــص إنتاجـــي معين، كما ظهرت حركة النقل النهري بين المناطق والأقالـــيم التي تمر في أراضيها الأنهار مثل اليانجستى والأصفر وهليونغ واللؤلؤ ولياوخه وهوايخه ولانتسانغ التي تجرى باتجاه الشرق وتصب في المحـــيط الهـــادي، ونهـــري نوجيانغ وبالتوشانغيو اللذان يجريان بهضبة "تشينغهاي ـ التبت" ويصبان في المحيط الهندي جنوباً، ونهرا رتيش في شينجيانغ ويصب شمالاً في المحيط المتجمد الشمالي، وأنهار داخلية أخرى تجـــرى وتصـــب في البحيرات الداخلية أو تختفي في الصحراء مثل نهر تاريم بجنوب شينجيانغ الذي يعد أطول نهر داخلي في الصين حيث يصل طولـــه إلـــى ٢١٧٩ كيلومـــتراً .. وكان نقل البضائع في هذه الأنهار يتم بواســـطة مراكب شحن شراعية صنعت خصيصاً لهذا الغرض وأن كانت في أشكال بدائية.

ــ هـــذا بالإضـــافة إلـــى أن التنافس الشديد الذي كان بين الإمارات الإقطاعـــية المنفصـــلة ثـــم بين الممالك المتحاربة (كما وضحنا في الباب الأول) وساعد بدرجة كبيرة على زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي قد دفع النشـــاط الـــتجاري نحو التطور المستمر حيث كانت كل إمارة أو مملكة تسعي دائماً إلي توفير احتياجاتها الخارجية من السلع والمواد الأولية التي لا تنـــتجها لكـــي تـــتفوق بقوة إمكانياتها المادية على الإمارات والممالك الأخـــرى .. وعلى هذا الأساس ظهرت الأسواق الكبيرة المنظمة وأصبح من الممكن لأسواق السهول الوسطى مثلاً أن تتعامل بخيول الشمال وعاج الجنوب وسمك الشرق المملح وجلود الحيوان من الغرب دون أي قيود أو عوائق.

ـــ خلال هذه الفترة ظهرت بعض الطرق الممهدة، والنقود المسكوكة بأشكال بدائية مختلفة (كالسيف والجرس والرمح والبلطة والفأس) التي ساعدت على انتشار النشاط التجاري في معظم أنحاء المجتمع الصيني ــ كما ظهرت بوادر عمليات التجارة الخارجية بين بعض الإمارات والممالك الصينية والمجتمعات الأخرى وعلى الأخص المجاورة لحدود الصين مثل منغوليا في الشمال وروسيا في الشمال الشرقي وقازاخستان وكيرجستان وتاجيكستان في الشمال الغربي وباكستان والهند في الغرب والجنوب الغربي وبورما ولاوس في الجنوب حيث تم تصدير بعض المنتجات الصينية إلى هذه المجتمعات مثل الأعشاب الطبية والقمح والمنسوجات الحريرية والأواني الفخارية نظير استيراد بعض منتجات هذه المجتمعات مثل القطن والزيوت والنحاس والفحم والبخور، وذلك بعد أن أدرك الشعب الصيني بأنه لا يمثل كل شعوب العالم وإنما توجد شعوب أخرى حضارية تعيش في مجتمعات عديدة خارج حدود الصين، وأخذ علماء الجغرافيا الصينيون يتحدثون عنها في كتاباتهم وعن مناخها وجغرافية أراضيها ليكون لدى الشعب الصيني دراية كاملة عن طبيعة هذه المجتمعات.(٨٢)

وعن مظاهر التجارة في هذا العصر يقول اندريه ايمارد في كتابه [تاريخ الحضارات العام ــ الشرق واليونان القديمة]: (إن نمو واطراد التجارة قد ظهر واضحاً في هذا العصر وعلى الأخص في فترة الممالك المتحاربة فقد شقت طرق مواصلات جديدة، واستخدمت الأنهار في نقل البضائع بين المقاطعات، وسكت النقود الأولى بأشكال مختلفة منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد لتحقيق السهولة في التعامل والتبادل التجاري، ولهذا فانه مع مرور الزمن وتحسن سبل المواصلات وازدهار الصناعة والزراعة أصبحت التجارة تنافس بصورة جدية الإنتاج الزراعي

والصــناعي الأمر الذي جعل حكام المقاطعات منذ بداية القرن الرابع قبل المــيلاد يسعون بكل جهدهم لحفظ التوازن بين الزراعة والتجارة لمساندة سكان الريف وحمــايتهم وتــأمين الأربــاح التي يحصلــوا عليهــا حتى لا تــنخفض و تفنى أمام الأرباح الطائلة التي كانت تدخل جيوب وخزائن التجار ــ ولذلك فرض حكام المقاطعات ضرائب على التجار كان بعضها يســدد فــي الأســواق بدفع قطع نقدية نحاسية لصالح الفلاحين والنشاط الزراعــي، كمــا منعوا ترك الزراعة لمزاولة التجارة أي أصدروا أوامر منعت تحول المزارعين إلى مهنة التجارة ...].(٨٣)

** بعــد أن انــتهى عهــد الممالك المتحاربة وتوحدت معظم الأقاليم الصــينية فــي أول عصــر إمبراطوري بواسطة أسرة تشين التي حكمت المجتمع الصيني خلال الفترة من (عام ٢٢١ــ٢٠٦ق.م) تطورت التجارة وأزداد نشاطها داخلياً وخارجياً وأصبحت تنافس بجدية الزراعة والصناعة واعتبرت من ضمن العوامل الهامة التي دفعت المجتمع الصيني نحو التقدم الحضــاري في مجالات عديدة، كما اعتبرت من أهم الأسانيد التي ارتكز علــيها المجــتمع الصيني في الانفتاح على العالم الخارجي **وذلك لأسباب عديدة منها ما يلي:-**

١ ــ تــم بــناء على أوامر **[ينغ تشنغ]** الإمبراطور الأول لهذه الأسرة والــذي أطلــق علــى نفسه **(تشن شى هوانغ دى)** توحيد النقد والمقاييس والمكاييل والموازين مع تحديد عياراتها في جميع أنحاء المجتمع الصيني، وظهرت على أثر ذلك عملة تشين الموحدة وكانت ذات شكل مستدير وبها ثقب مربع في الوسط ــ وقد انتشرت في جميع الأسواق وشاع استخدامها في نقود الأسر اللاحقة لأسرة تشين.

٢ ــ تم أيضاً بناء على أوامر هذا الإمبراطور توحيد الكتابة على أساس

خط "شياو تشوان" المبسط ـ وتوحيد الكتابة قد ساعد بفاعلية على تطوير عمليات التبادل التجاري.

٣ ـ تمكنت حكومة تشين من شق الطرق الواسعة العديدة من العاصمة شيانيانغ بمقاطعة شنشى إلى معظم أنحاء المجتمع الصيني، كما شقت القنوات وطورت وسائل المواصلات المائية حيث سخرت لهذه الأعمال ما يزيد عن ٨٠٠,٠٠٠ رجل ـ ولذلك أصبحت العاصمة شيانيانغ بعد خمس سنوات من حكم هذه الأسرة المركز الرئيسي للمواصلات والذي تتفرع منه شبكة طرق إلى معظم أنحاء البلاد ـ كما استطاعت السفن التجارية بعد سبع سنوات من حكم هذه الأسرة أن تصل إلى مقاطعة قوانغدونغ النائية التي تقع في جنوب الصين، وظهر على أثر ذلك العديد من المدن التجارية الكبيرة في الأقاليم التي تمر فيها المواصلات البرية والمائية الجيدة.(٨٤)

٤ ـ نجحت حكومة تشين في تعزيز الدفاع في الهضبة المنغولية بشمال الصين، وكانت تقيم فيها قبائل شيونغنو التي احتلت سهول ختاو، وشنت غارات مستمرة على معظم الأقاليم الصينية الشمالية من أجل سلب ونهب خيراتها، حيث أرسلت إليها جيشاً بقيادة "منغ تيان" قوامه ٣٠٠,٠٠٠ جندي استطاع أن يستولى على سهول ختاو ويحمى شمال الصين من غارات هذه القبائل وخاصة بعد أن قام الإمبراطور "تشن شى هوانغ" بتدعيم بناء الأسوار التي أقامتها ممالك يان وتشاو وتشين وغيرها خلال فترة الممالك المتحاربة ووصل بعضها البعض، كما أضاف إليها إمتدادات أخرى جهتي الغرب والشرق حتى أصبحت سوراً واحداً أُطلق عليه بعد ذلك سور الصين العظيم (سوف نعرض بالتفصيل قصة إنشاءه في الفصل القادم) ـ وفي عهد هذه الأسرة كان السور يبدأ غرباً "من لينتاو" التي تقع

حالـــيا في محافظة مينشيان بمقاطعة قانسو ويمتد شرقاً إلى لياودونغ التي تقع حاليا في شمال غرب لياوبانغ بمقاطعة لياونينغ وبلغ طوله في البداية ٢٥٠٠ كيلومتر ــ وبالتالي تمكنت حكومة تشين من توفير الأمان لامتداد النشاط التجاري إلى معظم الأقاليم التي تقع في شمال الصين، كما ظهرت مـــدن عديـــدة في هذه المنطقة وهجر إليها سكان من داخل البلاد مارسوا النشـــاط التجاري مع المناطق والأقاليم الأخرى التي تقع في معظم أنحاء الصين.(٨٥)

** وخـــلال فترات حكم أسرة هان الغربية ثم الشرقية التي سيطرت علـــى المجـــتمع الصيني بعد انهيار أسرة تشين بداية من (عام ٢٠٦ ق.م حـــتى عـــام ٢٢٠م) ازدهرت التجارة الداخلية والخارجية ازدهاراً كبيراً ودفعت المجتمع الصيني نحو التقدم والتطور في كافة المجالات الزراعية والصـــناعية، كما ساهمت بفاعلية على تألقه حضارياً بين كل المجتمعات القديمة الأخرى في الشرق والغرب، **وذلك لأسباب عديدة منها الآتي:**

١ ــ الوحـــدة الصينية التي تحققت في عهد أسرة تشين تبلورت في هذه الفترة وأصبح الشعب الصيني من مختلف القوميات يتصف بروابط الأخوة والصـــداقة والتضـــامن ــ وهذا قد جعل المجتمع الصيني يتقدم بقوة نحو التطور الحضاري في مجالات عديدة حيث حقق إنجازات هائلة في ميادين العلـــوم المخـــتلفة وتطور زراعياً وصناعياً وتميزت بعض منتجاته بالدقة والمتانة والجمال أي ازدهرت الحالة الاقتصادية في كافة أرجاء الصين ــ وهـــذا الازدهـــار قـــد حقـــق انـــتعاش كبير في حركة التجارة الداخلية والخارجية.

٢ ــ ظاهرة التخصص الإنتاجي أصبحت خلال هذه الفترة من السمات الأساســـية لمنـــتجات الأقاليم الصينية المختلفة، ومن أهم مميزات المجتمع

الصيني أمام المجتمعات القديمة الأخرى في الشرق والغرب ــ وهذا التخصص قد احدث تطور هائل في حركة التجارة وبلور نشاطها في مجالات نوعية عديدة ــ فظهر تجار متخصصين في تجارة المحاصيل الزراعية وآخرون متخصصين في تجارة المنتجات الصناعية، ولأسواق تمارس فيها نشاط تجاري معينا ــ كما ظهر أيضاً نتيجة هذا الازدهار تجار متخصصين في التجارة الداخلية أي بين الأقاليم الصينية فقط، وتجار آخرون تخصصوا في مجال التجارة الخارجية بين المجتمع الصيني والمجتمعات الأخرى في الشرق والغرب مثل الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين وروما ومصر وبعض البلدان الأفريقية.

٣ ــ حققت حكومة هان الغربية والشرقية إنجازات هائلة في تطوير طرق المواصلات حيث أقامت العديد من مشروعات المجارى المائية والقنوات مثل مشروع قناة **تشنغقوه** وهي عبارة عن مجرى مائى رئيسي تفرع من أعلاها ست ترع، وقناة بايتشيوى التي بلغ طولها ١٠٠ كيلومتر كما تم إنشاء عدد كبير من الطرق البرية الطويلة والمتسعة التي ربطت بين معظم الأقاليم الصينية البعيدة وفتحت المجال لاتصال الصين بالمجتمعات الإنسانية الأخرى في الشرق والغرب ــ وأهم هذه الطرق التي أنشئت وتعتبر من ضمن أهم إنجازات الصين الحضارية **طريق الحرير**(٨٦) ــ حيث يرجع تاريخ إنشائه لعهد أسرة هان الغربية (٢٠٦ق.م ــ ٢٤م) بعد أن قام الرحالة والدبلوماسي الفذ **"تشانغ تشيان"** بإعداد مشروع لشق طريق تجارى طوله ٧٠٠٠ كيلومتر يبدأ من غرب مدينه **تشانغان** عاصمة هان الغربية ويخترق قارة أسيا من الشرق إلي الغرب لينقل بواسطته الحرير الصيني إلى الهند وجميع المجتمعات الحضارية الأخرى في غرب وأواسط أسيا حتى أثينا وروما في القارة

الأوروبـية علـى أن يـرد من خلاله إلى العاصمة تشانغان خيرات هذه المجتمعات مثل لؤلؤ البحر المتوسط وجياد بلدان غرب آسيا.

وبعـد أن اقتنعت السلطة المركزية لأسرة هان الغربية بأهمية هذا المشروع قامت بتنفيذه وشقت هذا الطريق الذي أطلق عليه طريق الحرير ليكون فيما بعد من أهم الملامح الحضارية التي حققها المجتمع الصيني في العصـور القديمة حيث مازالت جنباته الزاخرة بآثار هذه العصور تجتذب إلـى الـيوم أفراجاً هائلة من المؤرخين وعلماء الآثار والسياح الأجانب. وهـذا الطريق وأن كان قد ساعد بدرجة كبيرة على تطور نشاط التجارة الداخلية والخارجية إلا إنه قد حقق رواجا اقتصادياً هائلاً للمجتمع الصيني وجعـل منـتجاته المتمـيزة تتدفق بصفة مستمرة على أسواق المجتمعات الأخرى في الشرق والغرب حيث كان التجار الصينيون يرسلون البضائع الصينية وخاصة المنسوجات الحريرية إلى أقصى الغرب (كان يطلق أسم الغـرب فـي الصين على المجتمعات الإنسانية التي كانت تقع في غرب الصـين سـواء كانت أسيوية أو أوروبية) مثل مناطق داوان وكانغجيوى وداشـيا والهـند وفـارس وبلاد ما بين النهرين والشرق العربي والمدن الرئيسـية في الإمبراطورية الرومانية، ويجلبون من هذه البلدان المنتجات التـي يحـتاجها الشعب الصيني ــ ولذلك أنشأت حكومة هـان الغربية عـام ٦٠ق.م هيئات رسمية لإدارة الشئون العامة لهذا الطريق كما أقامت علـيه حصـون لتأمين المواصلات البرية التي تمر فيه مثل حصنى [يو يمـنقوان، ويـانقوان] الحيويين في مقاطعة قانسو التي تقع بين مقاطعة شنشى ومنطقة شينجيانغ الويغورية.

ــ وقـد سـاعد هذا الطريق بعد افتتاحه على تقوية النشاط التجاري وجعـل مـن تشانغان عاصمة هان الغربية ثم مدينة لويانغ عاصمة هان

الشـرقية مركـزاً رئيسـياً للتجارة الداخلية والخارجية كما أصبحت مدن تشـنغدو وهاندان وليتسى ونانيانغ مدناً تجارية مزدهرة ونشطة وفتح فيها التجار متاجر عديدة حققوا من خلالها أرباحاً طائلة حيث كانت العربات والقوارب تنقل البضائع المختلفة بين هذه المدن والمناطق الأخرى العديدة داخـل حـدود الصـين وخارجهـا، وأصبحت أيضاً مدينه فانيوى (في قوانغتشو) وشيوبون (في قوانغدونغ) من أهم موانى التجارة الخارجية.

– بفضـل هذا الطريق تم ربط المناطق الغربية بالحكومة المركزية وإدخالهـا في دائرة التطور الحضارى والسياسى لعموم الصين، فقد نقلت تقاوى الكروم والجزر والجوز من غرب الصين إلى العاصمة تشانغان ثم لويانغ مقابل إرسال المنسوجات الحريرية والأدوات المصنوعة من الحديد من العاصمة إلى غرب الصين، وبناء على تشجيع من الحكومة المركزية علم شعب أواسط الصين أبناء مختلف القوميات في مناطق الحدود الغربية الـنظم الإداريـة السليمة وفن تطوير الزراعة وتقنية التعدين وحفر الآبار ومهـارة التصنيع والحرف اليدوية العديدة بعد أن كان سكان هذه المناطق يعيشون على الزراعة البسيطة والرعي ويخضعون لسطوة قبائل شيونغنو التـي فرضـت علـيهم أفدح الضرائب والإتاوات ومارست معهم أقصى عمليات الظلم والاضطهاد (وذلك كما وضحنا في الباب الأول).

ولذلـك ساهم هذا الطريق بقدر كبير جداً على إحداث تطور هائل فـي النشاط التجاري الصيني داخلياً وخارجياً، وأقامت الصين من خلاله علاقـات اقتصـادية وثقافية مع معظم مجتمعات العالم القديم، أي انفتحت خارجـياً بصورة مشرقة وعلى الأخص في عهد أسرة هان الشرقية التي حكمت المجتمع الصيني من عام (٢٥ ــ ٢٢٠م) حيث حدث ازدهار كبير في حركة الاتصالات الخارجية والعلاقات الدبلوماسية مثل عندما اتصلت

بالإمـــبراطورية الرومانـــية، وأوفد الإمبراطـــور الصيني سفيراً له يدعى [قان ينغ] ليذهب إلى روما عام ٩٧م عن طريق الحرير ولكنه توقف عند الخلـــيج الفارسى ولم يستطع مواصلة الرحلة إلى روما، ثم في عام ١٦٦م وصـــل وفـــد رومانى إلى الصين بحراً، وقدم للإمبراطور الصيني "هان هوان دى" الذي اعتلى العرش خلال الفترة (١٣٢-١٧٦م) هدية ثمينة من العاج وكانت هذه الزيارة تمثل البداية الحقيقية لتطوير العلاقات بين الصين وبلدان أوروبا.

كمـــا أنـــه مـــن خلال مرور القوافل والبضائع المختلفة على هذا الطريق ازدادت حركة العمران فظهرت إلى جانب الحصون الأمنية مدن جديدة امتزجت فيها الحضارة الصينية مع حضارات المجتمعات الأخرى.. وهـــذا بالإضـــافة إلى أن هذا الطريق قد ساعد أيضاً على انتعاش حركة التـــبادل الثقافي والفكر الأدبي والفلسفي بين الصين والمجتمعات الأخرى القديمـــة وعلى الأخص الهند وفارس وبلاد ما بين النهرين وروما، ولعل خير دليل على ذلك ويعتبر في ذات الوقت من أهم الآثار الثقافية والفلسفية هـــو دخول الفلسفة البوذية من الهند إلى الصين عبر هذا الطريق حوالي سنه ٦٠ أو ٧٠ ميلادية.

وقد فتح هذا الطريق أيضاً المجال لدى الأسر الصينية التي حكمت المجتمع الصيني في العصور اللاحقة نحو إنشاء طرق أخرى طويلة مثل طـــريق الـــبخور الذي تم من خلاله نقل أرقي أصناف البخور من منطقة ظفار التي تقع جنوب سلطنه عمان إلى الصين ليستخدمها الأفراد والنبلاء فـــي عهد أسرة سانغ (٩٦٠م -١١٢٦م) حيث كان بخور ظفار يعتبر من أرقى السلع العطرية المتداولة في معظم مجتمعات العالم القديم وذلك نظير نقـــل بعـــض السلع الصينية إلى سلطنه عمان، وكان هذا الطريق يضاهى

طريق الحرير شهرة وأهمية في ذلك الوقت، حيث تم من خلالهما تصدير المنسوجات الحريرية والمنتجات الخزفية وبعض المحاصيل الزراعية مثل الشاي والأرز والقمح إلى جانب الملح والحديد والورق إلى غرب آسيا وأوروبا والبلدان العربية وبعض المدن الأفريقية.(٨٧)

٤ ــ تطوير وسائل المواصلات البرية والبحرية وإحداث نهضة رائعة في تصنيعها خلال عهد أسرة هان الغربية والشرقية قد ساعد بدرجة كبيرة على انتعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية ــ حيث تم تصنيع عربات كبيرة الحجم تجرها الخيول المدربة لنقل كميات كبيرة وبأثقال ضخمة من السلع والبضائع المختلفة عبر الطرق الممهدة التي تم إنشائها وخاصة في عهد هذه الأسرة ــ كما تم تصنيع مراكب كبيرة لنقل بضائع التجار عبر الأنهار، وسفن متسعة للتبادل التجاري عبر البحار بين الصين وبعض المجتمعات الإنسانية الأخرى مثل اليابان، وكوريا، وبلدان الساحل الشرقي لأفريقيا ــ هذا بالإضافة إلى تصنيع عدد هائل من السفن الحربية الضخمة لنقل الجنود والمعدات العسكرية من موقع لأخر سواء عبر الأنهار أو البحار.

ولذلك فإنه من خلال هذا التطور الملحوظ في وسائل المواصلات ظهرت في هذا العهد شاحنات كبيرة، ومراكب فاخرة ذات خمس طوابق، وأساطيل تجارية تستطيع نقل آلاف الأطنان من السلع والمنتجات المختلفة، وسفن حربية ضخمة تتسع الواحدة منها لأكثر من ثلاثة آلف مقاتل مثل السفن الحربية التي نقلت ما يزيد عن ٢٠٠ آلف مقاتل من قوات أمير الحرب [تساو تساو] إلى ناحية الشرق في مجرى نهر اليانجستي عام ٢٠٨م أي في أواخر عهد أسرة هان الشرقية ــ وأيضاً قد وصل إلى تايوان عام ٢٣٠م [أي بعد انتهاء حكم أسرة هان الشرقية بعشرة سنوات]

أسطول بحري يحمل ١٠,٠٠٠ شخص في زيارة ودية لتوطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية بين تايوان والمنطقة الساحلية التي تقع في الجنوب الشرقي للصين.(٨٨)

٥ ـ ظهور المخازن والمتاجر الكبيرة التي انتشرت في معظم الأقاليم الصينية إلى جانب الأسواق المتخصصة والحانات المتسعة التي كان يقوم فيها كبار التجار داخل المدن وخاصة المدن الرئيسية مثل تشانغان لويانغ وهانذان ونانيانغ بأعمال المضاربات والمقاصات لبعض السلع والمحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية ... قد نشطّ بدرجة كبيرة حركة التجارة وجعلها من أكبر مصادر الربح الوفير، ومن أهم العوامل الاقتصادية في ذلك العهد، حيث فتح التجار المتاجر والحقوا بها مخازن متسعة ومارسوا أعمال المضاربات والمقاصات في المدن ونقلت العربات الكبيرة والمراكب المتسعة البضائع التي كانوا يشترونها بأثمان بخسة من منطقة إلى أخرى لبيعها بأسعار عالية حققوا من خلالها أرباح هائلة وثروات ضخمة جعلتهم يدخلون في دائرة كبار الأعيان التي كانت مقصورة من قبل على طبقة كبار ملاك الأراضي الزراعية وبالتالي حصلوا على امتيازات سياسية واقتصادية متعددة، وعاش بعضهم في قصور تحيط بها الأسوار الخارجية الفارعة وعلى أجنابها أبراج حراسة ـ كما حصل عدد كبير منهم على بعض المناصب الهامة في الحكومة المركزية ...مما يدل على أن النشاط التجاري كان يعتبر في ذلك العهد من ضمن العوامل الهامة التي حققت إلى جانب الزراعة والصناعة التكامل الاقتصادي إلى حد ما في معظم الأقاليم الصينية التي كانت تقع تحت سيطرة أسرة هان الغربية ثم الشرقية.(٨٩)

٦ - ظهور مدن وأقاليم صينية خلال هذه الحقبة، وتألقت أسواقها

بالنشـــاط التجاري المتسع في مناطق شمال وغرب الصين وبعضها الآن يكتسب شهرة وأهمية اقتصادية في عالم اليوم وذلك مثل

** مديـــنة جيـــنغ تنشـــتغ (بكين حاليا) التي تقع في أقصى شمال السهول الواسعة بشمال الصين وتحيطها الجبال من جوانبها الثلاثة ـــ فقد أصـبحت بعـــد أن قامـــت أسرة هان بإنشاء طرق عديدة طويلة ومتسعة وممهـــدة مثل طريق الحرير، مركز تجارى هام ونقطة اتصال بين سهول جـــنوب الصـــين والمناطق الشمالية وقد استمرت هذه المدينة في التطور الحضاري على مر العصور التي تلت أســـرة هـــان الشرقية، حتى سميت [كمـــا سبق أن أشرنا] في أواسط القرن الثالث بعد أن تمكنت أسرة يوان مـــن توحيد أراضي الصين باسم "دادو"، وفي عام ١٣٨٦ عندما بدأ حكم أســـرة ميـــنغ واحتلت قواتها هذه المدينة تم تحويل اسمها من "دادو" إلى "بيـــنغ" وأســـتمر هذا الاسم يطلق عليها إلى أن تغير في عام ١٤٢٠م إلى "بكيـــن" التـــي تعتـــبر حالياً عاصمة الصين ومن أهم عواصم العالم الآن وخلال هذه الفترة قد تم بناء هذه المدينة بشكل يعبر عن أهميتها التاريخية والحضـــارية حيـــث أسست مربعة الشكل وعلى كل من جوانبها الأربعة ثلاث بوابات وتمتد داخلها تسعة شوارع كبيرة، ويقع القصر الإمبراطوري جنوبها، والأسواق شمالها، وشرق القصر يقع معبد تايمياو الخاص بعبادة الأســـلاف، وغـــرب القصر منصة شهجى لعبادة آله الأرض والحبوب، وجميع هذه الأبنية موزعة على جانبي الخط المحوري للمدينة الذي ينتهي بالقصر الإمبراطوري تأسيسا على مفهوم تقليدى يفرض ضرورة أن يكون عـــرش الإمـــبراطور مـــتجهاً نحو الجنوب لكي يعطى الانطباع بسيطرة الإمبراطور الدائمة على أطراف المدينة.(٩٠)

** مقاطعـــة قانسو وهي تقع على المجرى الأعلى للنهر الأصفر عند

ملتقى الهضاب الثلاث الكبرى [تشينغهاي التبت ومنغوليا الداخلية والتراب الأصفر] تحدها شرقاً مقاطعة شنشى وجنوباً مقاطعتا سيتشوان وتشينغهاي وغرباً منطقة شينجيانغ الويغورية وشمالاً منطقة منغوليا، وتبلغ مساحتها الإجمالية ٤٥١ ألف كيلو متر مربع، والمساحة بين طرفيها الشرقى والغربى ألفي كيلو متر، ويعرف جزؤها الأوسط باسم **"ممر خهشى"** أي ممر غرب النهر نظراً لموقعه غرب النهر الأصفر ــ وكانت في العهود السابقة ذات طبيعة مخيفة لأن معظم أراضيها كانت صحراء قاحله وتنتشر فيها الرمال المتحركة التي تمتد فيها إلى ما لا نهاية.

في عهد أسرة هان الغربية والشرقية انقلبت أوضاعها وشهدت تطور اقتصادي هائل في حركة النشاط التجاري بعد أن شق فيها طريق الحرير، وأصبح يجتازها بالعرض من شرقيها إلى غربيها حيث أتاح لها القدرة على عقد علاقات اقتصادية مع بلدان غربى آسيا وأوروبا وأفريقيا ومكنها من تحقيق تطور كبير في زراعتها وصناعاتها وحرفها اليدوية وتجارتها حتى قيل عنها في عهد أسرة هان الشرقية **"الجناح الأيمن من قانسو هو جنة الغنى في الدنيا"** لأنها كانت المحطة الرئيسية على طريق الحرير الذي حقق في هذه الحقبة انتعاشاً هائلاً في حركة التجارة بين الصين والمجتمعات الإنسانية الأخرى في آسيا وأوروبا وأفريقيا.

ورغم أن اقتصادها قد تدهور بعد عهد أسرة مينغ الملكية (١٣٦٨م ــ١٦٤٤م) نتيجة لظهور طريق الحرير البحري محل الطريق البرى القديم وتعرضها لحروب ومعارك عديدة اكتوت بنيرانها واستنزفت فيها معظم مواردها ــ إلا إنها استطاعت أن تنطلق مرة أخرى بداية من ستينات القرن التاسع عشر واستمرت في التطور حتى أصبحت الآن من أهم المقاطعات الصينية المليئة بالقلاع الصناعية والثروة المعدنية

والإنتاج الزراعي الوفير إلى جانب ما تمتلكه من آثار تاريخية قديمة تجعلها من أهم المزارات السياحية مثل معالم طريق الحرير البري وبقايا سور الصين العظيم والحصون التي أقيمت عليه مثل حصن [جيا يو يقسوان] الذي أقيم في نهاية السور غرباً ويمثل نقطة استراتيجية على طريق الحرير ومركزاً هاماً للتبادل التجاري والثقافي بين الشرق والغرب.(٩١)

*** منطقة شينجيانغ الويغورية وهي تقع في شمال الصين الغربي وتبلغ مساحتها الكلية ١.٦مليون كيلومتر مربع، وتحدها من ناحية الشرق مقاطعة قانسو ومن الجنوب الشرقي مقاطعة تشينغهاي ومن الجنوب منطقة التبت.

قديما كانت هذه المنطقة تعتمد فقط على الرعي والصيد وبعض الزراعات البسيطة، وفي عهد أسرة تشو وخلال فترة الربيع والخريف كانت تسيطر على أجزاؤها العامرة قبائل شيونغنو التي فرضت عليها أفدح الضرائب والإتاوات وجعلتها بصفة مستمرة مسرحاً للنهب والتخريب، وقطعت الإتصال بينها وبين مدن وأقاليم الصين الداخلية، وهذا قد أدى إلى ركودها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً واستمر هذا الوضع إلى أن انتهى عصر الممالك المتحاربة وظهر العصر الإمبراطوري الذي توحدت فيه معظم المناطق والأقاليم الصينية بداية من أسرة تشين عام ٢٢١ ق.م ثم أسرة هان الغربية والشرقية حيث قام أباطرة هذه الأسر بإرسال حملات عسكرية عديدة على هذه القبائل وخاصة في عهد أسرة هان الشرقية حتى تمكنت إلى حد ما من تحطيم كيانها وإنهاء سطوتها على معظم أجزاء هذه المنطقة العامرة.. وعلى أثر ذلك تم توثيق وتطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية والتجارية بين هذه المنطقة وبين

مـدن وأقاليـم الصـين الداخلية، وبعد أن ازدهر طريق الحرير بالحركة الـتجارية انتعشت بعض مدن هذه المنطقة وخاصة الغربية من مقاطعتي قانسو وتشينغهاي بالأسواق والمتاجر وحانات المضاربة.

ورغـم أن هذه المنطقة قد شهدت حروب عديدة في العصور التي تلت أسرة هان الشرقية، إلا أنها الآن تعتبر من المناطق الاقتصادية الهامة للصـين الـيوم، لاغتنائها ببعض المحاصيل الزراعية وبالثروة الحيوانية حيث يوجد فيها مراعى طبيعية شاسعة، كما تغتني بالموارد المعدنية مثل الفحـم والبترول والغاز الطبيعي والمواد الإشعاعية كاليورانيوم والتوريوم إلـى جانـب الصـناعات العديدة التي انتشرت فيها مثل الغزل والنسيج وصناعة الكيماويات والآلات الميكانيكية الحديثة.

وهـذه المنطقة تضم قوميات عديدة معظم أبنائها يعتنقون الإسلام مثل **قومية الويغور** التي بلغ عدد سكانها الآن ٧,٢ مليون نسمة، **وقومية هـوى** وعدد سكانها ٨,٦ مليون نسمة، **وقومية قازاق** ويبلغ عدد سكانها ١,١مليون نسمة، **وقومية داوور** وعدد أبنائها يزيد عن ١٢٠ألف نسمة ــ وإجمالـي عـدد سكان منطقة شينجيانغ حاليا حوالي ١٦مليون وعاصمتها **مديـنة اورومتشـى** التي تعتبر مقر الحكومة المحلية مع الاعتبار أن هذه المنطقة تتمتع بالحكم الذاتى مثل منغوليا الداخلية التي تقع في شمال الصين ومنطقة التبت وتقع في شمال الصين الغربي.(٩٢)

** وبالتالـي فـإذا كانت الحضارة الصينية القديمة قد اعتمدت أثناء ظهورهـا علـى الإنـتاج الزراعي في العصر الحجري وعهد أسرة شيا وشـانغ، ثـم تبعه الإنتاج الصناعي في عهـد تشـو الغربية والشرقية (وخـلال فـترة الربيع والخريف) ــ إلا أن تألق هذه الحضارة بدعائمها الاقتصـادية وانطلاقهـا نحو العالمية كان من خلال تطور النظم التجارية

الداخلية والخارجية في العصر الإمبراطوري بدايةً من أسرة تشين ثم أسرة هان الغربية والشرقية التي وضعت أسانيد ودعائم عديدة في النشاط التجاري استفادت منها معظم الأسر الأخرى التي ظهرت في العصور اللاحقة . وعن أثر هذا التطور الذي حدث في حركة التجارة الصينية قديماً يقول المفكر العالمي...... (ك. م. بانيكار) في كتابه عن (آسيا والسيطرة الغربية) [إنه بعد أن بدأت التجارة تنتعش بين الصين القديمة والبلاد الأوروبية في ذلك الوقت، كان الصينيون ينظرون دائماً نظرة خطر في العلاقة مع البلاد الأوروبية حتى لا يصبحون خطراً يهدد كيانهم سواء من حيث الغزو المسلح أو الغزو الثقافي الذي قد يتعارض مع الفكر الثقافي الصيني ... ومما لاشك فيه أن التجارة الصينية عندما انفتحت على بلدان أوروبا وتدفق من خلالها منتجات صينية قد هيأت هذه المنتجات الجو لنشوء صناعات عديدة في البلاد الأوربية، وساهمت أيضاً في ظهور النظام الرأسمالي باعتباره الهيكل الاقتصادي للصناعات الأوروبية المختلفة ... ولا يغيب عن بالنا أنه أثناء الأدوار المتعاقبة التي انتعشت فيها التجارة الصينية مع الغرب لم تنجح أي محاولة أوروبية لإجبار الشعب الصيني على اعتناق مذهب معين ولذلك لم يحدث قط على مر العصور الثلاثة التي انفتحت فيها الصين تجارياً أن وضعت الأمم الأوروبية في منهاجها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أي محاولة لطبع الشعب الصيني بالطابع الأوروبي] كما أشار (ك. م. بانيكار) وكتاب آخرون مثل جيمس ليفر، وبرسي ماكويد، وسوجدن، وأدموند صن، وأرثر هايدن ــ بأن تأثير التجارة الصينية على أوروبا كان ملحوظاً للغاية لدرجة أنه قد أحدث مع مرور الزمن بعض التغيرات الاجتماعية في الأمم الأوروبية من أثر دخول المنتجات الصينية للبلدان الأوروبية عن طريق التجارة مثل الشاي

الذي احدث تغييرا اجتماعياً في إنجلترا بعد استيراده من الصين حيث تقبله الشـعب الإنجلـيزي وأصـبح بالنسبة له شرابا قوميا بعد أن غزا مائدة الإفطار لدى كل الطبقات وانتشرت عادة شربه بعد الظهر، وقد أثرت شدة انتشـار تـناول الشـاي داخل إنجلترا في نفس رينال الفيلسوف والمؤرخ الفرنسـي وجعلـته يعلـن بأن [الشاي كان له أثر عظيم في عفة الشعب الإنجليزي وامتناعه عن شرب الخمر ما لا تبلغه القوانين ولا المواعظ ولا المقالات الخلقية][٩٣]

ولذلـك كـان لـتطور الحضـارة الصينية أثرا كبيرا على تطور الحضارة الأوروبية من خلال حركة النشاط التجاري .

المبحث الرابع
أهم اختراعات وإنجازات المجتمع الصيني

تقديم:

وإذا كانت الحضارة الصينية القديمة قد حققت إنجازات اقتصادية هائلة في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة كما سبق وأن وضحنا في هذا الفصل ـ فإنها أيضاً حققت ابتكارات واختراعات علمية هائلة ساهمت بقدر كبير على تطوير نشاطها الاقتصادي، وأفادت بها الحضارة العالمية منذ بداية العصر الحجري الحديث حتى نهاية حكم أسرة هان الشرقية عام ٢٢٠م ـ وذلك نتيجة ثراء هذه الفترة التي تزيد عن أربعة آلاف سنة بالعلماء النوابغ الذين ظهروا من بين أبناء الشعب الصيني وحققوا بجهودهم هذه الابتكارات والاختراعات التي جعلت الحضارة الصينية القديمة تتألق بالرقي والتقدم، ومعظم هؤلاء قد سجلت أسمائهم وسيرتهم الطيبة بكل فخر وتقدير في كتب الصين القديمة وفي معظم المراجع التاريخية والموسوعات العلمية العالمية، حيث اعتبروا من مشاهير الشخصيات التي تتباهى بها الصين القديمة والحضارة العالمية منذ فجر تاريخ البشرية حتى عالم اليوم لأنهم حققوا ابتكارات واختراعات علمية هائلة أفادت كافة شعوب العالم على مر العصور المختلفة.

جانب كبير من علماء المجتمعات الأخرى وعلى الأخص الأوروبيين الذين ظهروا في العصور اللاحقة قد اعترفوا بفضل علماء الصين عليهم بل أن البعض منهم قد أصيب بالدهشة والانبهار من كفاءتهم وقدرتهم ومكانتهم، وما توصلوا إليه من إنجازات علمية واختراعات هائلة أسهمت بسخاء في اتساع دوائر العلم والمعرفة واعتبرت من أهم دعائم الحضارة العالمية.

وتأكيداً لذلك نعرض إلى جانب ما سبق الإشارة إليه من إنجازات في الفصول السابقة بعض الابتكارات والاختراعات العلمية المختلفة التي تحققت في الصين القديمة خلال تلك الفترة وذلك على النحو التالي:

البوصلة:

عرف الصينيون القدماء منذ عهد أسرة تشو الشرقية (٧٧٠ ــ ٤٧٦ ق. م) وخلال فترة الممالك المنفصلة والمتحاربة (٤٧٦ ــ ٢٢١ ق.م) أن المغناطيس معدن يتميز بقوة جذب الحديد ووسيلة تدل بسهولة وبكل دقة على الاتجاهات المختلفة.

ــ وفي عهد أسرة تشين وخلال حكم أسرة هان الغربية والشرقية (٢٢١ ــ ٢٢٠م) شاع استخدام المغناطيس وظهر أول اختراع للبوصلة البدائية ــ وقد أكد ذلك أحد علماء هذا الزمان ويدعى "**هان في تسى**" في الكتاب الذي ألفه، والذي يطلق عليه كتاب "**السيد هان في تسى**" حيث أشار بالقول بأن ["**سينان**" يساعد بكل دقة على معرفة الاتجاهات]، والسينان هو عبارة عن البوصلة البدائية التي تم صنعها خلال هذه الحقبة من المغناطيس الطبيعي على شكل مغرفة.

ــ جانب من المؤرخين وعلى رأسهم **ول ديورانت** قد أشاروا في مؤلفاتهم بأن اختراع البوصلة البدائية قد تم في عهد حكم الملك (**تشنغ وانغ**) الذي حكم المجتمع الصيني خلال الفترة من عام [١١١٥ــ١٠٧٨ ق.م] وهو من ملوك أسرة تشو الغربية ــ وذلك من أجل أن يهتدي بها بعض السفراء الأجانب في عودتهم إلى بلادهم، وكانت هذه البوصلة عبارة عن أبرة تشير إلى الجنوب.

ــ وبعد ما يزيد عن ألف سنة ظهرت في عهد أسرة سونغ

[٩٦٠ ـ ١٢٧٩م] بوصلات من المغناطيس الصناعي، وقد أوضح العالم الصيني المشهور [شين كوه] الذي ظهر في عهد أسرة سونغ الشمالية في الكتاب الذي ألفه بعنوان [منغ شى بى تان] أربع طرق مختلفة لمغنطة البوصلات صناعياً.

ـ ومنذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي تم استعمال البوصلات في الملاحة البحرية حيث أكدت المعلومات التاريخية بأن معظم السفن والمراكب التي كانت تقوم بنقل البضائع والمنتجات المختلفة التي تم تبادلها بين الصين والمجتمعات المجاورة عبر البحار المحيطة بعد اتساع نشاط التجارة الخارجية كانت تستخدم البوصلات الصناعية للإرشاد عن الاتجاهات الدقيقة نحو الموانى المختلفة.

ـ وتقول المصادر التاريخية الصينية بأن الرحالة الصيني المشهور "تشنغ خه" عندما قام في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي بسبع رحلات في عباب البحار الغربية استخدم البوصلة واستفاد منها حيث أرشدته في الملاحة وسهلت عليه الوصول إلى شبه جزيرة الهند الصينية وأرخبيل جنوب آسيا والهند وفارس وشبه جزيرة العرب وحتى ساحل المحيط الهندي الغربي في شرق أفريقيا ..

ـ وبعد أن ازدهرت المواصلات البحرية بين الصين وبلاد العرب، وخاصة موانى صحار ومسقط وصور وظفار بسلطنة عمان في القرن الثاني عشر الميلادي، انتقلت البوصلة التي اخترعها علماء الصين إلى العرب، وأن العرب هم الذين نقلوها بدورهم إلى أوربا فيما بعد عن طريق الأندلس التي كانت في ذلك العهد ولاية عربية إسلامية.

ولذلك تعتبر البوصلة التي اخترعها علماء الصين هي السبب الرئيسي في نجاح الرحالة كريستوفر كولومبوس عندما عبر المحيط

الأطلسـي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي واكتشف قارة أمريكا وأيضـاً كانـت العامل الأساسي في نجاح الرحالة ماجيلان بعد أن اعتمد علـيها فـي أوائل القرن السادس عشر الميلادي في الإبحار حول الكرة الأرضية واكتشافه الطريق الملاحي لرأس الرجاء الصالح.

ومازالت حتى الآن البوصلة تعتبر من أهم الاختراعات التي أفادت البشـرية فـي مجـالات عديـدة وعلى الأخص الملاحة البرية والبحرية والجوية.(٩٤)

اختراع صناعة البارود:

فـي عهـد أسرة تشو الشرقية (٧٧٠ - ٤٧٦ ق.م) عرف علماء الصين الكبريت ونترات البوتاسيوم والفحم النباتي، واستخدموا هذه المواد فـي بعض الصناعات البسيطة وفي تركيبات الأدوية العديدة لعلاج بعض الأمـراض التـي تصـيب الإنسـان وعلى الأخص الأمـراض الباطنية والجلدية - ومن خلال الاستعمال المستمر لهذه المواد اكتشف بعض علماء الصـين المهتميـن بالصـناعة أن الكبريت ونترات البوتاسيوم من المواد السـهلة والسـريعة الاشـتعال أو الاحتراق وأن الفحم النباتي من بواعث الانـتفاخ - وأدركوا تماماً بأنه لو تم خلط هذه المواد الثلاثة تحت درجة حـرارة معينة سيؤدى ذلك إلى حدوث انفجار مصحوب بنيران تحرق ما يحـيط بها من أشياء أخرى - وأن درجة الانفجار ومساحة النيران ترتفع شدتها دائماً مع زيادة كميات هذه المواد المخلوطة بالنسب المعينة.(٩٥)

ورغـم أن هذا الاكتشاف غير محدد تاريخه وغير معروف أيضاً اسـم العلماء الذين قاموا به على وجه التحديد إلا أنه من المتوقع أن يكون قد تحقق في أواخر عهد أسرة هان الشرقية (٢٥ م - ٢٢٠م) على يد عالم

صيني أو أكثر من ضمن الذين كانوا متخصصين في علم الكيمياء - وأن هـذا الاكتشـاف قد استخدم بأساليب بدائية في بعض الصناعات البسيطة خـلال عهد أسرة سوى (٥٨١م - ٦١٨م) - وفي عهـد أسـرة تـانـغ (٦١٨م - ٩٠٧م) اتسـع اسـتخدامه صـناعياً ثم أطلق عليه اسم البارود الصيني "البارود الأسود" بعد أن أضيفت إلى عناصره الأساسية (الكبريت، ونترات البوتاسيوم، والفحم النباتي) وبعض المواد الكيماوية الأخرى بنسبة ضـئيلة، ومع استمرار استخدامه استغلت خصائصه في الانفجار وإشعال النـيران في الحروب التي قامت بها جيوش أسرة تانغ خلال القرن الثامن الميلادي - ثم تطور استخدامه بعد ذلك وأصبح من الأسلحة الرئيسية في الحـروب خـلال عهد أسرة سونغ (٩٧٠م - ١٢٢٩٠م) حيث تم تصنيع أسـلحة محشـوة بهـذا البارود، وكانت تحقق نتائج هائلة في القتال أثناء المعارك التي اندلعت خلال هذه الفترة.

ورغـم أن هـذا البارود قد اكتشفه علماء الصين في بداية القرن الثالـث المـيلادي واستخدم داخل المجتمع الصيني بعد ذلك، إلا أن جميع المجتمعات الشرقية والغربية القديمة لم تعرف شيئاً عنه إلا بعد تسع قرون مـن ظهوره في الصين .. وقد أشير إلى ذلك الموضوع في نشرة "لمحمة عـن الصـين رقـم ٤٩" السابق الإشارة إليها حيث ورد بها ما يفيد بأن [الصـين قـد عرفت الكبريت ونترات البوتاسيوم منذ القرن السادس قبل المـيلاد، وأن صناع دواء الخلود القدامى قد أدركوا من خلال ممارساتهم الطويلـة أن الكبريت ونترات البوتاسيوم من المواد السهلة الاحتراق، وأن الفحم النباتي من بواعث الانتفاخ، كما أدركوا أن هذه المواد الثلاث تؤدى إلى الانفجار إذا اختلطت تحت درجة حرارة معينة - وأنه من المرجح أن اكتشاف خواص هذه المواد الثلاثة قد شق طريقاً إلى اختراع البارود ولكن

تـــاريخ اختراعه غير معروف بالضبط .. ومع ذلك يمكن الاستدلال على حســب التدويــنات التاريخية بأن البارود قد ظهر بوضوح في أوائل عهد أسرة تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م) على الأقل - وأنه قد استخدم في الحرب في أواخر عهد هذه الأسرة، وهناك تدوينات تاريخية موثوق بها تشير إلى أن كــرة الــنار، والصــفائح الــنارية المحشوة بالأشواك الحديدية، والمدافع الرعدية، والعبوات شديدة الانفجار وغيرها من الأسلحة الحاوية للبارود قد استخدمت في عهد أسرة سونغ (٩٦٠م - ١٢٢٩م) ... وقد انتقلت نترات تبوتاسيوم من الصين إلى بلاد العرب في القرن الثامن أو التاسع الميلادى حيث عرفــت باسم **"ثلج الصين"** أو **"ملح الصين"**.. أما البارود والأسلحة المحشورة بالبارود فقد نقلت من الصين إلى بلاد العرب في القرن الثالث عشــر، وإلى أوربا في النصف الأول من القرن الرابع عشر، ومعنى ذلك أن أوربـــا لم تشهد البارود إلا بعد ما يزيد من ٦٠٠ سنة من ظهوره في الصــين، ولــم تشهد الأسلحة المحشوة بالبارود إلا بعد ما يزيد عن ٣٠٠ سنة من ظهورها في الصين(٩٦).

وقــد أشــير أيضاً في كتاب **"تيان قونغ كاي وو"** [ومعناه الوثائق الكلاســيكية للعلــوم والتكنولوجــيا في الصين] الذي ألفه العـــالم الصيني "الكبير **"سونغ ينغ شينغ"** بما يفيد بأنه [في بداية عهد أســرة مينغ الملكية (١٣٦٨م - ١٦٤٤م) شــهدت الصــناعات العســكرية التي استخدم فيها الـــبارود تطور هائل وشكل لم يسبق له مثيل حيث صنعت مقذوفات نارية عديــدة، وقــنابل انفجاريــة بأوزان مختلفة، وكانت هذه الصناعات غير معروفة في جميع مجتمعات العالم الشرقية والغربية على وجه دقيق خلال تلك الفترة].(٩٧)

وقد حقق اختراع البارود فوائد عديدة للبشرية في مجال الصناعة

وشق الطرق بين الجبال – وإذا كان هذا الاختراع قد استخدم في العمليات الحربية في أواخر العصور الوسطى حتى عالم اليوم، وكان من أحد الأسباب الرئيسية في توسيع دوائر القتال والدمار في المعارك التي دارت خلال هذه الفترة، وخاصة الحروب الأوروبية العديدة والحرب العالمية الأولى، والثانية التي اندلعت في النصف الأول للقرن العشرين الميلادي، إلا أن ذلك لا يرجع إلى الاختراع ذاته، وإنما إلى الذين استخدموه في الحروب ليكون أشد فتكاً أثناء القتال(٩٨)، وبالتالي يعتبر اختراع البارود من الإنجازات الهامة التي حققها المجتمع الصيني القديم للحضارة العالمية.

اختراع الكرة الفلكية وجهاز قياس الزلازل:

- في عهد أسرة هان الشرقية التي شهدت نهضة علمية وثقافية هائلة – ظهر عالم الفلك والرياضة الصيني المشهور "تشانغ هنغ" الذي ولد في عام ٧٨م وتوفي في عام ١٣٩م أي عاش ٦١ عاماً، حيث كان منذ صباه دؤوب في الحصول على أكبر قدر من العلم والمعرفة واكتساب خبرات وتجارب وأبحاث العلماء الذين سبقوه والذين عاصروه في مجال الفلك وعلوم الرياضة والطبيعة والجغرافية حتى أصبح في شبابه على درجة كبيرة من العلم والثقافة استند عليها في إبراز مهاراته وابتكاراته الفنية العديدة.

- وعلى أثر ذلك تمكن هذا العالم من اختراع آلة لتحديد اتجاه الرياح أفادت المجتمع الصيني في مجالات مختلفة، ثم اخترع بعد ذلك كرة فلكية تعمل بالطاقة المائية لرصد النجوم ومعرفة مداراتها وذلك بعد أن عرف علماء الفلك الصينيون منذ عهد الممالك المتحاربة مراحل ظهور القمر وتقدير حركات الشمس والكواكب الخمسة وهى عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل.

- وفـــي عام ١٣٢م استطاع هذا العالم أيضاً أن يخترع جهاز لقياس ورصـــد الزلازل أطلق عليه في هذه الفترة "**مهزاز رصد الزلازل**" واعتبر مـــن أهـــم الاختراعات العلمية التي تحققت في عهد أسرة هان الشرقية، وخاصـــة بعـــد أن رصد بنجاح هائل ومدهش زلزال أصاب منطقة شرق مقاطعـــة قانســـو، حيـــث حدد بدقة قوة هذا الزلزال واتجاهاته ... ومن المعـــروف في معظم الكتب والمراجع التاريخية والدوائر العلمية المختلفة أن هـــذا الجهـــاز لم يظهر في القارة الأوروبية إلا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وعلى وجه التحديد في عام ١٨٣٢م – أي تم تقلـــيد هذا الجهاز في أوروبا بعد ١٧٠٠ سنة من اختراعه على يد العالم الصيني الجليل "**تشانغ هنغ**" في عام ١٣٢م.(٩٩)

اختراع صناعة الورق:

تعتـــبر صـــناعة الورق من أهم الإنجازات التي حققتها الحضارة الصـــينية القديمة لجميع شعوب العالم – ومن أرقى الصناعات الفنية التي اخترعها وابتكرها بإتقان الشعب الصيني القديم للحضارة العالمية – حيث تحقـــق مـــن خـــلال هـــذا الاختراع العظيم تطور هائل لكافة المجتمعات الإنســـانية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية منذ منتصف العصور القديمة وحتى عالم اليوم.(١٠٠)

- ويـــرجع تاريخ اكتشاف المجتمع الصيني لفن صناعة الورق إلى عهد حكم أسرة هان الغربية (٢٠٦ ق.م – ٢٤م) حيث نجح بعض علماء الصـــين في ذلك العهد في ابتكار طريقة صناعته من ألياف الحرير ثم من ألـــياف الكتان وذلك أثناء حكم الإمبراطور (**ليوتشه**) أحـــد أبـــاطـــرة هـــان الغربيـــة الذي اعتلـــى عرش المجتمع الصيني خـــلال الفتـــرة من

(١٤١ - ٧٨ ق.م) وكان هذا الورق المصنوع عبارة عن لفات طويلة في شـكل بدائي حيث كانت صفحاته سميكة إلى حد ما وغير ناعمة الملمس ولا ناصـعة البـياض، وقد عثر عام ١٩٥٧م على كميات كبيرة من هذا الـورق الـباكر في أحد قبور منطقة بانشياو التي تقع في ضواحي مدينة شـيآن بمقاطعة شنشى تم صنعه في القرن الثانى قبل الميلاد، ولذلك سمى هـذا النوع من الورق باسم "بانشياو" واعتبر أقدم ورق اكتشف في العالم حتى اليوم.(١٠١)

ورغـم أن صناعة الورق التي ابتكرت في هذا العهد كانت بدائية إلا أنها أحدثت نهضة كبيرة في حركة التدوين وطورت من نوعية الأحبار والأقـلام البدائـية الـتي كانـت تستخدم في شكل مراقم خشبية محدودة الـرؤوس أو مناقيش برونزية - وبالتالي استخدم الصينيون القدماء كأول مـرة فـي العـالم الـورق في الكتابة بدلا ما كانوا يكتبون على دروعه السـلاحف أو عظام وجلود الحيوانات أو الأضلاع الخيزرانية أو الشرائح الخشـبية أو الحريـر - وعمـرت قصور الملوك والأمراء ومعظم أبناء الشعب بالكتب والمراجع الورقية "وإن كانت في أشكال بدائية" وترتب على ذلـك ازدهار الحركة الثقافية بشكل واضح في معظم الأقاليم الصينية، مع حدوث تألق ملحوظ وهائل للصين أمام المجتمعات الأخرى القديمة.(١٠٢)

- استمر علماء الصين في تطوير صناعة الورق إلى أن تحقق أكبر إنجـاز عالمـي في عهد أسرة هان الشرقية (٢٥م - ٢٢٠م) بعد أن نجح العالم الصيني "تساي لون" عام ١٠٥م من تطوير خبرات العلماء السابقين فـي صـناعة الـورق وقام بابتكار طريقة أخرى حديثة لصناعة الورق اسـتخدم فيها لحاء الشجر وألياف النباتات وقطع القماش المهملة وعالجها كيمائـياً بأسـاليب فنـية دقيقة حتى أصبحت في شكل عجينه وانتج منها

صــفحات من الورق الجيد الناصع البياض والناعم الملمس والغير سميك، وفي صورة رائعة أذهلت وأبهرت كل من شاهدها في ذلك العهد - وهذا الابــتكار الجديــد قــد أحدث تقدماً ملموساً في مجال الثقافة خلال الفترة الأخــيرة لأســرة هــان الشــرقية حيث تم تأليف كتب عديدة كتبت على صــفحات هــذا الورق الجديد الذي ابتكره **تساي لون**[١٠٣] - كما أنه مع استمرار تطور صناعة الورق قامت مدن صينية عديدة بتصديره مع طبع كتــب علمية كثيرة لدرجة أنه في عهد حكم أسرة تانغ (٦١٨م - ٩٠٧م) وصــلت أعداد الكتب التي ألفت وتم طبعها في المكتبة الرسمية في لويانغ باستخدام الورق المصنوع من الكتان إلى ما يزيد عن ٢٥٠٠٠ مجلد، هذا بالإضافة إلى احتلال ولايات **هانغتشو وسيوانتشنغ (أنهوى) ويهويهتشو (شــاو شــينغ الحالية)** مكانة مرموقة في صناعة الورق المتميز بالجودة والبياض الناصع[١٠٤].

وقــد نشــر في جريدة الجمهورية المصرية مقالة علمية بمناسبة مــرور ١٧٥ عامــاً علــى إنشــاء الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية المصــرية أشــير فيها عن الإنجاز العظيم الذي حققته الصين القديمة من اخــتراع صــناعة الورق - حيث كتبت فيها بأن [العالم الصيني **"تس أي لــون"** مــن ضمن العشرة الأوائل في تاريخ البشرية وهم محمد صلى الله عليه وسلم"، اسحق نيوتن، المسيح عليه السلام، بوذا، كونفوشيوس، بولس الرســول ، تــس أي لون، جوتنبرج، كولومبوس، اينشتين - وأن هؤلاء الرواد العشرة كان لهم أعظم الأثر في تاريخ البشرية ومسيرة الإنسان في ركــب الحضارة ... أن **"تس أي لون TS AUILUN"** الذي جاء ترتيبه السابع بين العشرة الأوائل في تاريخ البشرية هو مخترع الورق حيث قدم لإمــبراطور الصــين "مرتى" ذات صباح في أحد أيام سنة ١٠٥ ميلادية

نماذج من الورق الذي نجح في صناعته بأسلوب راقي ومتقن ... وبعد أن مــرت قرون على ذلك الصباح المغرق في القدم والذي سجل نقلة عظمى فــي مســيرة الإنسان الحضارية وفي تاريخ الكلمة المكتوبة على أرض الصين، وعلى يد هذا العالم "تس أي لون" عرف الغرب هذه الصناعة بعد فــترة طويلة ... ففي إنجلترا مثلاً عرفت صناعة الورق في القرن الرابع عشــر ولا يــزال الورق الذي صنع في تلك الفترة بالطريقة اليدوية طبعاً علــى درجة عالية من الجودة كما لا تزال الطرق اليدوية لصناعة الورق علــى حالها لم تتغير منذ تلك الفترة ... وقد اخترعت أول ماكينة لصناعة الــورق في أوروبا عام ١٨٢٣م حيث قام بتركيبها صاحب الخبرة الفنية "فــورد رينــيه" - ثــم أدخلــت على هذه الماكينة العديد من التطويرات والتحسينات إلا أن البناء الأساسي لماكينة "فورد رينيه" ما زال قائماً حتى يومــنا هــذا، ويعرف الورق بأنه عبارة عن مادة سيليولوزيه تتكون على شكل ألياف مسطحة أو على شكل أشرطه - حيث يتم ضغط هذه الألياف وتلبــيدها ثم يضاف إليها مواد كيميائية مختلفة لإنتاج أصناف من الورق مختلفة في النوع وفي طرق الاستخدام وفي درجة المتانة والبناء النسيجي واللــون والسطح وغيرها من الخصائص والمواصفات - والهدف من هذا التعريف المحدد للورق هو تميزه عن الأسطح والمواد الأخرى التي سبقت اخــتراع الــورق لتســد حاجة الإنسان إلى الكتابة والتسجيل مثل البردى الفرعونــي وجلــود الحــيوان والأحجار وشرائح الخشب وألواح الطين وغيرها](١٠٦).

- وعــن هذا الإنجاز العظيم أشير أيضاً في نشرة (لمحة عن الصين رقم ٤٩) بما يفيد بأن (الصين المعروفة بعراقة حضارتها في العلم والتقدم فــي العديــد مــن الميادين العلمية والتقنية - كان لاختراعها العظيم لفن

صناعة الورق أثر هائل في تنمية الحضارة العالمية .. وأنه بعد تحديث فن صـناعة الورق على يد العالم الصيني "تساي لون" في عام ١٠٥ ميلادي أثـناء فترة حكم أسرة هان الشرقية، قد عم استخدامه في كل أرجاء البلاد الصينية باعتباره أهم وسيلة لنشر الثقافة بين أبناء الشعب الصيني ... وقد انتشـرت صـناعة الـورق من الصين إلى كوريا شرقاً في أواسط القرن الـرابع الميلادي كما انتشرت إلى اليابان فيما بعد ... وفي القرن الثامن انتقلـت هـذه الصناعة إلى بلاد العرب غرباً ... ومما يستحق الذكر أن ورشـة صناعة الورق بمدينة **جاتيقا** الأسبـانية التي أنشئت على أيـدي الصـناع العـرب فـي عـام ١١٥٠ مـيـلادية هي الأولى من نوعها بأوروبـا).(١٠٧)

وقد أشير أيضاً في كتاب "تاريخ الصين" الجزء الأول بأن [اختراع الـورق الليفي الذي عم استعماله في العالم قد تم على يد **[تساي لون]** ... "**وتسـاي لـون**" وهو من أحد عبيد البلاط في أسرة هان الشرقية، صنعه عـام ١٠٥ ميلادية من ألياف النباتات وقشور الأشجار ومخلفات الكتان والقمـاش وشـبكات الصيد مستفيداً من الخبرات السابقة – وأنه على هذا الأساس يعتبر من أهم إعلام أسرة هان الشرقية].(١٠٨)

ولذلك تعتبر صناعة الورق بعد اختراعه على يد "**تساي لون**" من أهـم إنجـازات الحضارة الصينية التي قدمتها للبشرية على مر العصور المخـتلفة ومـن أعظم الاختراعات التي قدمها أحد علماء الصين القديمة للحضـارة العالمية(١٠٩) وأن جميع شعوب العالم ستظل دائماً مدينة للصين بهذا الاختراع، الذي لولاه ما حدث هذا التطور الهائل لعالم اليوم.

اختراع فن الطباعة:

تميز المجتمع الصيني منذ بداية عهد أسرة (شيا) في القرن الواحد

والعشرين بفن الكتابة التصويرية على جدران المعابد والقصور إلا أن الكتابة المدونة بالأحرف الصينية قد بدأت بالفعل كما تقول المصادر التاريخية في عهد حكم أسرة (شانغ) التي سيطرت على المجتمع الصيني خلال الفترة من (١٥٢٣ - ١٠٢٨ ق.م) حيث اكتشفت على دروع السلاحف وعظام الحيوانات في مدينة (ين) في (تشنغتشو) وفي قرية (شياوتون) بمحافظة (انيانغ) كتابات دونها العرافون في ذلك الوقت للتنبؤ بالأحداث ومعرفة بعض الأمور الدنيوية، وسميت على هذا الأساس بلغة العرافين أو (لغة العظام الكهنوتية).(١١٠)

- وقد تطور فن الكتابة في عهد حكم أسرة تشو الغربية (١٠٢٨ - ٧٧٠ ق. م) وتولد منها بشكل متكامل نظام الأحرف الصينية الحالية، بدلاً من بعض الرموز والنقوش المختلفة، وظهرت الكتابة بهذه الحروف بصورة واضحة تماماً على جدران المعابد والأضرحة والقصور في مدينة (لويانغ) التي اتخذتها أسرة تشو الشرقية التي حكمت المجتمع الصيني من عام (٧٧٠ - ٤٧٦ ق.م) عاصمة لها، وكانت هذه الحروف محفورة بدقة وبشكل فائق الجمال.(١١١)

ومن هذه الحروف المبتكرة، ونظام حفرها على الجدران ظهرت بوادر فن الطباعة في أواخر عهد أسرة هان الغربية (٢٠٦ ق.م - ٢٤م)، وانتشرت خلال فترة حكم أسرة هان الشرقية (٢٥م - ٢٢٠م) وكانت في البداية عبارة عن طريقة بدائية استخدمت فيها ألواح من الخشب مربعة أو مستطيلة الشكل بمساحات مختلفة، وسمكها ما بين [٢سم، ٤سم]، وكان يتم في كل عملية طباعة حفر الحروف أو الأرقام أو الرسوم المطلوب طباعتها على وجه اللوح الخشبي أما بالحفر البارز أو بالحفر المجوف، وبعد ذلك يتم دهان الوجه المحفور بالحبر الثقيل، ثم يتم وضعه مباشرة مع

الضغط عليه ليطبع ما عليه من حروف أو رسوم على الوجه المقابل الذي سيتم الطبع عليه سواء كان لوح خشبي آخر أو قطعة من جلد الحيوانات أو من القماش المنسوج بخيوط الحرير أو الكتان أو القطن ... ويقول **ول ديورانت** بأن (اختراع فن الطباعة في الصين يعتبر أعظم اختراع في تاريخ الجنس البشرى بعد الكتابة - وكان الباعث الأول على اختراع الطباعة في بلاد الصين باعثاً دينياً، كما كان الحال في أوروبا في العصور الوسطى المتأخرة، وكما هو الحال بين بعض الشعوب البدائية - ذلك أن الأديان في هذا الزمن القديم كانت تسعى لنشر عقائدها عن طريق العين وعن طريق الأذن معاً، لجعل صلواتها ورقاها وأقاصيصها في متناول كل إنسان).

وإذا كانت الطباعة تتم في البداية على ألواح الخشب وشرائح الغاب وجلود الحيوانات وقطع قماش الحرير والكتان - إلا أنه بعد ابتكار فن صناعة الورق على يد (تساي لون) عام ١٠٥ ميلادية حدث تطور هائل في استخدام الطباعة التي انتشرت بصورة مذهلة في كافة أنحاء المجتمع الصيني قبل أن تظهر لها في ذلك الوقت أي وجود أو ملامح في المجتمعات الإنسانية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم.

وأيضاً كان لاختراع الحبر الأسود في بلاد الصين من العوامل المشجعة على انتشار الطباعة، لأنه كان أصلح المواد للاستعمال في القوالب الخشبية، ويمتاز بأن الكتابة به لا تكاد تمحى مطلقاً مهما طال بها الزمن، وقد اخترع الصينيون الحبر الأسود في أواخر حكم أسرة هان الشرقية من خلال خلط الحبر الأحمر الذي ابتكروا صناعته من كبريتور الزئبق في عهد حكم أسرة هان الغربية بسناج المصابيح، وعلى أثر ذلك اعتبر الحبر الأحمر ميزة خاصة بالأباطرة بعد انتشار استخدام الحبر الأسود في كافة أرجاء المجتمع الصيني.(١١٢)

وقد ورد في نشرة لمحة عن الصين رقم ٤٩ - بأنه مع استمرار تطور فن الطباعة بهذه الطريقة ظهرت الكاليشيهات الخاصة بالطباعة في أواخر عهد حكم أسرة سوى خلال الفترة (٥٨١م - ٦١٨م) وأوائل عهد حكم أسرة تانغ خلال الفترة من (٦١٨م - ٧٠٩م) وكانت هذه الكاليشيهات عبارة عن ألواح معدنية يركب عليها الحروف أو الرسوم التي سيتم طبعها على صفحات الورق أو الجلد أو القماش - ومن خلال استخدام الكاليشيهات في الطباعة، ظهر كتاب (حكمة الماس) الذي طبعه صاحب المهارة والخبرة المتميزة في فن الطباعة في تلك الوقت (وانغ جيه) في عام ٨٦٨ ميلادية، وهذا الكتاب يعتبر أول وأقدم الكتب المطبوعة والمؤرخة عن فن الطباعة في العالم.

وقد أشير في الكتاب الذي ألفه المؤرخ الصيني (شين كوه) وعنوانه (منغ شي بى تان) بأن النحات الصيني العظيم (بى شنغ) قد تمكن خلال فترة حكم الإمبراطور (تشينغ لى) الذي جلس على عرش المجتمع الصيني خلال الفترة من عام (١٠٤١ - ١٠٤٨م) وهو من أحد أباطرة أسرة سونغ - من ابتكار أسلوب جديد للطباعة بالحروف المتحركة الصلصالية التي استلهمها من ازاهر النرد الصلصالية التي كان الأطفال يلعبون بها - وأن هذا الابتكار الجديد قد أحدث ثورة هائلة على نظام الكاليشيهات الخشبية والمعدنية الثابتة وأدى بذلك إلى تطوير فن الطباعة - وفي أواخر القرن الثالث الميلادى أدخل (وانغ تشنغ) العالم الزراعي في عهد أسرة يوان تطوير هائل على فن الطباعة من خلال إحلال الحروف المتحركة الخشبية التي ابتكرها محل الحروف المتحركة الصلصالية كما اخترع أيضاً رفوفاً دواره للحروف ساهمت بقدر كبير جداً في رفع كفاءة فن الطباعة - وعلى أساس هذا التطور انتقل فن الطباعة بالحروف

المـــتحركة الخشبية من الصين إلى كوريا واليابان في القرن الرابع عشر الميـــلادي، ثـــم إلى فـــارس ومصر وبلاد العرب، ثم أوروبـــا فيما بعد بالتـــتابع[١١٣] - أي انتقل فن الطباعة من مصر وبلاد العرب إلى أوروبا مـــثل مـــا انتقل فن صناعة الورق حيث أخذها العرب عن الصينيين في القرن الثامن الميلادي، ثم أخذتها أوروبا عن العرب في القرن الثالث عشر بعد أن بلغت غاية الكمال.[١١٤]

تشـــير المعلومـــات التاريخية بأن أوروبا قد عرفت فن الطباعة بالماكينات اليدوية بعد أن نجحت الصين في اختراعها بحوالي خمس قرون وأن أول اخـــتراع لماكيـــنة طباعة يدوية في أوروبا كان على يد **(يوحنا جوتنـــبرج)** فـــي عام ١٤٥٤م، وأنه بعد ٣٦٠ عاماً أي في عام ١٨١٤م أســـس **(فريد ريش كوينج، واندرياس باور)** النهضة الحديثة لفن الطباعة فـــي أوروبا، بعد أن ظهرت ماكينة طباعة بخارية من ابتكارهما استحدثا فـــيها أســـلوب جديد لمسار الورق فوق سلندرات دوارة **(روتاتيف)** وهذا الأســـلوب الجديـــد كـــان أساس الابتكار في عملية طباعة الصحف. ومع اســـتمرار هذا التطور أسس في عام ١٨١٧ أول مصنع لصناعة ماكينات الطباعة السريعة للصحف في **(دير أوبرتسيل)** بالقرب من مدينة **(فورتس بـــورج)** التي شهدت انطلاق وازدهار صناعة الطباعة في ألمانيا[١١٥] ... وتأكـــيداً لذلـــك قد أشار الأديب الإنجليزي والفيلسوف **(برتراند رسل)** في كـــتابه عـــن **(حكمـــة الغرب)** بأنه (يرجع الفضل للصين في ابتكار فنون الكتابة التصويرية واختراع ماكينات طباعة الحروف بعد تجميعها .. وأن الأوروبـــيون قد اقتبسوا من الصينيون فن الطباعة بعد ما يزيد عن خمس قرون).[١١٦]

وبالتالـــي يعتـــبر اختراع فن الطباعة من الإنجازات الهامة التي

حققـتها الصـــين للحضـــارة العالمية، وأفادت بها جميع شعوب العالم في مخـتلف النواحـــي الثقافـــية والعلمية وفي نشر دروب المعرفة في جميع المجـالات السياســية والاقتصــادية والاجتماعية - ولذلك كان يجب أن تعترف جميع الدوائر العلمية الأوروبية بهذا الفضل - وتقرر صراحة بأن صاحب الاختراع الأول لفن الطباعة هو شعب الصين، وصاحب الاختراع الأول للطباعة بالحروف المتحركة هو النحات الصيني (بى شنغ) في عهد الإمبراطور (تشينغ لى) (١٠٤٠ - ١٠٤٨م) - وأن أول من صنع ماكينة طـباعة بالحـروف المـتحركة الخشبية هو عالم الزراعة الصيني (وانغ تشـنغ) فـــي أواخـــر القـــرن الثالث عشر الميلادى أثناء عهد حكم أسرة (يـــوان)، ولـــيس كما يشيرون بان (يوحنا جوتنبرج) هو المخترع الأول، وذلــك حتى لا يكون هناك طمس للحقائق ونكران لجميل الصين وعلمائها العظام في فن الطباعة التي تعتبر حتى الآن من أهم اختراعات وإنجازات الحضارة العالمية القديمة.

اختراع فن الطلاء باللك:

نشأ هذا الفن في الصين، وبلغ ذروة الكمال في الاستخدام والإتقان مـــنذ بداية عهد حكم أسرة شانغ، وذلك بعد أن قام العالم الصيني (شون) باخـــتراع أدوات الطلاء باللك واعتبر من خلال هذا الاختراع من ضمن مشاهير الشخصيات الذين حققوا إنجازات رائعة للحضارة العالمية.

واللك هو نتاج طبيعي لشجرة (ريز فبرنسيفر) من أشجار الصين القديمة، ثم انتقلت زراعتها بعد مئات السنين إلى بعض المجتمعات القديمة الأخرى وعلى الأخص بلاد اليابان - وقد قام الصينيون باستخلاص اللك من عصير جذوع هذه الأشجار وغصونها ثم قاموا بتصفيته وغليه ليزول مـــنه كـــل الشـــوائب - وبعـــد ذلك استخدموا هذا المستخلص في طلاء

الأخشـــاب والمعـــادن والخزف ويتكون الطلاء من طبقات تتراوح ما بين عشـــرين وثلاثين طبقة يبذل في تخفيف كل واحدة منها وفي صقلها جهداً كبيراً وعناية بالغة وتختلف كل طبقة عن غيرها في لونها وسمكها، ومن عدد هذه الطبقات يتم الوصول إلى الشكل المطلوب.

وقـــد اســـتخدمت مادة اللك بعد ذلك في تزيين الأواني، والسروج والعـــربات - وفي القرن الثاني بعد الميلاد تم استخدامها في طلاء الأبنية والآلات الموســـيقية - وفـــي عهـــد أسرة تانج صدرت الصين كثيراً من الأدوات المطلـــية باللك إلى معظم بلدان العالم القديم وهذه الأدوات كانت عبارة عن أثاثات خشبية وأواني خزفية وفخارية وبعض الآلات المعدنية، وقد أبهرت شعوب هذه البلدان من جمال وروعة طلائها باللك.

ويقـــول **ول ديورانت** - بأن (اختراع الطلاء باللك في بلاد الصين يعد من ضـــمن الإنجـــازات العظـــيمة التي حققتها الصين للحضارة العالمية ... وعـــندما جلس على العرش الإمبراطوران المستنيران (**كانج شى، وتشين لونج**) من أباطرة المانتشو صدرت الأوامر الإمبراطورية بتشييد المصانع الخاصـــة بصـــناعة مادة اللك والأدوات التي تستخدم في الطلاء والأنفاق عليها من مال الدولة، فظهرت أشياء كثيرة من روائع الفن في طلاء اللك مثل عرش (**تشين لونج**)، والستر الذي أهداه الإمبراطور (**كانج شى**) إلى ليوبولد الأول إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية.

وبذلك تميز المجتمع الصيني القديم بهذا الاختراع وأتقن استخدامه بروعة وإتقان على مر العصور القديمة والوسطى ولم يستطع أي مجتمع إنســـاني آخر أن يجارى الصين في هذا الفن إلا في العصور الحديثة بعد عصر النهضة الأوربية.(١١٧)

اختراع الفرشاة:

في القرن الثالث قبل الميلاد اخترع الصينيون الفرشاة، وكان لهذا الاختراع أثر كبير على تطوير فن التصوير والكتابة الصينية - وقد اكتشف في مركز عسكري في كوريا يعود لعصر أسرة هان مائتا أناء خزفي عليها نقوش مدهونة وكتابات تعود للفترة بين سنتي (٨٢ ق.م - ٥٢ م) استخدم فيها الفرشاة.

وعلى أثر ذلك الاختراع فقد ظهرت الكتب المصورة في الصين قبل ظهورها في المجتمعات القديمة الأخرى بمئات السنين - وبعد اكتشاف صناعة الورق على يد (تساي لون) عام ١٠٥ ميلادية، وحل الحبر محل الدهان كوسيلة للكتابة والرسم. ساعدت الفرشاة المجتمع الصيني على التألق بين مجتمعات العالم القديم في فن الكتابة والرسم على الورق بشكل رائع الجمال والدقة والذوق.(١١٨)

اختراع الطاحونة المائية:

في الوقت الذي كانت فيه جميع شعوب العالم القديم تستخدم الطواحين الحجرية التي تدار باليد في طحن الحبوب مثل القمح والذرة والشعير والفول - اخترع العالم الصيني (بوتو) الذي عاش ما بين سنتي (٣٢ - ٨٨ ميلادية) طاحونة من سلندرات معدنية تدار بالماء - وعلى أثر هذا الاختراع انتشرت الطواحين التي تدار بالماء في معظم أرجاء المجتمع الصيني، واستخدمت بكفاءة تامة في طحن الحبوب المختلفة قبل أن تنتقل إلى المجتمعات الإنسانية الأخرى، وعلى الأخص البلاد الأوروبية بما يزيد عن مائة عام.(١١٩)

سور الصين العظيم:

إذا كان بناء هذا السور لا يعد من قبيل الاختراعات إلا أن طوله

وارتفاعاته وسمك حوائطه يعتبر من المعجزات ومن أهم الإنجازات التي حققتها الصين في العصور القديمة، وأهميته لا تقل مطلقاً عن أي اختراع مـن الاخـتراعات السابقة بل يفوقها جميعاً لأنه الآن من ضمن عجائب الدنيا باعتباره أضخم مشروع تم بنائه على مر عصور التاريخ، كما يعتبر حالـيا مـن أوضـح المباني التي شيدت على سطح الكرة الأرضية بجهد وعرق وكفاح أبناء الشعب الصيني القديم، ويمكن مشاهدة معالمه من سفن الفضاء، حيث يظهر بوضوح على شكل شريط ضخم متلو على بر الصين في شرق آسيا، ويساوى طوله سدس طول الخط الاستوائي.

- تشير المراجع التاريخية وخاصة الصينية بأن فكرة بناء هذا السور قد بدأت منذ عهد أسرة تشو الشرقية خلال الفترة من (٧٧٠ - ٤٧٦ ق.م) وهى الفترة التي توغل فيها النظام الإقطاعي" - إلا أن هذه الفكرة لم تنفذ إلا خـلال عصر الممالك المتحاربة الذي بدأ "من عام ٤٧٥ - ٢٢١ ق.م" بهـدف حمايـة تلك الممالك وصيانة أمنها، وكانت ممالك "تشين، وتشاو ويان" التي تقع في شمال الصين هى أول من بدأ في بنائه لصد الاعتداءات الخارجية وتأمين حدودها من غزوات الرعاة الشماليين .. وكان عبارة عن سـور غير مترابط، لأن كل مملكة قامت بناء سور منفصل حول حدودها فقط، وكان طول هذا السور يتراوح ما بين (٢٠٠ - ٣٠٠ كيلو متر).

- بعـد أن وحد الإمبراطور **"تشن شه هوانغ دى"** المجتمع الصيني وإنشـاء أول إمـبراطورية صـينية في تاريخ الصين القديمة أطلق عليها **"إمبراطورية تشين"** في عام ٢٢١ ق.م بعد أن قضى على الممالك الأخرى وأخضـعها تحـت نفـوذه وسـيطرته، أهتم اهتماماً كبيراً بهذه الأسوار المنفصـلة من أجل أن يطور بنائها ويجعلها متصلة ببعضها البعض إلى جانـب زيـادة أطوالهـا وتحسـين ارتفاعاتها - ولذلك جند ما يزيد عن

٣٠٠,٠٠٠ رجـل لهـذه المهمة تمكنوا من تحقيقها عام ٢٠٦ ق.م حيث أصبحت هـذه الأسوار المنفصلة سوراً واحداً أطلق عليه في بداية الأمر "سور تشين" وكان يمتد غرباً من منطقة "لينتاو" التي تقع في مقاطعة قانسو حتى شرقي منطقة "ليا ونينغ" شرقاً - وتشير المصادر التاريخية بأن الأجزاء التي شيدتها إمبراطورية تشين في هذا السور قد تم بنائها من التراب الأصفر والحصى المدكوك ومازالت معظم هذه الأجزاء موجودة حتى اليوم رغم مرور ٢٢٠٠ سنة على بنائها بهذا الشكل.

وفي عهد أسرة هان الغربية "٢٠٦ ق.م - ٢٤م" زاد الاهتمام بالسور وأجريت عمليات عديدة لصيانته وتجديده ومد أطواله وعلى الأخص في فترة حكم الإمبراطور (هان وو دى) الذي حكم المجتمع الصيني خلال الفترة من (عام ١٤٠ - ٨٧ ق.م) حيث أضاف إلى السور أجزاء عديدة، وبمسافات طويلة من أجل تحقيق إيجابية متكاملة في أمور الدفاع، وصد هجمات قبائل البدو وعلى الأخص قبيلة (شيونغنو) التي كانت تشن غارات مستمرة على الحدود الواقعة في المناطق الشمالية والشمالية الغربية - وعلى أثر هذا التطور الذي تم في بناء السور قد تمكنت جيوش أسرة هان الغربية من الصمود أمام الهجمات الشرسة لهذه القبائل والتي استمرت مدة تزيد عن تسعين عاماً بداية من حكم الإمبراطور "هان وو دى" في عام "١٤٠ ق.م" حتى نهاية حكم الإمبراطور "شيوان دى" الذي حكم المجتمع الصيني خلال الفترة من "عام ٧٣ - ٤٩ ق.م).

وفي عهد أسرة هان الشرقية التي حكمت المجتمع الصيني خلال الفترة من (٢٥ - ٢٢٠م) بعد انهيار حكم أسرة هان الغربية - اهتمت أيضاً اهتماماً شديداً بصيانة السور وتجديده ومد أطواله حتى وصل طوله

في نهاية عهدها إلى ما يزيد عن ١٠ "عشرة" ألف كيلو متر - وقد ساعد هـذا السـور أيضاً أسرة هان الشرقية على صد هجمات غزوات الشمال خاصة قبائل (شيو نغنو) الشمالية التي استغلت ضعف سلطة هان الغربية فـي أواخر فترة حكمها، وقامت بتجميع قواتها مرة أخرى وشنت غارات مسـتمرة على الحدود الشمالية لنهب وسلب خيرات المدن القريبة من تلك الحـدود، والسـيطرة على بعض الأقاليم الشمالية - وقد ترتب على ذلك حدوث فوضى ودمار في معظم المناطق الشمالية وغلق الطرق التي تمر فـيها، وخاصـة الطرق المؤدية إلى المجتمعات القديمة الأخرى الواقعة غـرب الصين سواء كانت آسيوية أو أوروبية مثل الهند وإيران والشرق العربي وأوروبا.

وأمـام هـذه الخطورة اهتمت أسرة هان الشرقية في بداية حكمها بتجهيز قوات مدربة وعلى كفاءة عـالية للقضاء على خطـورة قبـائـل [شـيو نغـنو] الشـمالية حتى تمكنت في عام ٧٣م من دحرها تماماً بعد معارك شرسة، واستطاعت أن تسيطر بقوة على الحدود الشمالية، وتطور مـن السـور وتمد أطواله، وأعادت بالتالي فتح جميع الطرق التي أغلقت خلال فترة الغارات والحروب وعلى الأخص الطريق المؤدى إلى الغرب والـذي يطلـق عليه "**طريق الحرير**" وقامت بتأمينه، بعد أن جعلت سور الصـين مـن أهـم المواقع الدفاعية الإستراتيجية الهامة المليئة بالأبراج والحصـون العسـكرية مثل حصن (**يو يمنقوان**) و(**يانقوان**) في منطقة قانسـو التـي كانت تعتبر المحطة الرئيسية على طريق الحرير، وقاعدة أساسية للتبادل الثقافي والاقتصادي بين الصين وبلدان غرب ووسط آسيا، وحصـن (**جـيايو يقوان**) الذي يقع في نهاية السور العظيم غرباً والذي اعتـبر أيضـاً نقطة استراتيجية على طريق الحرير ومركزاً هاماً للتبادل

الثقافــي والاقتصادي بين الشرق والغرب، ومازال حتى اليوم على حالته وعمارته البالغة الدقة والبراعة.

وعلــى اثر ذلك أرسلت حكومة هان الشرقية مبعوثها "بان تشاو" الــذي ولــد عــام ٣٤م وتوفي عام ١٠٢م في مهمة سياسية إلى المناطق الغربــية لكــي تمــد سلطتها ونفوذها عليها، وهذا الأمر قد جعل التجار الصــينيون يعيدون إليها وهم يحملون الحرير والحديد - كما أرسل "بــان تشاو" في عام ٩٧م مبعوثه "قان ينغ" في محاولة لإقامة علاقات مع روما وفلــح هذا المبعوث في الوصول إلى الخليج الفارسي فقط دون أن يتمكن من الوصول إلى روما - ونتيجة لذلك أصبح سور الصين العظيم في عهد أســرة هان الشرقية عبارة عن خط دفاعي إستراتيجي يتكون من حصون وقــلاع وأبراج بها مشاعل للإنذار، وتشكلت ولايات خاصة لإدارة شئون الدفاع الخاصة به، كما أنشئت قرى عديدة بجواره، وكان الجنود والسكان المحليون المقيمون فيها ينتجون الحبوب لتموين الجيش المنتشر على امتداد هذا السور مما زاد من قدرته الدفاعية.

وتشــير المصادر التاريخية بأن أجزاء السور التي شيدت في عهد أســرة هان الغربية والشرقية قد تم بنائها أولاً من التراب الأصفر بارتفاع ٥٠ ســم، ثــم غطى هذا التراب بطبقة من القصب وأغصان الصفصاف الصــيني لحمايــته مــن التأثير القلوى للتربة، ثم طبقة أخرى من التراب الأصــفر بارتفاع ١٥ سم تغطيها طبقة من القصب وأغصان الصفصاف الصــيني، وهكــذا طبقات متتابعة من كلا النوعين تنتهي بشرفات ترابية جعلت السور يزداد قوة ومتانة.

وقد استمر ملوك الصين في الأسر المتعاقبة تطوير السور وتجديده ومــد أطوالــه حــتى بلغ طوله في عهد أسرة مينغ (١٦٣٨ - ١٦٤٤م)

١٣٥٠٠ كيلو متر، وكان يمتد من نهر يالو في منطقة (جيلين) شرقاً إلى ممر (جيايوى) في منطقة قانسو غرباً، ولم يقتصر على ذلك بل تحسنت هندسة بناء السور ومنشآت الدفاع فيه تحسناً كبيراً عما كان عليه في الماضي، الأمر الذي يمكن أن يقال فيه بأن عهد أسرة (مينغ) هو العهد الذهبي لتطوير فن الهندسة الدفاعية لسور الصين العظيم.

وقد نشر في مجلة الصين المصورة **"لمحة عن الصين"** العدد ١٣٨ الصادرة في أغسطس ١٩٩٢ بأنه حتى عهد أسرة مينغ أنشئت عدد ٩ مراكز قيادية للدفاع عن السور - وكان كل مركزاً مسئولاً عن عدة نواح، وكل ناحية كانت تتكون من ممرات عديدة تعتبر نقاطاً هامة للدفاع، وكانت الممرات تبنى دائماً في المواقع الاستراتيجية الخطيرة أو عند مضايق الطرق، وقد بلغ عددها حوالي آلف ممر مثل ممر **(شانهاى، وجبويرونغ، ويانمن، ويناتغتسى، وجيايوى)**، أما القلاع المتعددة المبنية على امتداد السور فكانت عبارة عن قواعد للدفاع عنه، وبالتالي شكل هذا السور نظاماً دفاعياً متكاملاً.

وتشير **مجلة الصين** أيضاً عن الوصف المعماري لهذا السور - بأن ارتفاع الأقسام الرئيسية فيه كانت بين ٧ و ٨ أمتار وعرض قاعدته ٦,٥ متر وعرض سطحه ٥,٨ متر، وأن قطاع السور يبدو كأنه شبه منحرف، وفي جوانبه الداخلية أبواب تؤدى إلى سطحه بسلالم داخلية، وفي جانب السطح الداخلي سياج ارتفاعه متر، وفي الجانب الخارجي يوجد جدار ارتفاعه حوالي مترين به شرفات أو كوات للرماية وفتحات للمراقبة - أما البنايات التي على سطح السور فبعضها من طابقين، وبعضها من ثلاثة طوابق، والمسافة بين كل بناية وأخرى حوالي مائة متر تقريباً - وكانت هذه البنايات لسكن الجنود المدافعين عن السور ولتخزين

الحبوب والأسلحة أيضاً - أما أبراج المزودة بالمشاعل التي تستخدم للإنذار فقد كانت منتشر في داخل السور وخارجه - وبالتالي كانت أي تحركات للعدو تعرفها القيادة خلال ساعات معدودة، وذلك بإيقاد المشاعل لمسافة مئات الكيلومترات.

ولذلك فانه في خلال ألفي سنة وما يزيد، لعب السور العظيم دوراً هاماً في صد العدوان الخارجي عن الصين، وطور من إنتاج الحبوب للجنود، وساعد على حماية التجار أثناء عبورهم بالسلع والمنتجات المتعددة في الطرق التي كان يحميها السور بحصونه المتعددة وعلى الأخص طريق الحرير.

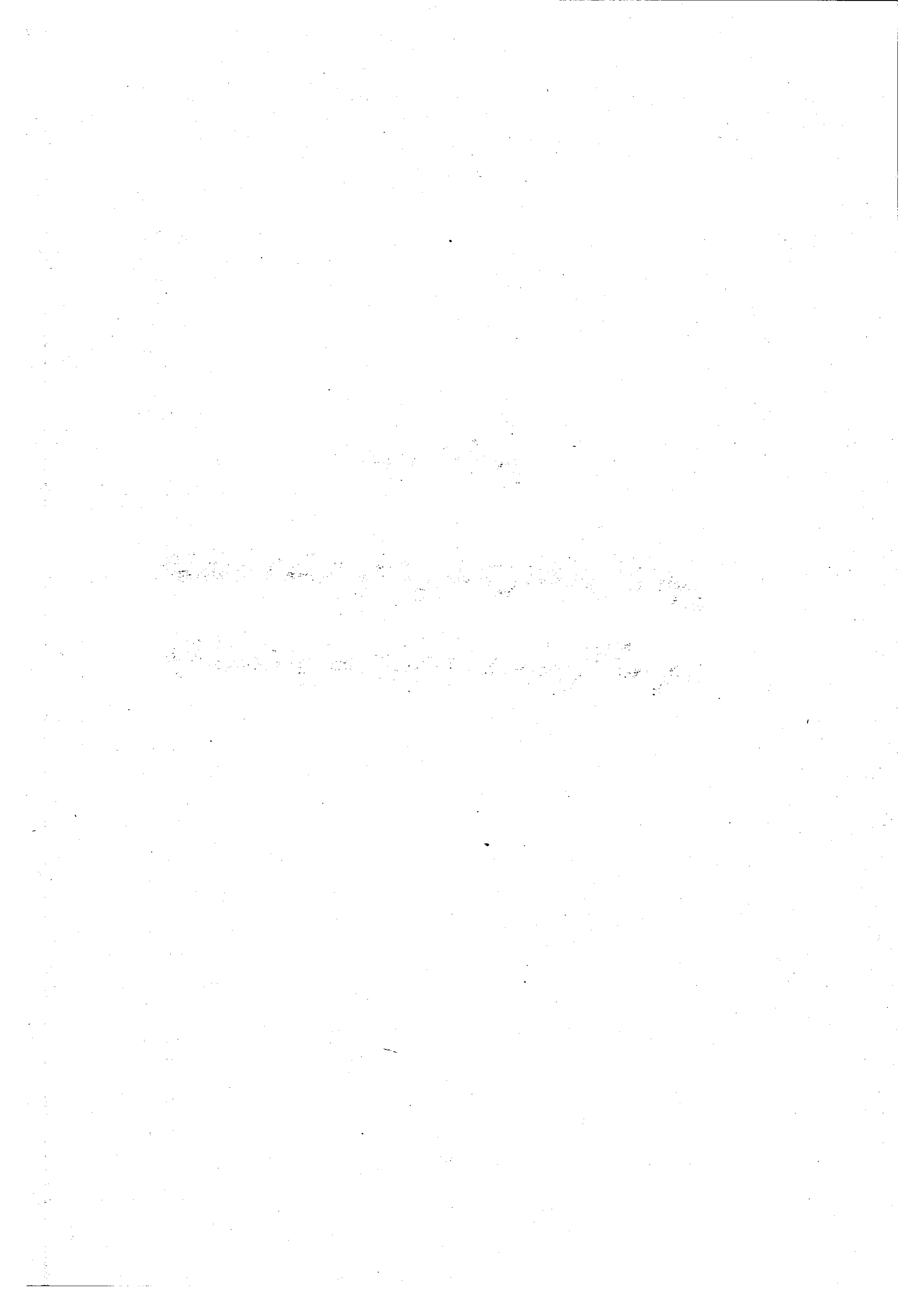
وإذا كان بمرور الزمن، وعبر مئات السنين قد انهدم قسم من السور الذي بنى في عهد أسرة مينغ من نهر (يالو) إلى ممر (شانهاى) في ساحل بحر (بوهاى) إلا أن قسمه الآخر من ممر (شانهاى) شرقاً إلى ممر (جيايوى) في قانسو غرب، مازال باقياً كما كان في الماضي حتى اليوم، وهو ما نراه الآن من سور الصين العظيم الذي ضحى فيه عدد لا يحصى من الكادحين بعرقهم ودمائهم وبحياتهم من أجل عملية بناءه بداية من القرن الرابع قبل الميلاد حتى عهد أسرة (مينغ) التي حكمت المجتمع الصيني خلال الفترة من عام (١٣٦٨م - ١٦٤٤م) - ويصف بعض المؤرخين الصينيين القدماء بأنه إذا كان بداية إتمام بناء السور العظيم في حكم إمبراطورية تشين يعتبر دماراً للجيل الذي بدأ في إتمامه، إلا أنه كان منقذ الآلاف الأجيال التي آتت بعد ذلك واستمتعت بالحماية التي وفرها لهم هذا السور العظيم على مر العصور المختلفة.

وبذلك أصبح سور الصين العظيم في العصر الحاضر من أهم الآثار التاريخية والمواقع السياحية المشهورة في كافة أرجاء العالم، ويعتبر

أيضاً نافذة يمكن أن يطل منها أي باحث أو خبير على الإنجازات الرائعة لهندسة الصين المعمارية في العصور القديمة كما أنه مصدر هام للأبحاث العلمية العديدة مثل الأوضاع الخاصة بالأنهار، وتطورات الصحراء ونظام الزلازل، وعلم التاريخ والآثار، ونظم خطوط الدفاع المتكاملة، كما يعتبر اليوم مع الأهرامات التي شيدها شعب مصر القديم من عجائب الدنيا التي تم صنعها وإنجازها بإتقان وروعة في العصور القديمة.(١٢٠)

الفصل الثاني

النظم الثقافية في مجال الفكر الأدبي والفلسفي للمجتمع الصيني القديم



إذا كانت الزراعة والصناعة والحرف اليدوية العديدة والنشاط التجاري والاختراعات والابتكارات العلمية المختلفة من أهم العوامل الأساسية التي توضح مدى ما وصل إليه أي مجتمع إنساني من تطور حضاري - إلا إنها ليست [كما قال فيلسوف علم الاجتماع الأمريكي اوجبران] العوامل الوحيدة التي ترتكز عليها فقط حضارة كل مجتمع في مراحل نموها وتطورها[١] - أي أن هذه العوامل التي تمثل الثقافة المادية لا تصلح بمفردها في ظهور وتألق حضارة مجتمع معين - وإنما لابد أن تساندها عوامل أخرى ذات أهمية تتمثل في الثقافة الغير المادية التي تنبع من القدرات العقلية للفكر الأدبي والفلسفي وتؤدى بصفة مستمرة إلى أحداث تطورات وتغيرات في أخلاقيات وعادات ومعتقدات المجتمع، وتتلاحم مع الثقافة المادية في بلورة التطور الحضاري وتظهر مدى تألقه في كافة النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الخ[٢]

لأن الثقافة الغير مادية وأهمها يتمثل في الفكر الأدبي والفلسفي تعتبر بمثابة الغذاء الذي يطعم عقل ووجدان كل شعب بالقيم الأخلاقية والروحية، لكي يستطيع أن يبتكر ويبدع في صنع حضارته على نظم وقواعد عميقة الجذور ومليئة بالأصول الثابتة وغنية بالعزيمة وقوة الإرادة.[٣]

- ولذلك فان الحضارة الصينية القديمة لم تظهر وتتألق في محيط العالم القديم بالثقافة المادية فقط التي عرضنا أهم ملامحها في الفصول السابقة - وإنما ارتكزت أيضا في مراحل نموها وتطورها على الثقافة الغير مادية التي صقلت مفاهيم الشعب الصيني منذ أن بدأ يستقر ويصنع حضارته.

- وحيث أن الثقافة الغير مادية التي يقصد بها فقط في المعنى اللفظي

الــدارج [النظم الثقافية] قد تطورت في المجتمع الصيني من الصور الدنيا إلى الصور العليا وأثرت بهذا التطور على ثقافة بعض المجتمعات الأخرى وعلى الأخص المجتمعات الغربية سنعرض دراسة في هذا الفصل نوضح بهـا مـراحل تطور هذه النظم في الفكر الأدبي والفلسفي ومدى ارتباطها بـتطور الحضــارة الصينية بداية من عصر ما قبل الأسرات حتى سقوط نظـام حكم إمبراطورية هان الشرقية في عام ٢٢٠ ميلادية – وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: نظم الثقافة الصينية في العصر الحجري الحديث. (عصر ما قبل الأسرات)

المبحث الثـاني: نظم الثقافة الصينية في العصر الملكي.

المبحث الثالث: نظم الثقافة الصينية في عصر الإمارات المنفصلة والممالك المتحاربة.

المبحث الرابع: نظم الثقافة الصينية في العصر الإمبراطوري.

المبحث الأول
نظم الثقافة الصينية
في العصر الحجري الحديث (عصر ما قبل الأسرات)

تشير جميع الآثار التي تم اكتشافها في بعض المناطق الصينية عن العصر الحجري القديم الذي كان فيه الإنسان الصيني البدائي يتنقل ويتجول بصفة غير مستقرة من مكان لآخر بين الأحراش والجبال للبحث عن الرزق وجمع القوت بالصيد والقنص وما تجود به الأرض من حشائش وثمار برية ـ بأن مفاهيم الفكر الأدبي والفلسفي كانت غير واضحة وغير محدده الملامح بين الذين عاشوا في زمان هذا العصر ـ وإنما تولدت فقط في عقولهم بعض الأوهام والتكهنات من الظواهر الطبيعية التي أحيطت بهم حيث اعتقدوا بأنها تقع جميعها تحت صنع سيطرة قوة خارقة للطبيعة(٤) ـ وهذا الاعتقاد لم يسود في الصين فقط وإنما ساد مرحلة البشرية الأولى في جميع بلاد العالم ـ لان إنسان هذا العصر قد دأب على التأمل في الكون المحيط به، وكان هذا التأمل وما يلازمه من تفكير يصبان في قوالب مختلفة من التصورات والإدراكات تعكس صورة هذا الوجود في نفسه وترسم معالمه في عقله لأنه كان يشاهد ويتطلع وهو ملئ بالخوف والرهبة أحداث ليس بمقدوره أن يفهمها أو يفهم علتها، فأدهشته حركة دوران الشمس بعد أن تشرق وتضئ النهار حتى تلتف وتغرب ويختفي شعاعها ويظهر ضوء القمر ولألأة النجوم في السماء عندما يسدل الليل ظلامه، وارتاب عندما شاهد السحب والأمطار والرعد والرياح والعواصف، وأحس بالبرودة والحرارة وكافة العوامل الجوية ـ لذلك اعتقد بأنه يوجد عالم من الأرواح يجهل طبيعتها وغايتها

تدبـــر هـــذا الكـــون وتحرك محتوياته فاخذ يعمل على استرضائها بطرق فـــردية متعددة حتى يأمن نفسه من بطشها حيث توهم بأن غضبها عليه قد يؤدى إلى هلاكه أو محوه من الوجود.(٥)

وبالتالـــي لـــم تشهد الصين في العصر الحجري القديم أي ملامح ظاهـــرة لنظم ثقافية محددة سوى الاعتقاد الذي تولد من الخوف والرهبة والاندهـــاش مـــن الظواهر الطبيعية، وذلك مثل الاعتقاد الذي ساد مرحلة ظهور البشرية الأولى في كل بلاد العالم القديم .

** أمـــا بالنســـبة للعصر الحجري الحديث ـــ فقد حدث فيه تطور في حـــياة الصينيين البدائية حيث تحولت معيشتهم العشوائية الغير مستقرة في الجبال والأحراش والكهوف إلى معيشة جماعية مترابطة ومستقرة إلى حد ما بعد أن عرفوا زراعة الأرض وسكنوا بجوارها في بيوت تم بنائها على شـــكل أكواخ مستطيلة ومستديرة، وتجمعوا في مناطق، وكانت كل منطقة تضم ما بين ٤٠ ـــ ٥٠ بيتاً بلا نوافذ، وكل بيت كان يشغل حوالي عشرة أمـــتار ـــ وحـــول هذه البيوت كان يوجد خندق بطول ٦متر وعمق بنفس الطول لحمايتها من الحيوانات المفترسة "الضوارى" ـــ وكانت أبواب هذه البيوت تفتح ناحية الجنوب حتى تتجنب رياح الشمال البارد ـــ وفي وسط هذه البيوت كان يوجد مبنى كبير مستطيل للنشاط الاجتماعي، كما تم بناء مقـــبرة خـــارج الخـــندق من ناحية الشمال ـــ وبالتالي شكلت من كل هذه المعطيات في غضون العصر الحجري الحديث ملامح قرية منظمة.

ـــ وعلى أساس هذا التطور ظهرت خلال هذا العصر قبائل وعشائر عديـــدة "ســـبق الإشارة إليها في الباب الأول" مثل فوشي ودوانكو وبابنوه وخمـــدو ويانغشـــاو ـــ وكانـــت في البداية عبارة عن جماعة أو مشترك عشائرى قائم على رابطة الأمومة حيث تبوأت فيه المرأة مكانة قيادية في

الإنـــتاج وفي معظم أمور الحياة اليومية وتحددت على ضوء ذلك الأنساب تـــبعا للأم ــ ثم مع تطور الزراعة ورعى المواشي والحرف اليدوية أخذ الـــرجل القـــيادة مـــن المرأة في الإنتاج والحياة اليومية داخل العشيرة ــ فظهرت في أواخر هذا العصر العشائر والقبائل القائمة على رابطة الأبوية التي تحددت فيها الأنساب حسب رابطة الدم مع الأب.(٦)

--- يعتـــبر هذا العصر هو البداية الحقيقية لثقافة المجتمع الصيني القديم ولأن كانـــت هذه البداية قد قامت على بعض الخرافات والأوهام التي اعتنقها بصفة فردية إنسان العصر الحجري القديم بعد أن تحول هذا الاعتقاد القائم علـــى الخـــوف والرهبة إلى اعتقاد آخر جماعي قائم على الورع والتقوى وعلـــى هذا الأساس ظهرت في العشائر والقبائل الصينية عقائد دينية قائمة على فكـــرة التوتم التي تمثلت في عبادة بعض الحيوانات أو بعض الظواهر الطبيعية ــ ولذلك يشير بعض العلماء والمؤرخين بان الخوف والرهبة كان أســـاس الاعتقاد بالفكرة التوتمية ــ لان الجماعة البدائية قد عبدت الحيوان لقوتـــه حتى ترضيه أو اتخذت من الظواهر الطبيعية كالشمس والقمر آلهة حتى تتقى كوارثها، أو قدست الأشجار والنباتات وينابيع الأنهار حتي تجلب لهـــا الخيرات وتدفع عنها شر الجوع والهلاك، أو جعلت من بعض الموتى وخاصـــة الذين كانوا أقوياء أبان حياتهم عبادة أطلق عليها عبادة الأسلاف لاسترضـــائهم حـــتى لا يجلـــبوا لأفراد الجماعة الأحياء الشر والشقاء في معيشـــتهم ــ وقد ترتب على ذلك تعدد المعبودات الدينية القائمة على فكرة الـــتوتم بتعدد الحيوانات والكائنات والظواهر الطبيعية وأن كان من الصعب التعرف على أول معبود ظهر في العشائر الصينية القديمة.(٧)

ورغم الخرافات التي أحيطت بالعبادات التوتمية إلا أنها قد ساهمت في تدعيم ترابط الأفراد وتضامنهم على الخير والشر، وأثرت تأثيراً بالغاً

على أخلاقياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أي كونت مفاهيم الثقافة البدائية داخل العشـائر القديمـة ـ وتوجـد نماذج توضح أثر ذلك التوتم على المفاهيم الثقافية في ذلك العصر وهي صور. الأوراق المقصوصة لبعض الحيوانات مـثل الـنمر والتنيين التي كانت في أنظار الناس خلال هذا العصر تعتبر حـيوانات مقدسـة يستمدون منها ثقافتهم وقو؛ وحدتهم الاجتماعية داخل العشيرة أو القبيلة.(٨)

ـ نتـيجة لتعدد العقائد الدينية القائمة على فكرة التوتم داخل العشائر والقبائل الصينية القديمة بعد أن تطورت عبادتها من الخوف والرهبة فقط إلـى عـبادة مقدسة متحلية بالورع والتقوى ـ قد أصبح لكل عقيدة دينية رجـال ديـن أطلـق عليهم الكهنة أو (السحرة والعرافين) تمتعوا داخل العشـائر بمكانة مليئة بالتبجيل بعد أن ادخلوا في مفاهيم عامة الناس بأنهم حلقة الوصل بينهم وبين الآلة وما يبعثه من أرواح ـ ولذلك تزعموا إقامة الشعائر والطقوس الدينية وغرسوا مبادئ العقيدة في نفوس الناس ولقنوهم التعلـيم والتهذيـب، وبالتالي كانوا مؤئلا للتراث الثقافي المتزايد، وعزاء للضـعيف أمـام القوى والعامل الفعال في ضبط سلوك الأفراد، وإلزامهم علـى القـيم والمبادئ المستمدة من الواجب والفضيلة المقررة في العقيدة الدينية التي يتولوا أمورها ـ ومن هنا أصبح الدين يمشى جانباً إلى جنب مـع ثقافـة المجتمع وأخلاقياته، واختلط الجزاء الديني بالجزاء الأخلاقي وأصبح كل منهما معبراً عن الآخر باعتبار أن الدين هو الذي ولد الشعور العـام لـدى أفـراد العشيرة بضرورة الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية واحـترام حقـوق الآخريـن والمحافظـة على كيان الجماعة ومصالحها العليـا.(٩)

ـ لم تكن الصين هي الموطن الوحيد للعقيدة الدينية القائمة على فكرة

التوتم بل ظهرت في مجتمعات أخرى ـ وقد عثر علماء الآثار على أدلة عديدة تؤكد وجود هذه العقيدة وانتشارها في بعض المجتمعات القديمة مثل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية والجماعات التي تكونت في استراليا وشمال أفريقيا وماليزيا ـ وبعض القبائل العربية ـ كما أكد جانب من الباحثين عن الآثار الفرعونية بأن مصر في العصور القديمة قد عرفت أيضا فكرة العقيدة التوتمية بعد أن أثبتت الآثار تقديس قدماء المصريين لبعض الحيوانات مثل الثعبان والعجل والصقر (حورس).(١٠)

** وإذا كانت العقائد الدينية التوتمية قد مثلت أهم الأسس التي قام عليها في البداية التراث الثقافي في الصين ـ إلا أن الكتب الصينية القديمة قد احتوت على أساطير خرافية لبعض الشخصيات التي قيل بأنها قد ظهرت في هذا العصر ـ وبان هذه الشخصيات الأسطورية قد أثرت تأثيراً بالغاً على المفاهيم الثقافية الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يذهب إلى القول بان التاريخ الثقافي الصيني قد ارتبط أيضا في بدايته إلى جانب العقيدة التوتمية بظهور شخصيات أسطورية اعتبرهم الصينيون أنصاف آلهة وعبدوهم ونسبوا إليهم كشف الزراعة وتنظيم الري وابتكار الأدوات الزراعية والمركبات ذات العجلات والقوارب وغيرها من المنجزات الحضارية العديدة ـ واعتبرهم كونفوشيوس ومريدوه أبطال أزهي عصور العصر الحجري الحديث، ومن مشاهير هذه الشخصيات الأسطورية المعروفة هم الأباطرة الذين تتلخص سيرتهم في الآتي :-

* **فوهسي :**

بطل ثقافي أسطوري ولد في عام ٢٨٥٢ ق.م وتوفي في عام ٢٧٣٧ق.م ـ وترجع إليه التقاليد الصينية المأثورة العهد بأنه أول

من قام بتأليف فكرة كتاب "**المتغيرات**" في عام ٢٧١٢ق.م تقريباً ــ وهذا الكتاب كما سنرى فيما بعد يأخذ منزلة التقديس عند الصينيون ــ حيث قيل بان "**فوهسى**" كان ملك وحكيم زمانه، وبأنه أول من ابتكر المتواليات ذات الخطـوط العرضــية التــي تعتبر الأساس الذي استندت عليه فلسفة هذا الكتاب.

ولذلــك أشــير في كتاب المتغيرات بان مفاهيم الثقافة البشرية في الصـــين قد بدأت عندما جلس "**فوهسى**" على كرسي العرش الملكي يتطلع إلى السماء ليرصد مظاهرها وينظر إلى الأرض ليعاين أشكالها وبأنه من خــلال دراســته العميقة في الكون وأسراره استخلص أفكار قيمة للأشياء دفعته إلى ابتكار الثمان متواليات ذات الخطوط الثلاثية لكي يوضح فضائل الكائنات الروحانية، ويصف أحوال جميع المخلوقات.

وتشــير بعــض الكتب والمراجع التاريخية بان هذا الحكيم قد علم الـــناس بمعاونة زوجته المستنيرة الزواج والموسيقى والكتابة التصويرية وإطعــام دود القز لكي يحصلوا منها على الحرير، كما ثقف الناس بآداب الحــياة الاجتماعية، وعلمهم طقوس التضحية في الاحتفالات الدينية، وبأنه أول مــن عقــد الحــبــال وصــنع الشــبــاك لصيد الأسماك والطيور والحيوانات.(١١)

***شين توينج:**

ظهــر وجلــس على كرسي العرش في عام ٢٧٣٧ق.م بعد وفاة "**فوهسى**" وقام بعده بغرس مفاهيم الحكمة والقيم الأخلاقية في نفوس الناس وقــد قيل في بعض المراجع التاريخية بان "**شين توينج**" كان أول من قام بتعليم الناس فوائد حرث الأرض وتطهيرها من الأعشاب، وبأنه قد اقتبس

ذلك من دراسته لإحدى المتواليات الثلاثية التي كانت موجودة في كتاب "المتغيرات" ـ هذا بجانب أنه قد نسب إليه أيضا بأنه أول من شيد الأسواق وعلم الناس أصول التجارة، كما اخترع المحراث الخشبي، وأنشأ علم الطب بعد أن عرف الكثير عن خواص النباتات العلاجية.

*** هوانغ دى [الإمبراطور الأصفر]:**

جلس على العرش في عام ٢٦٩٧ق.م بعد وفاة **"شنين توينج"** واشتهر بالحكمة والعدل والقوة، وقيل بأنه قد شكل اتحادا قبائلياً وتولى زعامته باختيار ديمقراطي بعد أن انتصر على القبائل الأخرى بأسلحة مصنوعة من الأحجار الكريمة، ويقال عنه في المأثورات الصينية القديمة بأنه سلف الأمة الصينية كلها ـ وقد أشارت أيضا بعض المراجع التاريخية بأن هذا البطل الأسطوري قد اخترع المركبات ذات العجلات والمغناطيس، ويعزى إليه تنمية طرق الاقتصاد الحيواني وصناعة التعدين إلى جانب علم الفلك وإصلاح التقويم وان زوجته [**سي ـ لنج**] قد نشرت تربية دود القز، وفي عهده لخترع [**تسانج ـ كى**] مؤرخه الرسمي الكتابة وشرح طريقة لها مكونة من ٥٤٠ حرفاً هيروغليفياً (**بالصور**) يطلق عليها خط (**بصمات أقدام الطيور**) – وقد استخدم **"تسانج ـ كى"** الفرشاة وألواح الغاب الهندي في الكتابة التي اخترعها.

*** ياو:**

جلس على العرش في عام ٢٣٥٦ق.م بعد أن مر ٢٤١ عام على وفاة **"هوانغ دى"** وتم اختياره أيضا بالنظام الديمقراطي ـ ويصفه (**كتاب التاريخ**) الذي سوف نتعرض له تفصيلياً فيما بعد بأنه كان غنياً جداً

وسـخي بكثرة مع الفقراء والمحتاجين، كما كان ذكياً ومتواضعاً ووقوراً ولطيف المعشر ومجداً بإخلاص في عمله وبأنه على أساس هذه الصفات قد حكم البلاد، وبفضل سياسته الحكيمة قد نعم شعبه بالخير الوفير ــ وقد أشـير أيضا في بعض المراجع التاريخية بأنه أول من نظم التقويم الزمني وعين المقاييس والموازين تعيناً دقيقاً، ووحد مقاييس النغمات الموسيقية ــ وأعطى بعدله وحكمته أكبر عظه في التسامح وبعد النظر والحرص اللازم علـي الصالح العام، لأنه بعد أن حكم البلاد سبعين سنة وأصبح غير قادر على أدارتها بالكفاءة التامة لمرضه وكبر سنه ــ صدف عن تنصيب ولده البكر على كرسي العرش وتنازل عن الحكم لما هو أفضل وأحسن من ابنه وهو فلاح فقير يدعى "**شون**" أشتهر بالحكمة والخلق القويم.(١٢)

*** شون:**

وهـو ذلك الفلاح الفقير الذي تميز بالخلق الطيب والحكمة والعدل بعد أن اختاره "**ياو**" ليكون خليفته في الحكم بعد وفاته، جلس على العرش في عام ٢٢٥٥ق.م ، ويقال أن "**ياو**" قد زوده بالملابس والآلات الموسيقية وبأعداد وفيرة من الماشية والأغنام، وان "**شون**" كان عنده مكان فسيح في بيته استخدمه في تخزين الحبوب الزائدة، وكان في بعض الأحيان يقايض بمـا لديه من مخزون فائض بأصناف أخرى مع بعض العشائر ــ وتشير أيضا بعض المراجع التاريخية بأن أعظم إنجازاته كانت موجهة للزراعة ــ ولـذا فقـد اخترع آلات زراعية عديدة وأدخل على الفلاحة بعض الطرق الفنية وعلم الصينيين قيمة النباتات المختلفة بما في ذلك خصائصها الطبية كمـا اخـترع أدوات اللـك، وجاهد لحماية البـلاد من فيضانـات نهر [**هوانـج ــ هو**]، وكسب محبة الأجيال التي جاءت بعده وكان مثالاً رائعاً

في البر البنوى، وأنه قد عبد ألهاً واحد وأقام له الصلوات وقدم الأضاحى، وكــان يقــوم بجــولات تفتيشية في أقاليم المملكة، ويقيم فحوصاً دورية لموظفــيه، ويوقــع العقوبــات على المسئين، وأنشأ إدارة حكومية للعناية بالغابات والحيوانات والموسيقى والشئون الدينية.

*** يــوي:**

جلــس على العرش بالاختيار بعد وفاة الإمبراطور "شون" ويقال بأنه قد انتصر على قوميه مياو بسلاح مصنوع من البرونز واستطاع بما لديــه من قوة ومهارة وذكاء أن يروض الطوفانات ــ وقد أشير أيضا في الكتــب والمراجع التاريخية عن الصين القديمة ــ بأنه كان من عائلة نبيلة واســتطاع بأخلاقــه الكريمة أن يحكم البلاد بالعدل ويحقق للشعب الخير الوفــير ــ وهــو يعتبر آخر الحكام الأسطوريين ــ لأنه بعد وفاته تولى الحكــم من بعده ابنه تشى ــ الذي جلس على العرش مباشرة دون أن يتم اختــياره، مما يعد أول خرق لمبدأ الاختيار الديمقراطي في الجلوس على العرش حيث أصبح الملك وراثياً بعد ذلك، ويعزى إلى "تشى" نفسه تأسيس أول أســرة متحضــرة هي أسرة [شيــا] التي ظهرت خلال الفتــرة من [القــرن ٢١ ــ القرن ١٦قبل الميلاد] وتعتبر أول أسرة حكمت المجتمع الصيني وفي ذلك يقول ول ديورانــت بأن [الملك الوراثي كان سبباً في أن يتعاقب على حكم الصين العباقرة والبلهاء وذو المواهب الوسطى][١٣]

ــ وإلــى جانــب هــؤلاء الأباطرة الأسطوريان قد احتوت المراجع التاريخــية الصينية على شخصيات أسطورية أخرى مثل "ولى زو" الذي قيل بأنه أول من اخترع تربية دود القز ــ و"شن نونغ" الذي قيل بأنه أول مــن اســتخــدم الأعشــاب الطبــية التي تزيد عن مائة نوع في عــلاج

المرضـــى[١٤] ــ وحكماء آخرون ارشدوا الشعب الصيني القديم عن كيفية تشيد البيوت لحمايتهم من الرياح والأمطار والبرد والحر كما علموهم دفن موتاهم، وأمور أخرى عديدة بحياتهم الإنسانية.[١٥]

ــ والمجــتمع الصيني القديم لم يكن هو المجتمع الوحيد الذي احتوى علــى حكايــات و روايات خرافية عن شخصيات أسطورية بل كثيراً من المجتمعات الأخرى القديمة قد احتوت على ذلك في العصور القديمة أو في عصور ما قبل التاريخ مثل قصة إيزيس وأوزوريس في مصر الفرعونية وهي تمثل فكرة الصراع بين الخير والشر وكيف انتصر الخير في النهاية علــى الشــر[١٦] ــ وقصة الملوك السبعة المؤلهين، في الهند، حيث اعتقد الهــنود القدماء بأن العالم قد شيده سبعة ملوك مؤلهين، وأطلقوا على كل ملــك منهم أسم "**مانو**"، وعلى أساس هذا الاعتقاد زعموا بأن الإله الأعظم "**بــراهما**" خالق الحياة والقوى قد أوحى بقانون إلى "**مانو**" أول ملك مؤله من هؤلاء الملوك السبعة من أجل تنظيم أمور الحياة بين الناس، وان هذا الملــك قــد أبلغه شفاهة إلى كبار طائفة الكهنة لحفظه والعمل به، فظلت قواعــده ونصوصه في الذاكرة تنتقل من جيل إلى جيل إلى أن تم تدوينها باللغة السنسكريتية في كتاب ضخم ضمها في صورة ٢٦٨٥ بيتاً شعرياً، وقــد تــرجم هذا الكتاب الذي أطلق عليه "**قانون مانو**" إلى معظم اللغات الأوروبــية[١٧] ــ والقصة التي اعتنقها الإغريق بأن الإله الأعظم **زيوس** Zeus له بنتان إحداهما إله العدالة الدينية (**يتميس** Themis) والثانية إله العدالــة الوضعية "**ديكــي** ــ Dike "[١٨] وقصة إنشاء مدينة روما على يد التوأميــن "**رمولــوس** ــ Romulus " و "**ريمــوس** ــ Remus" وقيل بان أبوهمــا الإله "**مارس** Mars " إله الحرب وأمهما "**ريا سلفيا** Resylvia" حاملة الشعلة المقدسة أبنه الملك "**نوميطور** Numitor" ملك مدينة **البا** Alba

وهو من سلالة البطل أنيوس Enees " طريد مدينة "طرواده Troie" الذي نزح إلى ارض "لاتيوم Latium" بعد الغزو اليوناني لهذه المدينة ــ وقيل بان [رمولــوس] قــد أحــاط منطقة المدينة الجديدة بخطوط ليقيم عليها أسوارها المقدسة، وعندما قام شقيقه [ريموس] بعبور هذه الخطوط بطريقة تعــبر عــن الاســتهتار والاستهزاء به قتله لكي يكون عبرة لمن يحاول الاعــتداء علــى هذه المدينة أو يستهين بقوتها ومكانتها بعد ذلك ــ ومن خــلال هــذه الــرواية أعــتقد بان إنشاء مدينة روما قد تم بالكفاح والقوة والعزيمة المليئة بالفخر والعزة .(١٩)

ــ ولكن إذا كانت النظم الثقافية الصينية في العصر الحجري الحديث قــد تشــابهت فــي فكرة التوتم والروايات الخرافية الخاصة بالشخصيات الأسطورية مع النظم الثقافية التي عرفت في المجتمعات الإنسانية الأخرى التــي ظهــرت فــي الشــرق والغرب خلال هذا العصر أو في العصور القديمةــ إلا أن نمط التفكير الخاص بمحتواها الواقعي قد أخذ طابع متميز إلى حد ما في المجتمع الصيني عن المجتمعات الأخرى وذلك لأن الشعب الصــيني القديم كان من أكثر الشعوب القديمة اعتناقاً لفكرة التوتم وتقديس الأســلاف، كمــا أن مكانــة تبجيل الشخصيات الأسطورية في المجتمع الصــيني لــم تتغــير مــن عهد لآخر كما حدث في المجتمعات الإنسانية الأخرى، لذا فانه رغم الخرافات التي أحيطت بهذه الشخصيات الأسطورية إلا أن الصــينيون مازالوا إلى وقتنا الحاضر يضربون بهم المثل في فعل الخير وإيثار النفع العام.(٢٠)

المبحث الثاني

نظم الثقافة الصينية في العصر الملكي

ـــ يـبدأ هذا العصر كما وضحنا في الباب الأول من عهد حكم أسرة "شيا" عام ٢٢٠٥ق.م التي تعتبر أول أسرة مالكة حكمت المجتمع الصيني، وينتهي بسقوط نظام حكم أسرة تشو الشرقية في عام ٤٨١ق.م.

ـــ وإذا كانـت بدايـة هذا العصر هي بداية حكم الأسرات التي تمثل بداية العصور القديمة في المجتمع الصيني فأنه يعتبر أيضا البداية الفعلية لمراحل تطور نظم الثقافة الصينية(٢١) ـــ لأنه في عهد أسرتي "شيا وشانغ" انبعثـت فكـرة السماء والآلهة إلى جانب فكرة التوتم وتقديس الأسلاف والشخصـيات الأسـطورية وتـبلور علـى هذا الأساس نظام حكم الملك البشرى بأنه الوسيط بين الآلهة وبين أفراد الشعب وعليه أن يبذل قصارى جهده في إصلاح أحوال المجتمع، والسعي بإخلاص نحو ترضية الآلهة ـــ فإذا أخفق في تأدية رسالته السامية ـــ غضبت الآلهة عليه وأوعزت إلى أفراد الشعب بالثورة عليه حتى يتم خلعه من الحكم .

ـــ وقـد أدى الإيمان بهيمنة الآلهة على كل أمور الحياة إلى الاعتقاد بقـدرة العرافيـن والسـحرة علـى التنبؤ بالرخاء في حالة رضاء الآلهة وبـالكوارث في حالة غضبها، وأطلق على هذه القدرة التنبوئية مصطلح "فـنون الكهانة" ـــ وهذا المصطلح قد قسمته المراجع الصينية القديمة إلى ستة أقسام أي تم تقسيم فنون الكهانة في ذلك العهد إلى ستة أقسام رئيسية كالآتي:

- **الأول :** التنجيم وهو التنبؤ بما سيحدث في المستقبل .
- **الثاني:**الـتقويم والهـدف منه تعيين الفصول الأربعة حتى يتم ضبط

الأوقـــات، وتحديد فترات حركة الشمس والقمر والكواكب إلى جانب دراسة الأحوال الجوية من حر، وبرد، وأمطار، وغيوم.

- **الثالث:** يتصل بالعناصر الخمسة وهي التراب، والخشب، والمعدن، والنار، والماء.
- **الرابع:** خـــاص بأوراق نبات العرافة وصدفة السلحفاة ــ ويقصد بنـــبات العرافة "زهرة القنديل" المعروفة بكثرة أوراقها ــ فكـــان طالب معرفة حظه يقوم بقطع أوراق الزهرة ورقة ورقـــة، وفي الورقة الأخيرة يكون الرد على رغبته ــ أما بالنســـبة لصـــدفة الســـلحفاة فكان الكاهن يثقب حفرة فيها ويعرضـــها للحـــرارة لـــتظهر عليها بعض الشروخ يقوم بتفسيرها على أنها إجابة عن سؤال المطلوب.
- **الخامس:** يتعلق بتفسير الأحلام .
- **السادس:** يتألف من طريقة الأشكال، ومدارها قياس وإحصاء عظام الـــناس والحيوانات الستة المستأنسة وهي الحصان والثور والخـــنزير والغنم والكلب والدجاج ــ وهذه الطريقة كانت تستخدم عند بناء سور المدينة أو منزل أو كوخ.

- وحيـــث أن العرافيـــن قد احتكروا معرفة فنون الكهانة ــ وكانوا يكتـــبون علـــى دروع السلاحف وعظام الحيوانات بما لديهم من معلومات ومعرفة للتنبؤ بالأحداث ــ فسميت هذه الكتابات التي دونها العرافون "بلغة العرافين" أو "لغة العظام الكهنوتية" وهي لغة متكاملة نسبياً وتعتبر كتاباتها أساساً للمقاطع الصينية المعروفة اليوم.

- وبمـــرور الزمـــن وعلـــى الأخص منذ بداية عهد حكم أسرة تشو

الغربية أخذت العقلية الصينية تتحرر تدريجياً من أسرار العرافة وقيود السحر وتتجه نحو الواقعية وما يحدث داخل المجتمع من أفعال وإحداث، وتوجد بعض الإشارات في المراجع الصينية القديمة تؤكد ذلك وتعبر عن مدى تطور التفكير الصيني بعيداً عن فنون الكهانة مثل ما ذكرته السجلات التاريخية عام ٦٦٢ق.م بأن [أمور الدولة تزدهر وقتما ينصت الحكام إلى صوت الشعب، فإذا استمعوا إلى الأرواح وآراء الكهنة فسدت هذه الأمور] وفي عام ٥٥٤ق.م ذكرت بأن [طريق السماء طويل في حين طريق الإنسان قريب المنال، لكن لن يمكننا بلوغ السماء، إذ لا سبيل إليها] وفي عام ٥٠٩ق.م ذكرت بأن [المملكة التي تستعين بالأرواح دون أن تلجأ إلى الشعب فأنها ترتكب إساءة بالغة في حق هذا الشعب]

ـ في هذا العصر أخذت كلمة السماء في الكتابات الصينية القديمة خمسة معان مختلفة كالآتي:

الأول: السماء بالمعنى المتعارف عليه أي ما يقابل الأرض.

الثاني: بمعنى لقب يتضمن السمو و الرفعة والمكانة العظيمة لشخص ما.

الثالث: أخذت معنى القضاء والقدر مثل القول عندما يحدث كارثة (هكذا شاءت السماء).

الرابع: بمعنى الوجود الطبيعي للكون.

الخامس: أخذت معنى يدل على مبدأ أخلاقي مثل القول (هذا الشخص أخلاقه تسمو إلى عنان السماء).(٢٢)

** خلال هذا العصر تألف التراث الصيني الثقافي من خمسة مؤلفات وهي **الأغاني، والتاريخ، والطقوس، وحوليات الربيع والخريف، والتغيرات** الذي تبلور مفهومه وقيمته في الفكر والأدب والفلسفة في زمان هذا العصر ــ وهذه المؤلفات يتلخص مضمونها في الآتي :

١- كتاب الأغاني:

ويطلق عليه أيضا كتاب الأناشيد ــ وهو يتضمن مختارات تتألف من حوالي ثلاثمائة بيت من الشعر ـــ وهذا الشعر عبارة عن أغاني شعبية كانـــت شـــائعة في جهات الصين المختلفة منذ بداية العهد الإقطاعي إلى جانـــب أغاني أخرى كان ينشدها أعضاء الطبقة الأرستقراطية خلال تأدية شعائر القرابين أو في المناسبات المختلفة.

ويـــرجع العهد ببعض هذه الأغاني إلى أوائل عصر أسرة "شانغ" التي حكمت المجتمع الصيني منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد ــ وفي بعض المراجع التاريخية تشير إلى تاريخ أحدث من ذلك وترجع بداية هذه الأغانـــي إلى أوائل عصر أسرة "تشو الغربية" التي حكمت الصين ابتداء مـــن القـــرن الحادي عشر قبل الميلاد ــ ولكن رغم هذا الاختلاف إلا أن الـــرأي الـــراجح طبقاً لما هو مدون في معظم السجلات التاريخية، يرجع بداية هذه الأغاني إلى أوائل عصر أسرة "شانغ".

ــ وقد جمعت معظم أشعار هذا الكتاب من خلال موظفين خصصتهم الحكومـــة للقيام بجمعها، ولذا طافوا المدن والقرى الصينية وقاموا بتدوين الأشعار المتداولة في معظم الأوساط الشعبية ــ وهذه الأشعار التي جمعت مـــن الأوســـاط الشعبية كانت معظمها عبارة عن أغاني أو قصائد شعبية أخذت فصل مستقل في كتاب الأغاني بعنوان "قوة فن" وكانت تتحدث عن أوضـــاع الكادحيـــن في الإنتاج والمعيشة ــ فصورت بالألفاظ حالة العبيد الذين يسقون الحقول بعرقهم وحالة النساء اللواتي يجمعن أوراق التوت من المنحدرات والضفاف لتربية دود القز حتى ينعم الارستقراطيون بارتداء المنسوجات الحريرية ــ كما صورت صرخات احتجاج عديدة ضد ملاك العبيد الأرستقراطيين الذين يمتصون دماء العبيد رجالاً ونساء أي أعطيت

وصـــفاً مفصـــلاً لأحـــوال العبيد وعلى الأخص في عهد حكم أسرة تشو الغربية ــ وذلك مثل قصيدة عنوانها "فــي سبعة شهور" حيث تحدثت عن عبــيد منطقة جبل تشان بمقاطعة شنشى وجاء فيها بأن العبيد يخرجون للصــيد في الشتاء وسط الرياح الثلجية ــ فإذا اصطادوا ثعلب قدموا جلده للأرستقراطيون وإذا اصطادوا جنازير أعطوهم أكبرها، كما كانوا يجمعون الجليد ويدخرونه كي يتمتع به الأرستقراطيون في الصيف ــ وفي الربيع يصـــلح الرجال الأدوات الزراعية ويحرثون الحقول تحت إشراف الوكلاء أمـــا النســـاء فينهمكن في جمع أوراق التوت وتربية دود القز لكي يتمتع الســـادة الأرستقراطيين بالمنسوجات الحريرية، علاوة على قيامهن بطبخ الأطعمـــة وإرســـالها مـــع أولادهن إلى الذين يعملون في الحقول ــ وفي الخـــريف يمهـــد الرجال مكان البيادر ثم يحصدون المحاصيل، وفي آخر المطـــاف يأتـــي الأرســـتقراطيون فيأخذون الحبوب أما العبيد فيدخرون النباتات البرية ليقتاتوا بها في الشتاء، وعندما تنتهي أشغال العبيد الزراعية يتم أخذهم ليقوموا ببناء القصور وترميمها لأسيادهم.

ــ وقصيدة أخرى بعنوان "فأر ضخم" تجسد حقد العبيد في أمارة "وى" مـــن أثر الاضطهاد والاستغلال الجنوني الذي ارتكب في حقهم من جانب الأرســـتقراطيون الذيـــن صورتهم القصيدة على شكل فأر ضخم جشع ــ وتعـــبر القصـــيدة أيضاً عن رغبة العبيد في الهجرة أو الفرار من حقول الأرســـتقراطيين نحـــو دنـــيا جديدة تنقذهم من أحوالهم السيئة، ونص هذه القصيدة كالآتي:

[فـــأر ضـــخم، فـــأر ضخم – لا تأكل حبوب ذرتى – من ثلاث سنوات أتولى خدمـــتك وأغذيك – ولكنك لا تشفق على مرة واحدة ولن تقيم لي وزناً – أنى أعـــتزم الرحـــيل عـــنك – متجهاً إلى تلك الأرض السعيدة – حيث سأجد مكاناً أستطيع فيه أن أعيش مرتاحاً مطمئناً على حياتي ...]

- وفـــي قصيدة أخرى بعنوان "رياح الشمال" وهي عبارة عن أغنية فلاحين تضطهدهم حكومة فاسدة ــ نصها كالآتي:

[كم هي باردة رياح الشمال – يتساقط الثلج كثيفاً – أن كنت كريماً وتحبني فتناول يدي وسنذهب معاً – أنك متواضع، أنك متأن – ولكن يجب أن تسرع الخطى – كم هي ضارية، رياح الشمال ... لا شئ أحمر كالثعلب – ولا شئ أســود كالغراب: – إن كنت كريماً وتحبني – فتناول يدي وسنذهب في نفس العربة– ولكن يجب أن نسرع الخطي ...]

- وقصـيدة أخــرى بعـنوان "شكوى العبيد المرة وحقدهم الطبقي العميق" نصها كالآتي:

[أنتم إليها السادة النبلاء لا تغرسون الرز ولا تحصدونه فبأي حق تأخذونه وتــنقلونه إلـــى مـــنازلكم ؟ .. ولا تصـــيدون في الجبال فبأي حق تأخذون الخنازير والأرانب وتملئون بها بيوتكم؟ أيها السادة أنتم لا تستطيعون سوى الأكل...]

- وحيــث أن كتاب الأغاني قد احتوى على قصائد اجتماعية ودينية وعاطفية أخرى إلى جانب القصائد الشعبية ــ فان من ضمن هذه القصائد قصيدة شعرية بعنوان "عام خصيب" نصها كالآتي :

[عام خصيب توافرت فيه الاذرة والأرز – ولدينا أهراء مستطيلة الارتفاع– ونصنع النبيذ والمشروبات الروحية الحلوة – ونقدمها قرباناً لأجدادنا، نساء ورجالا – وبهذا نوفي بجميع الطقوس ..]

- وبالتالي فان كتاب الأغاني قد ضم قصائد شعرية متميزة ومختلفة الأنــواع عددهــا ٣٠٥ قصيدة جميعها تتمتع بجزالة اللغة وجمال القافية وعفوية التعبير كما تتميز بواقعية موضوعاتها المستمدة من الحياة اليومية الأمــر الــذي أعطاها مكانة رائدة في مضمار الأدب الصيني الواقعي ــ

ولذلـــك فأنـــه مـــن المتعارف عليه بين الباحثين أن كونفوشيوس فليسوف الصـــين العظـيم قـــد تولى بنفسه اختيار هذه الأناشيد وتنقيحها وإعدادها للنشر، وسوف نرى ذلك في المبحث القادم.(٢٣)

٢- كتاب التاريخ:

يحتوى هذا الكتاب على عدد من الخطب والتصريحات والبلاغات والتوجـيهات والـتقارير الشـفوية التـي يقال أن بعض الملوك والحكام والـوزراء التابعيـن لهـم قـد ألقوهـا بداية من عصري الإمبراطورين الأسطوريين "ياو" و "شون" أو قبل ذلك في العهود المتأخرة ــ وهي مثل الخطـب التي كانت تلقى على الجنود قبل أن يخوضوا المعركة، أو التي كانت توجه إلى شعب ذاق مرارة الهزيمة العسكرية، أو على سكان مدينة أنشئت حديثاً أو خطاب استقالة وزير من منصبه.

ــ ولذلك فأن هذا الكتاب هو عبارة عن سجل هام للأحاديث والخطب التي أدلى بها الأباطرة والملوك وكبار رجال الحكومة الصينية منذ سالف الأزمان ــ وبالتالي فهو يعبر عن وجود عادة صينية قديمة جداً ترجع إلى مطلع التاريخ الصيني، وهذه العادة تقضى بأهمية تدوين الخطب والرسائل التـي تتعلق برجال الدولة وكبار الشخصيات لكي تسجل كتابة وتكون من السـهل الاطلاع عليها بعد ذلك للأجيال المتعاقبة أو لكل فئات الشعب في العهود اللاحقة لما بها من حوادث وقصص تسمو بها الأخلاق وتشرف بها الطباع.

ــ يضـم كـتاب التاريخ ثماني وخمسين قطعة، منها أربعة وثلاثين قطعـة أصـلية، وأربعـة وعشـرين قطعة عبارة عن إضافات أساسها المخطوطـات القديمة ــ وهذه الإضافات كانت بسبب قيام الإمبراطـور

[تشــن شه هونغ دى] مؤسس إمبراطورية [تشين] بإحراق الكتب القديمة عــام ٢١٣ قبل الميلاد، ولما زالت إمبراطوريته بعد أربع سنوات من هذا الحــريق الأثــيم، عكفــت طائفة من الفلاسفة والحكماء على إعادة تدوين الــتراث القديم معتمدة على الذاكرة في غالب الأحيان ــ فنشأ عن ذلك ما يسمى في التراث الصيني "المخطوطات الجديدة" أو الإضافات التي دونت على أساس المخطوطات القديمة.

ثــم حــدث أن قرر أمير "لو" هدم مقر الحكومة لإقامة معبد ديني مكانــه ــ فاكتشف في الجدران أثناء عملية الهدم طائفة من المخطوطات الخاصــة [بكــتاب الــتاريخ] ــ فاعتــبرت هــذه المخطوطات المكتشفة مخطوطــات قديمــة أصلية وعددها أربعة وثلاثون قطعة، والمخطوطات الأخــرى المستحدثة التي تم تجمعها اعتمادا على الذاكرة تفسيرات لها أو إضــافات تســتند إلى مخطوطات قديمة وعددها أربعة وعشرون قطعة، ولكتاب التاريخ أهمية كبيرة للتراث الثقافي الصيني وهذه الأهمية يستمدها من دعامتين:

الدعامة الأولى: أنــه يضم بين دفتيه أقدم الوثائق التاريخية الصينية، وأقدم أســاليب الكــتابة الصينية لان بداية تكوين هذا الكتاب ترجع إلى العهود المتأخرة أي عهود ما قبل الأسرات .

الدعامة الثانية: أنــه يحتوى على منابع الحكمة التي استندت عليها كل الخطب والأحاديث التي جاءت فيه وعددها ثماني وخمسين قطعة ــ ولذلك فــإن هذا الكتاب يعتبر من ضمن الكتب الهامة التي ساعدت على انبعاث آراء كونفوشــيوس ومن ضمنها مبادئه الخلقية بعد أن أطلع عليه وتمعن في محتوياته كما سنرى في المبحث القادم.[٢٤]

٣- كتاب الطقوس:

يضم هذا الكتاب مجموعة من النصوص التي تناولت موضوعات عديـدة مـنها الفلسفة العميقة، ومنها أنماط السلوك التي يجب أن تتبع في الحـياة اليومية، ومنها نظم العلاقات الحسنة التي يجب أن تتم بين الأفراد دون النظر إلى ما يملكونه من سلطة أو ثراء ــ ويلحق بهذه الكتاب كتاب خاص بالموسيقى يضم أكثر من ٨٠ نوعاً من الأدوات الموسيقية التقليدية التي تشكلت تدريجياً بعد ذلك إلى خمسة أشكال من الموسيقى التقليدية في مجـرى تطورها الطويل الأمد وهي الأغنية، الموسيقى المصاحبة للغناء والرقص، والحوار الغنائي، وموسيقى الأوبرات، والموسيقى الآلية.

ــ لم يهتدي الباحثون عن الآثار إلى العهد الذي اتخذت فيه نصوص كـتاب الطقـوس شـكلها الحالي، وان كانوا جميعاً قد اتفقوا على أن هذه النصـوص نفسها قد كتبت في أوائل عهد أسرة تشو الغربية ــ وأنها ذات أهمـية كبـيرة في تطوير الثقافة الصينية القديمة ومن الأعمدة الأساسية للتراث الثقافي الصيني ويعزى إلى **كونفوشيوس** فضل تصنيف نصوص هـذا الكتاب وإعدادها للنشر (كما سنرى في المبحث القادم) لاعتقاده بأنها عبارة عن قواعد قديمة من آداب اللياقة ومن الأسس الدقيقة التي لابد منها لتكوين الأخلاق ونضجها، ومن الرموز الصالحة النافعة التي تساعد على استقرار النظام الاجتماعي والسلام.(٢٥)

٤- حوليات الربيع والخريف:

يحـتوى هـذا المؤلـف على سجل مختصر ووفير لأهم أحداث مقاطعـة "لو" خلال الفترة من ٧٢٢ــ٤٨١ قبل الميلاد ــ والتي أصبحت مملكة مستقلة في عصر الممالك المنفصلة الذي امتد من عام ٤٧٥ــ٢٢١

قبل الميلاد وهي موطن رأس **كونفوشيوس** ــ وتمثل حاليا إقليم شانتونج

وقد دونت "**حوليات الربيع والخريف**" بقلم "**تسوه تشيو مينغ**" حيث كان في ذلك الوقت من أكبر كتاب التاريخ في مملكة "لو".

ويؤكد الباحثون الصينيون أن **كونفوشيوس** نفسه قد تولى جمع الحوليات من سجلات كانت في محفوظات المملكة، ولما كانت نصوص هذه الحوليات مختصرة ويكتنفها الغموض قام كبار كتاب وحكماء الصين بشرحها وتفسيرها والتعليق عليها ــ لذلك تعتبر "**حوليات الربيع والخريف**" من ضمن المؤلفات الهامة للتراث الثقافي الصيني ــ أي لعبت دوراً هاماً وإيجابياً مع المؤلفات الأخرى في الحفاظ على الثقافة الصينية القديمة.(٢٦)

٥- كتاب المتغيرات [يي-كينغ]:

سبق أن أشرنا في المبحث السابق أن البطل الثقافي الأسطوري "**فوهسى**" هو أول من قام بتأليف فكرة هذا الكتاب في عام ٢٧١٢ق.م تقريباً ــ أي في عصر ما قبل الأسرات ــ على أساس أنه أول من ابتكر المتواليات ذات الخطوط العرضية التي تعتبر الأساس الأول الذي استندت عليه فلسفة هذا الكتاب.

ولكن إذا كانت فكرة هذا الكتاب قد ظهرت في الأزمان السحيقة إلا إن الحقيقة أن الملك "ون" مؤسس أسرة تشو الغربية التي حكمت المجتمع الصيني ابتداء من عام ١١٢٢ قبل الميلاد هو الذي جمع مواد هذا الكتاب المتفرقة وبوبها في الصورة التي أصبح عليها قبل أن يلحق به حكام هذه الأسرة الآخرون الكثير من مواد التراث الشعبي، ويزيله **كونفوشيوس** ومريدوه بالحواشي والتعليقات التي أصبحت بعد ذلك من صلب الكتاب في صورته الحالية المتداولة.

ـ يتألف هذا الكتاب من مواد فلسفية تهيئ مفاتيح التأويل التي تأخذ نفس نمط ضروب الكهانة التي كانت تمارسها طائفة العرافة باستخدام العظام وأصداف السلحفاة وزهرة القنديل لمعرفة الغيب خلال عهد أسرة شانغ ـ وملحق بهذه المواد عدد من الحواشي والتعليقات توضح المغزى الميتافيزيقى من التأويلات ـ ولذلك يتسم هذا الكتاب بالغموض والصعوبة في فهم فقراته لأنه حافل بالأقوال الخفية المعنى والملتوية المغزى الأمر الذي جعل الباحثين يبذلون جهداً كبيراً لكي يصلوا إلى فهم ما يحتويه ومعرفة اتجاهات الفكر الصيني من خلال مضمونه.

ـ على هذا الأساس يأخذ كتاب التغييرات [يى ـ كينغ] عند المفكرين الصينيين منزلة رفيعة وصلت إلى درجة التقديس وجعلت الدولة في الصين القديمة تكرس أساتذة يعكفون على دراسته لأنه على مدار تاريخ الصين الطويل، استمد منه المصلحون العظام إلهامهم ووحيهم حيث وجدوا فيه سنداً فكرياً يمكنهم من تمهيد الطريق الفكري أمام إصلاحاتهم، كما أن عامة الشعب حتى وقت قريب جداً كانت تنظر إليه باهتمام بالغ حيث اعتبرته الوسيلة الأساسية لمجابهة مشاكل الحياة ومعرفة الأمور الإنسانية وإدراك حقيقة الكون وأسراره.

ـ ومفهوم التغيير في هذا الكتاب وفقاً للمنطق الصيني جاء من ملاحظة الأحداث الطبيعية مثل سير الشمس والنجوم وعبور السحاب وتدفق المياه وتعاقب الليل والنهار وتتابع الفصول، ولذا فهو يمثل حركة طبيعية لا نهائية تجد نفسها على الدوام ولا تتوقف أو تتعطل على الإطلاق، وهذه الحركة تأخذ شكل التطور الذي لا يبطل تأثيره مطلقاً ـ وحركة التطور لا تحدث بطريقة عشوائية بل تتبع مسالك راسخة وهي لا تسلك اتجاهاً أمامياً صاعداً بل تتجه اتجاهاً دائرياً يشبه اللولب تؤوب فيها

إلى نقطة بدايتها وذلك لان الفكر الصيني قد استوحى هذه الفكرة من ملاحظة خطوط سير الكواكب حول الشمس وتعاقب الفصول ــ وعلى هذا الأساس لا يستسيغ الفكر الصيني محاولة تمجيد الجديد على حساب القديم وإعلاء شأن المستقبل على حساب الماضي وذلك تأثراً بفكرة التعبير الدائري اللولبي الطابع.

ــ وقوام كتاب المتغيرات أن ظواهر الكون بأسره تتألف في جوهرها من عاملين أحدهما إيجابي والآخر سلبي ــ وقد حصر مؤلف هذا الكتاب ويقال أنه البطل الثقافي الأسطوري **"فوهسى"** هذه الظواهر في ثمان أساسية ومثل كل منها في متوالية ثلاثية الخطوط، وترمز المتوالية إلى تلاقي ظاهرة كونية سلبية بأخرى إيجابية ــ ويطلق الكتاب على الظاهرة الإيجابية أسم **"اليانج"** ويعنى في الأصل **"الشمس"** ويرمز إليها بشرطة متصلة (ــ) ويطلق على الظاهرة السلبية أسم **"الين"** ويعنى الاصطلاح **"القمري"** ويرمز إليه بشرطة متقطعة (ــ ــ).

ويتكون الكتاب بذلك من تجميع ثماني متواليات ترمز إلى العناصر الثمانية الأساسية عند قدماء الصينيين وهي السماء ــ الرعد ــ الرياح ــ النار ــ الماء ــ الجبال ــ المستنقعات، وبيانها بهذه المتواليات كالآتي:
وتفسير هذه المتواليات يكون على النحو التالي :--

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

* المتوالية (١) ترمز إلى السماء ــ وحيث أن السماء عندهم هي الرب الأعظم لأنها مصدر الأمطار ــ أصبحت ترمز إلى الأب، ونظراً لأن الأب رمز الأسرة ترمز المتوالية إلى القوة والسيادة، وهي تتألف من خطوط سليمة **(يانج)** تأكيداً لمبدأ الذكورة المطلق.

* المتوالية (٢) ترمز إلى الأرض ــ وحيث أن الأرض عندهم هي التي تتلقى الأمطار ــ أصبحت ترمز إلى الأم، وتدل بالمعاني على الحنان والمــودة والعطف ــ وهي تتألف من خطوط جميعها متقطعة (ين) تأكيداً لمبدأ الأنوثة المطلقة.

ــ **ومن اتحاد المتواليتين (١) ، (٢) ينتج:**

* المتوالــية (٣) وتدل على الابن الأكبر وخطها الأسفل (يانج) مثل الخطــوط التــي تمــثل الأب ــ وتشــير في مجال المعاني إلى التحرك والانطلاق والتحفز.

* المتوالــية (٤) تــدل على البنت الكبرى وخطها الأسفل (ين) مثل الخطوط التي تمثل الأم ــ وتدل في مجال المعاني على القدرة في اختراق الأشياء والنفوذ إليها.

* المتوالية (٥) وترمز إلى الابن الثاني ــ وفي مجال المعاني تشير إلى الوعورة وشدة الانحدار.

* المتوالــية (٦) ترمز إلى البنت الثانية ــ وفي مجال المعاني تشير إلى السطوع واللمعان ...الخ.

* المتوالــية (٧) ترمز إلى البنت الثالثة ــ وفي مجال المعاني تشير إلى التوقف والصد ...الخ.

* المتوالية (٨) ترمز إلى صغرى البنات ــ وتدل في مجال المعاني على الرضاء والمسرة والحبور والغبطة ...الخ.

ــ بعــد أن تحــددت هــذه المعاني ــ أخذ الباحثون من شراح كتاب المتغيرات يقيسون عليها المظاهر الكونية المختلفة وشرعوا يطبقونها على جمــيع الأشــياء ــ فالعاصفة ابن أكبر (متوالية ٣) ــ والريح بنت كبرى (متوالــية ٤) ــ والمــاء أبــناً ثانــياً (المتوالية ٥) ــ والنار بنت ثــانية

(المتوالية ٦) ـ والجبل أبنا أصغر (المتوالية ٧) ـ المستنقعات بنتاً صغرى (المتوالية ٨) ـ وبالتالي كانت المتواليات الثمان ذات الخطوط الثلاثية تمثل لدى قدماء الصينيين عناصر الكون ذات الأهمية القصوى لهم وهي في السماء [الشمس والقمر والرياح والعواصف] وعلى الأرض [الجبال والمستنقعات] ومن الأشياء [الماء والنار] بعد أن ربطوا بين هذه المتواليات بعلاقات الأبوة والأمومة والبنوة.

ـ وقد فسر كونفوشيوس نشوء هذه المتواليات بالقول بأن **[الأول الأعظم]** مصدر التغير وعلته قسم نفسه أثنين الأول السماء (اليانج) والثاني الأرض (الين) ـ وانقسم الاثنان إلى أربع كونت الفصول [الربيع والخريف والشتاء والصيف] ـ وعلى أساس فكرة اليانج والين تكونت **المتواليات الثلاثية الثمان** وعندما اتخذت ترتيبها المناسب توطد بذلك منهاج السماء والأرض وتحددت رموز كل من الرعد والريح والماء والنار والجبال والمستنقعات.

ـ ويربط شراح كتاب المتغيرات بين هذه المتواليات والفضائل الخمس الثابتة التي عينها كونفوشيوس في مختاراته وهي **[الحب – العدالة- الحشمة – الحكمة – الإيمان الحق]** وعلى هذا الأساس قرروا بأن السلوك الصالح للإنسان ـ **[تستثيره المحبة، وتوطد الحشمة، وتنظيم العدالة أوضاعه، ويحدد الإيمان الحق أبعاده، وتكملة الحكمة]**.

ـ ومن المتواليات الثمان ذات الخطوط الثلاثية ـ ركبت في العصور التالية متواليات تتألف الواحدة منها من ستة خطوط، وتم ذلك عن طريق مزج متواليتين من ذواتي الخطوط الثلاثية إحداها بالأخرى فتكون من ذلك أربعة وستون متوالية جديدة تتألف الواحدة منها من ستة خطوط وذلك مثل:

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

ـــ وتفســير هذه المتواليات [على أساس أن الأشياء بفطرتها في تغير مستمر والتغير يحمل في طياته الزيادة والنقصان والقدوم والذهاب والهدم والبناء ...الخ بمعنى أنه لا نهاية مطلقاً لعملية التغير لأن ما يأتي يجب أن يذهب وما يذهب يجب أن يأتي مرة أخرى] ــ يكون كالآتي:

* المتوالية الأولى ــ تدل على الرخاء واليسر والرفــاهية لوجــود ٣ خطوط (يانج) أسفل.

* المتوالــية الثانية ــ تدل على القحط والضيق لأنها عكس المتوالية الأولى لوجود ٣ خطوط (ين) أسفل.

* المتوالــية الثالــثة ــ تدل على عملية التحلل أو التفكك أو السكون لوجود خط (يانج) أعلى ويتلوه خمسة خطوط (ين) لأسفل.

* المتوالــية الــرابعة ــ تــدل على الحيوية والنشاط ــ لأنها عكس المتوالية الثالثة نتيجة تغلب (اليانج) في النهاية المطاف وأصبح في أسفل المتوالية.

* المتوالــية الخامســة ــ وتــدل علــى الحركة المنطلقة المستمرة المتواصلة.

* المتوالــية السادســة ــ وتدل على السكون ــ لأنها عكس تركيبة المتوالية الخامسة.

* وعلــى هذا النمط تكون تفسيرات المتواليات السادسية الأخرى مع الملاحظــة أن ثنائية [اليانج والين] لا يفصل إحداها عن الأخرى بل طبقاً للمــنطق الصيني في كتاب المتغيرات أن اليانج والين يكمل إحداهما الآخر وبفضــل هذا التكامل يتوافر للكون انسجامه وتناسقه، فالشتاء وهو ينتسب إلــى فصــيلة الين يتحول إلى صيف وهو من فصيلة اليانج .. وهكذا ــ

ولذلــك يخلــص فلاسفة الصين من دراساتهم لكتاب المتغيرات إلى نتيجة عملــية مدارهــا، أنه إذا كان كل شئ في الحياة ينقلب إلى نقيضه إذا ما وصــل منتهاه ــ فعلى الرجل العاقل أن يتخذ حذره للأحداث التي تقع مع التغــير ويحــتاط لظروف الزمان، وعلى السياسي الحصيف أن يضع في ذهــنه دائمــاً المخاطر التي لابد أن تحدث وفقاً لمنطق التغير – وفي ذلك يقول أحد حكماء الصين وهو (هسى تزو) بأن [الإنسان الذي يجعل الخطر مــاثلاً فــي ذهــنه يحتفظ بمكانته، والذي يرى النكبات قائمة أمام ناظريه يعــيش ــ والذي يعمل حساباً للفوضى المتفشية يتمكن من السيطرة على المجــتمع ــ ومــن تقدر له السيطرة على المجتمع يجب إلا ينسى إمكانية تعــرض حكمه للاضطراب ــ فالسلطان الحكيم من لا ينسى العدوان في أوقات السلم، ويتخذ الحيطة ضد العابثين بالأمن ــ ويجب أن يتحلى المرء بالتواضع لان الدنيا إذا أقبلت لا تلبث أن تُدبر][٢٧]

ــ وعلــى هــذا الأساس مثلت هذه المؤلفات الخمسة مع فكرة التوتم وتقديــس الأسلاف والشخصيات الأسطورية إلى جانب فنون الكهانة نظم الثقافة الصينية خلال العصر الملكي بداية من حكم أسرة "ثيا" حتى نهاية حكــم أســرة تشو الشرقية ــ كما أن مراحل تطورها خلال فترات هذا العصــر قد ساعد على تشكيل أساسيات واضحة ومتكاملة للتراث الثقافي الصــيني القديم ــ وهذا التراث قد انتعش بفكر أدبي وفلسفي هائل خلال عصر الممالك المتحاربة وذلك كما سنرى في البحث القادم.

المبحث الثالث

نظم الثقافة الصينية

في عصر الإمارات المنفصلة والممالك المتحاربة

يعتبر هذا العصر من أزهي عصور الثقافة الصينية القديمة حيث اتسعت في تطورها إلى مستوى متألق لا مثيل له من قبل ـ رغم أن هذا العصر الذي امتد من نهاية القرن السادس قبل الميلاد إلى عام ٢٢١ قبل الميلاد يعتبر من أسوء عصور المجتمع الصيني القديم حيث تفتت فيه وحدة البلاد بعد انهيار نظام حكم أسرة تشو الشرقية إلى إمارات إقطاعية تزيد عن ١٤٠ أمارة كل واحدة منها أعلنت استقلالها عن السلطة المركزية ثم ابتلعت الإمارات الكبيرة الإمارات الصغيرة ولم يتبقى منها إلا سبعة فقط سميت **"الكبريات السبع"** أو **"الممالك السبع"** التي دارت بينهما حروب ضارية خلال الفترة (٤٧٥ق.م – ٢٢١ق.م) التي يطلق عليها حقبة [الممالك المتحاربة] نتيجة طمع كل مملكة في اغتصاب المزيد من الأراضي والسكان لتوسيع ملكها ونفوذها السياسي على حساب الممالك الأخرى حتى تتمكن من الاستيلاء على عرش المجتمع الصيني بأسره ـ وذلك كما وضحنا في الباب الأول.

ـ والسبب في ازدهار الثقافة الصينية خلال فترات هذا العصر يرجع إلى أمرين:

الأول: أن الشعب الصيني القديم كان لديه قدرة هائلة في المحافظة على بهاء ورونق تراثه الثقافي بصرف النظر عما يمر به من معاناة أو كوارث أو ظروف سياسية سيئة.

الثاني: ظهور أعظم فلاسفة وأدباء الصين خلال فترات هذا العصر حيث

جـاءوا بأفكـار فلسفية وأدبية رائعة تصلح لكافة الشعوب كما استطاعوا بمهـارة تجميـع وتبويـب وتطوير المأثورات الأدبية والفلسفية الخاصة بـالعهود السـابقة، مما أدى إلى تكون ثروة ثقافية عظيمة مازالت الصين تتباهى بها حتى الآن أمام كل شعوب العالم الحديث.

** ومن أهم وأشهر فلاسفة الصين الذين أثروا بفكرهم الفلسفي التراث الثقافي الصيني في هذا العصر والعصور الأخرى التالية هم:

١- لاوتسي:

أسمه الحقيقي [لى ـ أر] ولد في إمارة تشو حوالي عام ٦٠٠ قبل المـيلاد ـ وبعـد أن تلقـى تعليمه وذاع صيته كرجل صاحب فكر أدبي وفلسـفي عين في وظيفة مسجل للأحداث التاريخية ثم أميناً لمكتبة البلاط في أسرة تشو[٢٨] وبفضل فلسفته الهادئة عاش حتى سن السابعة والثمانين حيث مات في عام ٥١٣ قبل الميلاد.

- كانـت فلسفة [لاو ـ تسى] مبنية على إدراكه لمفهوم طريق الحكمة وفـي ذلك يقول "ول ديورانت" في كتابه عن "قصة الحضارة" أنه يحتمل إلا يكـون في الأدب قـاطبـة أجمـل وأرفـع مما أعلنـه [لاو ـ تسى] في [سـر الحكمة] حيث قال بأن [كل الأشياء في الطبيعة تعمل في صمت، وأنها تخـرج إلى حيز الوجود وهي لا تملك شيئاً ـ ثم تؤدى وظائفها ولا تطالب بحـق، وبالرغم من أن كل الأشياء تقوم بعملها على السواء، إلا أننا نجد أنها لا تلبث أن تخمد وتهدأ، وما أن تبلغ كل منها عنفوانها وذروة ازدهارها حتى ترتد إلى ما كانت عليه أصلاً ـ ولا يعنى الارتداد إلى الأصل سوى الراحة أو تحقيق ما قدر أن يكون ـ وهذا الارتداد ليس إلا قانوناً أبدياً، والحكمة هي أن يعرف المرء هذا القانون ويتقبله بنفس راضية، وبال مستريح].

— وطبقاً لآراء هذا الفيلسوف فان أنبل إنسان عنده هو الذي لا يعتبر نفســه أرفع منزلة من أحد — وأن أغنى إنسان عنده هو الذي يتحرر من شهوة الثراء — وأن الإنسان الفاضل عنده هو الذي يرجو بركات متساوية للجميع — وكان يقول يجب علينا أن نتجنب الصراع من أجل الثروة لأنه يــؤدى إلــى أضعاف الثروة الأخلاقية، وإذا الإنسان أحب نفسه إلى درجة كبيرة جداً فلن ينجح إلا في كراهية نفسه، وإذا سعى وراء القوة والسلطان بــدون حق فلن يصل إلا إلى إضعاف روحه وإذا ازدادت رغبته في العلو والارتفاع بدون جهد كان سقوطه في آخر المطاف سحيقاً هاوياً.

— وقــال أيضــا [أن الهــدف الأخير من الحياة هو سعادة الجميع — فطــريق الحكمة أذن هو نظرتنا إلى الليل والنهار — فيكفي النهار ما فيه، ويكفي الليل كذلك ما فيه، فأن هذه الأيام والليالي تقودنا ونحن لا ندرى في غالــب الأحــيان إلى الهدف الأخير الذي هو الابتهاج العام، لأن حواسنا ليســت مــن الكمال بالدرجة التي تمكنها من أن تحيطنا بالقصة كاملة — وبالــرغم من هذا فأننا من وقت لآخر نظفر بلمحة تكشف لنا الستار عن طريق الحكمة — الطريق الحق الأوحد — وكما يكشف الليل لأبصارنا عن معجــزة الــنجوم التــي يخفيها وهج النهار، أفلا يمكن أن يكشف الموت لأبصارنا أيضا عن معجزة عظيمة مماثلة يخفيها وهج الحياة، .. فالحكيم أذن يرضــى بحــياته ويتقبل أخوته في البشرية بكياسة تقهر القوة — ولا يمكــن أن نصــبح عظماء بحق إلا إذا لم نقم بأي جهد لنكون عظماء — ويجــب إلا نتعامل على أساس القوة لان أقوى الأشياء هي أضعفها فالمياه مــثلاً قوية إلى الحد الذي يجعلها تكتسح الجبال ومع ذلك فهي تنحدر إلى أوطأ السهول والمستويات ....]

— وقد جمع [لاو — تسى] معظم أفكاره الفلسفية في كتاب **[الأخلاق]**

الذي قام بتأليفه وهو في قمة انتعاش فكره الفلسفي ــ وقد وجد في هذا الكتاب بعض بذور الفكر المادي حيث قرر [لاو ــ تسى] فيه بأن لكل شئ طرفين متناقضين كالوجود واللاوجود، والحياة والفناء، والسمو والحقارة، والأعلى والأسفل، والقوة والضعف، والأبيض والأسود، والنور والظلام،...الخ وقال أن كل طرف يتحول إلى نقيضه ويتضمنه [فالكارثة تتضمن السعادة في ذاتها، والسعادة مصدر كارثة خفية][٢٩]

ــ معظم الباحثين قد أشاروا بأن [لاو - تسى] قد دعا من خلال فكره الفلسفي إلى السلبية ــ وخاصة بعد أن وقف حائراً أمام تيار التحولات الاجتماعية الجارفة، وعبر عن رأيه صراحة بأن التنافس على الثروة أو السلطان لا قيمة له ولا جدوى فيه ــ بالقول [ليس لي ما يثير الكبرياء في نفسي أو الحسد من نفوس الآخرين ــ فالرجل الذي يصل إلى هذه الذروة من الحكمة بعيد كل البعد عن التفكير في ربح أو خسارة أو في مرتبة سامية أو وضيعة ــ قل هو أنبل رجل تحت السماء][٣٠]

وإذا كان ذلك يدعونا إلى القول بأن [لاو ــ تسى] قد دعا إلى إنكار الذات – فأن ذلك يدل [في رأينا] بأن فلسفته قد أقتبسها زينون وأنصاره عندما أسسوا مذهب [الرواقية] الفلسفي في بلاد الإغريق ــ لأن فلسفة [لاو ــ تسى] انتشرت في كل بقاع الصين وانتقلت إلى المجتمعات الحضارية الأخرى في الشرق والغرب بداية من القرن السادس قبل الميلاد لأن في ذلك الوقت انفتحت الصين على العالم الخارجي ــ في حين أن المدرسة الرواقية قد تكونت وأسست مذهبها الفلسفي خلال القرن الثالث قبل الميلاد.[٣١]

ــ ويقول ول ديورانت بأن [لاو ــ تسى] كان يفرق بين الطبيعة والحضارة تفريقاً محدداً واضح المعالم كما فعل روسو من بعده في

عباراته الرنانة التي يطلق عليها الناس أسم **[التفكير الحديث]** لان الطبيعة فـي نظـر **[لاوـ تسـى]** هي النشاط التلقائي والنظام العظيم الذي تتبعه الفصـول الأربعـة والسماء، وهي الطريقة المجسمة في كل مجرى وكل صـخرة وكـل نجم، وهي قانون الأشياء العادل والمعقول الذي يجب أن يخضع له قانون السلوك إذا أراد الناس أن يعيشوا في حكمة وسلام ـ أما الحضـارة فـإن لم تكن قائمة على أسس قانون الطبيعة فستجر الناس إلى الشقاء والتعاسة وتجعلهم يخضون في أساليب الغش والخداع.(٣٢)

ـ وتشـير بعـض المـراجع التاريخية والفلسفية بأن تعـاليم وآراء **[لاوـ تسـى]** تشـبه بعض **تعاليم وفلسفة الديانة المسيحية** ولا سيما في قضـية مقابلة الإساءة بالمعروف ـ لان رأيه أن [من يقهر رغبات نفسه فهو إنسان جبار] كما كان دائما يقول [تواضع، فأن تواضعك سيحملك إلى أعلـى المراتب] ومن أهم مبادئه دعوته إلى الحب وضبط النفس والرحمة والعدل والتواضع وغير ذلك من المبادئ التي تشابه تماماً الآراء والمبادئ التي بشرت بها الديانة المسيحية ـ لذا فأن كثيراً من الفلاسفة والأدباء قد أشـاروا بأن آراء [لاو ـ تسى] تشبه آراء سبينوزا في تمجيده للمسيحية، وأحاديـثه لا تكاد تختلف في نهجتها إلى حد ما عن حديث **سيدنا المسيح** عليه السلام في الحكمة والعدل والتواضع.(٣٣)

٢- كونفوشيوس:

تشير السجلات التاريخية الصينية في فصلها السابع والأربعين ـ أن **كونفوشـيوس** قـد ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد بإمارة **"لو"** قرب مدينة [تشـوفو] بإقليم شانتونج الحالي ـ وأن أجداده ينتسبون إلى البيت الملكي لمملكـة **[سـونج]** التـي كانت تقع جنوب غرب إمارة **"لو"** بإقليم هونان الحالي ولكن جده الأكبر قد انتقل إلى إمارة **"لو"** بعد أن حل الفقر بالعائلة،

أي أن كونفوشيوس وفقا لذلك ينحدر من طبقة اجتماعية نبيلة، ثم انحط بها القدر إلى الفقر والتفكك.

وتذكر المصادر الصينية بأن والده كان ضابطاً في الجيش، وصاحب شأن في مملكة "لو" وعندما ولد له كونفوشيوس كان يبلغ من العمر سبعين عاماً، ومات ولم يكن كونفوشيوس قد بلغ السنة الثالثة من عمره، فقامت والدته بتربيته.(٣٤)

ويقول المؤرخ الأمريكي هنرى توماس بأنه قد جاء في الأسطورة بأن مجئ كونفوشيوس إلى العالم قد أعلنته أرواح السماء التي طيبت شذى الهواء حول مهده، ولما ظهرت عليه بعد ولادته الأعراض المبكرة لشخصية عظيمة ستسعد العالم أطلق عليه والده أسم **[كونج فو-تسى]** وهو ما يقابل كونفوشيوس بالصينية – والذي معناه أيضا **"السيد الحكيم كونج"**.

– أثناء تلقى علومه في المدرسة كان يعمل أيضا في وقت فراغه لكي يساعد أمه في المعيشة – وبالتالي ذاق مشاق الحياة العملية منذ طفولته المبكرة – وعندما بلغ التاسعة عشر من عمره تزوج والتحق بوظيفة أمين لمخازن غلال بحكومة مملكة "لو"، ثم شغل وظيفة ملاحظ أراضى المملكة – وبعد أن عرف عنه الأمانة والصدق والحب الجارف للعدل والحق عين في وظيفة المسئول الأول عن القضاء في مملكة "لو" – ولما ذاع صيته كحكيم زمانه عين في عام ٥٠١ قبل الميلاد رئيس وزراء مملكة "لو"، وكان نجاحه كما تدعى السجلات التاريخية الصينية ساحقاً لدرجة جعلت مملكة "تشى" تخشى من تزايد نفوذ وقوة مملكة "لو" بفضل إدارة كونفوشيوس الحكيمة – فعملت على إفساد هذه الإدارة المنظمة وأرسلت إلى ملك "لو" فرقة من أجمل الراقصات قوامها ثمانون فتاة أعجب الملك بهن وأهمل شئون مملكته وأدار ظهره لكل الأعمال الصالحة

التـــي قام بها رئيس حكومته (كونفوشيوس) حيث فضل جمال النساء على الواجـــب والفضيلة، وأعجب بسيقان الراقصات أكثر من إعجابه بالقلوب الطاهـــرة – الأمر الذي جعل كونفوشيوس يصاب بالإحباط وبخيبة الأمل، فاســتقال من وظيفته وجمع حوله مريديه ورحل في عام ٤٩٧ قبل الميلاد يجــوب أرجـــاء الصـــين بعد أن طلق زوجته، وتعلم العزف على الناي وأصـــبح عازفاً بارعاً الأمر الذي جعل حكماء الصين يقرروا بأن [الفلسفة والموسيقى تسير جنباً إلى جنب].[٣٥]

— ورغـــم أن الصـــين كانت مقسمة في عصره إلى عدد من الممالك وهـــذه الممـــالك كانـــت تموج بالمشاحنات الداخلية وتدور بينها منازعات ومعارك ضارية ـــ إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يجوب معظم أنحاء الصين ينشـــر فلســـفته ويعلم تلاميذه التاريخ والشعر وآداب اللياقة دون خوف أو ملل – وكان دائما يقول [أنا مدرس رحال أعيش الآن في الشمال والجنوب والشرق والغرب]

— لم يكن كونفوشيوس من دعاة إنكار الذات مثل [لاو ـــ تسى] وإنما كـــان يدعو إلى ضبط النفس حيث قال [إذا استطاع الناس أن يتعلموا كيف يحكمـــون أنفســـهم بـــالعدل ولـــو لقرن واحد لاختفى الظلم من كل بقاع الأرض].

— والإنســـان الأســـمى طبقاً لكونفوشيوس يرعى أربعة مبـــادئ هي **[العلـــم الغزيـــر، والسلوك الحسن، والطبيعة السمحة، والعزيمة القوية]** وهـــذه المبادئ الأربعة يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي **العدالة** ـــ وقد قال كونفوشيوس [أحبوا أصدقائكم ولكن أدبوا أعداءكم، ولا تكرهوا أولئك الأعداء لأن الكراهية لا تولد إلا كراهية ـــ وأنه من الوحشية أن تثأروا إذا مـــا أصـــابكم أذى ولكنه من الحماقة أيضا أن تغفلوا الأذى وتصفحوا ـــ

فلتقدروا المسألة تقديراً عادلاً ثم يكون سلوككم طبقاً لهذا التقدير على أن ترعوا كرامتكم الشخصية وحقوق أعدائكم] ـ ولم يكن كونفوشيوس يؤمن بسياسة تحويل الخد الآخر أي كان لا يؤمن مطلقاً بالاستسلام وإنما كان واقعياً إلى درجة كبيرة وقال في ذلك [من المسلم أن المحبة يمكن أن تتغلب على الكراهية كما يمكن أن تتغلب المياه على النار، ولكن يجب ألا يفوتنا أن النار القوية المتأججة يمكن أن تجفف بركة من الماء].

وعندما طلب منه أن يعرف العدالة أجاب قائلا **[أليست العدالة وتبادل المثل بالمثل شيئاً واحداً]** ـ ثم عرف بعدئذ تبادل المعاملة بالقاعدة الذهبية التي نادى بها الفلاسفة الشرقيون الأوائل وهي [لا تفعل بالآخرين مالا تحب أن يفعلوا الآخرون بك] وعلى أساس فلسفته الواقعية قال [لا تفسد الآخرين بفرط حبك ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك، وخير الأمور هو الوسط بين الطرفين].

وعن الحكمة في التعامل قال [أننا لا نتعامل مع ملائكة وإنما مع بشر نصفهم خير ونصفهم الآخر أشرار ـ فلنشجع الخير ونقاوم الشر بتطبيق مبدأ العدالة المتبادلة ـ لأنه في الوقت الذي يتقرر فيه هذا المبدأ فإن العالم كله يصبح جمهورية ... فيها يخاطب الناس بعضهم بعضا بإخلاص ويظللهم السلام الشامل ... وتكبت مكائد الأنانية ـ أما اللصوص والنهابون والخونة فسوف لا تبتلى بهم الأرض بعد ذلك، وما الهدف من تعاليمى إلا رؤية ما أسمية بالتآلف العظيم بين الجنس البشرى][٣٦]

وكان يؤمن بتكامل الأسرة ووحدتها كقاعدة لدولة عادلة قوية لأنه كان يرى الأمانة مثلها مثل البر والإحسان يجب أن تبدأ في البيت ـ ولذلك في إحدى المناسبات قبض على مراهق بتهمة السرقة، فما كان من كونفوشيوس إلا أن قدم نصيحته للقاضي بأن يرسل الأب والابن السارق

معــاً إلـــى السجن بعد أن قال [لو أن الأب قد ربى أبنه جيداً لكان سلوك الابن جيداً أيضاً].

ـــ تضـــفي الروايات الصينية القديمة هالة من التقديس على شخصية كونفوشـــيوس ـــ وبعضها ينسب إليه تأليف جميع ما أنتجه الفكر الصيني فـــي جمـــيع عصـــوره أي تعزو إليه تأليف ما يعرف في الفلسفة الصينية بالمـــراجع الخمسة وهي كتب المتغيرات، والأغاني، والتاريخ، والطقوس، وحولـــيات الربـــيع والخـــريف ـــ ولكن الدراسات العلمية قد أثبتت أنه لم يؤلفهـــا – لكـــنه استخدمها فقط كما وضحنا في المبحث السابق في تثقيف مـــريديه(٣٧) – لأنـــه كان يهتم بتعليم التلاميذ من الفئات المختلفة أي دون الـــنظر إلـــى كـــيانهم الاجتماعـــي، لان في ذلك الوقت كانت المؤسسات الحكومـــية تحـــتكر التعليم وتقتصره فقط على أبناء الطبقة الأرستقراطية، ولذلـــك تحدى كونفوشيوس هذه الأوضاع وأنشأ كتاتيب تقبل كل التلاميذ خارج الهيمنة الرسمية، وقيل أن طلابه قد وصلوا إلى ما يزيد عن ٣٠٠٠ طالـــب وكان يحثهم على أن يدمجوا الدراسة مع التفكير وينصحهم بالقول [إذا عرفت قل عرفت، وأن لم تعرف قل لا أعرف].

– لـــم يكتفي كونفوشيوس بتعليم التلاميذ بل قام أيضا بتلقين الفلسفة للملـــوك ـــ وأول حـــاكم نظـــر إلـــى كونفوشيوس كناصح أمين هو أمير [تشـــي]، ولما سأل هذا الأمير كونفوشيوس عن الطريقة المثلى التي يمكن أن يحكـــم بها ملك بلاده ـــ أجابه قائلاً [إعطاء الفرصة للجميع من الأمير إلى المتسول لكي يعيشوا في تآلف، ثم إزالة الأسباب التي تؤدى إلى وجود المتسولين في المجتمع](٣٨)

** تتلخص تعاليم كونفوشيوس في ست مبادئ كالآتى:

١- الولاء وتبادل المعاملة:

بــأن يتجنــب الإنسان توجيه فعل للآخرين يكره هو توجيهه إلى شخصه، وقال في ذلك [على الإنسان أن يتصرف وهو خارج داره كما لو كــان في حضرة ضيف عظيم الشأن – وأن يتعامل مع الناس كما لو يــؤدى فريضة دينية، وإذا رغب في بناء رفعته يجب أن يساهم في تشيد رفعة الآخرين، كما على من يتوق إلى النجاح أن يساعد غيره على بلوغه]

٢- المحبة:

وهــي تعتبر حجر الزاوية في فلسفة كونفوشيوس وقال عنها [أن يكــون الإنسان قادر على ممارسة خمس فضائل في كل ناحية من نواحي العالم وهي المجاملة، النخوة، المثابرة، سلامة النية، الإحسان]

٣- الاحترام البنوي:

بأن يعمل الأبناء على توقير الأبوين ولا يفعلوا أي شئ يغضبها أو يعصوا لهما أمراً.

٤- الشعائر والموسيقى:

يعتبر كونفوشيوس الشعائر والطقوس والسنن من أهم قواعد تكوين الســلوك العامة، وأوصى بأنه يجب أن تخلو مراعاة الشعائر من التكاليف والتزمت والجمود، وأن تتفق مع الظروف والملابسات وأن يسودها روح التوقــير والاحــترام لمــن تجرى له – أما بالنسبة للموسيقى فقد اعتبرها كونفوشــيوس من العوامل الهامة التي تساعد على تهذيب النفوس – ولذا قال (لا قيمة للشعائر والموسيقى عند إنسان يخلو قلبه من أحاسيس الشفقة والرحمة).

٥- الإنسان الماجد:

وعـــند كونفوشيوس هو ذلك الإنسان الذي يستمسك بكرم الأخلاق في أفعاله وتصرفاته وفي جميع الظروف والملابسات ــ فإن انحرف عن المنحى الخلقي الكريم لم يعد جديراً بالإنسان الماجد أو بهذا اللقب الرفيع.

٦- الحكم بوساطة الفضيلة الشخصية:

ويـــرى كونفوشيوس في ذلك بأن على الحاكم أن يبدأ بوضع نفسه الموضـــع الصـــحيح حتى لا تجرؤ الرعايا على الانحراف عن الحق ــ وعلـــى هذا الأساس قال [إذا كان الحاكم نفسه قوياً عادلاً، تتصلح أحوال الجميع دون حاجة لإصدار الأوامر – أما إذا تنكب وانحرف عن الصواب فلن يستجيب أحد لأوامره].(٣٩)

ـــ الحل الذي ارتآه كونفوشيوس لمصايب وشرور عصره كان يكمن في معنى واحد هو العودة إلى الفضيلة لأنه كان يرى أن الإيمان بالفضيلة الكاملـــة دون السعي إلى النفع المادي سيؤدى حتما إلى تمكن المجتمع من اتقـــاء الشر والقسوة والعنف، وفي التغلب على الأنانية التي كانت من أهم أسباب كوارث هذا العصر ــ حيث أشار بأن الفرد لا يمكن أن ينعزل عن المجـــتمع، ولذا يجب أن يوطن نفسه على أن يكون عضواً نافعاً في نطاقه فـــلا يتمرد على عاداته وتقاليده، ولا يجور على حقوق الآخرين ويفضل نفســـه علـــيهم بل عليه أن يبذل جهوده لإسعاد الناس لان ذلك يؤدى إلى شمول السعادة للمجتمع بأسره ــ وأيضا كان كونفوشيوس يؤكد على البر، وقـــال [أن البر هو حب الناس] وطلب في سبيل ذلك من الحكام أن يحبوا الشعب وألا يفرطوا في استغلاله لتخفيف التناقض الطبقي.(٤٠)

ـــ ومن مبادئه السياسية قرر بأن [الحكومة الصالحة هي التي تكفل

السعادة للشعب ــ والمواطن الصالح المستنير هو ركن الدولة الركين ــ وإذا حاول الحاكم قيادة الشعب بالسلطة المطلقة وتوقيع العقوبات لإقرار الأمن والنظام فلم يحترموا سلطانه وإرادته، وإنما إذا استعان في قيادتهم، بالفضيلة والعرف والعادات الصالحة التي يوقرها الشعب فهنا يكون حكمه عادلاً ويرتبط به الشعب برباط معنوى متين من الحب ويكون المجتمع صالحاً].

ــ وبالرغم من أن كونفوشيوس كان يمقت الحرب إلا أنه كان يرى أنها مباحة في حالة إذا ما استخدمت لردع فريق من الناس يسعى لاستبعاد فريق آخر، وفشلت كل جهود الحل السلمي وأساليب الإقناع، أي أجاز بحكم الضرورة استخدام القوة إذا كانت هي الملجأ الأخير لكفالة العدالة ليس ألا ــ وفي هذا المقام عبر بالأقوال التالية [أن انبأنى ضميرى أننى علىى حق، فأنني أمضى قدماً إلى الأمام مهما كانت قوة حشود أعدائي ــ الجيش لا يستطيع أن يقاتل بفاعلية إلا إذا أدرك الجنود السبب الذي يقاتلون من أجله، وأن يقتنعوا بعدالة قضيتهم ــ ويجب أن توضع في الاعتبار بأن قيادة جيش من الجنود إلى ساحة القتال دون أن يتعلموا فنون الحرب يعنى انقضاء عليهم].

ــ كان كونفوشيوس في كثير من الأحيان يحجم عن مناقشة الموضوعات الدينية والدليل على ذلك أنه عندما سأله أحد مريديه عن كيفية التعامل مع الأرواح أجاب [أنك عاجز عن التعامل مع الأحياء فكيف يمكنك التعامل مع أرواحهم بعد الموت] وأيضا عندما سأله مريد آخر عن الموت أجاب [أنك لا تفهم الحياة فكيف يتأتى لك فهم الموت] وقد ظهر ذلك واضحاً في كتاب [المختارات] الذي عنى فيه تلاميذه بسرد تفاصيل حياته وتسجيل أقواله ومناحي نشاطه ــ وهذا الكتاب يحتوى على عشرين فصلاً

و٤٩٧ بيتاً شعرياً ولا تزيد طائفة عباراته عن حكم مأثورة وموجزه للغاية، وقد أثر هذا الكتاب تأثيرا قويا في تفكير سكان أسيا الشرقية ومنه نستمد معلوماتنا عن كونفوشيوس وتعاليمه.

— اقتناع كونفوشيوس بالآراء والأفكار الفلسفية والأدبية القديمة كان دليل على أنه يحافظ في آرائه على التراث الثقافي القديم — ولذلك قال عن نفسه أنه **[ناقل وليس مبدعاً]** — وفي الواقع أن هذا القول ما هو إلا تواضعا منه لأنه في الحقيقة يعتبر من خلال الحكم على أعماله وفلسفته مبدعا بعد أن أخضع السنن والشرائع الصينية لأحكام العقل والمنطق وأنشأ مدرسة فكرية أنجبت. أعلاماً عظاماً وساهم بقدر هائل في تطوير التراث الثقافي للحضارة الصينية — فكتاب **[التغيرات]** وان كان قد وجد قبل ظهوره بمئات السنين إلا أن الحواشي والتعليقات التي وضعها فيه هو ومريديه قد أسبغت عليه الأهمية الفكرية التي أصبح عليها بعد ذلك — وبالمثل أيضا ينابيع الفكر الصيني الأخرى مثل **[كتاب الأغاني، وكتاب الطقوس وكتاب التاريخ .....الخ]** — ولذلك لو جردت هذه المؤلفات من شروح وتعليقات كونفوشيوس ومريدوه، ما كان لها معنى ولا قيمة ولا ظل تأثيرها يدوى في العقل الصيني حتى عالم اليوم — الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن لقب **[المعلم الأول]** الذي أطلقه الصينيون على كونفوشيوس هو قول صحيح له ما يبرره.[٤١]

— يعتبر كونفوشيوس من خلال ما أعطاه من فكر أدبي وفلسفي من أعظم فلاسفة الحضارة العالمية — لأنه فيلسوف المادية والواقع الروحي، ودعا إلى الانسجام الكلى مع الطبيعة، وقال في ذلك أن [الإنسان روح وجسد — يحوى شهوات ورغبات وطاقة حيوية، وعليه أن يتغلب على تلك الشهوات والرغبات ويتجنب أو يبتعد عن كل عوامل الشر ويجنح نحو

السلام والخير، ومن الخير أن نتفاعل مع الطبيعة ــ فإذا استطعنا أن نوفق بيــن غرائزنا والطبيعة أصبحنا في مرتبة معادلة للسماء والأرض وذلك لان جمــيع الأشــياء حــية وتعمــرها الروح فيجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعــه، ومحاولة العيش فيها بسعادة ــ وإذا فهمنا الحياة فلا نخاف شيئاً لأن كــل شــئ حسن في هذا العالم – مما يجعل الطغاة يموتون والخونة ينــتحرون][٤٢] ــ ولذلك فأنه بفضل فلسفته الرائعة التي انتقلت بجاذبيتها إلــى كــل شــعوب العالم في آسيا وأوربا تتلمذ عليها فلاسفة كثيرون في العصــور القديمة التي تلت عصره وفي العصور الوسطى والحديثة[٤٣] ــ وفي رأي بعض العلماء المحللين للفكر الأدبي والفلسفي القديم مثل الدكتور المصري فؤاد محمد شبل إن كونفوشيوس في العالم الصيني يناظر سقراط في عالم الغرب من ناحية أوجه النشاط والتأثير على تطور المجتمع الذي عاش كل منهما فيه ــ وهذا التشابه يتجلى في المقارنة التالية:

١ ــ اعرض الفيلسوفان عن الاهتمام بالمشكلات الميتافيزيقية.

٢ ــ اعتبر سقراط نفسه إنسانا عهد إليه القدر تنفيذ رسالة مقدسة ورأي أن واجــبا علــيه أســباغ الاســتنارة على اليونانيين – كذلك الأمر بالنسبة إلى كونفوشــيوس الذي هتف ذات مرة قائلا [أوجدت السماء الفضلية الكامنة في ذاتي].

٣ ــ رفــع ســقراط مــن شــأن طبيعة الفرد الأخلاقية – وأيضا اعتبر كونفوشــيوس فضلية الإنسان الكامنة ذات أهمية اعظم من كفايته في الوظيفة الحكومية.

٤ ــ اســتخدام سقراط طريقة التفسير الاستقرائي لابتداع أوصاف جامعة هــدف مــن ورائها وضع معايير للسلوك البشرى – كذلك نجد كونفوشيوس بالمثل يفسر مذهب "تصفية الأسماء" معتقداً أنه إذا ما تحددت معاني الأسماء يتيسر استخدامها كمعايير للسلوك.

٥ ــ لــم يؤلف سقراط ذاته كتباً، لكن استخدم الكثيرون أسمه عند كتابة مؤلفــاتهم مــن ذلــك أفلاطــون فــي مؤلفــه "الحوار" والمثل يقال عن كونفوشــيوس "المعلم الأول" في عدد ضخم من المؤلفات الصينية وأهمها كتاب [المختارات].

٦ ــ اتســع نطــاق مدرســة ســقراط الفكرية بعد وفاته بفضل جهود أفلاطــون وأرســطو حتى أصبحت قطب رحى الفلسفة الغربية ــ وبنفس الطريقة أتسع مجال مدرسة كونفوشيوس الفكرية بفضل جهود [منشيوس، وشيون تسى] حتى غدت جماع الفلسفة الصينية.

ــ وإذا كــنا نؤيد ذلك إلا أننا نرى أيضا أن فلسفة كونفوشيوس كانت أكثر عبقاً وتأثيراً في المجتمع الصيني ثم في شرق أسيا من فلسفة سقراط في المجتمع الإغريقي ثم في أوروبا.

ــ عاش كونفوشيوس يدعو بفلسفته وتعاليمه حتى بلغ الثانية والسبعين عاماً من عمره فمات وهو مغمور في عام ٤٧٩ق.م بعد أن كافح من أجل الحقــيقة والمبادئ التي وقف يتحدى من منطلقها بالقول [إذا كانت السماء ترعاني فما يهمني بغض الرجل القوى] ــ وإذا كانت الصين قد تعرضت لمخــتلف التيارات الفكرية من فلسفية وأدبية إلا أن سيطرتها على الذهن الصــيني لم تكن مثل تأثير فكر كونفوشيوس الذي مازال حتى عالم اليوم يهيمن على الفكر الصيني بعد أن أصبح جزء لا يتجزأ عن المجتمع وقسماً ملتصقاً بفكر الأمة الصينية كتراث فكرى لشعب بأسره.(٤٤)

٣- **منشيوس:**

وأســمه الأصــلي " كــه" ــ ويقال أن أسم منشيوس قد جاء من التحريف الأوروبي لاسم الفيلسوف الصيني [منج تزو] وتعنى كلمة "تزو"

المعلم وهو من أعظم أساتذة الكونفوشيوسية بعد مؤسسها الأول كونفوشيوس، ولذا يطلق عليه الصينيون لقب "المعلم الثاني" ومركزه بالنسبة لكونفوشيوس يماثل تماماً مركز أفلاطون بالنسبة لسقراط، حيث طور اتجاهات كونفوشيوس المثالية وأكملها وجلاها مثلما فعل أفلاطون مع سقراط.

- ولد في عام ٣٧٢ قبل الميلاد في مملكة "تسو" التي تقع في شمال شرق الصين والمتاخمة لإمارة "لو" التي ولد بها كونفوشيوس بإقليم شانتونج ـ وبالتالي يفصل بين ميلاده ووفاة كونفوشيوس عام ٤٧٩ قبل الميلاد مائة وسبع سنوات.

- مات والده وهو في الثالثة من عمره ـ وبعد أن وصل لسن الشباب عمل مدرساً ثم التحق بوظيفة حكومية في ولاية "تشي" ـ ثم طاف أرجاء الصين طوال أربعين سنه ينتقل هو ومريدوه من أمارة لأخرى ينشر فكره الأدبي والفلسفي.

- تشير المصادر التاريخية الصينية بأن منشيوس قد تولى منصب الوزير الأكبر (رئيس وزراء) في إحدى إمارات الصين وأخفق بعد فترة قصيرة في تنفيذ أهدافه لفساد الحاكم كما حدث مع كونفوشيوس ـ وأنه بسبب ظروف الفترة التي عاش خلالها والتي كانت من أسوء فترات الصين حيث اشتدت فيها حدة الصراع الدموي بين الممالك السبعة من أجل أن تفرض إحدى هذه الممالك سيطرتها ونفوذها على الممالك الأخرى وتتسيد زعامة المجتمع الصيني، قد فشل في نشر أهدافه ومبادئه السياسية لان حكام هذه الفترة قد عزفوا تماماً عن الاستماع إلى أي عظات متصلة بالفضيلة والحكمة والعدالة، ولذا انحصر نشاطه الفكري والفلسفي في ميدان التعليم والتثقيف وأن كانت قد برزت في عهده مدارس فكرية أخرى تنافس الكونفوشيوسية[٤٥] (كما سنرى فيما بعد).

— وفي ذلك يقول اندريه ايمارد وجانين اوبويه بان [تعاليم كونفوشيوس الذي لعب أعظم الأدوار في الحياة الصينية العقلية قد انجبت فيلسوفاً عظيماً هو[منشيوس] الذي جعل بفكره الأدبي والفلسفي مبادئ محبة الغير الذي نادى بها كونفوشيوس تأخذ تعاليم المحبة الجامعة الشاملة لإيمانه العميق بتساوي كل الفئات الاجتماعية وطبقات الأفراد — كما أسس تفكيره على قوة القياس الفلسفي وليس على نفوذ وسلطة قديسي العهود القديمة، ولذلك كان يكره تنظيم الطقوس المادى الذي لا روح فيه، واستغلال واستبعاد البعض للآخرين].(٤٦)

— كان منشيوس يدعو دائما بأفكاره وتعاليمه إلى ضرورة التخلص من كل الأساليب والادعاءات التي تجعل الطبقة الحاكمة تستغل وتضطهد أفراد الشعب الكادحين — لأنه كان يؤمن بأن الشعب أهم عامل من عوامل قيام الدولة ووجودها، والحاكم أو الملك يأتي في آخر القائمة المتضمنة عوامل قيام الدولة، وبالتالي يجب أن يكون عادلاً ومنصفاً لكي يحظى بتأييد الشعب ويصبح بحق حاكماً أو ملكاً — أما إذا أخفق ولم ينل تأييد الشعب فأنه يفقد السند الذي يجعله حاكماً أو ملكاً ويصبح فرداً عادى كبقية الناس.(٤٧)

— المذهب الأخلاقي لهذا الفيلسوف يستند على مذهبه في إصلاح الفطرة الإنسانية، لأنه كان يرى أن الطبيعة البشرية تتبع الخير مثلما ينشد الماء المستوى الأوطأ وقال [للناس جميعاً شعور أصيل بالعطف، والانفعال بالحياء والاشمئزاز، والتأثير بالمراعاة، والامتثال والحساسية تجاه الصواب والخطأ، وهذه البدايات الأربعة التي تمثل في الحقيقة الحب والعدالة واللياقة والحكمة، لم تغرز في الناس من الخارج، ولكن على ما تبديه الحقائق قد زودنا بها وتكمن في فطرتنا لحظة الولادة والخروج إلى

الحـياة] ـ ولذلـك قرر بأنه [يمكن تنمية فطرة الخير الأصلية أو صدها، وأن بتنمـية الفطـرة يصـبح فـي قدرة أي إنسان أن يكون حكيماً مثل الإمبراطوريـن الأسطوريين "ياو" و "شون" إذ لا تختلف طبيعة الحكماء عـن طبيعتنا] ـ وإذا كان منشيوس يعتبر أول فليسوف في الصين يقول ذلـك ولم يسبقه أحد في التاريخ الصيني(٤٨) ـ فأنه يعتبر أيضا من ضمن المؤسسـين لمذهب الفطرة الخيره مع فلاسفة الشرق الأوائل وعلى رأسهم إخـناتون في مصر، وبوذا في الهند، وزارادشت في بلاد فارس ـ حيث أجمعـوا على أن كل إنسان يحمل الحقائق الأخلاقية في نفسه منذ ولادته، وهو ليس في حاجة إلى أن يتلقاها من الخارج.

ـ وقد أيد هذا المذهب وناصره معظم علماء الأديان السماوية الثلاثة المعـروفة في عالم اليوم وهي اليهودية والمسيحية والإسلام ـ كما اعتنقه جـانب كبير من فلاسفة العصور الوسطى مثل القديس توما الاكـوينى (١٢٢٧ ـ ١٢٧٨م) وبعـض فلاسـفة العصـور الحديثة مثل جان جاك روسـو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) ووليام جيمس (١٨٤٢ ـ ١٩١٠م) وجورج سـانتيانا (١٨٦٣ ـ ١٩٥٢م)، حيث قرروا في منهجهم الفلسفي نفس ما قـرره فلاسـفة الشرق الأوائل ومن بينهم منشيوس بأن العالم جسد واحد وروح واحـدة ـ والحـياة الإنسانية قائمة على التوافق والعدالة والرحمة والمحـبة ـ وجمـيع البشر ولدوا أحراراً وطبيعتهم مفطورة على الخير، والشر عامل طارئ وخارج عن أصل فطرتهم اقترفه البعض نتيجة تأثرهم بالبيئة الغير طبيعية أو بالاختلاط والتربية الفاسدة.(٤٩)

** وعـن فكـر منشيوس السياسي من خلال منهجه الفلسفي يرى أن تطوير المبادئ الديمقراطية يرتكز في السبع أهداف التالية:

١ ـ المساواة التامة بين جميع أفراد الشعب بما فيهم الحكام والمحكومين.

٢ ـ الشعب أعظم عناصر الدولة أهمية ـ والحاكم أقلها شأناً.

٣ ـ أن يكون الشعب بأجمعه صاحب الحق في تقرير المثوبة والعقاب ولا ينفرد الموظفون الرسميون وحدهم بالأمر والنهى.

٤ ـ أن تكون رسالة الحكومة هو العمل على إسعاد الشعب، ويجب أن يقاسم الحاكم أو الملك الشعب في السراء والضراء.

٥ ـ إقرار مبدأ الثورة على الحاكم، إذا تصدعت علاقته برعيته.

٦ ـ يتوقف سلطان الحاكم على رضاء أو محبة الرعية ـ لأنه يدير شئون البلاد بتفويض من السماء، وينقضي هذا التفويض أن أساء في أداء عمله واستبد في حكم الشعب ـ [وهذه الفكرة التي صاغها منشيوس وارده بكتاب التاريخ ومن أعمدة التراث الفكري الصيني العتيق في تحديد الفارق الحاد بين **[سبيل الملك المحبوب]** و **[سبيل الديكتاتور الطاغية]** أو بعبارة أدق بين الحكومة التي تستند على محبة الشعب، والأخرى التي تحكم بالقوة الصارمة].

٧ ـ تزويد الشعب بالكفاية الاقتصادية ـ لأنه لا يمكن أن ننتظر من شعب جائع الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية واحترام سلطة الحكومة.

٨ ـ بقاء المجتمع وتطوره مرهون بوجود الأخلاق والفضيلة داخل كل إرجاءه.

ـ إلى جانب هذه الأهداف عارض منشيوس بلا هودة مبدأ وراثة العرش، وكان في معارضته أشد انفعالاً من كونفوشيوس وطالب بأن يعهد بالحكم لرجل يعين من بين أصحاب الفضيلة الذين درسوا فن الإدارة والحكمة، واتخذ حجته في ذلك إلى ما فعله الإمبراطور "ياو" وهو [الحاكم الأسطوري الذي يتخذه الشعب مثالا للحاكم الصالح] من أنه لم يخلف العرش لولده، وإنما عهد به إلى اقدر رجال الإمبراطورية وأفضلهم وكان فلاحاً يدعى "شون".

- يعتبر كتاب "مصنفات منشيوس" من أعظم كتب العالم الثقافية وتقف طائفة من آرائه ومجادلاته نداً لما كتبه أفلاطون سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية جهة الأصالة الذاتية ــ كما كان منشيوس يمتاز بالفصاحة والصبر على الجدال والقدرة على الإقناع والتمسك بآرائه وبأفكاره التحريرية من أفلاطون، واستمر على ذلك طوال حياته دون ملل أو كلل حتى مات في عام ٢٨٩ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر ثلاثة وثمانون سنة، واصبح من ضمن أعظم الفلاسفة الذين اثروا بفكرهم المتميز التراث الثقافي الصيني حتى عالم اليوم.(٥٠)

٤- **شيون تسي:**

تجمع المصادر التاريخية الصينية على أنه قد ولد في عام ٢٩٨ قبل الميلاد في مملكة "تشاو" ومكانها (جنوب ولايتي خوبي وشانسي الحاليتين) درس الحكمة وزاول التعليم في مملكة "تشي" ــ وعندما لمعت عبقريته الفلسفية والأدبية وذاع صيته، تم تعينه في منصب رفيع في حكومة مملكة "تشي" وحيث أن بلاط هذه المملكة كان يضم ممثلين لكثير من المدارس الفلسفية المختلفة التي ظهرت خلال هذه الفترة، واحتدم الجدل بينهم وبينه اضطر نتيجة عداوتهم له إلى مغادرة هذه المملكة وذهب إلى مملكة "تشو" بجنوب الصين حيث عين قاضياً بها.

- عاش بعض الوقت في مملكة تشين ــ وفي شيخوخته استقر في مملكة "تشو" وكرس معظم وقته للتدريس والتأليف بعد أن رفض كل المناصب الرفيعة التي عرضت عليه ــ وتتلمذ على يديه كثير من أقطاب الفكر الصيني القديم في مقدمتهم "هان في تسي" زعيم المدرسة التشريعية أو الشرائعية، و "لي سسو" رئيس الوزراء الذي عاون [تشن شه هوانغ دي] أول أباطرة [تشين] في إدارة شئون الإمبراطورية التي وحدت الصين.

- أبدى "**شيون تسى**" تقديراً عظيماً لمعلم الصين الأول "كونفوشيوس" واعتبر تعاليمه تمثل ذروة الكمال وقمة الصفاء الذهني وبأنها لم تترك شأناً من شئون الحياة إلا وقامت ببحثه وتمحيصه بكل إبداع وإتقان ــ ولذا يشير بعض علماء الفلسفة مثل الدكتور فؤاد محمد شبل بأنه إذا كان مركز "**منشيوس**" بالنسبة "**لكونفوشيوس**" مثل مركز "**أفلاطون**" بالنسبة "**لسقراط**" ــ فإن "**شيون تسى**" يعتبر معلم الكونفوشيوسية الثالث ومركزه يماثل مركز **أرسطو** إلى حد ما من ناحية منحاه الفلسفي العلمي.(٥١)

- كان دائما يسند أحكامه على العقل والمنطق ولا يميل مطلقاً نحو تمجيد الماضي عكس أستاذية السابقين "**كونفوشيوس**" و "**منشيوس**" اللذين جعلا من ملوك أسرة تشو، والإمبراطوريين الأسطوريين "**ياو**" و "**شون**" نماذج للحكم الصالح والسياسة القويمة ــ حيث كان يرى أن الجنس البشرى والطبيعة الإنسانية لا تختلفان في الوقت الحاضر عما كانتا عليه في الماضي، وأن عالم الأمس ليس بأفضل من عالم اليوم أو الغد، وليس هناك ما يمنع أن يظهر أشخاص في الوقت الحاضر أو في المستقبل يحققوا إنجازات أفضل وأعظم مما حققه الملوك القدامى.(٥٢)

- تميل آراء "**شيون تسى**" نحو النزعة المادية بقدر ما، حيث قرر بأن [السماء تمارس سلطانها بمعزل عن أفعال الإنسان وأرادته، أي تقف موقف سلبياً تجاه أفعال البشر، فلا تجازى الحاكم وفقاً لأعماله، ولا تتعمد إفقار البلاد الغنية إذا انحرفت نحو الشر بتسليط الكوارث الطبيعية عليها مثل الفيضان المدمر والقحط والبرد الشديد، لان الشر حصيلة فعل شرير والخير ناتج عمل خير وأيضا النيازك والمذنبات والشمس والقمر والنجوم والفصول الأربعة كلها من قدرة الطبيعة أو من سنن الكون تجرى وفق

قوانيـــن معيـــنة ولا علاقة لها بأفعال البشر]، كما فسر الشعائر المتصلة بالقرابيـــن والجـــنازات بأنها أشكال للتعبير عن حزن الحى ولا صلة لها إطلاقـــا بعواطـــف الموتى ومشاعرهم ــ وبالتالي آمن بالعقل إيماناً جامداً قـــاده نحـــو استبعاد العامل الديني من تفكيره وقال في ذلك بأن [الأشباح ليست إلا تصورات أناس مخبولين، ولا جدوى للصلاة لكي تمطر السماء، ولا علاقة للسماء بجودة محصول الأرض أو رداءته] وهو بهذا الرأي لا يتفق مع رأي أستاذيه "كونفوشيوس" و "منشيوس" في فكرة السماء وحركة الكـــون والشـــعائر المتصلة بالقرابين لان فكرهما الفلسفي كان غير مادى على الإطلاق.(٥٣)

ــ أخـــذ نفـــس مـــنهج أستاذيه "كونفوشيوس" و "منشيوس" في جعل الدراسة السبيل الأوحد للارتفاع بمستوى الفرد ــ وكان دائما يوجه تلاميذه بضرورة أن يكرسوا حياتهم لبلوغ هدفهم الثقافي، وان يبتعدوا عن دراسة قضـــايا الذهن السطحية لكي يكون العمق رائدهم، وان يجعلوا سلوكهم في الحياة متفق مع ثقافتهم ومعرفتهم.

ــ ألـــف "شـــيون تسى" كتاباً أطلق عليه اسمه، تضمن اثنين وثلاثين فصـــلاً، واتسم بالترابط والتناسق، عكس كتاب "المختارات" الذي يضم أحاديـــث كونفوشـــيوس ومحاوراته، وكتاب "منشيوس" الذي يحتوى على آرائـــه ومجـــادلاتـــه ــ ويشير بعض المؤرخين الصينيين بـــأن إقبـــال "شيون تسى" على الكتابة لم يكن بغرض عرض منهجه الفلسفي فقط وإنما كـــان يهـــدف أيضـــا مـــن وراء هذه الكتابة مناهضة الخرافات والسحر والشـــعوذة التي سيطرت على أذهان معاصرية، وطالبهم بالاحتكام للعقل وحـــده، والاســـتناد إلـــى الأحكام التي تمليها طبيعة الكون وحقيقة الحياة الإنســـانية ذاتها. ــ ولذلك يقول معظم الباحثين في أصول الثقافة الصينية

أن "شيون تسى" قد ساهم بفضل آرائه ومؤلفات على تجديد شباب مدرسة كونفوشيوس الفكرية ــ رغم أنه كان متزمتاً صعب المراس ويميل بمنحاة التفكــيري صوب الماديات أي كان عكس عقلية "منشــيوس" التي اتسمت بالمرونة.(٥٤)

ــ من المبادئ الهامة في حكمه "شيون تسى" أن الإنسان قد ولد وهو مفطــور على الشر أي أن الإنسان شرير بطبعه، وصفاته الخيرة مكتسبة وليســت أصــلية ــ وهذه الفكرة تجافي تماماً فكرة "منشيوس" القائل بأن الإنســان فطــرته خــيرة ــ وعلــى ضوء ذلك يعتبر [شيون تسى] ثاني فيلســوف يــتكلم عن فطرة الإنسان في تاريخ الصين بعد منشيوس، ومن ضمن الفلاسفة الأوائل الذين أسسوا "مذهب الفطرة الشريرة" وفي مقدمتهم الفيلسوف المصري المتشائم [أبوور] الذي ظهر حوالي سنة ألف وستمائة قــبل الميلاد، والفيلسوف الإغريقي [ارستبس] (٤٣٥ق.م ــ ٣٦٦ق.م)، والفيلسوف المصري [افلوطين] الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، ثم اعتنق هذا المذهب وجدد أفكاره في العصور الحديثة الفيلسوف [آرثر شو بنهاور] الذي ولد عام ١٧٨٨م ــ وتوفي عام ١٨٦٠م حيث قال: [إن إرادة الحــياة ليست خير بل هي شر، وأن أكبر نكبة ضرب بها العالم هي إرادة الحــياة إنهــا إرادة عمياء لا ترجى منها فائدة، فحياتنا البشرية ــ والحياة كلها شئ لا قيمة له].(٥٥)

ــ يتشــابه آراء "شيون تسى" السياسية في موضوع الحكم مع آراء "كونفوشيوس" إلى حد كبير ــ ومن أهم آرائه ما يلي:

١ ــ الحكومة للشعب بأسره وليست للحاكم أو لفئة معينة.

٢ ــ استبداد الشعب وإساءة معاملة العلماء يدفع البلاد إلى الخراب.

٣ ــ لا يكتب النصر في الحرب لحاكم يبغضه الشعب ويرتاب في نواياه.

٤ــ أن يختار الحاكم وزرائه من الأشخاص المشهود عنهم الفضيلة والكفاءة العلمية والإدارية، ولا يدع للمحسوبية مجالاً في هذا الاختيار.

٥ــ عصيان الحاكم الظالم واجب على الشعب ــ لكن على الشعب أن يقدم الولاء والطاعة للحاكم الصالح.

ــ استمر "شيون تسى" ينشر فكره الفلسفي والأدبي دون كلل أو ملل حتى توفي في عام ٢٣٨ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر ستون سنة، ودفن في مملكة "تشو" التي استقر فيها آخر سنوات عمره معتكفاً على التدريس والتأليف.(٥٦)

ــ إلى جانب هؤلاء الفلاسفة العظام السابق ذكرهم ــ ظهر أيضا فلاسفة آخرون في هذه الفترة، كان لهم تأثير كبير على الحركة الثقافية الصينية مثل "تشوانغ تسى" الذي ولد في مملكة "سونغ" عام ٣٦٥ قبل الميلاد وتوفي في عام ٢٩٠ قبل الميلاد بعد أن ألف كتاب يحمل أسمه، ومنهجه الفلسفي وكان أكثر سلبية من الفيلسوف "لاو – تسى" حيث كان يرى أن "عدم الفائدة" أفضل من "الفائدة" و "موه – تسى" الذي ولد عام ٤٨٠ قبل الميلاد وتوفي في عام ٣٩٠ قبل الميلاد وكان يعارض بشدة الحروب بين الإمارات الإقطاعية واستغلال القوى للضعيف ــ و "هان في تسى" الذي ولد في مملكة هان عام ٢٨٠ قبل الميلاد وتوفي عام ٢٣٣ قبل الميلاد وكان يرى من خلال فكره الفلسفي أن التاريخ يتقدم بلا توقف وأن العصر الحاضر أفضل من العصرين القديم والأوسط ــ كما ظهر أدباء وشعراء اثروا ثقافة هذا العصر مثل الشاعر العظيم "تشيوى يوان" الذي ولد بمملكة "تشو" عام ٣٤٠ قبل الميلاد وتوفي عام ٢٧٨ قبل الميلاد وكان يهدف من خلال فكره الأدبي إصلاح مملكته إلا أنه قوبل بمعارضة شديدة من طبقة النبلاء الذين ناصبوه العداء وجعلوا الملك يغضبَ عليه

ويأمــر بإبعـــاده خـــارج المملكة فعاش منفياً مدة طويلة، وذلك لان وعيه الاجتماعي قد ساعده على معرفة واقع الشعب فتعاطف مع قضاياه وبادله السـراء والضـراء، وهو يعتبر حتى الآن من أكبر شعراء الصين حيث أبـتكر نمط جديد من الشعر، ومن أهم أعمـاله قصيدة طـويلة بعنـوان "لـى ساو" كتبها في منفاه وتتألف من ٣٧٠ بيتاً شعرياً عبر فيها عن قلقه علـى وطنه وحنينه إليه، وضمنها نقداً للتقاليد البالية، وهذه القصيدة تتمتع بلغـة جـزلة وخيال خصب تعكس عبقرية هذا الشاعر الفريدة ـ ولذلك تشـير معظـم المصادر التاريخية بأن **"قصائد تشو"** قد أصبحت تمثل مع **"كتاب الأغاني"** جزءاً هاماً من التراث الفريد للأدب الصيني.

ـ وأيضـا ظهـر مؤرخون وأدباء آخرون خلال هذا العصر وعلى الأخـص فـي عهد الممالك المتحاربة، ألفوا كتب عديدة عبرت عن مدى تطـور الحياة الثقافية في هذا العصر مثل **"الحديث عن الدول"** و**"السجلات عن الممالك المتحاربة"** و**"كتب شرائح الخيزران عن الأحداث التاريخية"** ـ بالإضافة إلى تطور الأغاني والموسيقى إلى مستوى عال ـ وقد اكتشفت مجموعة كاملة من الأجراس النحاسية تتكون من ٦٤ قطعة كانت تستخدم فـي هـذا العصر، ويمكن أن يعزف عليها ألحاناً قديمة وجديدة ـ وهي تعتبر تحفة نادرة من فنون الثقافة القديمة.(٥٧)

ـ وحيـث أن هـذا العصـر كـان يمثل قمة الصراع السياسي بين الإمـارات الإقطاعية ثم بين الممالك السبع المتحاربة ـ فقد اثر ذلك على حركة الفكر الأدبي والفلسفي وجعلها هي الأخرى تدخل دائرة هذا الصراع الـذي تصـاعد إلـى مستوى لا مثيل له من قبل وعلى الأخص في حقبة الممالك المتحاربة مما أدى إلى ظهور **"المدارس المائة"** في الفلسفة والتي خاضت صراعاً عنيفاً فيما بينها، ومن أهم هذه المدارس [**الكنفوشيوسية**،

والطاوية، والموهية، والشرائعية] وتتلخص أفكارها في الآتي:

* **المدرسة الكونفوشيوسية:** مثل هذه المدرسة الفيلسوف "**منشيوس**" فـــي أواسط حقبة "**الممالك المتحاربة**" وكان المنضمون إليها من الفلاسفة والأدباء والمثقفين الذين ينتمون إلى فلسفة وتعاليم كونفوشيوس، وقد دافعت هـذه المدرســة عــن نظام الدرجات للحكام الأرستقراطيين إذا كانوا من أصــحاب الفضــيلة والمعرفة بفن الإدارة ــ ولذا قال منشيوس وهو يعلن الفكــر الفلسفي لهذه المدرسة [أن الذين يعملون بعقولهم هم الحكام والذين يعملــون بــأيديهم هــم المحكومون، والحاكمون هم المسئولون عن تقسيم الأرزاق على المحكومين].

* **المدرســة الطاويــة:** أسس هذه المدرسة الفيلسوفين "**لاو ــ تسى**" و"**تشــوانغ تسى**" ــ وكانت تدعو إلى العودة إلى المجتمع البدائي وتعكس تفكير الطبقة الأرستقراطية واخذ عنها بأنها كانت أكثر سلبية من المدارس الفكرية الأخرى.

* **المدرسة الموهية:** وأسسها الفيلسوف (**موه تسى**) ــ وكانت تدعو إلــى ضــرورة المحــبة بين الناس، ووجهت نقداً شديد لجرائم قتل العبيد لدفــنهم مــع أســيادهم الموتى ــ كما طالبت بعدم الحصول على الثراء والمناصــب العليا بالوراثة، وان يتم اختيار المسئولين في المملكة من بين أصحاب الفضيلة الذين لديهم الكفاءة في فن الإدارة ــ ولذا عارض أنصار هــذه المدرسة الحروب الداخلية بين الأمراء، وظواهر الإسراف والتبذير واعــتداء القــوى علــى الضــعيف، وإهانــة الغــنى للفقير، واستخفاف الأرســتقراطيين بعامــة الشــعب، واســتغفال البسطاء، ودعوا إلى السلم والتقشــف، والاخوة والمنفعة المتبادلة ــ وكان الموهيون في دعوتهم هذه يعيشــون حــياة متقشــفة ويلبسون ملابس قصيرة ومهلهلة وأحذية قشية

ويتناولون أبسط الأطعمة ــ وبالتالي فأن فكر هذه المدرسة وحياة أنصارها ــ يماثل تماماً فكر وحياة أنصار المدرسة "**الرواقية**" التي أسسها **زينون** (٣٦٠-٢٦٤ق.م) وظهرت وانتشرت في بلاد الإغريق خلال القرن الثالث قبل الميلاد وتعتبر من أشهر مدارس الفكر الفلسفي الغربي في العصور القديمة ــ وهذا يدعونا إلى القول بأن **المدرسة الرواقية** قد اقتبست فكرها الفلسفي من **المدرسة الموهية** ــ لان المدرسة الموهية قد ظهرت وانتشرت أفكارها الفلسفية في الصين والمجتمعات الإنسانية الأخرى في الشرق والغرب قبل ظهور المدرسة الرواقية بما يزيد عن نصف قرن.

* **المدرسة الشرائعية**: أسسها الفيلسوفين **شانغ يانغ** (٣٩٠ ــ ٣٣٨ ق.م) و"**هان في تسى**" ــ ودعا أنصارها إلى عدم التقيد بالتقاليد الصينية العتيقة، وأيدوا إقامة دولة إقطاعية مركزية، يحل فيها أمراء إقطاعيين يعينهم الملك على كل المستويات محل ملاك العبيد الأرستقراطيين ذوى الامتيازات الموروثة وعلى أن يمسك الملك بسلطة الدولة العليا بنفسه ويختار الوزراء والقادة العسكريين من بين الذين صمدوا في اختبارات الممارسة، وترفيعهم بالتدرج بأمر منه، بشرط أن تستند السلطة المركزية للدولة على حكم القانون (**الشرائع**)، ولا سيما **القانون الجنائي** الذي يجب إعلانه وتعميمه في كافة أنحاء الصين، وقد كان لآراء وفكر هذه المدرسة تأثير مباشر على الإمبراطور [تشن شه هوانغ دى] (٢٥٩ ــ ٢١٠ ق.م) حيث اعتمد عليها في الإجراءات السياسية والقانونية التي نفذها في إمبراطورية [تشين] ليوحد كيان المجتمع الصيني.(٥٨)

* وتعتبر المدرسة الشرائعية هي التي أست الفلسفة السياسية التي استندت عليها أفكار الماكيافيلية في القرن السادس عشر الميلادي – حيث دعمت

سلطة الحاكم، وأباحت له إرغام كل فرد من الشعب على الحياة والعمل والتفكير وفقاً للسياسية التي يتبعها ــ كما أجازت له أن يأمره بالتضحية بنفسه في سبيل الدولة دون أن يلتفت لرغباته أو هناءه على أساس أن مصالح الدولة تجلب كل شيء .. ولذا فإن أهم مبادئها في الفلسفة السياسية التي وضعها زعمائها وعلى الأخص [شانغ يانغ] و [هان في تسي] و [لي سسو] ــ تتلخص في الآتي:

١ ــ يجب إلا تشكل الحكومة من أفراد يديرونها وفقاً لمبادئ الأخلاق وإنما يجب أن تشكل من أفراد يديرّونها طبقاً للقوانين الصارمة التي تفرضها السلطة الحاكمة.

٢ ــ أن تكون الحكومة ذات طابع مركزي قوى ــ وأن تمارس سلطاتها بصفة مطلقة، وبواسطة التهديد بتوقيع العقوبات القاسية على كل من يخالف أوامرها بأي صورة من الصور.

٣ ــ أن يكون القانون أداة كاملة لكفالة الحكومة على جميع المواطنين، ولذا يجب أن تسن الحكومة قوانين صارمة ودقيقة تعلن للجميع، وأن تضم بين طياتها قائمة ضخمة من الجزاءات والعقوبات القاسية لردع أفراد الشعب.

٤ ــ يجب أن يكون الحاكم حصيف بإرغام الشعب على انتهاج للسياسة التي يراها متفقة مع المصلحة العامة دون أن يكرهوه، ولا يقيم وزناً لأي اعتبار أو يحسب أي حساب لرغبات الأفراد ــ لأن مصالح الدولة العليا فوق الجميع.

٥ ــ السلطة التي تلقى الرهبة في القلوب تستطيع أن تخمد العنف بسهولة، وأن تسحق أي تمرد يحدث ضدها.

٦ ــ يجب إلا يقارن الحاكم بالأب ــ لأنه يجب ألا يحس بالمودة تجاه شعبه مهما يكن الأمر حتى لا تخونه عاطفته وتكون السبب في حدوث الفوضى التي قد تؤدي إلى انهيار حكمه ــ كما يحرم عليه أن ينشأ أي نوع من المودة أو الاستلطاف مع وزرائه وأعوانه حتى لا يستغلوا مناصبهم ويصبحوا من مراكز القوة والنفوذ ويشيعوا الفساد والانقسامات داخل البلاد ــ ولذا يجب أن يجعل سلطانه قوياً ويبث هيبته في قلوب وزرائه وأعوانه حتى لا يتجرءوا مطلقاً على تحديه أو الانحراف عن حافة الصواب الذي يرتئيه.

٧ - الحرب أداة لتعزيز سلطة الحاكم، وهدف لتوسيع رقعة الدولة، ووسيلة لبث روح النظام والطاعة والشعور بالقوة والشجاعة والوطنية الجارفة في نفوس عامة الشعب ــ ولذا يجب على الحاكم أن يكافئ أبطال الحروب وأصحاب البسالة الحربية بمكافآت مجزية مع منحهم ألقاب الشرف والسمو .. أما إذا كره الشعب الحرب فعلى الحاكم أن يجعل حياة هذا الشعب شاقة جداً لدرجة تجعلهم يرحبون فيها خوض غمار الحرب لتريحهم مما هم فيه.

... وعلى هذا الأساس تعتبر المدرسة الشرائعية من خلال هذه المبادئ التي تركز عليها في فلسفة فكرها السياسي ــ هي المؤسس الأول للفلسفة السياسية التي استند عليها [نيكولو ماكيافيلي] [Niccolo Machiavelli] [الذي ولد في عام ١٤٦٩ وتوفى في عام ١٥٢٧م] ــ في منهجه الفلسفي الذي أعتبر به من أبرز أعلام النهضة الإيطالية في الفلسفة السياسية، وفي الحقيقة أنه ليس كذلك، لأنه لم يأتي بجديد، وكل ما في الأمر أنه قد تأثر بفلسفة المدرسة الشرائعية وقام بنقل أفكارها ونسبها إلى نفسه وأيده في ذلك الإعلام الغربي حتى ينكروا

الأساسيات الأولية لفلسفة الشرق، ويمحوا أي مجال لنشر الحقائق التي تثبت باليقين أن فكر المدرسة الشرائعية قد سبق فكر الماكيافيلية بما يزيد عن ألفين سنة ــ ولن فكر الماكيافيليه ليس سوى اقتباس كامل لفكر المدرسة الشرائعية في الفلسفة السياسية.

** وأيضاً ــ من ضمن مبادئ المدرسة الشرائعية تحطيم الملكيات الإقطاعية وتقسيم الأراضي الزراعية إلى قطع صغيرة وتمليكها للفلاحين ملكية خاصة وهذه الخطوة الإصلاحية تعتبر من أقدم خطوات الإصلاح الزراعي في العالم القديم(٥٩).

وتطبيقاً لذلك فإنه رغم أن التنافس والصراع الفكري بين هذه المدارس قد أدى إلى ظهور الجدل والمؤلفات العديدة التي تنقد بعضها البعض لان كل مدرسة كانت تهاجم بشراسة بالغة المدارس الأخرى من أجل هدم كل أفكارها الفلسفية التي تستند عليها ــ إلا أن ذلك لم يؤثر تأثيراً فعالاً على استمرار تطور الحركة الفكرية التي ازدهرت في هذا العصر بشكل رائع ومبدع عن أي عصر آخر من عصور الصين القديمة.

المبحث الرابع

نظم الثقافة الصينية في العصر الإمبراطوري

يـبدأ هذا العصر من عام ٢٢١ قبل الميلاد بعد أن تمكن (ينغ تشنغ) ملـك "تشين" من سحق الممالك الست وهي (هان، تشاو، وى، تشو، يان، تشـى) وأسـس أول إمـبراطورية مركـزية وحدت الصين، ولقب نفسه بالإمبراطور (تشن شه هوانغ دى) ــ وينتهي "طبقا لخطة دراستنا" بسقوط نظام حكم إمبراطورية هان الشرقية في عام ٢٢٠ ميلادية وانقسام الصين مرة أخرى إلى ثلاث ممالك هي (وى، شو، وو) وكل مملكة سيطرت على جزء من الأراضي الصينية واتخذت شكل مملكة مستقلة.

تشـير معظـم المصادر التاريخية بأن بداية هذا العصر كان يمثل كارثـة خطيرة على حركة الثقافة الصينية ــ بسبب أن الإمبراطور "تشن شـه هوانـغ دى" قد أمر بحرق جميع السجلات التاريخية والكتب الأدبية والفلسـفية المنتشرة في أوساط الشعب ليتخلص منها ويقضى على جذور الـثقافة القديمة، وعلى أثر ذلك أتهمه بعض العلماء والمؤرخين بأنه كان يكره الفكر الأدبي والفلسفي وأطلقوا عليه لفظ "الإمبراطور الجاهل".[٦٠]

ــ ونحن نرى " كما سبق أن عرضنا في الباب الأول " أن هذا الاتهام مبالغ فيه جداً ــ لأن الإمبراطور (تشن شه هوانغ دى) كان هدفه الأساسي هـو توحـيد الصـين وتوحـيد الفكـر الأدبـي والفلسفي وتوطيد حكم الإمبراطورية التي نجح بعد كفاح مرير في أقامتها ــ وهذا الهدف في حد ذاتـه يحسـب له وليس عليه، لأنه أنقذ الصين من حالة التفكك والصراع الدامـي الـذي أستمر ما يزيد عن خمسة قرون، وأنعش من جديد حركة الوحـدة القومـية في كافة أرجائها ــ وتحقيق هذا الهدف قد فرض عليه

بحكــم الضرورة أن يتخذ الحيطة والحذر الشديد في مواجهة كل الأخطار التي كانت تسعى إلى هدم كيان الإمبراطورية والعودة بالصين إلى عصر الانقسام السابق.

— وحيــث أن الإجــراءات التي قام بها من أجل الإصلاح والتجديد والمحافظة على وحدة الصين وتقوية نفوذه وسلطاته في الحكم قد تعرضت لمعارضة شديدة من جانب بعض أصحاب الفكر الأدبي والفلسفي وخاصة الكونفوشيوســيين الذين استخدموا الكتب القديمة للتنديد بكل أعماله ، فأنه خوفــا مــن تأثير هذه المعارضة على مستقبل الإمبراطورية شن بواسطة وزيــره الأكبر (لى سسو) حملة ضدهم أدت إلى إحراق بعض السجلات التاريخية والكتب المنتشرة في أوساط الشعب ومؤلفات مدارس المائة لكي يؤمن الإمبراطورية من بعض المثقفين الذين شجبوا الحاضر ودافعوا عن الماضــي، ويــتخلص من كل الاتجاهات الفكرية التي كانت تناصب نظام حكمــة العــداء، ولــيس لأنــه كان يكره عموماً كل بواعث الفكر الأدبي والفلســفي، لأنــه كان يميل إلى فكر المدرسة الشرائعية، وأخذ الكثير من منهجها الفلسفي في تنفيذ بعض الإجراءات السياسية للتوطيد نظام حكمة. وكثيراً من ملوك وأباطرة العصور القديمة مثل حمورابى في بلاد ما بين النهريــن والإســكندر الأكــبر في بلاد الإغريق قد قاموا بمثل ما قام به الإمــبراطور (تشن شه هوانغ دى) من أجل المحافظة على وحدة بلادهم وتأميــن نظام حكمهم — وحتى الإمبراطور مارك أوريل الذي جلس على عــرش الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة (١٦١م — ١٨٠م) وكان من أشهر فلاسفة الرومان الذين اعتنقوا منهج الفلسفة الرواقية، أي كان يؤمن بالمحــبة والعــدل والأخــوة الجامعة لكل البشر، قــد أرتكــب في حق الأخــوة المســيحيين مــا هــو أخطــر وأشــد ممــا هو أرتكبــه

الإمـــبراطـــور" تشن شه هوانغ دى" حيث أمر بحرق كل مؤلفاتهم الدينية وعلق روادهم على الأعمدة والصوارى حتى ذاقوا الموت لاعتقاده بأن فكـــر الديانـــة المســيحية يناصـــب الإمبراطورية الرومانية العداء في الأرض ويعارض فكر الفلسفة الرواقية في مفهوم الأخوة الإنسانية في السماء.(٦١)

- وبالتالـــي حـــتى لا نكرر ما سبق أن ذكرناه في تبرير ما قام به الإمـــبراطور (تشن شه هوانغ دى) ـــ نرى أن حرقه للمؤلفات التي كانت تعارض نظام إمبراطوريته وإسكاته للأصوات التي كانت تندد بإصلاحاته لـــم يكن إلا من قبيل الإجراءات السياسية التي أتخذها للمحافظة على كيان الإمـــبراطورية وعلـــى قوة نفوذه في حكم المجتمع الصيني دون أي شئ آخر، أي لم تكن بغرض القضاء على التراث الثقافي القديم، لأنه لم يهدف مطلقـــاً أثناء فترة حكمة إلى نزع الفكر الأدبي والفلسفي من عقل ووجدان الشـــعب الصـــيني، وإنما كان يهدف فقط إلى توحيد مقاييس الفكر الأدبي والفلسفي.

ـــ وإذا كـــان الإمـــبراطور (تشن شه هوانغ دى) قد إنحاز إلى فكر المدرســـة الشـــرائعية واســـتعان بمعظـــم آرائها في وضع أهدافه وتنفيذ إجـــراءاته السياســـية ـــ وناصـــب العـــداء لفكر المدارس الأخرى وعلى الأخـــص الكونفوشيوسية ـــ فإن الإمبراطور "وو ـــ دى" الذي جلس على عـــرش إمبراطورية هان الغربية خلال الفترة من "١٤٠ ـــ ٨٧ ق.م" قد فعـــل مثل ذلك وأن كان بالعكس حيث عزز نفوذ الكونفوشيوسية وجعلها تمـــثل أفكـــار وأراء السلطة المركزية كما جعل الكتب الكلاسيكية الخمسة (الـــتاريخ، الأغاني، الطقوس، حوليات الربيع والخريف، المتغيرات) التي يقـــوم بتدريســـها أســـاتذة الكونفوشيوســـية مقـــررة رسمياً في الأكاديمية الإمـــبراطورية، فـــي حيـــن أسكت فكر المدارس الفلسفية الأخرى وجعل

آرائهـا تترنح بين الإهمال والكبت أي إنجاز لفكر مدرسة فلسفية واحدة، وأخمـد اتجاهات المدارس الفكرية الأخرى، ورغم ذلك لم يوجه له نقد أو تجـريح مثل ما وجه إلى الإمبراطور (تشين شي هوانغ دي)، بل أعتبره المؤرخون من أعظم أباطرة هان الغربية.

وعلـى ضوء ذلك فإن الحركة الثقافية الصينية لم تتعرض لكارثة فـي عهـد إمـبراطورية تشين وإنما تأثرت فقط بالتغيرات السياسية التي حدثت في المجتمع الصيني مثل النظم الأخرى وعلى الأخص الاقتصادية والاجتماعـية[٦٢] ــ وبالتالـي فإن خطوات تطورها لم تتعثر بل استمرت تلاحـق متطلبات الزمان وظهر ذلك واضحاً بعد انتهاء حكم إمبراطورية "تشـين" الـذي لم يستمر سوى أربعة عشر عاماً "٢٢١ ــ ٢٠٦ ق.م" ثم جلس أبـاطرة هــان الغربية "٢٠٦ ق.م ــ ٢٥م" ثـم هــان الشرقيـة "٢٥م ــ ٢٢٠م" علـى عـرش المجتمع الصيني ــ حيث ظهر العديد من الفلاسـفة والأدباء الذين أثروا الحركة الثقافية خلال هذا العصر، كما كان لظهور الورق البدائي في عهد إمبراطورية هان الغربية وتطوير صناعته على يد "تسأي لون" عام ١٠٥ ميلادية في عهد إمبراطورية هان الشرقية أثـراً هـائلاً في انتشار الفكر الأدبي والفلسفي، وإنعاش مأثورات التراث الثقافـي بيـن جميع فئات الشعب الصيني ــ وفي ذلك يقول الدكتور فؤاد محمد شبل بأنه (بعد زوال حكم إمبراطورية "تشين" عام ٢٠٦ قبل الميلاد أخـذ الفكر الصيني يزدهر ويترعرع من جديد في ظل حكم إمبراطورية هان التي أمتاز أباطرتها بتشجيع القضايا الفكرية الأدبية والفلسفية وحسبنا القـول أن الأمـير "هواي ــ نان" الذي مات في عام ١٢٢ قبل الميلاد قد بـذل مخـتلف ضروب التشجيع للمحيطين به من المفكرين لكتابة مؤلف تسجل فيه جميع الآراء الفلسفية الشائعة في عصره دون فارق بين مدرسة

وأخرى ــ وقد أطلق أسم هذا الأمير الحكيم على ذلك الكتاب بعد إنجازه، فأصبح يعرف بأسم "هوأي نان تزو".(٦٣)

**** ومن أشهر أعلام الحركة الثقافية في هذا العصر:**

* **دونغ تشونغ شو:**

ــ هــو الوزيــر الأكبر للإمبراطور "هان وو دى" الذي تعتبر فترة حكمة التي دامت ٥٤ سنة [١٤٠ ــ ٨٧ ق.م] الحقبة الذهبية لإمبراطورية هــان الغربية ــ وقد كان "دونغ تشونغ شو" من حكماء هذه الحقبة حيث أهــتم بعــناية فائقة بالفكر الفلسفي والديني متأثراً بأفكار وأراء المدرسة الكونفوشيوسية، وركز منحاه الفكري في الأمور السياسية حيث كان دائماً يــردد بــأن الإمبراطور يجب أن يفعل بمقتضى وحي السماء، وأن يطبق سياسة العطف والرحمة والعدل على الشعب حتى تهبه السماء المحاصيل الزراعــية الوفــيرة ــ وعلى هذا الأساس قام بترويج فكرة "التواهب بين السماء والأرض" رامياً من خلالها بان الإمبراطور وأن كان معين بوحي مــن السـماء وتضفي عليه صفة التأليه إلا أنه يجب أن يكون صالحاً في حكمة حتى يتقى الكوارث وغضب الشعب عليه لخلعه.

ومــن أهــم تعالــيمه المســتمدة من الفلسفة الكونفوشيوسية فكرة (الخضوع المطلق الثلاثي) ومعناها خضوع الوزراء للإمبراطور والأبناء للأباء والزوجة لزوجها.(٦٤)

ــ وحيــث أن الصــينيون الأوائل قد اعتبروا كوارث الطبيعة منذرة بالســوء، وخلعوا عليها صفات النحس والشؤم، بعد أن فسروها على أنها عــبارة عــن غضــب من السماء على الجنس البشرى وإنذار لكل الناس لتعديل سلوكهم نحو الصواب ــ فإن هذا الاعتقاد قد بلوره (دونــغ تشونــغ) بفكرة الفلسفي حتى أصبح أساساً لنظرية تكاملت في عهد إمبراطورية هان

الغربية والشرقية أطلق عليها (نظرية الطيرة) ومدارها يتلخص في أن (الأفعال الشريرة ـ وخاصة فساد السياسة تؤدى إلى انفكاك النظام الطبيعي للمجتمع البشرى وتفسخه نتيجة للكوارث التي تحدث من ظهور المذنبات والخسوف والكسوف والقحط والجراد والأوبئة والحيوانات المخيفة .. الخ).

ـ وفي سياج هذا المعنى ألف "دونغ تشونغ" كتاباً يعتبر من روائع مؤلفات الثقافة الصينية ـ وضح فيه بالأمثلة ما ابتليت به الصين خلال حكم بعض الأباطرة من كوارث بسبب فساد الحكم ـ كما تضمن الكثير من الأوامر التي كان يصدرها بعض الأباطرة ويناشدون فيها الشعب بضرورة مواجهتهم بأخطائهم حتى يتحاشوها، ويجنبوا البلاد عواقب غضب السماء ـ وفي القسم الثلاثين من هذا الكتاب قد أورد بما نصه [تبدى الكائنات السماوية والأرضية ـ أحياناً ـ تغيرات خارقة للعادة يطلق عليها أسم "أعاجيب"، أما التغيرات الأقل شأناً فتدعى علامات الشؤم المنذرة بالويل ـ وتحدث علامات الشؤم أولاً، ويتلوها ظهور الأعاجيب المدمرة ـ وعلامات الشؤم تحذيرات السماء، والأعاجيب تهديد السماء ووعدها ـ فالسماء ترسل تحذيراتها أولاً ـ فإن تجاهلها الناس، بعثت بأعاجيبها المدمرة لترويعهم ـ والسبب المباشر لجميع علامات الشؤم والأعاجيب المدمرة يرجع إلى أخطاء في سياسة الحكم ـ فعندما تبدأ أولاً دلائل أخطاء الحكم في الظهور ترسل السماء علامات شؤم منذرة بالويل والثبور وعظائم الأمور لتنذر الناس وتعلن عن حقيقة الهوة التي يترددون فيها ـ فإن لم يتدارك الناس أمور دولتهم بالإصلاح ورأب ما تصدع من بنيانها وتعديل ما أعوج من أمورها، بعثت إليهم بمخلوقات مخيفة وسلطت عليهم أعاجيب مدمرة ترعبهم وتروعهم فإن استهانوا بهذا كله حلت

علـيهم المصائب والكوارث من حيث لا يعلمون، فلا يستطيعون لها دفعاً]
ـ ثـم قال أيضاً [لعل الفحص المدقق للأعاجيب المدمرة وعلاقات الشؤم ـ يوضـح لنا إرادة السماء فإرادة السماء تتطلب منا فعل أمور وتحاشى فعـل أمور أخرى، وفي وسع الإنسان، بالبحث في داخلية نفسه، الاهتداء إلـى مـا تـريد السماء فعله وما ترغب في تحاشى فعله ـ فإذا ما درس أحـوال بـلاده، تكشفت له صحة تحذيرات السماء، والأجدر بنا ألا نكره إيمـاءات السماء ورموزها ، بل أن نخشاها، ونعمل على إطاعة أوامرها بتقويم عيوبنا وتخليصنا من أخطائنا).

ـ وعلـى أثر هذا الكتاب والكتب الأخرى التي اعتنت بها المدرسة الكونفوشيوسية وتشير إلى هذا المعنى قد أصبح "لنظرية الطيرة" بعد وفاة الحكـيم "دونغ تشونغ تشو" تأثير جسيم على الفكر السياسي حيث مكنت حكـام الأقاليم من نقد الإمبراطور نقداً غير مباشر إذا أنحرف في سلطاته وأرتكـب مـا يفسد حكمه من خلال إرسالهم تقارير إليه عن سوء أحوال بعض أقاليم بفعل الظواهر الطبيعية على أساس أنها علامات شؤم ونحس تنذر بالويل من أثر غضب السماء على أهل الأرض بسبب فساد الحكم ـ وكثـيراً مـن هـذه الـتقارير قد أجبرت الإمبراطور على تعديل سياسته للأصلح، أو خلعه إذا تجاهلها وأستمر على نظام حكمه الفاسد.(٦٥)

* **سيما تشيان:**

ولـد فـي (تشـانغان) المعروفة اليوم بأسم شيآن عام ١٤٨ قبل المـيلاد- وهـو أبن (**سيما ـ تان**) المؤرخ الرسمى أو المؤرخ الأعظم للإمـبراطور (**هان وو دى**) الذي شرع في تأليف كتاب عنوانه (**سجلات التاريخ**)، وحيث لم يسعفه القدر لإنجاز هذا الكتاب لمرضه الشديد ثم وفاته عـام ١١٠ قـبل الـبلاد ـ قام هو (بعد أن خلف والده في شغل وظيفة

المؤرخ الأعظم ثم عزل من هذه الوظيفة) بإتمام هذا الكتاب بعد أن أستغرق من الوقت مدة تزيد عن عشر سنوات.

ـ كان "سيما تشيان" يحظى برضا وعناية الإمبراطور (هان وو دي) بعد أن عين في عام ١١٠ قبل الميلاد خلفاً لوالده في وظيفة المؤرخ الأعظم، فكان يقربه منه في المناسبات والحفلات الدينية، ويأخذ رأيه في بعض الأمور الهامة التي تتعلق بشئون الإمبراطورية، كما أوفده في بعثة دبلوماسية جابت عدة أقطار ومنها التركستان ـ إلا أنه قد غضب منه غضباً شديداً بعد أن قام وبحماس مرتفع النظير بالدفاع عن زعيم عسكري أتهمه هذه الإمبراطور في عام ٩٨ قبل الميلاد بالعصيان والتمرد، فعزله من منصبه وأمر بخصيه كعقاب لجسارته على تحدى رأي الإمبراطور.

ـ وقد عزى "سيما تشيان" نفسه بعد أن لحقت به هذه الكارثة في خطاب أرسله لأقرب أصدقائه ذكر فيه بأن المحن تدفع عظماء الرجال على أن يقوموا بأعمال عظيمة مليئة بالإبداع والروعة وأن كارثته ستدفعه إلى إنجاز كتابه "سجلات التاريخ" ليكون مرجعاً عظيماً لكل الأجيال المقبلة، ويخلد ذكره طول الأبد.

ـ ولذلك أقبل "سيما تشيان" على تأليف هذا الكتاب بعد أن لحقت به هذه الكارثة في عام ٩٨ قبل الميلاد، وأتمه كمرجع شامل في تاريخ الصين عام ٨٨ قبل الميلاد حيث أستغرق في إنجازه عشر سنوات.

ـ ويعتبر "سيما تشيان" بعد أن أعد كتاب (سجلات التاريخ) الذي بلغ عدد كلماته ما يزيد عن نصف مليون كلمة الأب الحقيقي للتاريخ الصيني كما أن كتابه لم يكن عبارة عن تسجيل للحوادث وسير حياة الأشخاص فقط، وإنما كان يحتوى أيضاً على معالجة موضوعات أخرى كثيرة في التاريخ الحضاري للصين كالدين والطقوس والعبادات والموسيقى والفلسفة

والفلك والتقويم الزمني وغير ذلك من الموضوعات الهامة.

ــ تشير مصادر الصين التاريخية بأن **"سيما تشيان"** ويطلق عليه أيضاً في بعض المراجع العربية والأجنبية **"سسو ــ ما تشين"** ــ قد تمكن من إتمام هذا الكتاب بعد أن أصبح يملك موهبة وقدرة هائلة على التأليف وكتابة الأحداث التاريخية وذلك لأنه أستوعب منذ شبابه معارف نظرية وعملية واسعة من خلال تجوله في أنحاء الصين وخاصة زيارته لسور العظيم ومناطق الأقليات القومية وكهوف دايوى إلى جانب استفادته من منصبه في دراسته للكتب المودعة في مكتبة الإمبراطور **(هان وو دى)** قبل أن يتم خلعه من وظيفة المؤرخ الأعظم.

ــ نظم **"سيما تشيان"** كتابة **(سجلات التاريخ)** في مائة وثلاثين فصلاً وهذه الفصول تشمل تاريخ الشعب الصيني ابتداء من عهد زعيم اتحاد القبائل **(هوانغ دى)** الحاكم الإسطوري الملقب **"بالإمبراطور الأصفر"** الذي قيل بأنه حكم الصين منذ عام ٢٦٩٧ قبل الميلاد، حتى عهد الإمبراطور **"هان وو دى"** الذي جلس على عرش إمبراطورية هان الغربية خلال الفترة من (١٤٠ ــ ٨٧ ق.م) ــ وقد تحدث في هذا الكتاب عن الدور العظيم للانتفاضة الفلاحية بقيادة **"تشن شنغ"** و **"وو قوانغ"** في إسقاط نظام حكم إمبراطورية تشين، ونوه عن فلاسفة وأدباء الصين العظام مثل **(لاو ــ تسى)** و **(كونفوشيوس)** و **(منشيوس)** ثم عن مشاهير القتلة والموظفين الطغاة ومحاسيب الملوك، وندد بالجرائم الخطيرة التي أرتكبها بعض الأباطرة وملاك العبيد الأرستقراطيين، وأمراء الإقطاع في العهود السابقة حتى سخر من الإمبراطور **(هان وو دى)** لولعه بالخرافات، كما ضم هذا الكتاب ٧٠ مقالة كرست للتراجم التي شملت مشاهير الأطباء والعلماء والتجار والكهان وبعض الشخصيات الاجتماعية التي كانت لها

دور عظيم في المجتمع الصيني، ومقالات أخرى عالجت موضوعات عن بلاد وشعوب أجنبية مثل كوريا وفرغانه ... الخ.

ولكي يجعل "سيما تشيان" من كتابه مرجعاً علمياً وأدبياً وتاريخياً للأجيال التالية قسم مواد هذه الكتاب خمسة أقسام كالآتي:

القسم الأول: حوليات أساسية: وتسجل القوانين والأوامر الإمبراطورية.

القسم الثاني: جداول: تتضمن تواريخ الأحداث الهامة.

القسم الثالث: رسائل: وتبحث الموضوعات الهامة كالطقوس والموسيقى والفلك والملاحة في النهر الأصفر والميزان التجاري.

القسم الرابع: البيوت المالكة الوراثية: ــ وتبحث في العلاقات الأرستقراطية والإقطاعية.

القسم الخامس: تراجم حياة ــ وتبحث حياة مشاهير الرجال من قواد الجيش والساسة والفلاسفة والأدباء ...الخ.

وعلى هذا الأساس يعتبر كتاب (سجلات التاريخ) من ضمن المؤلفات الهامة للتراث الثقافي الصيني القديم ــ كما أعتبر مؤلفه "سيما تشيان" من أشهر أدباء هذا العصر وليس مؤرخاً فقط للأحداث التاريخية الهامة التي سبقت عهده.[٦٦]

* **وانغ تسونغ:**

ولد في عام ٢٧ ميلادية، وهو من أسرة فقيرة، تلقى تعليمه في إحدى المدارس الإمبراطورية في (لويانغ)، وعمل بعد حصوله على شهادة علمية موظفاً إدارياً في الحكومة المحلية ــ وبعد فترة استقال من وظيفته بسبب عدم رغبته في الارتباط بأي عمل رسمي سواء كان إدارياً أو فنياً، وتفرغ تماماً للتعليم والبحث وكتابة آرائه الأدبية والفلسفية حتى مات في عام ٩٧ ميلادية بعد أن بلغ من العمر سبعين سنة.

- كـــان من ضمن الفلاسفة الذين ظهروا في عهد إمبراطورية هان الشـــرقية، وأشتهر بوضوح فكرة، وصراحة رأيه، إلى جانب جرأته على نقد وشجب الأفكار الخرافية التي كانت مدعومة من البلاط الإمبراطوري، ويروجها مثقفوا الطبقة الأرستقراطية.

- ظهرت على يديه سلسلة هائلة من الأفكار الفلسفية المتطورة التي كانت تسبق أفكار عصره ــ وكانت تميل إلى الاتجاه المادي، ولذا فهو من أصـــحاب الفكر المادي القديم أو من أوائل فلاسفة الشرق الماديون الذين كانوا لا يؤمنوا بالخرافات ولا يروا مكاناً في هذا العالم لغير المادة.

- تصـــدى لأراء الفيلســـوف (دونغ تشونغ شو) القائلة بأن (السماء توحـــي إلـــى الإمبراطور من خلال ظهور العواطف والأفكار والمذنبات والكســـوف والخســـوف ... الـــخ، وأن على الإمبراطور أن يطبق سياسة العـــدل والعطـــف والحكمـــة حتى يتقى كوارث الطبيعة) ــ وبالتالي فقد عـــارض فكرة (**التواهب بين السماء والأرض**) التي كان يروجها (**دونغ تشـــونغ شو**) والأسس التي كانت تستند عليها (**نظرية الطيرة**)، وقرر بأن (مـــا يحدث في دنيانا من عواصف وأمطار وكسوف وخسوف وغير ذلك ليس إلا ظواهر طبيعية تجرى وفق قوانين الطبيعة، ولا علاقة لها بأعمال البشر سواء كانت هذه الأعمال خيراً أو شراً ..).

- كـــان لا يؤمـــن مثل غيره من أصحاب الفكر المادى بفكرة البعث والتناســـخ ــ وقال بأن (**روح الإنسان تفنى بعد الموت ولا يصير جسده إلـــى أكـــثر من مخصب للأرض**) ولتأكيد رأيه كان يتساءل (هل رأي أحد بعينه ميتا تحول إلى ملاك أو شيطان؟)."

- ألف "وانـــغ تسونغ" كتاب (**لونهنغ**) أي (**في التوازن**) أستغرق في إعـــداده ثلاثين سنة ــ عرض فيه بوضوح آرائه عن العلاقة بين الإنسان

والطبيعة، وبين الجسد والروح، وهاجم عقيدة الوحي بين السماء والإنسان وغيرها من المعتقدات المثالية ـ وقدم تفسيرات لظواهر الطبيعة من وجهة نظر مادية أولية معارضاً الخرافات وكل الآراء التي كانت تروج لفكرة (التواهب بين السماء والأرض) و(نظرية الطيرة) التي تمتد جذورها إلى أول عصور الصين القديمة.

ولكن رغم أن هذه الآراء قد جعلته مفكر مادي بارز ـ إلا أنه قد بقى أسير مرحلته التاريخية في النظرة العامة للوجود حيث كان يرى كالمثاليين (أن السماء تقرر كل شئ) مؤكداً من خلال ذلك إيمانه العميق بالقضاء والقدر.(٦٧)

* **بان ـ قوه:**

ولد في عام ٣٢ ميلادية ومات في عام ٩٢ ميلادية بعد أن بلغ من العمر ستين سنة ويعتبر هو ووالده (بان ـ بياو) الذي عاش خلال الفترة من عام (٣ ـ ٥٤ ميلادية) المؤلفين الرئيسيين لكتاب (تاريخ أسرة هان الأولى) ـ وبدأ أحداث تاريخهما في هذا الكتاب من حيث ما انتهى إليه المؤرخ الحكيم "سيما تشيان" وتابعاً منهاجه في سرد الأحداث التاريخية وتحليلها بكل صدق وأمانة.

يسجل هذا الكتاب بكل وضوح الأحداث التاريخية التي وقعت داخل المجتمع الصيني خلال مائتين وثلاثين سنة بادئاً من عام ٢٠٢ قبل الميلاد وهي الفترة التي ضمت تاريخ أثنى عشر جيلاً حتى عام ٢٨ ميلادية الذي يمثل السنة الثالثة من بداية حكم إمبراطورية هان الشرقية أو من بداية جلوس (ليو شيو) على عرش هذه الإمبراطورية ـ وبالتالي فإن أحداث هذا الكتاب تتضمن فقط تاريخ إمبراطورية هان الغربية من بداية ظهورها حتى سقوطها في عام ٢٥ ميلادية.(٦٨)

— ينقســم كــتاب (تاريخ أسرة هان الأولى) إلى مائة فصل — وكل فصــل يحــتوى على أحداث فترة زمنية معينة إلى جانب مقالات أخرى عديــدة عن هذه الأحداث لوضع تحليلات مقنعة عن أسباب حدوثها وذلك مثل:

* في الفصل السابع والعشرين وردت مقاله طويلة عنوانها "العوامل الخمسة" تسجل الأحداث المشئومة وتحصرها في (الحرائق — الزلازل — الجدب — الحــيوانات — الطيور الشاذة الخلقة — الفيضانات المدمرة)، وعرضــت أراء بعــض العلماء والحكماء في علاقة هذه الكوارث بحالة العصر السياسية — ومن نصوص هذه المقالة التي ذكرها مؤلفا الكتاب ما يلي:

.... [فــي الشهر الثــالث من السنة الثامنة لحكم الإمبراطور (ليــو) عــام ١٨٠ قبل الميلاد، كانت الإمبراطورة عائدة من حفل تقديم قرابين، فبرز في طريقها شئ يشبه كلبا أزرق اللون هجم عليها وعضها في إبطها وأختفي بغته، وأثبت الكهان أن الروح الشريرة للملك "تشاو" قد تمثلت في صــورة هــذا الكلب وعضتها انتقاما لهذا الملك الذي سمته الإمبراطورة وقطعت يدي أمه وقدميها وسحلت عينيها].

(وفــي عصر الملك "يوان — فنج" عام ٨٠ قبل الميلاد ظهر فأر أصــفر اللــون يضــع ذيلــه في فمه، وطفق يرقص داخل بوابة القصر الرئيســيةـــ فذهب الأمير لمشاهدته فأستمر الفأر في رقصه المثير — هنا أمر الأمير بتقديم نبيذ ولحم مجفف للفأر، إلا أن الفأر لم يبالي وأستمر في الرقص إلى أن مات — وقد فسر الكهان هذا المشهد، بأن الأمير كان يدبر ثــورة ضد الإمبراطور، فكشف الفأر أمرها — وبالتالي حكم على الأمير بالموت.

* تضــمن الكتاب فصلاً عنوانه "رسالة عن الطعام والنقود" وصف فيه المؤلفان سوء حالة الشعب الصيني في عهد أسرة "تشين" التي حكمت الصــين خــلال الفترة من (٢٢١ ــ ٢٠٦ قبل الميلاد) ــ حيث أوردا أن مؤســس هــذه الأسرة قد شرع في تنفيذ مجموعة من المشروعات العامة الكبــيرة ونجح في صد عدوان المتبربرين وأقام حرساً كثيفاً على الحدود، ممــا أدى إلى استقرار الأمن في جميع البلاد دون الاهتمام برعاية الشعب ــ ولتحليل ذلك كتب المؤلفان مقالة في هذا الفصل نصها ما يلي:

... [على الرغم من إقبال الفلاحين على العمل، عجزوا عن إنتاج قدر كــاف مــن الحبوب يسد رمق عائلاتهم، وأن أمضت النساء نهارهن في الغــزل والنســيج فمــا استطعن كفالة اللباس الكافي للأسرة ــ ذلك لأن الإمبراطور قد استنزف موارد البلاد للوفاء باحتياجات الإدارة الحكومية ــ ومــع ذلك كانت الحكومة تطالب دائماً بالمزيد، فتعالت صرخات الشعب الجائع العريان، فشرع البعض يهرب من البلاد، وأعلنت الجمهرة العظمى الــثورة ضــد الحكومة) ــ وبالتالي يرجع المؤلفان من خلال هذه المقالة ســوء أحــوال الصين وقتذاك إلى طغيان البيروقراطية وإسراف الإدارة الحكومــية وقصــورها فــي رعاية جهود الشعب المضنية مما أدى إلى انهيارها وسقوطها.(٦٩)

ولذلــك يعتبر كتاب "تاريخ أسرة هان الأولى" من المراجع الهامة لتاريخ الصين القديم ــ ويمثل مع كتاب "سجلات التاريخ" الذي كتبه "سيما تشــيان" شــكلاً جديداً من أشكال السيرة الذاتية والبداية الحقيقية لتسجيل تاريخ الصين في العصور القديمة حسب توالي الأسر الحاكمة التي حكمت المجــتمع الصــيني خــلال ألفــي سنة تلت عهد أسرة هان الغربية ثــم الشرقية.(٧٠)

** إلى جانب هؤلاء الفلاسفة والحكماء المؤرخين، ظهرت مؤلفات فلسفية وأدبية أخرى أثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الصيني بعد عصر أساتذة الكونفوشيوسية الأوائل ـ وأهمها كتابي (المعرفة الكبرى) و(مذهب الوسط) حيث كونا مع كتابى (المختارات) و (مصنفات منشيوس) ما يعرف في تاريخ الفلسفة الصينية بـ (الكتب الأربعة) ـ وهذه الكتب الأربعة قد مثلت أعمدة التثقيف الصيني خلال هذا العصر وفي العصور الأخرى التي تلته حتى عام ١٩٠٥ ميلادية الذي تم فيه إلغاء نظام الاختبارات للالتحاق في الوظائف العامة ـ ولتحديد مضمون هذين الكتابين نعرض موجز عن كل منهما على النحو الآتي:

أولاً: كتاب المعرفة الكبرى:

التثقيف الذاتي هو الأساس الذي يستند عليه منهاج هذا الكتاب، وهو موجه بصفة خاصة إلى الحاكم وموظفيه لإرشادهم سواء السبيل، وبصفة عامة إلى كل فرد من أفراد الشعب لكي يكون من أصحاب السلوك الحميد.

ـ والبرنامج أو المنهاج الذي يعرضه هذا الكتاب للتثقيف الذاتي يتألف من ثماني نقاط، تختص ثلاث منها بالوظائف الاجتماعية، والخمس الأخرى تتعلق بالتثقيف الشخصي، وهذه النقاط تتسم بأتساع مرماها وعمومية معناها، لتمثل نظاماً شبه متكامل للتعليم والتنظيم الاجتماعي.

ـ ولذلك فإن هذا الكتاب يبين للناس معنى الفضيلة ويحتم على كل فرد أن تكون لديه غاية محددة، وعلى أساس هذه الغاية يوفر لنفسه هدوء الذهن، وهدوء الذهن يحرز له راحة البال وصفاءه، وراحة البال وصفاءه تيسر له تدبير الأمور بعناية، وبواسطة تدبير الأمور بعناية ينجز أعمالاً فذه ـ كما يوضح هذا الكتاب بأن على الجميع من الإمبراطور إلى عامة

الشــعب دون استثناء اعتبار تهذيب خلق الفرد مثل الجذر تماماً، فإذا فسد الجــذر استحال انتظام أمور الفروع ـ وإن حكم الدولة يستند على تنظيم العائلة لأن العائلة وحدة المجتمع وقاعدته فإن سادتها المحبة انتظمت أمور المجـتمع وشــاع القسـط أرجــاءه، والعكس إذا فسد الفرد فسدت العائلة وتضطرب بالتالي أمو_ المجتمع، (ومن هنا جاء المثل المشهور بأن الفرد يقرر مصير إمبراطورية أو مصير أمة أو مصير دولة).

ـ أشــير في الكتاب أيضاً بأنه لكي تكتمل المعرفة عند الإنسان يجب إلا يعــالج الأمــور الهامة بمثل ما يعالج الأمور الغير هامة ـ وألا يعالج الأمور الغير هامة بمثل ما يعالج الأمور الهامة ... وأن يعلم جيداً بأن من يعامل الناس بالإحسان يعاملونه بالمثل، ومن يسئ إليهم يسيئون إليه.

ثانياً: كتاب مذهب الوسط:

قــام بتألــيف هــذا الكــتاب (تزو ـ سسو) حفيد كونفوشيوس ـ والهــدف مــنه هو إظهار مزايا الاعتدال والتوازن عند الإنسان، وتوجيه أفعاله: نحو التناسق مع الكون كله ـ وهو يتكون من خمسة أقسام كالآتي:

القسم الأول: يتحدث عن صفة الإنسان الماجد وحقيقته ـ حيث أشار (كما قــرر كونفوشــيوس) بأن حياة الإنسان الماجد مثال لعظمة مذهب الوسط ويناقضــها حياة الإنسان الخسيس، وذلك لأن الماجد يتبع الطريق الوسط، فــي حين يتطرف الخسيس في سلوكه، ولا يعصمه من التطرف خلق أو ضمير.

القسم الثاني: يبحــث واجبات الحاكم الأدبية ـ وقد أشار في ذلك (كما قــرر كونفوشــيوس) بــأن توافر الرجال الصالحين شرط لازم لازدهار الحكــم، فــإذا أفتقر إليهم أهتز كيان الحكم وأنهار، وعلى الناس أن يبذلوا اهتماماً فائقاً بشئون الحكم مثلما تعنى الأرض بإنماء الأشياء، وهنا يصبح

الحكـم كالشجرة الضخمة أصلها ثابت وتطاول فروعها السماء ــ فإرادة الحكومة تستند في المقام الأول على الرجال الصالحين، وفي قدرة الحاكم أن يظفر بالرجال الصالحين بفضل قوة شخصيته، ويتأتى تقوية الشخصية بإتباع السبيل الحسن.

القسم الثالث: يتـناول الالتزامات الاجتماعية وكيفية تأديتها ــ وقد أشار فـي هـذا الخصوص بأنه توجد خمسة أنواع من العلاقات تتصل بالناس اتصـالا وثيقاً وهي (علاقة الحاكم بالرعية، وعلاقة الأب بالابن، وعلاقة الـزوج بالـزوجة، وعلاقة الأخ الأكبر بالأخ الأصغر، وعلاقة الأصدقاء بعضـهم بـبعض) ــ وثلاث فضائل تتوطد بوساطتها هذه العلاقات وهي (المعرفة، الشفقة، الشجاعة).

القسم الرابع: ويـتكلم عـن النظم المثالية التي أقامها الملوك الحكماء ــ مثل (ياو) و(شون) وهي الأمانة والعدل والوقار والتواضع والاجتهاد في العمل، والعطف، والإحسان، والمحبة، ... الخ.

القسم الخامس: ويتحدث عن الطريق الذي يرشد إلى خير السبل ــ ويقرر فـي ذلـك (كمـا قال كونفوشيوس) بأن الإخلاص سبيل السماء وحيازة الإخلاص سبيل الإنسان، ويتيسر لمن يحرز الإخلاص تحقيق ما هو حق دون جهـد، وأن يفهـم من غير عناء فكرى أنه حكيم، ومن يسعى وراء الحقيقة يملك الخير ويتشبس به ويتضمن هذا إدراكاً للخير واسع النطاق ــ والإدراك الـنابع مـن الإخلاص مصدره الطبيعة، والإخلاص النابع عن الإدراك مرجعه التثقيف، وحيث يوجد إخلاص يوجد إدراك، وحيث يوجد إدراك يوجد إخلاص.(٧١)

*** وبالتالـي يعتـبر هذا الكتاب، وكتاب المعرفة الكبرى ثروة فكرية هائلـة دعمت مع الاتجاهات الفلسفية والأدبية الأخرى التي ظهرت خلال

هــذا العصــر (الــذي ينتهي عنده خطة دراستنا) حركة الثقافة الصينية، ودفعته نحو التطور والرقي والازدهار.(٧٢)

التعقيب:

مــن خــلال ما سبق يتضح أن نظم الثقافة الصينية قد ظهرت في عصــر ما قبل الأسرات، وتطورت بصفة مستمر خلال العصور القديمة، وجعلت الصين موطناً للحكمة، ومركز إشعاع متألق للثقافة العالمية، حيث أثــرت بــروعة فكرها الأدبي والفلسفي المتدفق على ثقافات المجتمعات الإنســانية الأخرى وعلى الأخص الثقافة الأوروبية التي تغذت منها كثيراً علــى مر العصور المختلفة، كما كانت مصدر الهام لمعظم فلاسفة وأدباء القــارة الأوروبــية فــي العصور الحديثة بعد ظهور حركة ترجمة نشطة ومتسعة لبعض المؤلفات الأدبية الصينية قبل ترجمة (أغناطيوس داكاستا) لكتاب الأديب الصيني (تاهسويه) وأطلق عليه عنوان (العلم القديم) ونشره بالفرنســية فــي عام ١٦٦٢ ميلادية، وترجمة (بروسبر انتوركتا) لكتاب الفكر الصيني (تشنج ينج) وهو (من كتب الأدب الصينية الكلاسيكية) مع تذيــيل يحوى حياة كونفوشيوس باللاتينية والفرنسية وجعل له عنواناً عاماً هو (علوم الصينيين السياسية والأخلاقية) ونشر في عام ١٦٨٣ ميلادية، كمــا مجــد اليســوعيون كونفوشيوس وبسطوا فلسفته لتكون في متناول الشــعب الأوروبي، بعد أن وصفوه بأنه (الأستاذ وصاحب الوحى والعليم إلى أقصى حد بدرجة متساوية في كل من الفلسفتين الخلقية والسياسية) ــ وهــذا قــد مكــن المفكرين الغربيين من الحصول على فكرة صالحة عن الأحوال الخلقية والسياسية للمجتمع الصيني في العصور القديمة.

وتأكيداً لذلك قال الفيلسوف الفرنسى (ليبنيتز) في الكتاب الذي قام بتأليفه عــام ١٦٨٩ مــيلادية بعنوان (أحدث العلم) وهو يعبر بقوة عن

إعجابــه بفلسفة الأخلاق الصينية [لقد بلغ بنا الحال حداً كبيراً من السوء، وقــد بلــغ فســاد الأخــلاق مدى طويلاً بحيث أكاد أعتقد أنه أصبح من الضروري أن ترسل إلينا بعثات من المبشرين الصينيين لكي يعلمونا طرق الدين الطبيعي وهي الأخلاق وكيفية ممارستها في حياتنا الآن مثلما نرسل لهم المبشرين لكي يعلموهم الدين المنزل].

— وقــال فولتــير أيضــاً في مؤلفة عن (الأخــلاق) الذي كتبه في عــام ١٧٦٠ مــيلادية [أن الفلاسفة قد استكشفوا في الصين عالماً خلقياً وطبيعياً جديداً — وأن كونفوشيوس على حسب تصوير اليسوعيين يبدو في صــورة الكمال للفيلسوف الصادق الأمين، وأعماله تدعو إلى الفضيلة ولا تــتخذ المعجــزات وســيلة للدعوى إليها، ولا تتضمن رموزاً ولا مجازاً مضــحكاً] ولذلك كان لفولتير دراسة متكاملة عن فلسفة الأخلاق الصينية، وأعتــبر المجتمع الصيني قد حقق نجاحاً كاملاً في اعتناق القيم والمبادئ الأخلاقــية، وبأن فلسفة كونفوشيوس بما انطوت عليه من معقولية في فن الأخلاق قد أصبحت تبدو في صورة الفلسفة الكاملة، ولتأكيد ذلك قرر بان (الشعب الصيني قد بلغ بعلم الخلق ذروة الكمال).

— وحيــث أن فلســفة فولتير، وكتابات اليسوعيون كانت لها تأثيراً كبيراً على الكنيسة — فقد أخترقت الفلسفة الصينية حجب (قدس الأقداس) بالمجامع العلمية الغربية وهي كلية اللاهوت بجامعة باريس، حيث درست هــناك ونالــت بقدر هائل إعجاب جميع الدارسين الذين تأثروا بها تأثيراً عميقاً في اتجاهاتهم الفكرية.

— وأيضاً أثرت الفلسفة الصينية على فكر مدرسة الطبيعيين، لدرجة أن (كســناى) مؤسس هذه المدرسة ومفكرها الأصيل قد أستقي الهامة في الفلســفة والأدب من المصادر الصينية — ويقال أن الدراسات الاقتصادية

التـــي وضعها (كسناى) لم تكن سوى ترجمة بارعة لمذهب صيني ينسب إلـــى (فوهى)، وكان يقصد بها مهاجمة حقوق الإعفاء من الضرائب التي كـــان يدعـــيها نبلاء أوروبا على أساس أن الصين لم يكن أحد بها مهما كانـــت مكانـــته الاجتماعـــية أو السياسية يعفي من الضرائب المقررة من الحكومـــة المركـــزية والتي كانت تدفع على أساس الإنتاج وما يتحقق من ربح، ولم ينكر أحد من تلاميذ هذه المدرسة بأن معلمهم الأول "كسناى" قد تأثـــر بالفلسفة الصينية ، بل على العكس كانوا يؤكدون ذلك بكل فخر ـــ حـــتى أن الفيلسوف (ميرابو) وهو من زعماء هذه المدرسة قد صرح في خطـــاب التأبيـــن الذي ألقاه في جنازة (كسناى) بأن [تعاليم كونفوشيوس موجهة في مجملها نحو الطبيعة البشرية، وإعادة ذلك الإشعاع الأول إليها، ذلـــك الجمال الأول الذي تلقته من السماء والذي غطى عليه الجهل وحب الشهوات) وفي هذا الخطاب أيضاً أدعى (ميرابو) بأن (كسناى) ما هو إلا وريث كونفوشيوس وخليفته].

وقد بـــذل كرستيان ولـــف وهو فيلسوف وعالـــم رياضى ألماني (١٦٧٩ ـــ ١٧٥٤ق.م) جهـــداً كبـــير في نشر الفلسفة الصينية في ألمانيا وبعـــض الأقطار الأوروبية ومن شدة تحمسه في ذلك وبما كان يقوله في المحاضـــرات بجامعة هال عن فلسفة الصينيين العملية أتهمه ولاة الأمور بالإلحاد وفصلوه من منصبه، فلما تولى الملك فردريك الأكبر الحكم وجلس على عرش بروسيا قدر تماماً ما كان ينشره كرستيان ولف فدعاه إليه ورد إليه اعتباره.

ـــ وكـــان روسو يتحدث في بعض الأحيان كما يتحدث المعلم القديم (لاو ـــ تســـى) وكان دائماً يقول لو أن كونفوشيوس ومنشيوس قد وهبا ملكـــه الفكاهـــة لكانت الصلة وثيقة بينهما وبين فولتير ـــ وفي هذا يقول

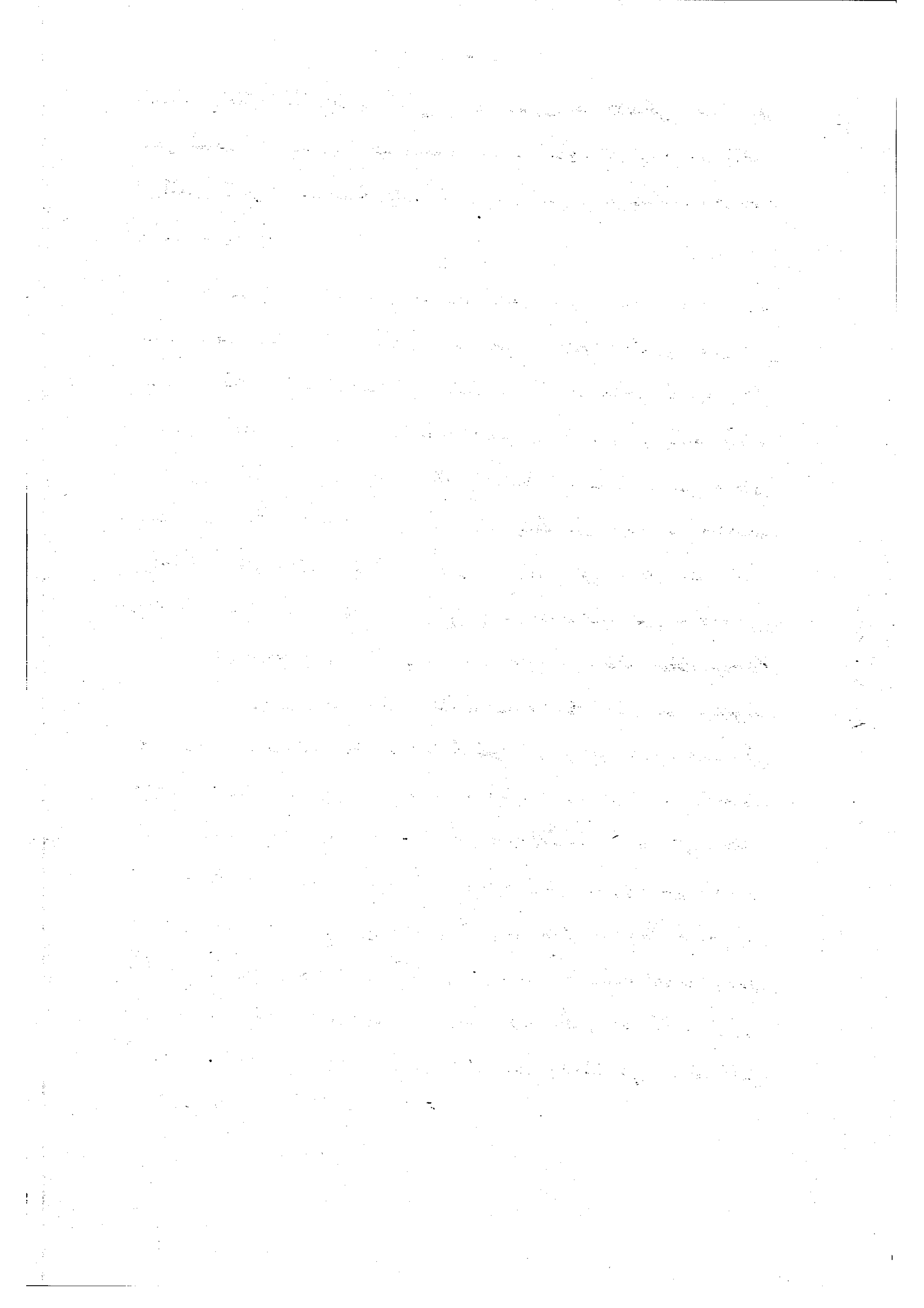
فولتـــير نفسه (لقد قرأت كتب كونفوشيوس بعناية، واقتبست فقرات منها، ولـــم أجـــد فـــيها إلا أنقى المبادئ الأخلاقية التي لا تشوبها أقل شائبة من الشعوذة).

ـــ وقد كتب الفيلسوف جيته في عام ١٧٧٠م يقول أنه أعتزم أن يقرأ كتـــب الصين الفلسفية القديمة ـــ وعندما دوت مدافع الحرب في ليبزج لم يلتفـــت إليها لأنه كان منهمكاً في دراسة هذه الكتب والوصول إلى معرفة حقيقة الأدب الصيني.

ـــ ومـــن الدلائـــل المؤكـــدة أيضاً عن تأثر الثقافة الأوروبية بالثقافة الصينية ـــ هو انتشار موضوعات الأدب الصيني على المسارح الأوروبية ـــ ففـــي إنجلـــترا ظهر ما يقرب من مائة مسرحية مثلت بها أثناء القرن الثامـــن عشر في موضوعات صينية مختلفة مثل مسرحية (اليتم الصيني) تأليف دوهالد، وهي منقولة بإبداع ودقة عن قصة مأساة صينية مدونة في كـــتاب (تـــاريخ الصين) وقد تخللتها أغان على الطريقة الصينية بقلم وليم هانشـــت، وأيضـــاً مســـرحية (أمير أجرا) بقلم (السير وليم أد نجتون)، ومســـرحية (مغامـــرة فـــي كمشتكا) بقلم (الكونت بنيوفسكى)، ومسرحية (أيـــروس الصـــينى) بقلم (الكسندر داو) ـــ وكانت للمشاهد الصينية على المســـرح الإنجلـــيزي مـــن خلال هذه المسرحيات أثر كبير وجذاب على الشعب الإنجليزي، وفي نفس العصر كانت المسارح الفرنسية تمثل عليها أيضـــاً مســـرحيات تـــدور حول موضوعات تتعلق بالأدب الصيني مثل مسرحية (الصـــينيون) وهي كوميديا من خمسة فصول، ومسرحية (هؤلاء الصـــينيون) وهي كوميديا ذات فصل واحد، وأيضاً مسرحيات (الصينيون العـــائدون) و(الصـــيني المـــؤدب بفرنســـا) و(البالية الصيني) و (العيد الصـــيني) و(الأم الصـــينية) ـــ وكان لمسرحية فولتير (يتم الصين) وهي

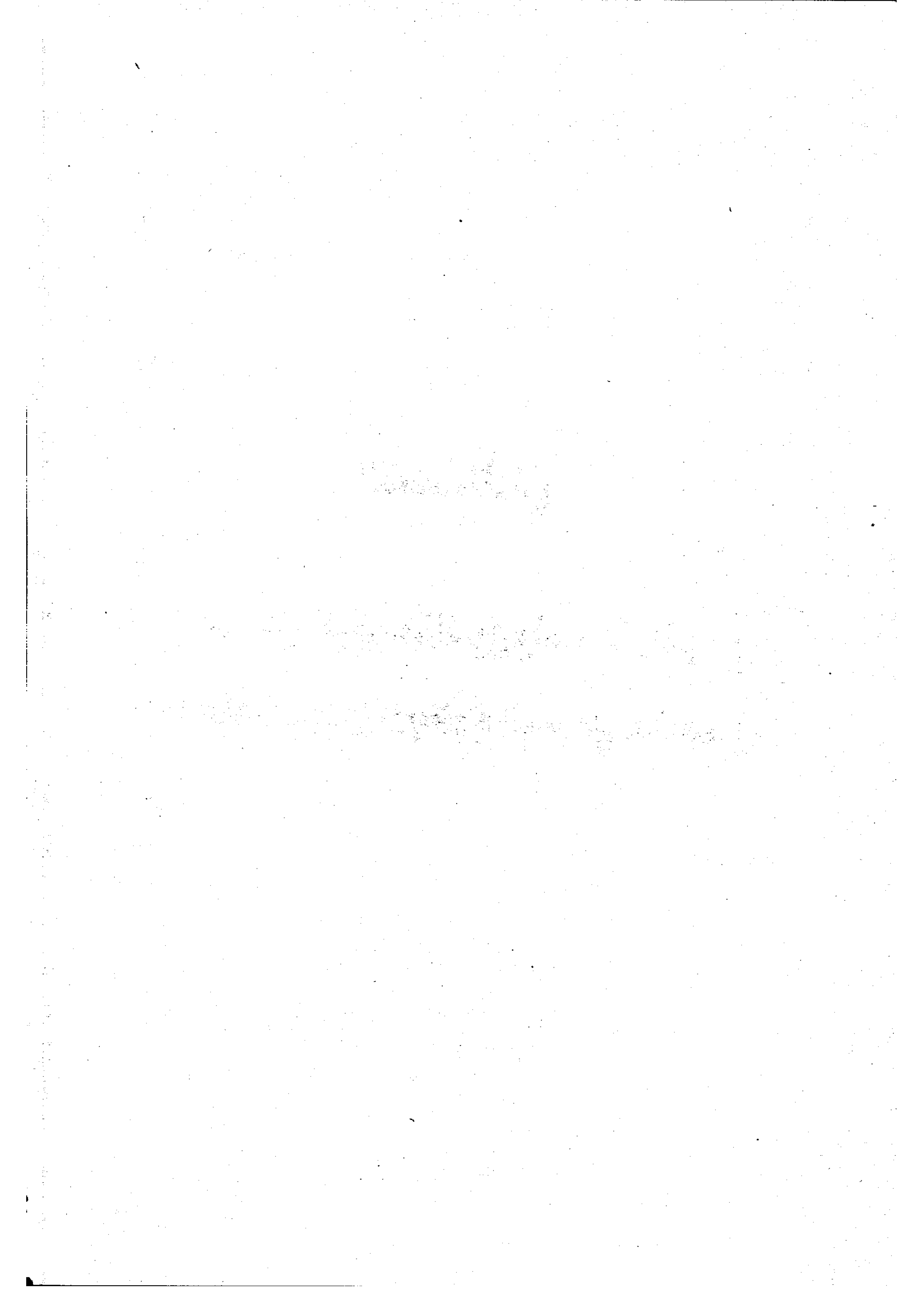
تصف الأخلاق الكونفوشيوسية في خمسة فصول لأثر اجتماعي عميق على نفس الشعب الفرنسي كما لقيت قصتها رواجاً عظيماً بأوروبا، وقد اقتبسها فولتــير مــن دراما صينية هي "يتيم تشاو" التي تم ترجمتهــا بالفرنسية بقلــم (بريمار).

- وعلــى هــذا الأساس أصبحت الصين لدى فلاسفة وأدباء الغرب حجــة يحتج بها، ومثالاً يحتذى به، كمجتمع قائم على الأخلاق وليس على مــبادئ الكنيســة ــ ولديــة ثروة هائلة من التراث الثقافي المليء بالفكر الأدبــي والفلســفي الراقي منذ أقدم العصور ــ وبالتالي لم يلتفت الشعب الأوروبي لأفكار كل المعارضين لتفوق الثقافة الصينية رغم أنهم قد شنوا هجــوا عنــيفاً على مؤيدي هذا التفوق ــ وذلك مثل الفيلسوف المتعصب والمشهور بحب الأنانية (فنيلون) الذي ألف كتاب في باريس عام ١٦٨٠ ميلادية بعنوان (محاورات بين الموتى) وقرر عندماعلق على مواجهة بين سقراط وكونفوشيوس بأنه (لم يجد صعوبة كبيرة في كشف سخف وحماقة إدعــاء الصينيين أن لهم حضارة فائقة) وبسبب ذلك قد نال هذا الفيلسوف اســتهجان واستياء من جانب معظم المثقفين في أوروبا لتطاوله كذباً على حضــارة مــن أرقى وأروع حضارات العالم ــ كما خسر هذا الفيلسوف الفرنسي كثيراً ونال انتقادات عنيفة من بعض فلاسفة وأدباء الغرب عندما قرر بأنه (لم يرى أي شيئ ذا قيمة في وجهة النظر الصينية على الصورة إلــى كــان يوضحها ويدافع عنها فولتير ومدرسته) ــ ولذلك لم تفلح أي أفكــار مــزيفة أو حاقدة أن تشكك في قدرة ومكانة الثقافة الصينية ومدى تأثيرها على الثقافة الغربية كما أن أصحاب هذه الأفكار الضالة قد انهاروا أمــام الحقــائق وحجمــت أقــوالهم وتصدعت ودخلت في كهوف الفكر المستهجن المهجور.[٧٣]



القسم الثاني

مراحل ظهور القانـون وأهـم شرائع
وأحكام قوانين المجتمع الصيني القديم



تقديم:

أن الدعائم الحضارية لكل مجتمع إنسانى له جذور تاريخية عميقة لا يمكن أن تظهر في صورة واضحة الرؤية والمعالم إلا بدراسة النظم القانونية التي كانت سائدة ومطبقة فيه خلال الحقبة التي تكونت فيها أصول إنجازاته الحضارية – لان القانون بكل فروعه يعطى مظهراً صادقاً عن واقع الحياة الإنسانية في كل مجتمع حضاري، ويكشف بإقناع عن أصول نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، كما يهدى العقل إلى حقيقة ما وصل إليه شعب هذا المجتمع من تقدم ورقى وإزدهار في مراحل تطوره الحضاري ولذلك تعتبر دراسة النظم القانونية التي ظهرت وطبقت في المجتمع الصيني القديم من أهم العوامل الأساسية التي ستساعد بقدر كبير على إختراق جوهر تكوينه الذاتى، وتكشف جذوره التاريخية منذ بداية عصره الحجري القديم ثم الحديث الذى يمثل عصر ما قبل الأسرات حتى نهاية حكم إمبراطورية أسرة هان الشرقية في عام ٢٢١ ميلادية وهي المرحلة التي ستنتهي عندها دراستنا – كما ستساهم بشكل أكثر وضوحاً في الوصول إلى حقيقة سماته الحضارية بالفهم المقنع العميق، البعيد عن الخيال والافتراضات الغير واقعية، والأفكار السطحية التي لا يمكن الاستناد عليها في إظهار المكانة الحقيقة لحضارة هذا المجتمع التي نبتت في الماضي السحيق وظهرت فروعها المليئة بالإنجازات الرائعة في العصور القديمة، والتي مازالت حتى الآن تعطى بمجد رونقها مساحات متسعة في سجلات الحضارة العالمية، وتفوح بعبق رائحتها معظم أرجاء عالم اليوم.

وإذا كنا قد عرضنا في الفصول السابقة المراحل التاريخية لنشأة المجتمع الصيني والإنجازات الحضارية التي حققها من خلال تطوره في

المجـــالات السياســـية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ـــ فأن هدفنا من وراء ذلـــك كان من أجل إظهار المكانة الفريدة لهذا المجتمع الذى استطاع أن يصنع حضارته الرائعة بجهود شعبه الذاتية، إلى جانب طرح معطيات تضـــئ لـــنا نهـــر الطـــريق لكى نغوص بدراستنا فيه على أسانيد مليئة بالوضـــوح وبعيد عن الشك والتخمين، ونصل إلى أعماقه التي تكشف لنا بالأدلـــة والبراهين بذور فكرة القانون، ومراحل تطوره في هذا المجتمع، ونحدد كل النظم القانونية التي ظهرت، وطبقت فيه خلال تلك الحقبة.

والســـبب الرئيســـي فـــي جعل دراستنا للنظم القانونية تستند على المعطـــيات المســـتلهمة من النظم الحضارية الاخرى السابق عرضها في القسم الأول يرجع إلى الآتى:

* نـــدرة المراجع الأجنبية التي قامت بصفة مباشرة بعرض دراسة تفصيلية عن تاريخ وفلسفة النظم القانونية التي ظهرت وطبقت في المجتمع الصيني القديم.
* المـــراجع التاريخية الخاصة بالحضارة الصينية القديمة ـــ أشارت بصفة عابرة فقط إلى بعض القوانين التي ظهرت في العصور القديمة، ولم تعرض أي شرح أو تفسير موضوعى عن مضمون هذه القوانين.
* معظـــم المراجع التي تعرضت للحضارة الصينية القديمة لم تتفق في آراءهـــا وتفســـيراتها السطحية المبسطة على تقديم عرض موحد عن طبيعة القوانين الصينية القديمة، وإنما اختلفت في ذلك بشكل ظاهر التباين من حيث مـــدى شرعيتها أو عدم شرعيتها أو من حيث عدالتها أو عدم عدالتها الأمر الذي يجعل أي باحث ينوه بفكره إذا استند عليها فقط في دراسته دون أن يلجأ إلـــى مصادر موضوعية أخرى مستلهمة من معطيات الإنجازات الحضارية التـــي تحققـــت فـــي المجتمع الصيني خلال عصوره القديمة لكي يصل إلى الحقيقة.

- افتقار المكتبات العربية عموماً، للمراجع والمؤلفات الخاصة بالنظم المتكاملة للحضارة الصينية القديمة، وإنما الموجود حالياً ليس سوى كتب خاصة بموضوع معين أو بفكرة فلسفية محددة نبعت في المجتمع الصيني القديم وتعتبر من ضمن إنجازاته الحضارية.

- عدم وجود أي مراجع أو مؤلفات تشير بوضوح عن مراحل تطور القانون في المجتمع الصيني القديم – كما أن المراجع والمؤلفات العربية والأجنبية التي تعرضت بشكل مبسط لنظم قوانين الحضارة الصينية القديمة، قد جعلت في عرضها أساس القانون يعتمد أو يرتكز فقط على دعامة واحدة في كل العصور القديمة، في حين أن ذلك خطأ كبير، لان كل عصر من عصور الصين القديمة قد ظهرت فيه دعائم مختلفة لأساس القانون عن العصور الاخرى نتيجة لاختلاف ظروف كل عصر عن الأخر وتأثر أساس القانون بهذه الظروف، ولذلك فأنه استناداً على معطيات الإنجازات الحضارية التي تحققت في الصين القديمة إلى جانب ما توفر لدينا من معلومات أخرى حصلنا عليها من مصادر مختلفة موثوق بها وأن كانت ضئيلة – سوف يساعدنا بقدر كبير على عرض دراستنا عن مراحل تطور القانون في المجتمع الصيني القديم وأهم نظمه القانونية التي دونت وطبقت فيه، وكانت من أهم رموزه المعبرة عن مكانته الحضارية في العصور القديمة.

ولكي يكون عرضننا متسلسل وواضح الشرح والتفسير– سنطرح دراستنا في هذا القسم على النحو الآتي:

الباب الأول: مراحل ظهور القانون في المجتمع الصين القديم

سنوضح فيه المراحل التي تطورت فيها قواعد القانون بداية من مبدأ استخدام القوة في تنظيم العلاقات وضبط سلوك الأفراد في العصر

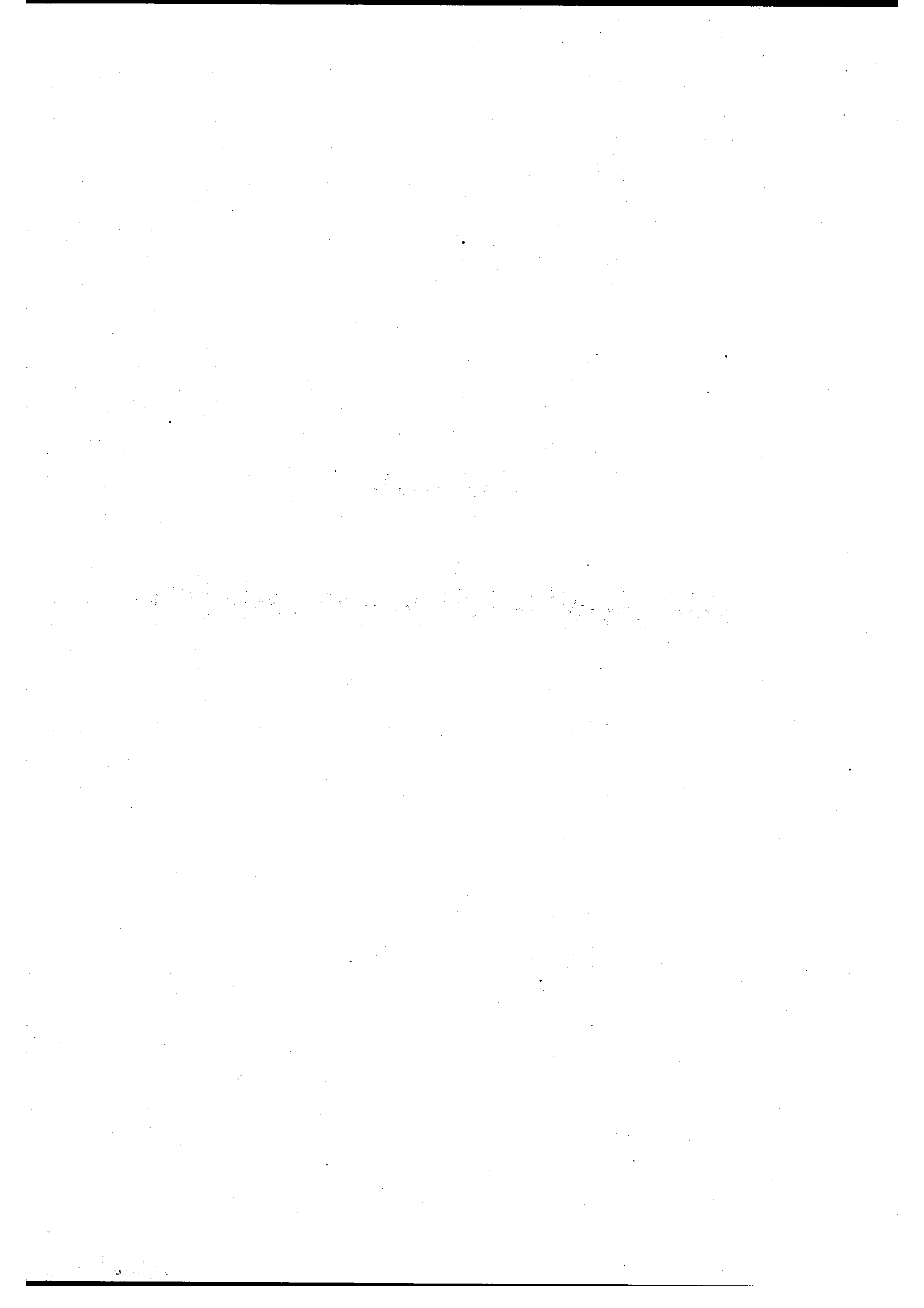
الحجري القديم حتى ظهور الشرائع المدونة في مطلع العصور القديمة.

الباب الثاني: أهم شرائع وأحكام قوانين المجتمع الصيني القديم

وسنبين فيه أهم الشرائع المدونة وأحكام القوانين التي ظهرت وطبقت في المجتمع الصيني خلال العصور القديمة بداية من العصر الملكي في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد حتى نهاية عهد إمبراطورية هان الشرقية في عام ٢٢٠ ميلادية.

الباب الأول

مراحل ظهور القانون في المجتمع الصيني القديم



تقديم:

حيث تعتبر الصين من أهم المجتمعات الحضارية التي عاش فيها الإنسان البدائي في الأزمان السحيقة التي يصعب تحديدها على الوجه الدقيق – ولأن هذا الإنسان قد تسلق الجبال واختبأ في الكهوف والمغارات ليؤمن حياته من الأخطار التي كانت تحيط به – ثم هبط وتجول بعد ذلك في السهول والوديان وحول الأنهار والبحيرات العذبة ليبحث عن الرزق الوفير – حتى استطاع أن يدبر بكفاحه المرير المأكل والملبس والمأوى، وينجح في أن يكون مع أمثاله جماعة لكي يأتلف بداخلها ويتكاتف مع أفرادها في تحدى ظروف الطبيعة القاسية وهو ينتقل معهم من مكان لآخر بحثاً عن الصيد والقنص وما تجود به الأرض من ثمار ... ومع مرور الزمن تكونت على أثر ذلك جماعات بدائية عديدة في مناطق مختلفة ونظمت العلاقات بين أفرادها على قواعد العدالة الخاصة المليئة بالقسوة والتي كانت تستند على مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه – وهذه الجماعات قد انتشر معظمها في شمال الصين، ومثلت حياتها البدائية الأولى حقبة زمنية يطلق عليها المؤرخون العصر الحجري القديم.

وبعد أن عرفت هذه الجماعات الزراعة والعمليات البدائية للري واستصلاح الأراضي، وذاقت إلى حد ما طعم الاستقرار في بعض المناطق الخصبة، وتحسنت أنماط معيشتها عن المرحلة الأولى – ازداد ترابط أفرادها واتجهوا في تنظيم العلاقات بينهم على قواعد مستلهمة من تهذيب القوة ارتكزت على نظام التصالح والتحكيم، وذلك في بداية عصر آخر يطلق عليه المؤرخون أيضا العصر الحجري الحديث. ونتيجة لتطور الحياة الإنسانية خلال هذا العصر، اتحدت معظم هذه الجماعات وظهرت في شكل عشائر وقبائل، وهذه العشائر والقبائل قد تطورت مع مرور

الزمـــن اقتصادياً واجتماعياً وصاحب هذا التطور، تطور آخر حتمي في أساس فكرة القانون، وفي القواعد التي طبقت ونظمت العلاقات بين أفراد هـــذه العشـــائر والقـــبائل من ناحية، وبين هذه القبائل والعشائر من ناحية أخـــرى، فظهـــرت القواعد الدينية ثم القواعد العرفية حتى دخل المجتمع عصـــوره القديمة وظهرت فيه حركة التدوين ـــ ولكي نوضح مراحل هذا الـــتطور في الفكر القانوني أو في مراحل ظهور القانون والشرائع المدونة سنعرض دراستنا على النحو التالي:

الفصـــل الأول: مرحلة العدالة الخاصة [القوة تنشئ الحق وتحميه].

الفصل الثـاني: مرحلة تهذيب القوة وفكرة التصالح والتحكيم.

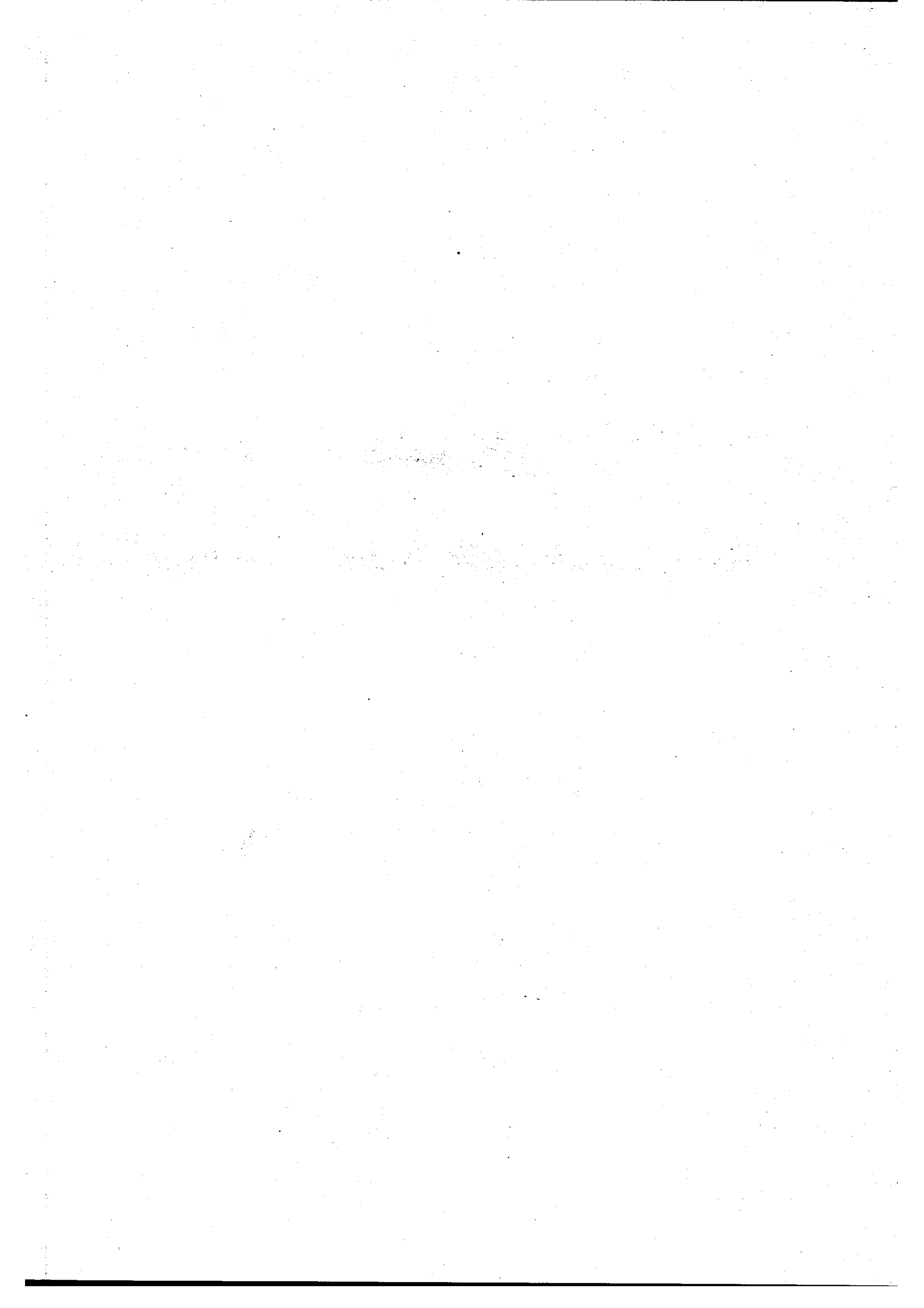
الفصل الثـالث: مرحلة ظهور القواعد الدينية.

الفصل الرابـــع: مرحلة ظهور القواعد العرفية.

الفصل الخامس: مرحلة التدوين وظهور الشرائع المدونة.

الفصل الأول

مرحلة العدالة الخاصة ـ القوة تنشئ الحق وتحميه



أحدثت ظروف المعيشة القاسية قلق مستمر في نفوس أفراد الجماعات البدائية التي ظهرت في العصر الحجري القديم، وتجولت في المناطق الصينية حول السهول والوديان الخصبة، وعلى الأخص المناطق التي تقع في شمال الصين التي يكثر فيها الأنهار والبحيرات العذبة ـ حيث كانت طبيعة الحياة تجبر أفراد هذه الجماعات على ضرورة التكاتف في مواجهة الكوارث والأخطار التي كانت تحيط بهم، وتفرض عليهم أن يصمدوا في البحث عن الرزق بجمع الحشائش والتقاط جذور النباتات، واللهث بقوة وراء الحيوانات لاصطيادها ليتخذوا من لحمها غذاء ومن جلدها كساء ـ ولذلك كانت الحياة الإنسانية داخل هذه الجماعات البدائية التي تمثل أقدم أسلاف الشعب الصيني غير مستقرة في هذا العصر، واعتمدت على القوة المجردة في جمع القوت اليومي، وأصبح لا وجود للضعيف الذي لا يقدر على مجابهة الصعاب وتحمل مشاق الحياة بين أفراد الجماعة الأقوياء[١]، كما اضطرت هذه الجماعات في بداية تكوينها إلى التخلص من معظم النساء بسبب ضعفهن على بذل الجهد الشاق واقتحام المصاعب في الحصول على الغذاء، وترتب على ذلك [كما سبق أن وضحنا] في مراحل تطور المجتمع الصيني القديم أن أصبحت النساء بسبب ندرتهن مشاعاً بين رجال الجماعة الأقوياء، وظهر على أثر ذلك نظام زواج المشاركة الذي أختص فيه عدد من الرجال بامرأة واحدة، وهذا الزواج الجماعي قد تأسس عليه نظام الأسرة الأمية داخل الجماعات البدائية الصينية، مثل ما حدث في معظم الجماعات البدائية الأخرى التي ظهرت في بعض أرجاء العالم خلال هذا العصر.[٢]

ـ وترتيباً على ما تقدم فأنه إلى جانب المعطيات السابق عرضها ظهرت فكرة القانون في الجماعات الصينية الفطرية، وحيث أن هذه الفكرة

كانـــت فـــي مرحلتها الأولى فقد توافقت مع ظروف وفكر هذه الجماعات البدائية، وظهرت في صورة إحساس نفسي بوجود حقوق وواجبات، وكان المظهر الخارجي لهذا الإحساس لدى أفراد كل جماعة هو استعمال القوة، حيـــث اعتـــبرت هـــي الوسيلة الوحيدة التي تنشئ الحق وتحميه في هذا العصـــر الذي عاش فيه أفراد الجماعة بشكل فطرى على الصيد والقنص والـــتقاط مـــا تجود به الأرض من حشائش وثمار، وساد بينهم مبدأ البقاء للأقوى.

ـــ ومـــرحلة اســـتعمال القوة والتي يطلق عليها أيضا مرحلة العدالة الخاصة أو مرحلة القضاء الخاص، لم تظهر فقط في المجتمعات الصينية البدائـــية بـــل ظهرت أيضا وبأوضاع تميل للتشابه في معظم المجتمعات البدائـــية الأخرى التي تكونت في العصور السحيقة وتطورت حضارياً بعد ذلـــك خـــلال العصـــور القديمة، على أساس أن هذه الجماعات كانت في مرحلـــتها الأولى الفطرية والقواعد التي تنظمها تعبر عن طبيعتها البدائية لكـــي تـــتجاوب مع ظروفها وأوضاعها وتحقق الضبط الاجتماعي والأمن الداخلـــي لأفرادها إلى جانب حماية كيانها من كافة الاعتداءات والمخاطر الخارجية.(٣)

ـــ ولذلـــك كـــان يســـود بين أفراد كل جماعة صينية بدائية فكرة أن صـــاحب القوة هو صاحب الحق، وأن القوة هي التي تحافظ على الحقوق وتفـــرض الواجـــبات، وتحل أي نزاع يحدث حول الحق – وأن هذه القوة ترتكـــز على جسم الإنسان وبدون ضوابط محددة، وتمثل بطابعها المادي البحـــت والبعيد عن أي عنصر نفسي أو معنوي مبدأ فطرى معين للعدالة، وتستند عليه في وضع النظام، وفي تحقيق الأمن والطمأنينة داخل الجماعة

ـــ والدلـــيل علـــى ذلـــك هو وجود أساطير صينية عديدة مجدت من

مظاهــر القوة الجسدية والشجاعة المادية واعتبرتها بأنها كانت تمثل عماد كــل الحقوق وصفة العدل الفطري في ذلك العصر، وبأنها كانت المصدر الفعلي لتنظيم الروابط بين الأفراد.(٤)

وحيــث تشير المعلومات التاريخية بأن الجماعات البدائية الصينية كانــت منفصــلة وغــير مترابطة سواء كانت قريبة من بعضها مثل التي تكونــت فــي شمال الصين أو متباعدة كالتي نشأت في المناطق الصينية الأخرى، وان كل جماعة كانت عبارة عن وحدة مستقلة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وذات مكانة خاصة أمام الجماعات الأخرى - فقد أدى ذلك مع ســيادة مبدأ استخدام القوة، أن كل جماعة كانت تعتقد بأن القوة هي أساس وجودها وبقائها، وبأنها الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن تكسب الحقوق وتــرد عــنها أي اعــتداء يقع عليها من أي جماعة أخرى، كما اعتبرت عملــيات الســلب والنهب من الجماعات الأخرى من مظاهر الفخر والثأر ومن الواجبات التي تفرضها المروءة والشهامة.

ـــ ولــذا كــان يســود بين أفراد هذه الجماعات البدائية نظرة عداء مستمرة خلال هذا العصر، وأن كل جماعة كانت تعتبر أي شخص أجنبي عــنها وينتمــي إلــى جماعــة أخــرى هو عدواً لها ويجب تحطيم قوته والاســتيلاء على كل ما يحمله من أشياء، كما كان يحل قتله أو استرقاقه، وذلك لأنه غرس في نفوس أفراد كل جماعة مبدأ عدم احترام حقوق أفراد الجماعات الأخرى ومشروعية الإغارة عليهم وسلب ما يحوزنه من أشياء مــن أجل أن يكتب لهم البقاء والصمود في مواجهة قسوة المعيشة والتغلب على مخاطر الحياة خلال زمان هذا العصر.(٥)

المبحث الأول

أهم العوامل التي أدت إلى استخدام مبدأ القوة

— وترتيباً على تقدم فقد استمرت الجماعات الصينية البدائية تعتمد في تنظيم علاقاتها الداخلية والخارجية على استخدام مبدأ القوة كقاعدة رئيسية، وكفكرة أولية أو مبكرة في مراحل ظهور القانون، قامت على العدل الفطري في تقرير الحقوق وفرض الواجبات ـ ولذ كانت القوة هي الطابع المميز في حياة هذا العصر، وفي غالب الأحيان كانت تستخدم بأساليب مليئة بالقسوة والوحشية – والسبب في ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها يتلخص في الآتي:

* عدم وجود سلطة عليا ذات نفوذ داخل كل جماعة يعترف بها الأفراد بأن لديها القدرة والفاعلية على أحكام السيطرة والقيام بالفصل في المنازعات التي تنشب بينهم – ولذلك فان كل الجماعات البدائية التي تكونت في بعض المناطق الصينية مثل بكين، وقوانغدونغ في حوض نهر اللؤلؤ، وتشانغيانغ (هوبى) في حوض نهر اليانجستى، و دينغتسون (شانشى) في حوض النهر الأصفر لم تكن لدى كلا منهما في هذه الفترة سلطة عليا ذات نفوذ وسيادة، وإنما كان أفراد كل جماعة طلقاء من أي سلطة عليهم، وتسود بينهم المشاعية البدائية .

* قسوة المعيشة ومخاطر الحياة في تلك الحقبة جعلت أفراد كل جماعة بدائية يعتقدون بأن القوى هو الذي يستطيع أن يكسب حقوقه عندما تتاح له الفرصة لاستخدام قوته، ويتمكن بجدارة من قمع أي عدوان يقع عليه، ويحافظ على كل حقوقه، وان الضعيف يعجز وينهار داخل الجماعة لعدم قدرته على رد أي اعتداء يقع عليه وسيتعرض حتما وبدون أي شك لفقد حقه ثم حياته ويصبح في طي النسيان داخل الجماعة.

* كـــان يقوم بين أفراد كل جماعة تضامن مطلق يستند ببدائية على المصلحة المادية فقط ــ وهذا التضامن قد ساعد هؤلاء الأفراد في [غياب السـلطة العلـيا] على التماسك والترابط، ولذا كانوا يتماسكون جميعاً في حمايــة أنفســهم من الأخطار والكوارث التي كانت تحاق بهم، ويتعاونون جمـيعاً فــي جمع القوت وتقديم العون لأنفسهم – ولكن إذا اغتصب أحد الأفراد حق غيره كان هذا التضامن ينهار بين الغاصب والمغتصب لقيامه علــى المصــلحة المادية فقط، ويصبح كلاً منهما عدواً للآخر، حيث يلجأ المغتصب حقه إلى القوة باعتبارها الوسيلة الوحيدة لاسترداد حقه من ذلك المغتصــب حــتى لا يلحــق بــه العار أمام الجماعة ويتصف بالضعف والاستكانة ويطمع فيه الآخرين بعد ذلك.

* التضامن المطلق الذي جعل أفراد كل جماعة بدائية يد واحدة على أســاس المصلحة المادية البحتة ــ قد دفع هؤلاء الأفراد إلى الاعتقاد بان الجماعات الأخرى تطمع فيهم وتسعى إلى دمارهم لاغتصاب حقوقهم ولذا كــانوا يتكاتفون جميعاً من أجل الانتقام من أي جماعة سواء لدفع الظلم أو لسـلب واغتصاب حقوقها حتى يكون لهم شرف الغلبة إلى جانب الافتخار بقوتهم أمام الجماعات الأخرى.

* العقــائد الدينــية الخرافية التي نشأت من الخوف والرهبة ومثلت بعــض جوانب الثقافة المبكرة للجماعات الصينية البدائية التي تكونت في هــذا العصــر ــ جعلــت كــل جماعــة تعتقد بأن معبودها هو أحق كل المعــبودات فــي العــبادة، وأن جميع المعبودات التي تعتنقها الجماعات الأخــرى خوفــا مــن بطشها غير صحيحة وباطلة ــ وعلى أساس هذا الاعــتقاد تولد في عقول ونفوس أفراد كل جماعة بأنهم أسمى وأقوى من غيرهم برضاء معبودهم عليهم، وبأنه لا يحق لأي فرد أجنبي عنهم سواء

كان ينتمي لجماعة أخرى أو طليق من هذا الانتماء أن يتساوى في الحقوق مـــع أي فرد منهم، وإنما يجب اغتصاب حقوقه كما كان يحق لهم قتله أو استرقاقه لأنه لا ينال رضا معبودهم.

* اســتعمال القــوة فــي الضــبط الاجتماعي داخل الجماعة أو في العلاقــات المليئة بالمشاكل والحروب بين الجماعات البدائية المختلفة كان يــأخذ صــفة الشمول ودون أي فرق بين المنازعات الجنائية والمنازعات المدنــية ــ وهــذا الوضــع قد أدى إلى ارتفاع حدة وقسوة استخدام القوة وتوســيع دائرة الانتقام، حيث كان من الممكن أن يقوم شخص برد اعتداء مدنــي وقع عليه باعتداء جنائي ويتجاوز حدوده فيه بالتعسف والقسوة من أجــل أن يظهر مهارة قوته وصلابة كيانه في غسل العار الذي لحقه من الضــرر الذي إصابة أو جرح حقه، كما كان الممكن أن يتكاتف أفراد أي جماعة وقع عليها أو على أحد أفرادها اعتداء بسيط من جماعة أخرى أن تــرد هذا الاعتداء بجسامة ووحشية، وتعتبر ذلك من قبيل الواجبات التي تفرضها المروءة والشهامة للثأر وغسل العار، لتأخذ مظهر الفخر والعزة أمــام الجماعــات البدائــية الأخــرى وخاصــة التي تجاور حدود موقع تمركزها.(٦)

المبحث الثاني

الجرائم التي عرفت في ظل مبدأ استخدام القوة

كانت الجماعات الصينية البدائية أو الفطرية في ظل استخدام مبدأ القـــوة في تنظيم العلاقات الداخلية والخارجية وفي ترتيب الحقوق وفرض الالـــتزامات تفرق إلى حد ما [مثل معظم الجماعات البدائية الأخرى التي تكونـــت فـــي بعض مناطق العالم القديم] بين ثلاثة أنواع من الجرائم على النحو الآتي:

أولاً: الجرائم الخاصة:

وهـــي عـــبارة عـــن الاعتداءات التي كانت تقع بين الأفراد داخل الجماعة سواء كانت مدنية مثل استيلاء فرد على حق آخر، أو جنائية مثل قـــيام فرد بضرب أو قتل فرد آخر لأي سبباً ما – وفي هذه الجرائم كان يعطـــى للفرد الذي وقع عليه الاعتداء الحق في أن يقدر العقوبة ويقتضيها بنفسه من المعتدى أي كان المعتدى عليه يقدر ما أصابه من خسائر نتيجة هـــذا الاعتداء، ويقوم على الفور برد هذا العدوان واقتضاء حقه سواء كان مادياً أو معنوياً ـــ حيث كان الاعتداء الذي وقع عليه أو على مـــاله أو مصـــالحه أو على جسده يمثل عاراً يلحق به حتى يتمكن بنفسه من غسله بالقوة من الشخص المعتدى.

ثانياً: الجرائم العامة:

وهي التي كانت ترتكب من جانب أحد الأفراد وتمس كيان جماعته وتهدد مصالحها، كالخروج على تقاليدها، أو عدم احترام أمورها الدينية أو القـــيام بـــأي أعمال من شأنها قد تدمر بعض مصادرها في الحصول على

الــرزق، أو ارتكــاب بعــض الأفعال التي قد تضعف من قوتها وتجعلها فريســة سهلة للجماعات الأخرى – وهنا كانت الجماعة تتكاتف في بداية عهدها المبكر استناداً على مفهوم التضامن المطلق وتقتص بأساليب مليئة بالقسوة والوحشية من شخص الجاني، وفي الغالب كانت تقتله لتتخلص منه ومــن أفعالــه الشريرة بالنسبة لهم، ولكن بعد أن أصبح لهذه الجماعة بعد مــرور الزمان والاقتراب من منتصف هذا العصر رئيس يمثلها ويقودها في الشعائر الدينية وفي إسداء النصح دون أن تكون له في بداية الأمر أي سـلطات فعلية على أفرادها، كان هو الذي يتولى بنفسه توقيع العقاب على الجـناة باعتباره الممثل الوحيد للسلطة العامة المبكرة في الجماعة وكانت العقوبة تصل إلى حد قتل الجاني.

ثالثاً: الجرائم الخارجية:

وهي التي كانت ترتكب بين الجماعات، وفي الغالب كانت تشتعل لأسـباب تافهــة لا تتناســب مطلقاً مع طبيعة الاعتداء الذي تعرضت له الجماعــة، مــثل إذا ما اعتدى فرد من جماعة على فرد آخر من جماعة أخرى كان أفراد جماعة المعتدى عليه يتكاتفون جميعاً، ويقوموا يداً واحدة اســتناداً علــى تضامنهم المطلق بالعدوان بكل قوة ووحشية على جماعة المعــتدى، وذلــك لمناصــرة فردها سواء كان صاحب حق أو مغتصب ويرجع السبب في كثرة هذه الجرائم وعلى الأخص في العهود الأولى لهذا العصــر إلى عدم وجود أي علاقات ذات طابع إنساني بين هذه الجماعات الفطــرية، كما لم يكن هناك أي اتحاد أو مفهوم ذات طابع ديني أو إنساني أو ثقافي بين هذه الجماعات.(٧)

المبحث الثالث

أثر مبدأ استخدام القوة على نظم الجماعات الصينية البدائية

كــان لمــبدأ اســتخدام القــوة آثــراً واضحاً على النظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية التي كانت تسود الجماعات الصينية البدائية في هذا العصر ــ وأهمها يتلخص في الآتي:

أولاً: الزواج:

عرفــت الجماعات الصينية البدائية في عهودها الأولى كما سبق أن وضحنا نظام الزواج القائم على تعدد الأزواج الذي كان فيه يشترك أكثر من رجل في زواج امرأة واحدة وظهر من خلاله نظام الأسرة الأمية، وذلك لان عــدد النســاء كان قليل داخل الجماعات نتيجة التخلص من معظمهن بسبب اعتبارهن أفواه جائعة لعدم قدرة قوتهن على جمع القوت مثل الرجال.

إلا أنــه مع مرور الزمان انتشرت بين هذه الجماعات بسبب ازدياد رغــبة الرجال في الزواج، وندرة عدد الإناث، ظاهرة خطف النساء بالقوة، حيث كان رجال الجماعة يخطفهن من الجماعات الأخرى، ويقوموا بالزواج منهــن بنفس نظام تعدد الأزواج الذي ظل سائداً في كل هذه الجماعات حتى قــرب انتهاء هذا العصر، إلا أنه نتيجة التحسن الذي حدث في أنماط معيشة هــذه الجماعــات: قد أصبح عدد الرجال المتزوجون من امرأة واحد أقل مما كــان علــيه مــن قبل، كما أخذ هذا الزواج طابع اجتماعي آخر انتشر بين الجماعــات وهو قيام مجموعة من الاخوة لأم بالزواج من امرأة واحدة فقط، وأطلــق علــيه بعد أن أصبح هو الوضع الغالب في نظام تعدد الأزواج في العهود الأخيرة لهذا العصر [زواج الاخوة المشترك].(٨)

وظاهــرة خطــف النســاء بيــن الجماعات والزواج منهن بالقوة قد أصــبحت مــع مرور الزمن عادة تأصلت في النفوس، ووصلت إلى درجة التزام ديني على كل أفراد الجماعة بعدم الزواج أو معاشرة أي امرأة لم تكن

قد خطفت من خارج محيط الجماعة ـــ وهذه العادة قد ازداد التمسك بها بعد ذلك في العصر الحجري الحديث وفي العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى في المجتمع الصيني، حيث أصبحت من الشروط الأساسية لصحة الزواج بأن يقوم الزوج باختيار زوجة من خارج نساء أسرته، وإذا حدث العكس وكان الزوج والزوجة من أسرة واحدة أعتبر هذا الزواج باطلاً، ويدخل في إطار المحرمات، هذا رغم أن عملية خطف الزوجة بالقوة من بين أفراد جماعتها قد تطورت وخفة حدتها تماماً في العصور التي تلت هذا العصر حيث أصبح الزوج يقوم فقط بتمثيل عملية الخطف أو الانتزاع لكي يعطى للزواج مكانته الشرعية.(٩)

وقد عرفت معظم المجتمعات البدائية التي تكونت في بعض مناطق العالم القديم هذه العادة ـ كما عرفها العرب قبل الإسلام حيث كانت المرأة تنزع بالقوة وغصباً على أهلها ليتم الدخول بها، ولذلك كان يطلق على هذا الزواج لفظ زواج النزيعة.(٢٠)

ـــ وحيث أن نظام الزواج القائم على تعدد الأزواج كان يتم بالقوة فأنه لم تكن للزوجة أي حقوق أو سلطات داخل الجماعات الصينية البدائية وإنما كل الحقوق والسلطات كانت للأزواج فقط على أساس أنهم قد اكتسبوا الزواج بالقوة.(١١)

ثانياً: نظام الملكية:

حيث كانت معيشة الأفراد داخل الجماعات الصينية البدائية التي ظهرت منذ أوائل هذا العصر تعتمد على الصيد والقنص والتقاط ما تجود به الأرض من حشائش ونباتات أي مرحلة جمع القوت اليومي ـــ فقد كان مفهوم الملكية غير معروف على الوجه الدقيق على أساس أن ملكية العقارات كانت غير موجودة على الإطلاق لان الجماعة في تلك الفترة لم تكن قد استقرت بعد في مكان محدد بصفة دائمة كما أنه لم يكن من السهل أن يرتبط الفرد بالأرض أو يتملكها في المراحل الأولى لحياته، بل كانت مملوكة

للجماعة في مجموعها ولا يختص بها أو بأي جزء منها شخص معين ـــ ولذا أطلق على هذا الوضع الاشتراكية البدائية – أما بالنسبة لملكية المنقولات مثل أدوات الصـــيد والدفـــاع عن النفس فقد عرفت بصورة مبسطة للغاية، وذلك لاختلاط مفهوم الملكية بفكرة الحيازة، لأن الفرد لم يعرف خلال هذا العصر الملكية الخاصة بمفهومها الدقيق وإنما جعل كل شئ يحوزه ويستعمله مملوكاً له وليس دون ذلك.(١٢)

ثالثاً: نظام الطبقات:

كل الجماعات الصينية البدائية التي شكلت المجتمع الصيني في ذلك العصر لم تعرف على الإطلاق نظام الطبقات، لأن كل أفراد هذه الجماعات كانـــت تسودهم المشاعية البدائية ومبدأ القوة ومتساوون تماماً في كل شئ فلم يوجد بينهم من هو غني أو فقير أو من هو سيد أو وضيع كما لم تظهر بينهم أي أوضـــاع خاصة باستغلال الإنسان للإنسان ـــ ولذا فإن المجتمع الصيني فـــي ذلـــك العصـــر كان قائماً على المساواة البدائية ويخلوا تماماً من نظام الطبقات (١٣)

رابعاً: نظام الرق:

فـــي نهايـــة هـــذا العصر ظهرت بوادر نظام الرق، وكانت عمليات الأسر هي مصدره الوحيد، وذلك بعد أن تحول تدريجياً نظام قتل الأعداء إلى نظام آخر هو الرق ـــ أي يجوز للجماعة المنتصـــرة أن تسترق أعداءها، لأنه ما دامت تملك الحق في قتلهم فلها من باب أولى أحق في استرقاقهم ـــ وهذا التحول حـــدث نتـــيجة التحســـن الملحوظ في النشاط الاقتصادي للجماعة والاحتـــياج إلـــى أيدي عاملة ـــ الأمر الذي أدى إلى قيام الجماعة المنتصرة باســـترقاق بعـــض أفراد الجماعة المهزومة بدلاً من قتلهم للاحتياج إليهم في إنجاز بعض الأعمال الشاقة والضرورية بالنسبة للجماعة، مثل حمل الأشجار الكبيرة وتقطيع الأخشاب، وجر الحجارة الضخمة، والتصدي كدروع بشرية لكوارث الطبيعة والحيوانات المفترسة.

وقــد كان نظام الرق يتم في نطاق محدود للغاية لان الجماعة كانت حــتى ذلك الوقت لا تزال تنظر إلى الفرد الغريب عنها بأنه عدواً لها ويجب قتله، ولذا كانت كثيراً ما تقوم بقتل الذين استرقتهم بعد أن ينتهوا من الأعمال الشــاقة التــي كلفتهم بها، وذلك لاعتبارهم أعداء لها حتى وهم في وضعهم الأخــير(١٤) ــ وعلــى هذا الأساس لم يتوطد بشكل ظاهر خلال هذا العصر نظام الرق داخل الجماعات الصينية البدائية.

خامساً: نظام السلطة داخل الجماعة:

لم يظهر خلال هذا العصر كما سبق أن رضحنا أي شكل من أشكال السـلطة العامــة التــي تملك النفوذ والسيطرة على الأفراد داخل أي جماعة صينية بدائية ــ وإنما ظهرت فقط شخصية رئيس الجماعة أو كبير الجماعة أو شــيخ الجماعة الذي اقتصر دوره فقط على إبداء الرأي والمشورة لأفراد الجماعــة إلــى جانب قيادتهم في إقامة بعض الطقوس الدينية الفطرية التي كانت التي قائمة على الخوف والرهبة، دون أن تكون له سلطة آمره عليهم، أو مكانــة متمــيزة عنهم لأنه كان لا ينفصل عن العمل ويحصل على قوته اليومــي مــثلهم تمامــاً، ويشترك مع الجميع في تقسيم الغنائم ويحصل على نصيبه منها مثل أي فرد داخل الجماعة دون أن يتمتع بامتياز معين.

وكان رئيس الجماعة يعين أما بالاختيار لكفاءته أو لكبر سنه أو بناء على ما يتمتع به من قوة وشهامة وحكمة، وذلك مثل الشخصيات الأسطورية التي كتبت عنها الكتب الصينية القديمة(١٥).

ــ وبالتالــي فأن أساس فكرة القانون قد طبقت في هذا العصر كمرحلة أولــى على مبدأ العدالة الخاصة أو القضاء الخاص القائم على ظاهرة القوة تنشئ الحق وتحميه – وأن ظاهرة استخدام القوة في تنظيم العلاقات والضبط الاجتماعي تعتبر أول مرحلة من مراحل ظهور القانون في المجتمع الصيني القديم كما تشير بصدق عن مدى طبيعته البدائية أو الفطرية خلال هذا العصر الذي يعتبر أول عصور تاريخ الجماعات الإنسانية في الصين.

الفصل الثاني

مرحلة تهذيب القوة
وظهور نظام التصالح والتحكيم

- ظهرت هذه المرحلة التي تعتبر المرحلة الثانية في ظهور القانون في بداية العصر الحجري الحديث بعد أن ذاقت الجماعات الصينية البدائية طعم الحياة المستقرة إلى حد ما، وعدلت بعد أن تطورت اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً عن نظام الالتجاء المستمر إلى القوة التي كانت في معظم الحالات توسع دائرة الانتقام نتيجة الاعتماد الدائم عليها كمصدر للحق وكوسيلة وحيدة لحل المنازعات - ويرجع الفضل في بلورة مفهوم هذه المرحلة وتطبيق نظام التصالح والتحكيم إلى رؤساء الجماعات حيث استطاعوا بعد أن ظهرت بوادر الإحساس بوجودهم داخل الجماعة أن يقنعوا الأفراد بضرورة التخلي عن استخدام القوة واللجوء في حل منازعاتهم إلى نظام التصالح والتحكيم وذلك من أجل حقن الدماء وتضيق نطاق دائرة الانتقام وحسن سير العلاقات بينهم إلى جانب المحافظة على كيان الجماعة من أثار استخدام القوة التي قد تجرها إلى الخرب والدمار.[1]

- ولكن إذا كانت هذه الأسباب قد أدت إلى انتشار نظام التصالح والتحكيم في الجماعات الصينية البدائية منذ أوائل العصر الحجري الحديث- إلا أن ذلك لا يعنى أن فكرة الالتجاء إلى القوة قد اندثرت بين الأفراد داخل الجماعة من ناحية، وبين الجماعات من ناحية أخرى، وإنما ظلت موجودة ولكن كانت تستخدم في نطاق ضيق ـ وهذا يرجع إلى عدم وجود سلطة عليا في الجماعة لديها من القوة والنفوذ والسلطان التي تستطيع بها إجبار الأفراد المتنازعين على ضرورة قبول التصالح أو الخضوع لنظام التحكيم، كما لم توجد حتى هذا الزمان أي روابط وثيقة ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي بين هذه الجماعات تدفعها بحكم الضرورة عن التخلي كلية عن القوة وقبول التصالح أو التحكيم في

حالة حدوث نزاع بينها ــ ولذلك كان يمكن أن يرفض الفرد المعتدى عليه أو تــرفض الجماعــة التي أصيبت بضرر من جماعة أخرى قبول نظام التصالح أو التحكيم مع الطرف الآخر المعتدى ــ ويتم بدافع من المصلحة والرغــبة الشــديدة في الانتقام وغسل العار اللجوء إلى القوة مهما كانت النــتائج التي سترتب عليها، ومن يفوز وينتصر بقوته يصبح هو صاحب الحــق ــ ولذلــك فأن هذا التطور قد أدى فقط إلى الحد من الاحتكام إلى استخدام القوة ــ أما التحول عنها تماماً وإجبار المعتدى عليه بعدم اللجوء إلــيها فلن يتم إلا عندما ظهــرت الدولة ســواء كانت في صــورة مملكة أو مديــنة أو أمارة مستقلة وذات سيادة، وبها نظاماً قانونياً يحدد بوضوح حقــوق وواجــبات الأفــراد، ونظامــاً قضائياً يلتزمون باتباعه في فض المنازعات التي تنشب بينهم، ونظاماً تنفيذياً يجبر المحكوم عليهم على تنفيذ مــا صدر ضدهم من أحكام ــ وبالتالي فأن نظام التصالح والتحكيم ما هو إلا مــرحلة انتقالــية أو مرحلة وسطى مر بها المجتمع الصيني بين عهد القوة وعهد سيادة القانون.[٢]

ــ ولكــي نوضــح مظاهــر هذه المرحلة التي تم فيها تهذيب القوة، نســتعرض نظام التصالح والتحكيم الذي طبقته الجماعات الصينية البدائية التــي مثلــت المجــتمع الصيني في بداية هذا العصر – وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول

نظام التصالح

اتجهت الجماعات الصينية البدائية برضاها إلى نظام التصالح لفض المنازعات إما عن طريق خلع الجاني أو تسليمه للمجني عليه أو جماعته، أو عن طريق القصاص من المعتدى وحده، أو عن طريق دفع تعويض "دية" عن الضرر الذي لحق بالمعتدى عليه ــ وصور التصالح التي عرفتها هذه الجماعات كانت تصلح للتطبيق في حل المنازعات سواء بين الأفراد داخل الجماعة الواحدة أو بين جماعة وأخرى، أي كان يتم اتباعها على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي من أجل الوصول إلى نتائج واحدة تهدف إلى حل النزاع في نطاق محدد بعيد إلى حد ما عن دائرة الانتقام ــ ولذا فإن نظام التصالح قد ساعد على بلورة مفهوم شخصية العقوبة ــ ومن أهم صوره.

١- خلع الجاني:

ويقصد به طرد الجاني من داخل الجماعة ــ حيث كانت الجماعة ترى أن نتيجة اعتداء أحد أفرادها على فرد من جماعة أخرى سيجرها حتما إلى الحرب – وهذه الحرب قد تنهزم فيها ويترتب على ذلك هلاكها أو دمارها، فتضطر أمام هذه الظروف إلى اتباع وسيلة الخلع حتى تنقذ كيانها بأن تتبرأ من الجاني وتقطع صلتها به، وتتخلص بالتالي من تبعة أعماله ويصبح في حكم الغريب عنها ــ وعلى هذا الأساس تضحي الجماعة بعضو من أعضائها في سبيل المحافظة على باقي أفرادها وعلى ما يمتلكون من ثروة ومال وبالتالي ينحصر الانتقام في دائرة ضيقة لأنه سيكون من الجاني وحده الذي تم خلعه دون باقي أفراد الجماعة.

ـــ وبعد أن انتشرت العشائر والقبائل في بعض المناطق الصينية طبق نظام خلع الجاني داخل العشيرة أو القبيلة، وذلك لان هذه العشائر والقبائل كانـــت تضـــم عـــدد من الأسر كانت في البداية أسر أمية ثم تحولت في منتصـــف هذا العصر إلى أسر أبوية ونشأت معها السلطة الأبوية ـــ حيث جاز لرب الأسرة أن يتبرأ من أي فرد من أفراد أسرته إذا ما اعتدى على أحد أفراد أسرة أخرى، أي يخلعه رسمياً حتى يحمى أسرته من شر انتقام أسرة المجني عليه، وبالتالي يكون الجاني طريداً ولا توجد له أسرة تحميه ويقع بالتالي تحت رحمة المعتدى عليه أو أسرته.(٣)

ـــ وقـــد عرفـــت الجماعات البدائية الأخرى التي ظهرت في بعض مناطق العالم القديم هذا النظام تحت أسماء مختلفة ـــ فعند الإغريق كانت العشيرة أو القبيلة تخرج المعتدى من دائرتها بعد أن تجرده من ماله وثيابه ليصبح أجنبياً عنها ومحروماً من حماية آلهة العدل ولذلك سموه **[المحروم مـــن حمايـــة الآلهة]** كما عرفت القبائل السكسونية هذا النظام أيضا الذي تطـــور وأصبح يعرف في القانون الإنجليزي بنظام الخارج عن القانون، حيث كان المطرود يهدر دمه ويباح للمجني عليه أو جماعته قتله.

ـــ ولذلـــك فنظام خلع الجاني هو أثر واضح من آثار الانتقام الفردي ظهـــر بصفة تطورية لمبدأ استخدام القوة من أجل التخفيف من المسئولية التضـــامنية للأسرة أو للعشيرة أو القبيلة بأن تتبرأ من الجاني وتتخلى عنه بهدف عدم تحمل مسئولية اعتدائه ليصبح بذلك واقعاً تحت رحمة المجني علـــيه أو جماعـــته ويقتص منه نتيجة ما فعله ـــ وفي أواخر هذا العصر أصـــبح نظـــام الخلع يشمل حالات الضرر الناشئ بفعل العبد أو الحيوان وأيضا حالات الضرر التي تحدث من الجماد مثل **[حالة المنزل الأيل إلى السقوط]** حيث اكتشفت أثار عديدة تؤكد شمول نظام الخلع لهذه الجرائم.(٤)

٢- تسليم الجاني:

وهو نظام تقوم فيه الجماعة أو الأسرة التي بداخل العشيرة أو القبيلة بدور أكثر إيجابية لتعبر عن حسن نواياها ومدى رغبتها في حصر الفداء وحقن الدماء ـ بأن تضبط الجاني وتقيد حركته ولا تكتفي بالقيام بطرده أي خلعه والتخلي عنه، وإنما تقوم بتسليمه إلى المجني عليه أو إلى أسرته أو جماعته ليقتص منه ـ وبالتالي تتخلص أسرة الجاني أو جماعته من عبء المسئولية التي تقع عليها نتيجة فعله بمجرد تسليمه وإعطاء الفرصة للمعتدى عليه أو لأسرته أو لجماعته في الانتقام منه.

وقد عرفت الجماعات البدائية الأخرى التي ظهرت في بعض أنحاء العالم القديم هذا النظام أيضا ـ فعند الإغريق كانت العشيرة أو القبيلة أو الأسرة تعفي من المسئولية إذا ما قامت بتسليم الجاني للمجني عليه أو لأسرته أو لجماعته للانتقام منه ـ وعند الرومان كانت أيضا الأسرة أو العشيرة أو القبيلة تتخلص من شر الانتقام ومن المسئولية عموماً إذا ما قامت بتسليم الجاني إلى المجني عليه أو لأسرته أو لجماعته – وقد عرف العرب في منطقة الجزيرة العربية وقبل ظهور الإسلام بفترة طويلة فكرة تسليم الجاني لأهل المجني عليه للانتقام منه في جريمة القتل، وذلك حتى لا يقوم أي فرد من أهل المجني عليه بعد ذلك بالثأر من أي فرد من أهل الجاني أو تقوم عائلة المجني عليه للانتقام من عائلة الجاني بصفة جماعية، ولذلك فنظام تسليم الجاني من الوسائل التي ساهمت في بلورة مفهوم شخصية العقوبة لدى الجماعات الصينية البدائية منذ بداية هذا العصر.(٥)

٣- القصاص:

ومعناه في مفهوم العقوبة هو إلحاق الجاني نفس الضرر والألم

الـــذي ألحقه بالمجني عليه ــ وقد عرفت الجماعات الصينية البدائية نظام القصـــاص بعد أن ظهرت في صورة عشائر وقبائل وتطورت فكرياً نحو مفهوم الحد من دائرة الانتقام وتوجيه دفة العقاب صوب الجاني وحده دون أن تشمل أسرته أو عشيرته أو قبيلته، وذلك بأن يعطى الحق للمجني عليه أو لأهله أو لجماعته في الانتقام من الجاني بمثل ما اعتدى [النفس بالنفس، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن ...الخ] من أجل تضيق نطاق العقوبة وحصرها فقط في شخصية الجاني.

ــ ورغــم أن القصـــاص من قبيل الانتقام الشخصي مثل نظام الخلع والتسليم، إلا أنه قد أعطى مع تطور الحياة الإنسانية داخل القبائل والعشائر التي مثلت المجتمع الصيني في منتصف هذا العصر أكثر تقدماً في مجال تهذيب القوة وبلورة مفهوم العقوبة وذلك للأسباب الآتية:

* حـــدد مفهـــوم العدالة عند تطبيق العقوبة ــ حيث اشترط فيه أن يحدث تناسب مطلق بين ما ارتكبه الجاني، وبين العقاب الذي سيوقع عليه.

* بلـــور مفهوم شخصية العقوبة ــ حيث جعل الانتقام مقصوراً فقط على الجاني وحده دون أي شخص آخر، والزم أسرته أو عشيرته أو قبيلته بقـــبول العقوبـــة التي ستوقع عليه وتؤلمه كرد عادل لما أحدثه من ضرر وألم للمجني عليه.

* أطفأ غليل المجني عليه أو أسرته أو قبيلته أو عشيرته في الانتقام، بـــأن يـــتم الأخـــذ بالثأر من الجاني وحده دون غيره سواء كان فرداً أو جماعة، الأمر الذي أدى إلى تقدم حكم العقل محل القوة.(٦)

ــ وقـــد عرفت المجتمعات الإنسانية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم نظام القصاص كما نصت عليه معظم الشرائع القديمة وذلك مثل ــ قانون حمواربى حيث نص في المادة ١٥٦ على إن [العين بالعين، والسن

بالسن، والضرب بالضرب، والرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، والابن بالابن] وفي المادة ١٩٦ على أنه [إذا سيد فقأ عين ابن أحد الأشراف فعليهم أن يفقأوا عينه] وفي المادة ١٩٧ على أنه [إذا كسر سيد عظم سيد آخر فعليهم أن يكسروا عظمه] وفي المادة ٢٠٠ بأنه [إذا سيد قلع سن سيد آخر من طبقته فعليهم أن يقلعوا سنه]، وأيضا أخذت الشريعة اليهودية والقوانين الرومانية والإغريقية والفارسية والجرمانية بمبدأ القصاص من الجاني(١٧) — والشريعة الإسلامية باعتبارها خاتمة الشرائع السماوية قد طبقت مبدأ القصاص من أجل تحقيق العدالة وردع الجاني بعقاب يتألم فيه بمثل ما أحدثه من ألم للمجني عليه، وتوجد آيات قرآنية كثيرة تقرر ذلك، مثل قوله تعالى في سورة البقرة أيضا الآية ١٧٨﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾و قوله تعالى في سورة البقرة أيضا الآية ١٧٩﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾وقوله تعالى في سورة المائدة الآية ٤٥ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾

٤- الدية:

يقصد بها قيام المعتدى أو أسرته أو عشيرته أو قبيلته بدفع تعويض مناسب للمجني عليه أو لجماعته كثمناً للثأر وافتداء لشهوة الانتقام، وهي تعتبر من أرقى وسائل تهذيب مفهوم استخدام القوة، ولذا فإنها قد ظهرت وطبقتها وأن كانت بنسبة ضئيلة في البداية العشائر والقبائل الصينية في النصف الثاني من هذا العصر بعد أن تطورت في فنون الزراعة والصناعة وأصبح لها إلى حد ما طابع مميز فكرياً وثقافياً كما وضحنا من قبل] وفي أول الأمر كانت تأخذ صفة اختيارية بإغراء

المجنـــي علـــيه أو جماعته على ترك الثأر أو الانتقام والجنوح إلى السلم نظـــير الحصـــول علـــى هذه الدية التي كان يترك أمر تحديدها لجماعتي الجانـــي والمجنـــي عليه، وهى أما أن تكون [مبلغ من المال أو عدداً من رؤوس المواشي أو العبيد أو كميات من المحاصيل الزراعية أو أي أشياء أخـــرى] أي كانت تقوم على عنصر مادي بحث يستبدل فيه الثأر أو الدم المطلـــوب بالمال أو بالأشياء ذات القيمة ـــ ولذا كان أما أن يتم قبولها من المجنـــي علـــيه أو جماعته أو رفضها ويتم اللجوء إلى الثأر أو الانتقام أو القصاص.

ـــ وقـــد استمرت الدية تأخذ الصفة الاختيارية فترة طويلة حتى نهاية هـــذا العصـــر، ولم تأخذ صفة الإلزام إلا في عصور الصين القديمة التي بدأت في القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد بعد أن ظهرت السلطة العامة والملكية الخاصة وكثرت الثروة واستخدام المال في قضاء الحوائج، حيث أن هـــذا قد أدى إلى تطوير المفاهيم القانونية التي بها أصبح الجاني ملزماً بأدائهـــا والمجني عليه يرضى بقبولها ويكتفي بها بدلاً من الثأر والانتقام، ومـــع مـــرور الزمن استقرت الأمور وقامت السلطة العامة بتحديد الدية المقـــررة لكل جريمة مع مراعاة جسامة الفعل والمكانة الاجتماعية للجاني والمجني عليه ـــ وعلى هذا الأساس تعتبر الدية من أكثر المراحل تطوراً نحـــو نظام التصالح وتحجيم القوة وحصرها في أضيق نطاق (٨) – وفي ذلـــك يقول ول ديورانت [أن الأخذ بنظام الدية ومعناها التعويض بدلاً من الـــثأر واســـتعمال القـــوة في الانتقام يعدو من أهم المراحل التطورية نحو القـــانون والمدنـــية من حيث التصرف إزاء الجريمة والمحافظة على حسن العلاقـــات بين أفراد الجماعة ـــ وألزمت السلطة العامة بعد أن أصبحت لها مكانـــة مـــن القوة والنفوذ الأفراد على ضرورة اتباعها، ثم نشأت تعريفة قانونية تحدد كم من المال ينبغي أن يدفع ثمناً للعين وكم للسن وكم الذراع

وكم للحياة – وهذه التعويض كان يختلف باختلاف جنس المعتدى والمعتدى عليه، وعمره ومنزلته ..][٩]

– ونظـام الديـة لم يظهر فقط في العشائر والقبائل الصينية القديمة، وإنمـا ظهـر أيضا في كل مجتمعات العالم القديم، كما نصت عليه معظم الشـرائع القديمة كرمز للتمدين ونبذ العنف والانتقام إلى جانب الخضوع للـنظام واحـترام نفوذ السلطة العامة، وذلك مثل تشريع حمورابى الذي وردت فيه نصوص عديدة عن أنواع معينة من الجرائم والزم فيها الجاني علـى دفع تعويض نقدي للمجني عليه، وكان هذا التعويض يختلف مقداره باختلاف مكانة المجني عليه الاجتماعية، ومجموعة قوانين (اورنامو) التي صدرت قبل قانون حمورابى بحوالي ثلاثة قرون (٢٠٦١ – ٢٠٤٣ق.م) قـد نصـت أيضا على أنه في حالة جرائم الاعتداء على الأشخاص يكون الجـزاء فيها دائما دية محددة قانـونـاً يدفعها الجـاني إلى المجني عليه أو لأسرته.

– وأيضا ورد في قانون الألواح الأثنى عشر (٤٤٩ق.م) الذي يعتبر أهـم نظم قوانين الحضارة الرومانية القديمة، بأنه إذا كسر شخص عظام شخص آخر فأن الدية تختلف ما إذا كان المجني عليه حراً أو عبداً – فإذا كان حراً فان الدية تكون ٣٠٠ أسا – وإذا كان عبداً تقل الدية إلى النصف وتصـبح ١٥٠ أسـا فقـط، وتـم أيضا النص عليها صراحة في قوانين الحضـارات الأخـرى القديمـة مثل مصر الفرعونية والإغريق والفرس والصيـن والهـند، كمـا نصـت عليها الشريعة اليهودية[١٠]، والشريعة الإسلامية باعتبار أنها وسيلة هامة وفعالة في إنهاء المنازعات بين الأفراد والجماعـات بدون اللجوء إلى الثأر والانتقام – مثل قوله تعالى في القرآن الكـريم في سورة النساء الآية ٩٢ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ

خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَـــانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾.

ـــ وعلى هذا الأساس تعتبر صور نظام التصالح من المظاهر المعبرة عن مدى تطور مفاهيم الجماعات الصينية البدائية نحو الاقتراب من دائرة العــدل وتضــيق دائرة الانتقام التي كانت تتسع دائما نتيجة الاعتماد على القــوة وذلــك بعــد أن صعدت هذه الجماعات الأعتاب الأولى العثرة في مراحل تطورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وذاقت إلى حد ما طعم الاســتقرار ونجحت في التآلف الفطري والظهور بشكل اجتماعي آخر في صورة عشائر وقبائل.

المبحث الثاني
نظام التحكيم

- يعتبر التحكيم من أهم مراحل التطور نحو نبذ القوة والاهتداء إلى العقل وحده في حل المنازعات وإسكات زئير الغضب وشهوة الانتقام عند المجني عليه أو أسرته أو جماعته – لأنه ينظم أمر العقاب من خلال قياس حجـم الضـرر الذي أصاب المجني عليه لكى يتم توقيع العقوبة المناسبة على الجاني.

- والجماعات الصينية البدائية لم تصل إلى مرحلة التحكيم فجاءة بعد صـور التصـالح، وإنما بعد أن ظهرت في صورة عشائر وقبائل ومرت بعـده مراحل أخرى كان الاحتكام فيها إلى تقدير الحق مبنياً على عوامل عديدة أهمها يتخلص في الآتي:

الاحتكام إلى قوة الخصمين:

وذلك بأن يقوما الطرفان المتنازعان بالاحتكام إلى قوتهما العضلية للوصـول إلـى الحـق مـثل أن يتبارزان أو يتصارعان في مكان عام ويشـاهدهما جمـع كبـير من الأفراد للعلانية، ومن ينتصر فيهما يعتبر صـاحب الحـق ــ وهذه الوسيلة لم تعرفها فقط العشائر والقبائل الصينية القديمـة، بل ظهرت أيضا وطبقت في معظم المجتمعات البدائية في معظم المجـتمعات البدائية الأخرى التي تكونت في العالم القديم، وعلى الأخص القـبائل الجرمانية والرومانية التي كانت تتوسع في الآخذ بها كنظام معلن للفصل في المنازعات واكتساب الحقوق.

الاحتكام إلى مهارة الخصمين:

مثل أن يقوما كل من الخصمين بالغناء أو بإلقاء الشعر أو الخطابة

في مكان عام وأمام عدد كبير من الأفراد ومن يلقى بأسلوب واضح وأفضل ولمدة أطول يكون هو صاحب الحق، ولعل [كتاب التاريخ] الذي يضم خطب صيغت معظمها في العهود المتأخرة و[كتاب الأغاني] الذي يحتوى على أناشيد وأبيات من الشعر يرجع العهد ببعضها إلى أوائل عصر أسرة "شانغ" التي حكمت الصين منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد ويمتد مضمونها ومعناها إلى أبعد من ذلك في العهود السحيقة خير دليل على أن العشائر والقبائل الصينية قد عرفت هذه الوسيلة خلال ذلك العصر.[١١]

وحيث أن هذه الوسيلة كانت تعتبر من ضمن الوسائل العلانية في إثبات الحق فقد عرفتها أيضا بعض المجتمعات الأخرى التي ظهرت في العالم القديم مثل القبائل الإغريقية والرومانية والجرمانية والفارسية كما طبقتها العشائر الحيثية والكلدانية والفينيقية أثناء مراحل تطورها الحضاري.

الاحتكام إلى الصدفة البحتة:

مثل أن يعرضا كل من المتخاصمين إناء مملوء بالماء في وقت واحد وفي مكان شديد الحرارة أو تحت أشعة الشمس فمن تخف مياه إناءه أولا يصبح خاسراً لما يدعيه من حق، ولعل [كتاب المتغيرات] الذي يحوى مرجع صغير يهيئ مفاتيح لتأويل النتائج، ويمتد تأليفه كما تشير الروايات الصينية المأثورة العهد إلى عام ٢٧١٢ قبل الميلاد الذي قام فيه الملك الحكيم "فوهسى" البطل الثقافي الأسطوري بابتكار المتواليات الثمانية ذات الخطوط التي تعتبر أساس هذا الكتاب خير دليل على أن العشائر والقبائل الصينية القديمة قد عرفت هذه الوسيلة خلال ذلك العصر.

كما أن زهرة القنديل التي تمتاز بكثرة أوراقها وأطلق عليها نبات

العـراقة وكانــت من ضمن أقسام فنون الكهانة عند الصينيين القدماء كما سـبق أن وضحنا في الباب الثاني بالقسم الأول - كانت تستخدم أيضاً في الاحتكام العلني للصدفة البحتة بين المتخاصمين، حيث كان كل واحد منهما يقطع بالتناوب أوراق هذه الزهرة ورقة ورقة، ومن يقطع أخر ورقة يكون هو صاحب الحق.

- وحيــث أن هــذه الوسـيلة كانت تعتبر أيضا من ضمن الوسائل العلانية في إظهار من هو على حق ومن هو على باطل أمام جموع غفيرة مـن الأفراد فقد عرفتها أيضا بعض المجتمعات الأخرى التي ظهرت في العـالم القديم مثل قبائل الغال والإغريق والرومان وطبقتها بأساليب عديدة مـثل أن يعرضــا المتخاصمان طعاماً في مكان مكشوف ومشهور بكثرة الغـربان، فمن أكلت الغربان طعامه يصبح خاسراً لما يطالب به من حق، أو يحضر كل من المتخاصمين ديكاً ويقتتل الديكان في مكان عام أمام عدد كبـير مـن الأفـراد، فإذا فاز أحدهما يكون الديك الغالب دليلاً على أن صاحبه على حق.

الاحتكام إلى المحنة :

وهى التي كان يبتلى فيها الشخص بموقف معين فإذا نجا منه كان صاحب حق، وان لم ينجا أو ازدادت أحواله سوءاً كان هو المذنب أو كان على باطل ــ ولعل [كتاب المتغيرات] أيضا وفكرة [الطاو] ومعناها الطريق أو السلوك، و[نظرية الطيرة] التي كانت تربط بين الظواهر الطبيعية وسلوك الناس أو الحاكم كما سبق أن وضحنا في الباب السابق ــ خير دليل على أن العشائر والقبائل الصينية قد عرفت هذه الوسيلة خلال ذلك العصر وطبقتها لإظهار الحق بين المتنازعين سـواء كـانـوا أفـراداً أو جماعات.

— وحيث أن هذه الوسيلة كانت أيضا من ضمن الوسائل التي يحتكم فيها علانية لبيان صاحب الحق – فقد عرفتها أيضا بعض العشائر والقبائل الأخرى التي ظهرت في العالم القديم وطبقتها بأساليب عديدة مثل التي كان يطلب فيها من المتهم أن يلقى بنفسه في النهر فإذا نجا من الغرق أصبح بريئاً، أو كان يطلب منه أن يقف يوماً كاملاً في مكان مشهور بكثرة الضوارى والوحوش المفترسة فإذا لم تمزق هذه الحيوانات جسده ونجا من الموت أصبح بريئاً، وأيضا من تطبيقات هذه الوسيلة نظام البشعة الذي عرفته القبائل البدوية في منطقة الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء.(١٢)

— وقد استمرت العشائر والقبائل الصينية تلجأ بصفة اختيارية إلى صور هذا الاحتكام للفصل في المنازعات بدلاً من استخدام القوة وتوسيع دائرة الانتقام فترة طويلة حتى قرب نهاية هذا العصر – حيث بدأ الخصوم بعد ذلك إلى الاهتداء إلى الكهنة وذوى الحكمة والعلم والخبرة لكي يفصلوا في المنازعات التي بينهم، وبالتالي ظهر التحكيم كنظام يمثل أعلى مراحل التطور في هجر استخدام القوة وما يترتب عليها من آثار سيئة في العلاقات سواء بين الأفراد أو بين العشائر والقبائل المختلفة، ومع مرور الزمن واستمرار تطور المفاهيم تبلور نظام التحكيم منذ بداية العصور القديمة بعد أن ظهرت السلطة العليا وأصبح لها نفوذ وسلطان قوى على الأفراد وتحول من الصفة الاختيارية إلى صفة الإجبارية وأصبح يوجد قضاه متخصصين للفصل بأحكام عادلة في المنازعات التي كانت تعرض عليهم.(١٣)

— جانب من العلماء والمؤرخين جعل من الدية في نظام التصالح وكيفية تقديرها الأساس الأول في ظهور نظام التحكيم، وعلى رأس هؤلاء ول ديورانت حيث قرر بأنه [ولما كانت هذه الغرامات أو التعويضات التي

كانــت تدفــع فــي نظام الدية اجتنابا للثأر أو للانتقام الفردي أو الجماعي تتطلــب تقديــراً للجريمة وللتعويض معاً بحيث يتلاءمان، فقد اقتضى ذلك اللجــوء إلى الكهنة أو شيوخ العشائر والقبائل لكي يقضوا فيما ينشب بين الناس من خلاف في مجالس – وهذه المجالس لم تكن دائما مجالس تقضي كمــا يقضي القضاة، بل كثيراً ما كانت مجالس لإصلاح ذات البين من أجل الوصــول بالمتخاصمين إلى حل يرضيهما معاً بصورة ودية – وهذا اللجوء كان اختياريا مدى قرون طوال، ولذا كان المعتدى عليه إذا لم يرضه الحكم الصادر في شأنه، يباح له أن يأخذ ثاره بيده ..][١٤]

— ونحن لا نؤيد هذا الرأي لان التحول إلى التحكيم لم يكن وليد نظام الدية فقط وإنما يرجع ذلك إلى عوامل أخرى عديدة من بينها الدية وصور الاحتكام والتصالح الأخرى.

المبحث الثالث

أثر النظام تهذيب القوة

على نظم الجماعات الصينية القديمة

ـ وبـناء على ما تقدم فقد أدى نظام تهذيب القوى من خلال الالتجاء إلى طرق التصالح والتحكيم إلى تحقيق تطور ملموس في الأمور السياسية والاقتصـادية والاجتماعـية والثقافية داخل العشائر والقبائل الصينية التي مثلت المجتمع الصيني خلال هذا العصر وذلك على النحو التالي:

أولاً: الزواج:

خفت بدرجة كبيرة ظاهرة خطف النساء والزواج منهن بالقوة منذ منتصف هذا العصر – وبالتالي أصبح الزواج يدخل إلى حد ما في دائرة التراضي بين أهل الزوجين وان كان يشترط أن تكون الزوجة من خارج جماعة الزوج وأن يتم التمثيل في انتزاعها بالقوة من أهلها للدخول بها ـ وهذا التطور قد أدى إلى استقرار الحياة داخل العشائر والقبائل وان كانت الروابط بين الأفراد لم تزل قائمة على نظام الأمومة الذي تطور أيضا بعد أن أصـبح الـزواج المشترك يتم في الغالب بين الاخوة الذكور وأن الأخ الأكـبر قد تمتع بسلطات أكثر من أخواته الآخرين على الزوجة المشتركة بينهم.

ومع استمرار هذا التطور ظهر في نهاية هذا العصر نظام الزواج الفـردي وظهـر علـى أثره نظام الأسرة الأبوية وأن كانت الحقوق بين أفـرادها غير متساوية لأنه تولد مع هذا النظام حق السلطة المطلقة لرب الأسـرة ثـم حـق الامتيـاز لأبنه الأكبر على جميع أفراد الأسـرة بعد وفـاته (١٥) وسوف نوضح ذلك فيما بعد.

ثانياً: نظام الملكية:

علـــى أثـــر هـــذا التطور ارتفعت في العهود الأخيرة لهذا العصر معدلات الملكية الخاصة للمنقولات حيث أصبح كل فرد داخل العشيرة أو القبيلة بعد أن ذاق طعم الاستقرار يسعى من خلال عمله إلى تحقيق ثروة يســتند علــيها في تأمين معيشته - وهذا قد أدى إلى بلورة مفهوم الملكية الخاصــة للأمــوال والمنقولات كما ساعد على توضيح المعنى الصحيح للحقــوق والواجــبات بيــن الأفراد، وأظهر الإحساس بضرورة الالتزام والمحافظــة على حقوق الغير المكتسبة - أما بخصوص ملكية العقارات وعلى الأخص الأراضي فكانت لا تزال غير واضحة المفهوم .

- وعلى أساس ذلك ظهر في نهاية هذا العصر تميز بين الأفراد في مقدار الثروة وأن كان محدود للغاية حيث وجد داخل هذه العشائر والقبائل عــدد من الأشخاص أغنياء ونسبتهم كانت ضئيلة جداً، وأشخاص آخرون فقــراء وكانت نسبتهم كبيرة - وقد جاء في كتاب الصين .. حقائق وأرقام [تــاريخ أربعة آلاف سنة] ما يؤكد ذلك حيث أشار بأن الاستقطاب الطبقي [أي وجــود أشــخاص أغنياء وآخرون فقراء] قد بدأ يظهر في السنوات الأخــيرة مــن هذا العصر بعد أن تطورت الزراعة والصناعة والمفاهيم الثقافية داخل العشائر والقبائل الصينية التي مثلت المجتمع الصيني في هذا العصر.(١٦)

ثالثاً: نظام الطبقات:

رغم التطور الذي حدث في أمور معيشة العشائر والقبائل الصينية مــن أثــر اللجوء إلى نظام التصالح والتحكيم إلا أنه لم يظهر فيها النظام الطبقي، لان مبدأ المساواة القائم على المشاعية البدائية كان لا يزال يسود حياة الأفراد داخل هذه العشائر والقبائل، رغم أنه قد ظهر بينهم في العهود

الأخيرة لهذا العصر فئة قليلة من الأثرياء وذلك لان هذا الثراء كان يعتمد علـــى ملكية المنقولات البسيطة، وهذه الملكية كانت لا تزال عاجزة تماماً على تغير شكل الحياة الاجتماعية داخل هذه العشائر والقبائل وتحويلها من النظام القائم على مبدأ المساواة إلى النظام الطبقي.

رابعاً: نظام الرق:

إذا كـــان نظام الرق قد ظهرت بوادره في نهاية العصر الحجري القديـــم نتـــيجة عمليات الأسر، وانه كان يتم في نطاق محدود للغاية لان الجماعـــة كانت لا تزال تنظر إلى الفرد الغريب عنها بأنه عدواً لها ـــ إلا أنـــه بعد اللجوء إلى نظام التصالح والتحكيم قد تغيرت هذه النظرة إلى حد مـــا الأمـــر الـــذي أدى إلى زيادة حالات استرقاق الأسرى بدلاً من قتلهم للاســـتفادة منهم في إنجاز الأعمال الشاقة مثل شق الترع والقنوات وعزق الأرض وجمـــع المحاصـــيل الزراعية وبناء الأكواخ والأسوار، وبالتالي ظهـــر نطـــاق الـــرق بشكل واضح دون أن يؤثر بفاعلية على الأوضاع الاجتماعية للأفراد داخل العشائر والقبائل وذلك لان مصدره الوحيد حتى ذلك الوقت كان أسرى الحروب فقط.

خامساً: نظام السلطة داخل العشائر والقبائل:

رغـــم أن رؤســـاء العشـــائر والقـــبائل كان لهم دور كبير في نظام التصالح والتحكيم إلا أن سلطاتهم الآمرة كانت لا تزال غير واضحة المفهوم كمـــا كانوا لا ينفصلون عن العمل ولا يتمتعوا بأي ميزات خاصة عن باقي الأفـــراد رغـــم أن تعينهم في ذلك العصر كان يتم بالاختيار فقط ويلقى على عاتق كل واحد منهم مسئولية تنظيم شئون العشيرة أو القبيلة.(١٧)

الفصل الثالث

مرحلة ظهور القواعد الدينية

مـــع بداية الحياة الإنسانية ساد الاعتقاد في الصين مثل غيرها من بـــلاد العـــالم ــ بـــأن الظواهر الطبيعية والأوضاع البشرية المختلفة تقع جمـــيعها تحـــت نفوذ وسيطرة قوة عليا خارقة للطبيعة ــ لان إنسان هذه المرحلة التي تعتبر الأولى في ظهور البشرية قد اندهش من حركة دوران الشـــمس فـــي النهار ووجود القمر والنجوم في الليل، وارتاب من السحب والأمطار والرعد والرياح والعواصف وتقلبات الأحوال الجوية بين حرارة الصـــيف وبرودة الشتاء فأعتقد [كما وضحنا في الباب السابق] بأنه توجد أرواح تدبر هذا الكون وتحرك محتوياته فعمل وهو ملئ بالخوف والرهبة علـــى استرضـــائها بطرق فردية تارة وجماعية بالاشتراك مع غيره تارة أخـــرى حتى يتقى شرها أو بطشها حيث توهم بأن غضبها عليه قد يؤدى إلى مرضه أو جنونه أو هلاكه وسحقه من الحياة[١] ــ ومع مرور الزمن وتحســـن أمور المعيشة إلى حد ما تبلور هذا الاعتقاد وأصبح بدلاً ما كان قائمـــاً علـــى الخوف والرهبة ويغلب عليه الطابع الفردي في تقديم الولاء والطاعـــة، إلـــى اعـــتقاد آخـــر قائماً على الورع والتقوى ويأخذ الطابع الجماعي في أغلب العبادات وتقديم القرابين.[٢] ــ ولتوضيح ذلك سنعرض فـــي هـــذا الفصل دراسة تفصيلية عن مدى ارتباط الشعب الصيني القديم بالعقـــيدة الدينية، ومكانه رجال الدين عندهم، ثم نوضح الآثار التي ترتبت من ظهور أحكام رجال الدين على حياة المجتمع الصيني القديم.

المبحث الأول

مدى ارتباط الشعب الصيني القديم بالعقيدة الدينية

- جانب من العلماء والمؤرخين وعلى رأسهم اندريه إيمارد، وجانين اوبوايــه قــد أشاروا بأن **[الشعب الصيني في بداية حياته الإنسانية كان لا يعترف للآلهة بأي تفوق، واعتبرها كائنات مجردة، وبعيدة وتثير السخرية لان الصــيني بطبيعــته منذ بداية وجوده يميل نحو الكفر بكل بشيء وذلك بصورة سمجة وضاحكة ..]**(٣) ومعنى هذا أن الشعب الصيني كانت ليست لديــه فــي حياته البشرية الأولى عقيدة دينية بالمعنى الفني الدقيق، وإنما توهــم وارتــاب تفكيره من بعض الظواهر الطبيعية ووضعها في قوالب مخــتلفة مــن التصورات والإدراكات دون أن يتأثر أو يقتنع تماماً بالقدرة العليا المحركة لها.

وهــذا الــرأي غــير صحيح ونعارضه تماماً لأنه يخالف الحقيقة والمــنطق كما لا يتفق مع أصول الحضارة الصينية العريقة وذلك لأسباب عديدة أهمها يتلخص في الآتي:

* العقــيدة الدينية ظهرت مع ظهور الإنسان ــ ولازم التدين وجود الإنســانية منذ نشأتها الأولى، ولذا لا يوجد مجتمع من المجتمعات القديمة إلا وقــام هيكله على أساس ديني مما أدى إلى جعل سلطة الدين بالثواب والعقاب ظاهرة تعم البشرية جميعاً منذ بدء الخليقة(٤) ــ ولذلك نؤيد تماماً ما قرره العالم الألماني لعلم الاجتماع جورج زيمل بأنه **[لا يمكن أن يكون مجــتمع قديــم قــد عــاش بدون دين أو بدون التمسك بالعقيدة الدينية والاقتــناع الكــامل بها وأن كان معظم هذه العقائد قائم على الخرافات – لأنــه بــدون الطاعة والورع والتقوى والثقة والإخلاص يصبح المجتمع**

مستحيلاً](٥) ــ وما أشار إليه العالم ماكيفر بأن [المجتمعات القديمة كانت لا يمكن أن تقوى ويكتب لها البقاء بدون اعتناقها للدين وبما يتضمنه من أوامر ونواه] كما أشار بأن [الدين هو الذي ولد الشعور لدى الأفراد في أيام البشرية الأولى بضرورة الاحترام والوقار] – وبالتالي فأنه من المستحيل أن تكون الجماعات الصينية البدائية قد تكونت وتطورت دون أن تكون لديها عقيدة دينية اقتنعت بها وأست عليها عبادة مقدسة متحلية بالورع والتقوى.

- اقتناع الشعب الصيني بالعبادة المقدسة في بداية حياته الإنسانية كان هو المصدر الأول في بناء ثقافته وفكره الأدبي والفلسفي ــ كما أن هذه العبادة قد وحدت فيه رموز الإخلاص والوفاء والثقة والتضامن، ودعمته بالقيم والمبادئ الأخلاقية، وجعلته قادر على فهم معاني الواجب والفضيلة، ودفعته على القيام بالأعمال الخيرة واجتناب كل ما هو شر، وولدت فيه الشعور بالذنب وطلب المغفرة إذا ما ارتكب خطيئة أو أي عمل من المحرمات التي تنهي عنها، ولذلك فأنه منذ بداية تكوين الحضارة الصينية القديمة كان الدين يمشى جنباً إلى جنب مع فلسفة الشعب الصيني وأخلاقه، واختلط الجزاء الديني بالجزاء الأخلاقي وأصبح كل منهما معبراً عن الآخر، حيث عبرت الأخلاق عن العقيدة الدينية ومبادئها وطقوسها التي كان يحرص الشعب الصيني القديم على الالتزام بها في المناسبات والمواعيد المحددة.(٦)

- تشير المصادر التاريخية بأن الأساطير الصينية القديمة المعبرة عن مدى تمسك الشعب الصيني بالعقيدة الدينية – تقرر بأن أول الخلق عندهم هو [بان كو] الذي خلق وفقاً للمبدأين الثنائيين [اليانج] و [الين] بعد أن أنقذ العالم من الفوضى، وأنه قد نحت العالم من حجر الجرانيت بأزميل ومطرقة وشكل الأرض حوالي عام ٢,٢٢٩,٠٠٠ قبل الميلاد، وظل يسبح

فـــي الفضـــاء على غير هدى حتى ساعدته العنقاء والتنين والسلحفاة على تقســيم العالم ـــ وبعد أن ظل يكدح في عمله بجهد وإخلاص ثمانية عشر ألف عام وكان ينمو في كل يوم من أيام كفاحه ستة أقدام، مات وتخلق من جســمه هــذا العالم ـــ حيث تحولت رأسه إلى جبال، وأنفاسه إلى رياح وســحب، وصـــوته إلـــى رعد، وعينه اليسرى أصبحت الشمس واليمنى أصــبحت القمـــر، ولحيـــته تحولت إلى نجوم، وأطرافه الأربعة وحدوده الخمسة إلى أركان العالم الأربعة وجباله الخمسة العظام، وتحول دمه إلى انهـــار وشـــرايينه وعضلاته إلى طبقات أرضية، ولحمه إلى تربة، وجلده وشـــعره إلـــى نباتات وأشجار، وأسنانه وعظامه إلى معادن، ونخاعه إلى لآلـــئ وأحجار كريمة، وعرقه مطراً، ولقحت الرياح الطفيليات التي كانت تـــتعلق بجسمه وتضايقه وأصبحت أصل النوع الإنساني ـــ وأن بعد [بان كـــو] توالت عهود أشقاء ثلاثين هم "**الأباطرة السماويون**" وذلك حين كان الـــناس يعيشـــون في براءة، وحين اخترعت الجذوع العشـــرة والفـــروع الأثنى عشر التي أصبحت بعد ذلك أساس التقويم الصيني، وكل إمبراطور مـــن هؤلاء حكم العالم ثمانية عشر ألف عام .. وجاء بعدهم عهود الأحد عشـــر أخـــا وهم "**الأباطرة الأرضيين**" الذين أعطوا الدقة الحسابية لأقسام اللـــيل والنهار، وطول الشهر ونظام الشمس والقمر وأبراج النجوم ـــ ثم جاء بعدهم "**الأباطرة البشر**" الذين قسموا هذا العالم المعروف .. وهكذا إلى أن جاء بعد هؤلاء الإمبراطور "**فوهسى**" في عام ٢٨٥٢ قبل الميلاد فعلم الـــناس بمعاونـــه زوجـــته المســـتنيرة أمور الزواج والموسيقى والكتابة والتصـــوير وصـــيد الســـمك بالشباك وتأنيس الحيوان، وتربية دود القز للحصـــول مـــنها على الحرير، وأبتكر المتواليات ذات الخطوط العرضية التـــي تعتبر الأساس الذي ارتكزت عليه الفلسفة الصينية، كما علم الناس

طقـوس التضـحية في الاحتفالات الدينية ــ وبعد أن مات "فوهسي" جاء بعده الإمبراطور "شين تونج" الذي غرس في نفوس الناس مفاهيم الحكمة والقـيم الأخلاقـية، وأدخل في البلاد الزراعة، واخترع المحراث الخشبي وأقـام الأسـواق وأوجـد الـتجارة، وإنشاء علم الطب وعلاج المرضى بالأعشـاب الطبية، وجاء بعد وفاته الإمبراطور [هو تـغ دى] الذي يطلق علـيه [الإمـبراطور الأصـفر] وكـان محارب قوى وجاء إلى الصين بالمغناطيس والعجلات وأقام مرصداً لدراسة النجوم وأصلح التقويم وأعاد توزيـع الأرض على الآهلين بعد أن انتصر على القبائل الأخرى بسلاح مصنوع من الأحجار الكريمة وشكل في الصين أول اتحاداً قبائلياً – وبعد وفاتـه خلفـه فـي الحكم الإمبراطور [ياو] الذي اشتهر بالذكاء والحكمة والتواضـع والعطـف على الفقراء والمحتاجين واخترع التقويم الزمني، وعين المقاييس والموازين ــ وكان رحيماً خيراً كالسماء وبصيراً كالآلهة وضـياؤه مـن بعيد يشبه السحابة اللامعة – وبعد وفاته جاء الإمبراطور [شـون] الـذي جاهد لحماية البلاد من الأخطار وكسب محبة الأجيال بما تميز به من حكمه وخلق طيب – وجاء بعد وفاته الإمبراطور [يوى] الذي أنقذ البلاد من الفيضانات المدمرة وحكم البلاد بالعدل وحقق للشعب الخير الوفـير ــ وبعـد وفاتـه تولى الحكـم من بعده ابنه [تشى] الـذي أسس أسـرة [شيـا] التي تعتبـر أول أسـرة حكمـت المجتمـع الصيني من (٢٢٠٥ ق.م –١٧٦٦ ق.م).

- ومن خلال هذه الأساطير يتضح مدى تمسك الشعب الصيني القديم بالعقـيدة الدينية رغم ما تحويه من خرافات واستند عليها منذ بداية حياته الإنسانية في بناء أخلاقياته وفكره الأدبي والفلسفي.(٢)

* حيـث أن الشـعب الصيني يفتخر دائما بأرضه منذ بداية عهوده

الأولى ويحرص دائما على أن يدفن فيها عند وفاته ــ فإن ذلك يرجع إلى إن الصــينيون القدامــى كانوا ينظرون إلى الأرض نظرة تقديس ورابطو بينها وبيــن فكرهم الديني، حيث اسكنوا الأرواح التي تمنحهم النجاح وتجلب لهم الخــير والبركة، إذا ما جعلوها صالحة للزارعة، وهذا النجاح يكتمل كمنحة من الآلهة، إذا ما ازدادت خصوبة هذه الأرض وطرحت محصولا وفيراً ــ ولهــذا امتزجــت عــندهم المقدسات الدينية بالأعمال الدنيوية وتبلور حسهم وفهمهم العميق بمكانة وقدرة الآلهة في رعايتهم وإصلاح أحوال معيشتهم ــ ولذلــك كان الرجل الصيني يعتبر نفسه متحلياً بالورع والتقوى وأرفع منزله مــن أي شــخص آخر أجنبي لان تربة الصين قد منحته بقدرة الآلهة البركة وعزة النفس، أما الأجنبي فهو يعيش على أرض غير صينية، وهذه الأرض تقع خارج نطاق بركة الآلهة الأخيار.(٨)

ــ وأمــام هــذه الوقــائع يتضح لن كل الآراء التي أشارت بأن الشعب الصيني القديم كان غير متمسك بالعقيدة الدينية أو أنه كان غير مقتنع أو غير مؤمــن إيماناً كاملاً بفكرة الدين ما هي إلا آراء غير صحيحة وهاوية تماماً من منبتها وعارية من الصدق والحقيقة، وإذا كان الصينيون القدماء قد عبدوا بعــض الظواهــر الطبيعــية فــي صورة آلهة إلى جانب عبادتهم المقدسة للشخصــيات الأســطورية السابق ذكرها فأنهم كانوا أيضا من أكثر شعوب العــالم القديم في عبادة الأسلاف، حيث عبدوا أجدادهم واهتموا بإقامة بعض الطقــوس عــند دفــنهم اعتقادا بأن سلوكهم وحياتهم في الماضي تمثل عبر عظــيمة يجب الاهتداء إليها وأتباع سبلها وتقديسها، إلى جانب اعتقادهم بأن أرواح أسلافهم وأن كانت قد فارقت الجسد إلا أنها تظل على الأرض وتحوم حول المناطق التي عاشوا فيها قبل وفاتهم، لتراقب أحوالهم وتصرفاتهم، وأن هــذه الأرواح تســتطيع أن تصــيبهم بــالأذى وتلحق بهم المرض والجنون والكــوارث إذا انحــرفوا في حياتهم وخرجوا عن السنن الموروثة لأن هذه الأرواح قد أصبحت قريبة من الآلهة وتمثل حلقة اتصال بينها وبين البشر.

المبحث الثاني

مكانة رجال الدين وأسباب الاحتكام لهم في المنازعات

— بعـد أن ثبت وجود عقيدة دينية عند الشعب الصيني القديم اعتنقها وتمسـك بهـا، كمـا اعتقد بإيمان راسخ بوجود تأثير متبادل وفعال بين الظواهـر الطبيعـية ومـا يحدث في الكون من أحداث مختلفة وبين كافة الشـئون البشرية — فإنه من وحيث أن أمور الديانة كانت تحتاج دائما إلى تعاليم وتفسيرات تلقن بإقناع للأفراد، فقد ظهر رجال دين أطلق عليهم أسم الكهـنة أو العرافين تولوا هذه التعاليم والتفسيرات وتزعموا إقامة الشعائر والطقـوس وأدعو بأن لديهم القدرة على التنبؤ بالأحداث والكوارث المقبلة أو العلـم بالخير والرخاء الآتي للبشر، ولذا فقد منحهم شعب الصين القديم صـفة القدسـية والتبجيل بحسبانهم الوسطاء بينهم وبين الأرواح والآلهة، واتجهـوا إلـيهم بعد أن ترسخت العقيدة الدينية في عقولهم ونفوسهم منذ منتصـف هذا العصر يعرضون عليهم مشاكلهم ومنازعتهم ليفصلوا فيها بحلـول مرضـية بدلاً من اللجوء إلى القوة أو لإحدى صور التصالح أو التحكـيم الاختيارية — وبالتالي ظهر دور رجال الدين في حل المنازعات التي كانت تنشب بين أفراد العشائر والقبائل الصينية القديمة.(٩)

— وهـذه المرحلة والتي يطلق عليها مرحلة التقاليد الدينية لم تظهر فقط في الصين خلال هذه العصر باعتبارها من أهم المراحل المتطورة في ظهـور القـانون وإنما ظهرت أيضا في جميع مجتمعات العالم القديم مثل مصـر الفرعونـية وبلاد ما بين النهرين والإغريق والرومان والحثيين والفـرس، وعبرت عن مدى تطور الأوضاع الاقتصادية والدينية وأثرهما الهـام فـي تطور حياة شعوب هذه المجتمعات القديمة في النظم السياسية والاجتماعية والثقافية.(١٠)

ــ كــان الكهــنة يفصلون في المنازعات التي تعرض عليهم أما بناء علــى رأيهم الشخصي أو من خلال ما كانوا يستنبطوه من تقاليد العشائر والقــبائل الصــينية، وحيــث انهم كانوا يعتبرون في نظر الأفراد وسطاء يــنقلون إرادة الآلهــة إليهم ــ فقد نسبت الأحكام التي صدرت منهم إلى الآلهة ــ وبالتالي اخذ الحكم الذي يصدره الكاهن في النزاع الذي يعرض علــية صــورة الحكــم الإلهي، الأمر الذي أوجب على المتنازعين قبوله وتنفيذه بدون أي اعتراض ــ ولذلك فان الأسباب التي دفعت الأفراد نحو الاحــتكام للكهنة في المنازعات التي كانت تنشب بينهم أهمها يتلخص في الآتي:

* مكانــة الكهــنة عــند قدماء الصينيين باعتبارهم ممثلون للآلهة، ويــنقلون تعاليمها وأوامرها إليهم من أجل إصلاح أحوالهم في الحياة لكي يأتــيهم الخــير ويــبعد عنهم الشر الذي كان يتمثل في المرض والجنون وكوارث الطبيعة.

* فوضى القضاء الخاص وما كان يحدث فيه من خراب ودمار من اثر استخدام القوة وفكرة الانتقام الشخصي في رد الحق وإنهاء المنازعات.

* عــدم قدرة صور التصالح والتحكيم على حل كل المنازعات بسب أن اللجــوء إليها كان اختياريا، إلى جانب عدم وجود سلطة عليا في ذلك الوقــت تســتطيع بمــا لديها من نفوذ أن تجبر المتنازعين على الالتزام بالأحكام التي كانت تنتهي إليها والقيام بتنفيذها.

* اعتقاد الأفراد بان الكهنة هم الوحيدون الذين يلمون بكل أمور العلم والحكمــة والمعرفة داخل العشيرة أو القبيلة إلى جانب مكانتهم الدينية ــ وان ذلك يعطيهم القدرة الكاملة على فهم جوانب وأسباب أي نزاع يعرض عليهم فهما دقيقاً قبل أن يصدروا بالوحي والإلهام العادل أحكامهم.

• قــدرة الكهــنة علــى تنفــيذ الأحكــام التي كانوا يصدرونها في المــنازعات التــي كانــت تعرض عليهم ــ وذلك بسب أن الأفراد كانوا يعــتقدون بــان هــذه الأحكام قد صدرت بوحي وإيعاز من الآلهة، وعدم تنفــيذها ســوف يغضــب الآلهــة ــ وغضب الآلهة سيلحق بهم النكبات والكوارث الطبيعة المختلفة.(١١)

المبحث الثالث

أثر ظهور أحكام رجال الدين على حياة المجتمع الصيني القديم

إذا كانت هـذه المرحلة التي احتكم فيها المتنازعين لرجال الدين تعبر عن مدى تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل القبائل والعشائر الصينية اعتباراً من منتصف هذا العصر، فأنه بظهور هذه الأحكام التي أخذت صفة الأحكام الإلهية ثم انتشارها في صورة تقاليد أو قواعد دينية قد أثرت في حياة هذه العشائر والقبائل وأحدثت تطوراً هائلاً في أوضاعها يتلخص في الآتي:-

أولاً: الربط الوثيق بين العقيدة الدينية والأخلاق:

الأحكام التي أصدرها رجال الدين في المنازعات التي عرضت عليهم قامت بدور فعال في ضبط سلوك الأفراد وفي تكوين مبادئ وقيم عليا مستمدة من الواجب الفضيلة وهذا قد ساهم بقدر كبير في بلورة أخلاق المجتمع الصيني في ذلك الوقت حيث اختلط الجزء الديني بالجزء الأخلاقي، وأصبح كل منهما معبراً عن الآخر، وعبرت بالتالي الأخلاق عن مدى التمسك بالعقيدة الدينية ومبادئها التي لقنت للأفراد من جانب الكهنة والعرافين، وعبرت العقيدة الدينية والإيمان الصادق بها عن القيم والمبادئ الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها كل فرد من أفراد الشعب الصيني القديم لكي يكون إنساناً صالحاً وينعم بالخير والبركات في حياته ويتقى النكبات والكوارث.(١٢) ورغم أن هذا الارتباط قد ظهر أيضا في معظم مجتمعات العالم القديم.(١٣) إلا أن المجتمع الصيني القديم قد تميز أكثر وبصورة واضحة في هذا الارتباط وأسس عليه فكره الأدبي والفلسفي، ولذلك تعتبر الحضارة الصينية القديمة من أزهي حضارات

العـــالم القديـــم في فلسفة الأخلاق ـــ والمؤلفات التي تمثل التراث الثقافي للصـــين القديمـــة مثل كتب [**المتغيرات، والتاريخ، والأغاني (الأناشيد)، والطقـــوس، وحوليات الربيع والخريف**] والنظريات الفلسفية المختلفة مثل [**الطـــيرة، والفطـــرة الإنســـانية، والحكومة الفاضلة**] إلى جانب فلاسفة الأخـــلاق العظـــام بدايـــة مـــن البطل الثقافي الأسطوري "**فوهسي**" حتى **كونفوشـــيوس** وبعـــده مثل **منيشوس، وموه تسي، وشانغ يانغ، ووانغ تشـــونغ** خير دليل على ذلك ـــ حيث تشير بوضوح عن مدى تألق الصين القديمـــة فـــي فلسفة الأخلاق التي استندت تماماً على القواعد الدينية، ولذا تعتـــبر الآن هـــذه الفلسفة من أهم إنجازات الحضارة العالمية القديمة في الفكر الأدبي والفلسفي(١٤).

ثانياً: تطور بعض الأوضاع داخل العشائر والقبائل الصينية:

أدى احـــتكام الأفراد إلى رجال الدين للفصل في المنازعات التي تنشـــب بيـــنهم إلـــى حدوث تطور في بعض الأوضاع الاجتماعية داخل العشائر والقبائل الصينية أهمها يتلخص في الآتي:

١- التضامن الاجتماعي:

قـــبل اللجـــوء إلى رجال الدين للفصل في المنازعات كان التضامن الاجتماعي بين أفراد القبائل والعشائر الصينية يقوم في الغالب على المصلحة الماديـــة المشـــتركة ـــ أما بعد انتشار الأحكام التي أصدرها رجال الدين في صـــورة تقالـــيد أو قواعـــد دينية تطور مفهوم هذا التضامن وأصبح ارتباط الأفراد داخل العشيرة أو القبيلة يغلب عليه الطابع الروحي والأخلاقي.

٢- الشخص الأجنبي:

كـــان يـــنظر للأجنبي قبل ظهور فكرة الاحتكام إلى رجال الدين

علـــى أنـــه عدو للجماعة بطابع مادي بحت ـــ أما بعد أن ظهرت أحكام رجال الدين، وانتشرت بين الأفراد في صورة تقاليد أو قواعد دينية تغيرت هـــذه النظرة وأصبح يغلب عليها طابع آخر ذات مفهوم ديني، حيث أعتبر الشـــخص الأجنبـــي عن القبيلة أو العشيرة عدوا لها على أساس أنه غير مؤمن بعقائدها ومبادئها الدينية، ومحروم تماماً من رعاية الأزواج ورحمة الآلهة.

٣- نظام الزواج:

بعـــد أن كـــان الزواج يتم بالقوة ويغلب عليه طابع النزعة المادية البحـــتة بأن تخطف الزوجة من قبيلة أخرى ليتم الدخول بها ـــ أصبح بعد الاحـــتكام إلـــى رجال الدين في المنازعات وانتشار أحكامهم في صورة تقالـــيد أو قواعـــد دينية يغلب عليه الطابع الديني، وهو تحريم الزواج بين أفراد العشيرة أو القبيلة الذين يؤمنون بعقائد ومبادئ دينية واحدة، واللجوء كاعـــتقاد ديني إلى الزواج من خارج العشيرة أو القبيلة، أي لابد أن يكون اختيار الرجل لزوجته من خارج عشيرته أو قبيلته.

٤- نظام الأسرة:

صاحب زيادة انتشار أحكام رجال الدين في صورة تقاليد أو قواعد دينـــية ظهـــور نظام الأسرة الأبوية داخل العشائر والقبائل الصينية والتي أصـــبح فـــيها للأب سلطة مطلقة على أفراد أسرته، وبعد وفاته تنقل هذه السلطة إلى ابنه الأكبر فيما يسمى بحق البكورة .

٥- نظام الرق:

رغـــم أن نظام الرق كان مصدره الوحيد أيضا أسرى الحرب خلال هذه المرحلة – إلا أن انتشار أحكام وتعاليم رجال الدين قد جعل معظم القبائل

والعشائر الصينية تنظر إلى أسرى الحروب بنظرة يغلب عليها طابع الاسترقاق بدلاً من القتل وذلك للاستفادة منهم كغنائم بشرية في القيام بالأعمال الشاقة التي تحتاجها القبيلة أو العشيرة في الزراعة والصناعة والبناء وتربية المواشي.(١٥)

ثالثاً : تطور بعض الأوضاع الاقتصادية داخل العشائر والقبائل الصينية :

ترتب على ظهور أحكام رجال الدين وانتشارها في صورة تقاليد أو قواعد دينية تطوير بعض أوضاع النشاط الاقتصادي داخل العشائر والقبائل الصينية أهمها يتلخص في الآتي:

١- نظام الملكية :

تبلور بشكل واضح مفهوم نظام الملكية بين الأفراد بالنسبة للأشياء المنقولة مثل الآلات والأثاثات والمواشي، ولخذ طابع استثماري إلى حد ما بعد أن سعى أصحاب ملكية هذه الأشياء إلى زيادة ثرواتهم، وتحسين ظروف معيشتهم وذلك بعد أن وفرت أحكام رجال الدين أسانيد قوية لتنظيم عمليات نقل الملكية، ومبادئ واضحة ومقنعة تلزم كل شخص باحترام الحقوق المكتسبة لأي شخص آخر.

٢- النشاط الزراعي :

انتشار أحكام رجال الدين وتعاليمهم الدينية أدى إلى بلورة مفهوم تقديس الأرض، وجعل أفراد القبائل والعشائر الصينية يعتقدون بأن الآلهة ستمنحهم الخير والبركة إذا قاموا بزراعة الأرض وأنتجوا محاصيل زراعية وفيرة [كما وضحنا من قبل] ــ ولذا فقد أهتم معظمهم بإصلاح مساحات كبيرة من الأراضي للزراعة إلى جانب تمكنهم من زراعة بعض المحاصيل التي كانت غير معروفة من قبل مع تحسين جودة إنتاج

المحاصيل الزراعية الأخرى ــ وهذا قد ترتب عليه حدوث تطور ملحوظ في النشاط الزراعي خلال النصف الثاني لهذا العصر.

٣- النشاط الصناعي:

الاستقرار والأمان الذي وفرته إلى حد ما أحكام وتعاليم رجال الدين قد ساعد أفراد بعض القبائل والعشائر الصينية خلال هذه المرحلة على تركيز ذهنهم في زيادة استخدام المواد الأولية التي كانت تحت أيدهم في الصناعات المختلفة مثل الآلات الزراعية كالمحراث والمنجل، والأدوات الحربية كالسيوف والبلط والرماح والدروع المعدنية، والأثاثات المنزلية، والأواني الفخارية إلى جانب أعمال البناء وصناعة المنسوجات والأخشاب وهذا قد أدى إلى حدوث تطور في النشاط الصناعي والحرف اليدوية المختلفة.

٤- عمليات البيع والشراء:

نتيجة للتطور الذي حدث في النشاط الزراعي والصناعي وزيادة ملكية الأفراد للأشياء المنقولة خلال مرحلة التقاليد الدينية ــ ظهرت بصورة واضحة عمليات البيع والشراء للآلات والمنتجات والسلع الغذائية وارتفعت معدلاتها مع عمليات المقايضة بالنسبة للمحاصيل الزراعية بعد أن توافر المزيد من الثقة والأمانة بين الأفراد إلى جانب انتشار الأسواق في المواسم والأعياد والمناسبات المختلفة.(١٦)

رابعاً نظام العقوبة :

بعد أن كانت العقوبة التي تطبق على الجاني هي عبارة عن عقوبة دنيوية فقط وتنفذ في الحال أما من جانب المجني عليه أو جماعته ــ أصبحت في هذه المرحلة تشمل أيضا جزاء أخروي ــ أي أصبح الجاني يوقع عليه في الجريمة الواحدة عقوبتين ــ **الأولى**: دينية وتعتبر بمثابة

جــزاء أخـــروي، والثانية: دنيوية تنفذ عليه في الحال عن طريق رجال الديـــن أمـــا على ماله أو على جسده، وذلك نتيجة أن الوازع الديني الذي دخـــل نفـــوس أفراد العشائر والقبائل الصينية قد جعلهم يعتقدون بأن أي جـــريمة يرتكبوها تغضب الآلهة، وتلحق بهم عذاب في الآخرة بعد موتهم بالإضافة إلى الضرر الذي أصيب به المجني عليه أو قبيلته أو عشيرته ــ ولذا كان الجاني بعد أن تنفذ عليه العقوبة الفورية، يقوم طبقاً لتعاليم رجال الديـــن بعمل بعض الطقوس الدينية كامتناع عن الأكل مدة معينة أو تقديم قرابين محددة ليرفع عنه غضب الآلهة وعذابهم له في الآخرة من الجريمة التي ارتكبها واخذ جزاءها في الدنيا على ماله أو جسده.(١٧)

خامساً: نظام السلطة:

كان نتيجة الاحتكام إلى رجال الدين في المنازعات، واعتقاد أفراد القـــبائل والعشائر الصينية بأنهم الوسطاء بين الآلهة والبشر، وبأن الأحكام التي يصدرونها عبارة عن أحكام إلهية، وما يعلنونه من تعاليم دينية يأخذ صـــفة الوحـــي الإلهي إلى جانب الاعتقاد بأنهم القادرون فقط على إقامة الطقـــوس والشـــعائر الدينية وبأنهم هم وحدهم الذين يعرفون كل تفاصيل أمـــور الحياة ــ قد أدى إلى تغير مفاهيم الأفراد في اختيار رئيس القبيلة أو العشيرة وذلك لأن هذا الاختيار قد أصبح يغلب عليه الصفة الدينية أكثر من أي شئ آخر ــ وعلى هذا الأساس قد اعتبر رئيس القبيلة أو العشيرة وهو الكاهن الأكبر لها، ومكانته بين الأفراد قامت على القدسية والاحترام والتبجيل وليس على قوة النفوذ والسلطان، لأنه حتى ذلك الوقت لم يظهر فـــي القـــبائل والعشائر الصينية نظام السلطة العليا التي تملك قوة فرض النفوذ والسيطرة الكاملة على الأفراد.(١٨)

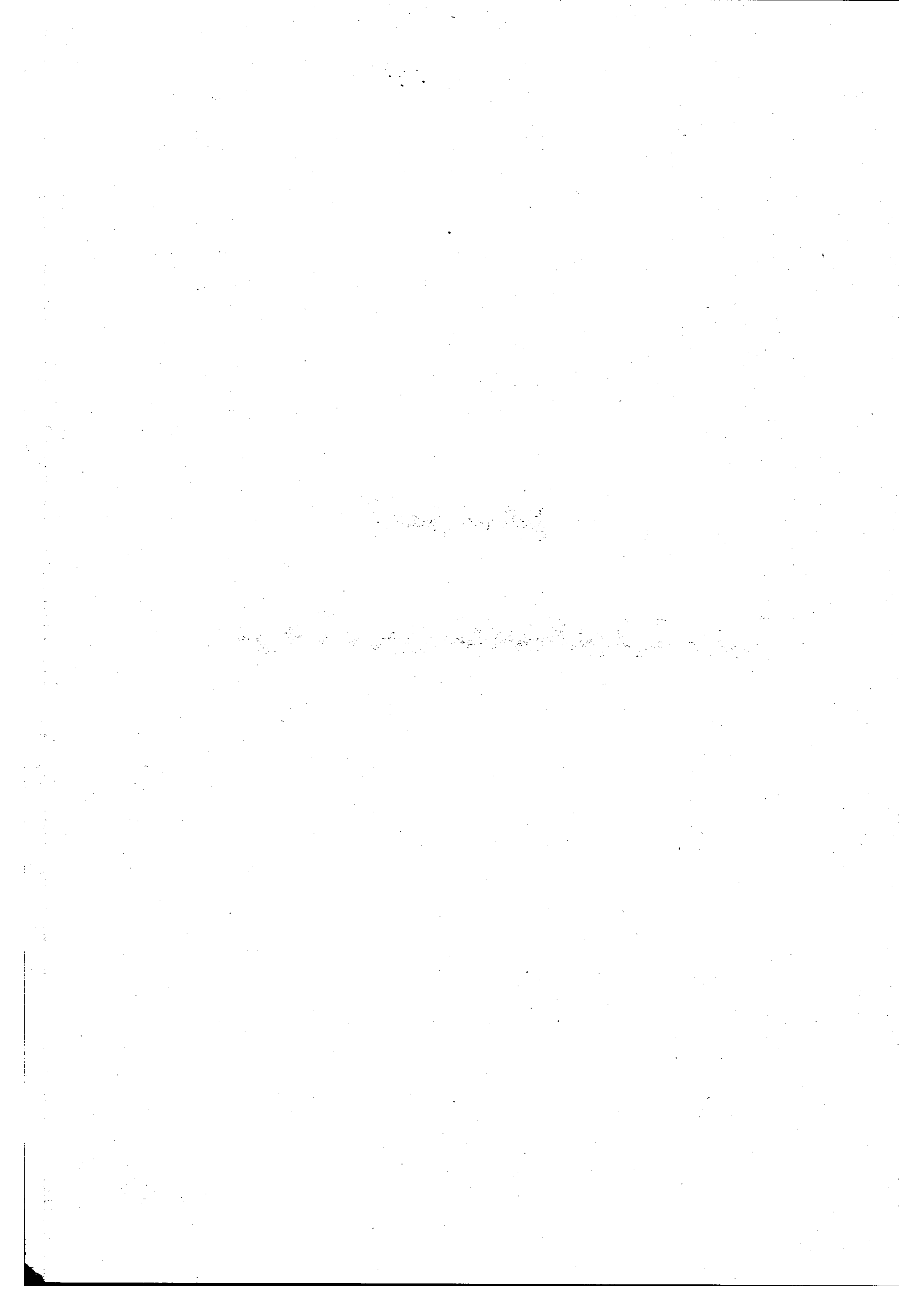
وترتيـــباً على ما تقدم ــ فأن انتشار أحكام رجال الدين في صورة

تقاليد أو قواعد دينية ـ قد جعل الدين مصدراً أساسياً للقانون في تنظيم وضبط سلوك الأفراد، وذلك لأن القواعد الدينية قد أخذت بعد انتشارها صفة العمومية والتجريد واقترنت بجزاء ـ وعلى هذا الأساس يمكن أن يقال أن القانون في هذه المرحلة كانت أغلب قواعده عبارة عن مجموعة الأحكام التي أصدرها رجال الدين في المنازعات التي عرضت عليهم سواء كانت منازعات مدنية أو جنائية، وأن رجال الدين في القبائل والعشائر الصينية قد تجمعت في أيدهم على أثر ذلك سلطة التشريع والقضاء والتنفيذ.

ولكن هذا لا يعني أن مظاهر استخدام القوة وصور التصالح والتحكيم قد اختفت، وإنما ظلت أيضا موجودة كوسائل لحل أو إنهاء المنازعات إلا أن اللجوء إليها قد تضائل أمام زيادة الاحتكام إلى رجال الدين للأسباب السابق ذكرها.

الفصل الرابع

مرحلة ظهور القواعد العرفية



إذا كـان الاحـتكام إلى رجال الدين قد ترتب عليه صدور أحكام أنهـت منازعات ومشاكل عديدة واعتبرت بمثابة أحكام إلهية ـ ولأن هذه الأحكـام قـد انتشـرت بين أفراد القبائل والعشائر الصينية وأخذت صفة القواعـد الدينية التي أستند عليها كثيراً في تنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم بعد أن جعلت بثوبها الديني فكرة القانون تخرج من طابعها الحسى إلى أول مظاهر الوجود المتصف ببعض ملامح العمومية والتجريد ـ إلا أن القـانون بواقعـه الحتمـي لم يكن له في هذه المرحلة كيان اجتماعي متكامل، وهـيكل موضوعي مجسم يعبر بالرؤية والبيان عن كل أصوله ومكوناتـه الواقعـية ـ وذلك لأن الأحكام التي انتشرت في صورة قواعد دينية كانت عبارة عن اجتهادات فكرية أو أراء شخصية من جانب رجال الدين وليست كما أدعو بأنها تعبر عن مشيئة الآلهة، وكان كل حكم عبارة عـن حـل فردى لإنهاء نزاع معين على حدة، أي لم يكن هناك ضوابط معيـنة أو قواعـد محددة ومتكاملة تستند عليها هذه الأحكام بشكل عام ـ وبالتالـي لـم يأخذ القانون خصائصه الذاتية ولا فاعليته المتكاملة في هذه المرحلة التي تزعم فيها رجال الدين كل الأمور الدينية والدنيوية في معظم العشائر والقبائل الصينية.

- ولكـن مـع مـرور الزمـن واستمرار تطور النشاط الاقتصادي والاجتماعي إلى جانب توافر المزيد من دعائم الاستقرار، وارتفاع مستوى الفكـر الأدبـي والفلسـفي ظهرت قواعد جديدة تواترت واستمدت قوتها الملزمة من الإدارة الجماعية المشتركة بعد أن ازداد الترابط بين الأفراد، وهـذه القواعد أخذت تحل تدريجياً، مكان بعض الأحكام الإلهية التي كان يصـدرها رجـال الديـن حتى تبلور إطارها القانوني انتشرت في شكل القواعـد العرفـية ـ وبالتالـي ظهر العرف الذي يعد أول وأقدم مصادر

القانون داخل العشائر والقبائل الصينية انبثاقاً من القواعد الدينية والمبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد المستحدثة التي ظهرت نتيجة لتطور العوامل الاقتصـــادية والاجتماعــية والثقافية، ومن تولد علاقات جديدة بين الأفراد ذات طـــابع إنساني.[١] ـ ولكي نوضح ذلك في هذا الفصل سنعرض أهم العوامـــل التي أدت إلى ظهور القواعد العرفية والآثار التي أحدثتها هذه القواعد على أوضاع المجتمع الصيني ثم نشير إلى الآثار التي ترتبت من تطور الفكر الأدبي والفلسفي على طبيعة القواعد العربية.

المبحث الأول

أهم العوامل التي أدت إلى ظهور العرف

— تشير المصادر التاريخية بأن القواعد العرفية قد ظهرت في الصين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، أي في أواخر عهود العصر الحجري الحديث وهي العهود التي ظهر فيها الأباطرة الأسطوريين بداية من الإمبراطور (فوهسى) عام ٢٨٥٢ ق.م — حتى الإمبراطور (يوى) في عام ٢٢٥٥ ق.م، واتحدت فيها بعض القبائل والعشائر، وأحرزت فيها الصين تطوراً ملموساً في بعض النواحي السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وانطلقت فيها حضارتها إلى قمة المجد والتألق، كما تأسست فيها القواعد الأولية لأصول الفكر الأدبي والفلسفي — ولذلك فإن العوامل التي أدت إلى ظهور القواعد العرفية في القبائل والعشائر الصينية أهمها يتلخص في الآتي:

أولاً: التطور الذي حدث في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي — أدى إلى ظهور علاقات جديدة ذات طابع إنساني بين الأفراد بعد أن ارتفع مستواهم الفكري إلى حد ما، وبين القبائل والعشائر بعد أن ذاقت المزيد من طعم الاستقرار وتوافرت لها بعض سبل الأمان — وهذه العلاقات كانت في تزايد مستمر وتحتاج إلى قواعد تنظمها تكون أكثر تطوراً من القواعد الدينية التي اتصفت في كثير من الأحيان بالجمود وعدم القدرة على مسايرة كل التطورات التي تحققت في أنماط معيشة القبائل والعشائر الصينية منذ بداية النصف الثاني لهذا العصر — وهذه القواعد قبلها الأفراد والتزموا بها وظهرت بعد ذلك في صورة قواعد عرفية.(٢)

ثانياً: تكرار المنازعات والحوادث المتشابهة التي كان يعرضها الأفراد على رجال الدين للفصل فيها — قد أدى إلى صدور أحكام متماثلة أو متحدة

المضمون والشكل في كل نوع من أنواع الموضوعات المتشابهة أو المتقاربة وذلك لأن رجال الدين قد التزموا بعد كثرة اللجوء إليهم بالسير على ما سبق أن أصدروه من أحكام حتى يقنعوا الأفراد بأدلة أخرى تؤكد بأن هذه الأحكام تعـبر عن مشئية الآلهة، وأن الآلهة ستغضب وتلحق بهم النكبات والكوارث إذا خالفوهـا أو انحـرفوا عنها وعلى أثر ذلك ظهر بعد الاحتكام إلى رجال الديـن بفـترة ظاهـرة تطابق الأحكام التي صدرت للفصل في المنازعات والحـوادث المماثلة ـ ومع استمرار ظهور هذا التطابق تولد الإطار الكامل للسوابق القضائية التي تبلورت بعد ذلك مع دعائم تطور حركة الحياة البشرية وظهرت في صورة قواعد قانونية عرفية أي أصبحت من أهم قواعد العرف رغم أن ثوبها الديني قد ظل ظاهراً فيها فترة طويلة.(٣)

ـ والسوابق القضائية التي تولدت من تطابق الأحكام الإلهية لم تظهر فـي صـورة قواعد عرفية في الصين فقط خلال العهود الأخيرة للعصر الحجـري الحديـث، وإنما ظهرت أيضاً في معظم مجتمعات العالم القديم الأخـرى فـي الشرق والغرب ـ ولذا أعتبرها معظم الفقهاء والمؤرخين بأنها ظاهرة عامة في مراحل ظهور القانون، وأن كان كل مجتمع قديم قد أختلف عن الأخر في الفترة التي وصل فيها إلى مرحلة القواعد العرفية.(٤)

ـ. هـذا بالإضـافة إلى وجود جانب من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه الأمريكي **جون جراي** قد قرروا بأن السوابق القضائية هي المصدر الوحيد للعـرف والأساس لقواعد القانون عموماً، وبناء على ذلك ذهبوا إلى القول بأن القانون من صنع القاضي الذي كان في البداية من رجال الدين في كل مجتمعات العالم القديم.(٥)

ثالثاً: الاتحـاد الذي تم بين بعض العشائر والقبائل في العهود الأخيرة لهذا العصـر ـ وأشـارت إليه معظم المراجع التاريخية الصينية مثل ما قيل بان

الإمبراطور "هوانغ – دي" قد شكل خلال الفترة من (٢٦٩٧ ــ٢٥٩٧ ق.م) اتحادا قبائليا وتولى زعامته باختيار ديمقراطي ــ قد أدى إلى ظهور علاقات وعـادات وتقالـيد جديـدة نتيجة لدمج عدد من القبائل أو العشائر في كيان اجتماعـي واحد، وهذه العلاقات والعادات والتقاليد وأن كانت غير متجانسة في بداية هذا الاتحاد وتلبث ثوب عقائد دينية مختلفة، إلا أنها بعد فترة قصيرة مـن الزمـن انصـهرت في بوتقه واحدة نتيجة لظروف المعيشة المشتركة وزيـادة الـترابط بيـن الأفراد ونمو وعيهم السياسي والاجتماعي، وتحول بعضها إلى قواعد عرفية بعد أن اكتسبت صفة التواتر والإلزام.(٦)

رابعاً: وظـيفة رؤساء القبائل والعشائر لم تعد أمام التطورات التي حدثت فـي النواحي الاقتصادية والاجتماعية في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد قاصرة على الأمور الدينية ونشر التعاليم، وتهذيب سلوك الأفراد وحل ما يـثور بيـنهم مـن مشـاكل ومـنازعات، إنما اتسعت مهامها بحكم هذه الـتطورات، وازدادت أعبائها بسبب ما أحدثته هذه التطورات من تغيرات داخل القبائل والعشائر ــ وعلى أثر ذلك ظهرت لهم أعمال أو مسئوليات أخـرى جديدة ذات طابع نظامي وسياسي إلى جانب وظيفتهم الدينية التي اكتسـبوها، وخاصـة أن معظمهـم قد أخذ صفة الكاهن الأعظم ــ ولكي يتمكـنوا مـن القـيام بهذه الأعمال والمسئوليات الجديدة ويثبتوا جدارتهم وكفـاءتهم وحسن أدائهم، اضطروا إلى إصدار بعض التعليمات لمواجهة الأوضـاع الجديدة، وبعض هذه التعليمات قبلها الأفراد والتزموا بأتباعها لتنظـيم العلاقات المستحدثة فيما بينهم، ومع مرور الزمن دخلت في إطار القواعد العرفية ــ وقد أشارت بعض المراجع التاريخية عن ذلك وخاصة خـلال الفـترة التي اتحدت فيها بعض العشائر والقبائل، وتولى بالاختيار زعامة هذا الاتحاد بعض الشخصيات الأسطورية.(٧)

خامساً: بعــد أن تــبلورت العقيدة الدينية في نفوس أفراد القبائل والعشائر الصــينية اعتقدوا بإيمان عميق بوجود معبود علوي أو قوة خارقة عظمى تسـيطر علــى العالم وتهتم اهتمام شخصياً وفائقاً بأمور البشر إلى جانب اقتــناعهم بوجود عدد من أرواح الطبيعة وأرواح الأجداد تراقب أعمالهم وأحوالهم في الحياة، وأن عليهم أن يسلكوا طريق الخير ويبتعدوا عن كل أعمال الشر حتى يتجنبوا غضبها وما قد تلحقه بهم من كوارث ونكبات إذا انحــرفوا بسلوكهم عن الطريق الصحيح والسنن الموروثة ــ فقد تجمعت فــي إطــار هذا الاعتقاد الخيوط الأولى لفكر فلسفة الأخلاق التي كونت معظــم أساســيات نسيج الفلسفة الصينية بعد ذلك أو كانت بمثابة البذور الأولية التي نبت فيها التراث الثقافي الصيني في العصور التالية ــ وهذه الخــيوط قد قام بغزلها في العهود التي تلت تطبيق القواعد الدينية حكماء وأصــحاب فكر فلسفي وثقافي أشارت إليهم كل مراجع الصين التاريخية وذلك مثل الشخصيات الأسطورية كما ظهرت مكونات أفكارهم في بعض مؤلفات التي ترجع التقاليد الصينية المأثورة العهد أساس وضعها إلى ذلك الــزمان مثل (**كتاب المتغيرات**) الذي قيل بأن الملك الحكيم (**فوهسى**) هو أول مــن قام بوضع أساسه بعد أن ابتكر المتوليات الثمانية ذات الخطوط الثلاثــية ــ و(**كــتاب التاريخ**) الذي يجمع الباحثون على القول بأن معظم الخطب الواردة فيه قد صيغت في هذه العهود المتأخرة (وذلك كما سبق أن وضحنا في القسم السابق).

ــ وعلــى هــذا الأســاس ظهرت بوادر فكر فلسفة الأخلاق في هذه العهود بعد أن ربط الصينيون بين العقيدة الدينية وأعمال الإنسان، وجعلوا الســلوك الصالح يرتكز على الفضائل والواجبات التي تشمل الإيمان الحق والعدالــة والحكمة والشهامة والمحبة والحشمة ــ وأنه لكي ترسخ مفاهيم

هذا الفكر في العقل والوجدان قد ظهرت مبادئ وقيم أخلاقية تهذب النفوس وتحـــدد علامـــات الطريق نحو السلوك الصالح، وهذه المبادئ والقيم قد أعتنقها الأفراد والتزموا باتباعها في تنظيم علاقاتهم وتقويم سلوكهم، الأمر الذي أدى مع مرور الزمن إلى تحول معظمها إلى قواعد عرفية.(٨)

- وبالتالـــي فإذا كانت العوامل التي أدت إلى ظهور القواعد العرفية عديـــدة كمـــا وضحنا ــ إلا أن المكونات الأولية بفلسفة الأخلاق وما نتج عنها من قيم ومبادئ أخلاقية، قد اعتبرت من أهم هذه العوامل ومن أكثر المصـــادر التي ساعدت على ظهور العرف وانتشاره بين الأفراد ولذا فإن معظم القواعد العرفية قد ظهرت وطبقت في الصين خلال العهود الأخيرة لهـــذا العصر وهي مشبعة بالقيم والمبادئ الأخلاقية أي يغلب عليها الطابع الأخلاقي.

- وظهـــور القواعد العرفية لا يعنى اختفاء القواعد الدينية بل ظلت هـــذه القواعـــد موجودة وتطبق بين الأفراد ولكن بنسبة أقل عن المرحلة الســـابقة ــ أمـــا بالنســـبة لظاهرة استخدام القوة وفكرة الانتقام الشخصي فكانـــت أمـــام انتشـــار القواعد العرفية تميل نحو الاختفاء نتيجة للتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتوافر بعض سبل الأمان والاستقرار في حياة الأفراد ــ ولذلك فإن القواعد التي كانت تنظم العلاقات وتضبط سلوك الأفراد في هذه المرحلة كانت عبارة عن قواعد عرفية وقواعد دينية رغم اخـــتلافهما في طبيعة الإلزام، لأن القواعد الدينية الإلزام فيها هو رضاء الآلهة عنها بينما يرجع الإلزام في القواعد العرفية إلى رضاء الأفراد عنها بعد أن استخدموها في معاملاتهم فترة طويلة.(٩)

- وإذا كانـــت كل المجتمعات الإنسانية القديمة عدا الهند واليهود قد انتقلـــت مـــثل الصين من مرحلة تطبيق القواعد الدينية إلى مرحلة تطبيق

القواعــد العرفــية ــ إلا أن فترة هذا الانتقال قد اختلفت من مجتمع لأخر بســبب ظــروفه وأوضاعه وعوامل تطوره ــ ولذا فإن كانت الصين قد وصلت إلى هذه المرحلة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، فإن مصر وبلاد ما بيــن النهرين قد وصلت إليها منذ الألف الرابعة قبل الميلاد والإغريق ثم الحيثييــن مــنذ الألف الثانية قبل الميلاد - والفرس ثم الرومان منذ بداية الألــف الأولى قبل الميلاد ــ ومجتمعات أخرى لم تصل إلى هذه المرحلة إلا فــي عهــود قريبة مثل ألمانيا وإنجلترا وفرنسا التي وصلت إليها منذ منتصف الألف الأولى بعد الميلاد بعد ظهور الدويلات الجرمانية الأصل، وبعــض الشعوب والقبائل الأفريقية قد وصلت إلى هذه المرحلة منذ القرن الماضي أو قبله بقليل وما زالت تعيش فيه.(١٠)

- وأيضــاً رغم تشابه العوامل التي أدت إلى ظهور القواعد العرفية فــي كل من الصين القديمة والمجتمعات الأخرى، إلا أن انفصال السلطة الدينــية عــن الســلطة الزمنية كانت من أهم هذه العوامل بالنسبة لمعظم المجــتمعات الأخرى سواء كانت شرقية أو غربية، في حين كانت بوادر تأســيس فســلفة الأخلاق من أهم هذه العوامل في الصين ــ ولذلك تتميز الصــين بطابع فلسفي أخلاقي في الانتقال إلى مرحلة القواعد العرفية، أما المجــتمعات الأخرى فقد طغى عليها طابع أخر زمني بقيام فئة من أفراد المجــتمع بانــتزاع الســلطة الدنيوية من أيدي رجال الدين نتيجة للتطور الاجتماعي الذي صاحب التطور الاقتصادي والديني في هذه المجتمعات، وعدم قدرة رجال الدين على مواجهة الأعباء الدنيوية المتزايدة التي تولدت من هذا التطور.(١١)

المبحث الثاني

أثر ظهور القواعد العرفية على أوضاع المجتمع الصيني القديم

تعتبر مرحلة ظهور القواعد العرفية نقطة تحول هامة في أوضاع المجتمع الصيني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حيث هجر تماماً الحياة البدائية التي كانت قائمة على المشاعية والمساواة بين الأفراد، وأنطلق نحو حياة أكثر تطوراً دخل بها أعتاب عصر الأسرات ـ ولذا فإنه قد ترتب على ظهور هذه القواعد نتائج عديدة أهمها يتلخص في الآتي:

١- ظهور النظام الطبقي:

نتيجة للتطور الاقتصادي وخاصة في مجال الزراعة التي ازدهرت وأصبحت لها المقام الأول في معظم العشائر والقبائل الصينية، مع ما حققته القواعد العرفية من سهولة ويسر في حرية التعاقد والتعامل إلى جانب، ظهور نظام الملكية الخاصة للعقارات وخاصة الأراضي الزراعية بعد ما كانت الملكية محصورة فقط في العهود السابقة على المنقولات ـ قد أدى ذلك إلى حدوث تغير في وضع الأفراد داخل القبائل والعشائر، حيث ظهر منهم الأغنياء وكان عددهم قليل والفقراء وكانوا يمثلون الغالبية العظمى، كما ظهرت فئة من الأفراد استطاعت أن تستغل هذا التطور وفرضت قوتها ونفوذها على الآخرين فأنقسم الأفراد داخل القبائل والعشائر وخاصة بعد اتحدت معظمها واتسعت مساحة الأراضي التي كانت تسيطر عليها، إلى طبقات مختلفة الأولى كانت من الأشراف أو الأرستقراطيين، والثانية من العامة، والثالثة من العبيد، وذلك كما وضحنا في القسم الأول، وفي ذلك يقول بعض الفقهاء والمؤرخين، بأن تطبيق القواعد العرفية في الصين قد ترتبت عليه قبل نهاية العصر الحجري

الحديث ظهور المجتمع العبودى على أشلاء المجتمع البدائي فتفككت الملكية العامة ألغيت المساواة بين الأفراد.[١٢]

٢- ظهور نظام التخصص في الإنتاج وتقسيم العمل:

تطور النشاط الاقتصادي مع عدم توزيع الموارد والكفايات البشرية توزيعاً متساويا في كل أنحاء الصين قد أدى مع تطبيق القواعد العرفية وما حققته من مرونة في تنظيم وضبط سلوك الأفراد وفي تحسن العلاقات بين القبائل والعشائر وفي تخفيف حدة النظرة العدائية للأجنبي، إلى ظهور نظام التخصص في الإنتاج وتقسيم العمل، لأن بعض القبائل والعشائر في مناطق محددة تخصصت بما لديها من إمكانيات مادية وبشرية وطبيعية في إنتاج حاصلات زراعية معينة، والبعض الأخر أنتج حاصلات زراعية أخرى، كما تخصص بعض الأفراد داخل القبيلة أو العشيرة ذاتها في إنتاج سلع صناعية معينة أو ممارسة حرف ذات مهارة فنية خاصة.

وقد ترتبت على نظام التخصص في الإنتاج وتقسيم العمل انكماش مبدأ الاكتفاء الذاتي داخل القبيلة أو العشيرة الصينية، الأمر الذي أدى إلى وجود فائض في بعض المنتجات، ونقص في بعضها الأخر فنشطت المبادلات التجارية وانتشرت الأسواق الداخلية والخارجية تعرض كل أصناف المنتجنت الزراعي والصناعية وذلك بعد أن وفرت القواعد العرفية سهولة ويسر في التعاقد وفي أمور المعاملات المختلفة.[١٣]

٣- علانية بعض القواعد المنظمة للعلاقات وضبط السلوك:

بعد ظهور القواعد العرفية لم تعد كل القواعد المنظمة للعلاقات وضبط سلوك الأفراد سراً مكنوناً في صدور رجال الدين أو مسجلة كأحكام إلهية في المعابد الدينية فقط كما كان في المرحلة السابقة ــ بل

أصبح بعضها معروفاً للجميع ـ وذلك لأن القواعد العرفية قد أتبعها الأفراد والتزموا بها في معاملاتهم اليومية زمناً طويلاً ـ وعلى هذا الأساس يعتبر ظهور العرف في الصين وانتشار تطبيقه في أواخر عهود هذا العصر هو بداية البلورة الذاتية لفكرة القانون في مفاهيم الشعب الصيني القديم.(١٤)

٤- إمكانية تعديل بعض القواعد المنظمة للعلاقات وضبط السلوك:

إذا كانت القواعد الدينية التي نظمت علاقات الأفراد وضبطت سلوكهم في المرحلة السابقة قد اتصفت بالجمود والثبات نتيجة الاعتقاد بأنها تعبر عن مشيئة الآلهة وأن أي تعديل أو تبديل فيها من جانب البشر سيغضب هذه الآلهة ويجعلها تلحق بهم النكبات والكوارث ـ فإن القواعد العرفية رغم أن أحد مصادرها الهامة كانت الأحكام التي أصدرها رجال الدين وأخذت صفة الأحكام الإلهية، قد اتصفت بطابع المرونة على أساس أنها وليدة التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتعبر عن إرادة أفراد القبائل والعشائر الصينية وليست صيغاً أو أحكاماً يزعم صدورها من الآلهة، وبالتالي أصبحت قابلة للتعديل كلما تغيرت ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لكي تواكب في تحقيق أهدافها متطلبات كل التطورات الحضارية ـ وهذا ما تميز به المجتمع الصيني في العصور القديمة، حيث عبرت القواعد العرفية من خلال التعديلات التي أدخلت عليها عن مدى تطوره الحضاري الذي تحقق خلال هذه العصور وخاصة في مجال الفكر الأدبي والفلسفي.(١٥)

٥- نظام الحكم:

النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي تحقق أثناء ظهور القواعد العرفية وانتشار تطبيقها في معظم القبائل والعشائر الصينية قد

أدى إلى حدوث تطور في نظام اختيار رئيس القبيلة أو العشيرة ــ فبعد أن كــان هــذا الاختيار يقوم على أساس ما يملكه الشخص من قوة وشجاعة ومــروءة فــي مــرحلة استخدام القوة، ثم قام على الصفة الدينية ومكانة التبجــيل في مرحلة القواعد الدينية ــ أصبح يقوم على صفات يغلب عليه طــابع الحكمة والعدل والفضيلة، كما أخذ الشخص الذي يتم اختياره لقب ملك أو إمبراطور بعد أن اتحدت القبيلة أو العشيرة التي يرأسها مع قبائل أو عشــائر أخرى في كيان سياسي واجتماعي واحد، وازدادت مهام عمله واتســعت مسئولياته في إدارة شئون الحكم وفي رعاية مصالح الشعب ــ والدلــيل علـــى ذلك هو ما روته الكتب والمراجع التاريخية الصينية من حكايات عن الشخصيات الأسطورية التي تولت الحكم في العهود الأخيرة لهذا العصر وهي العهود التي ظهرت وطبقت فيها القواعد العرفية.

ــ بالإضــافة إلـــى ذلــك ــ أنه قد ترتب أيضاً على ظهور القواعد العرفــية وانتشار تطبيقها نمو ملحوظ في الوعي السياسي ــ حيث تبلور مفهــوم مــبدأ الديمقراطــية في نظام الحكم، وأصبح أفراد معظم القبائل والعشــائر الصــينية يدركون حقيقة وضعهم وبأنهم فقط أصحاب السيادة، والحكام يتولون السلطة باسمهم ومن أجل رعاية مصالحهم ــ ويؤكد ذلك مــا أشــارت إلــيه المصـــادر التاريخية الصينية عن الملوك أو الأباطرة الأســطوريين الذين جلسوا على العرش بنظام الاختيار الديمقراطي بداية مــن الملك (فوهسى) البطل الثقافي الأسطوري الذي تولى الحكم في عام ٢٨٥٢ قــبل الميلاد ــ حتى الملك (يوى) الذي اختير للحكم عام ٢٢٥٥ قــبل المــيلاد بعد وفاة الملك (شون) ذلك الفلاح الفقير الذي تميز بدماثه الخلق والحكمة والعدل والفضيلة في إدارة شئون الحكم.

ــ وإذا كـــان قد تم خرق مبدأ الاختيار الديمقراطي في الجلوس على

العــرش بعــد وفاة الملك "يوى" في عام ٢١٩٧ قبل الميلاد حيث أصبح الأمر وراثياً بعد أن تولى أبنه (تشى) الحكم وأسس أول أسرة حاكمة وهي أســرة شــيا التي افتتحت العصور القديمة في الصين، وأستمر هذا النظام الوراثــي ســائداً في حكم الأسرات التي تعاقبت بعد ذلك،[١٦] وأن هذا قد جعل بعد العلماء والباحثين يشيرون بآرائهم بأن نظام الديمقراطية كان غير معروف أو غير موجود في الصين القديمة.

ـــ فأننا نرى أن هذه الآراء قد جانبها الصواب؛ لأنها لم تتحرى الدقة في تحديد المفاهيم الخاصة بنظام الحكم عند الصينيون القدماء والتي كانت دائماً مدعمة بروح الديمقراطية سواء كان الجلوس على العرش بالاختيار كما كان في عهود ما قبل الأسرات أو بالوراثة في عهود حكم الأسرات ـــ ولــذا فإن التعريف الذي أعلنه الرئيس الأمريكي لينكولن عن الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب وللشعب وهو يعتبر أفضل تعريف ـــ قد عرفته الصــين ومارست تطبيقه خلال عهودها التاريخية القديمة ـــ والدليل على ذلك نوجزه فيما يلي:

* تطــور الفكر الأدبي والفلسفي خلال عهود الحكام الأسطوريين قد ســاعد علــى بلــورة مفاهيم الأفراد السياسية في مسألة الحكم وأصبحوا يدركــوا بأنه لا بد أن يكون بأسمهم وبموافقتهم ـــ كما أصبح لديهم وعي أزداد وتطور بعد ذلك في عهود حكم الأسرات بأن استقرار الأمن والسلام والمحافظة على النظام في البلاد لا يستند على سلطان الحكم، وإنما يستند على سماحتهم وأخلاقهم الطيبة وحبهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وبالتالي تولــد عــند الصينيون خلقاً ديمقراطياً منذ عهود ما قبل الأسرات واقتنعوا تمامــاً بأن صلاحية نظام الحكم هي السبيل الوحيد الذي يجعلهم يحترمونه ويتبعون قواعده.

* نظـــرية الـــثورة على الأوضاع الظالمة أو الفاسدة في نظام الحكم وجدت عند الصينيون منذ عهود ما قبل الأسرات، وتطورت وتبلورت بعد ذلـــك على مر العصور المختلفة حيث نص عليها **(كتاب التاريخ)** ثم نص علـــيها بعـــض ذلـــك وبفكـــر متسع في كتاب **(منيشوس)** ــ وتستند هذه الـــنظرية على فكرة **(تفويض السماء)**، ومدارها أن السماء قد عهدت إلى الحـــاكم الـــذي يجلس على العرش سواء بالاختيار أو بالوراثة بأن يحكم الناس لما فيه خيرهم وهناؤهم ــ فإذا ظلمهم وأستبدهم، أي أتصف حكمه بـــالظلم والقســـوة والطغيان، يكون قد أضاع حقه في حكمهم، ويتعين تبعاً لذلـــك أن يكون لهم الحق في أن يثوروا عليه ويخلعوه من منصبه ــ كما تفـــرع عـــن هذه النظرية فكرة أن **[التفويض يتغير باستمرار]** مما يتعين علـــى الحاكم ألا يظل في الحكم بصفة دائمة، وقد ورد في كتاب التاريخ والشـــعر عـــبارات تؤكـــد ذلك مثل (حماية السماء لا يتأتى الحفاظ عليها بســـهولة ومـــن الصعوبة الاعتماد المطلق على عدالة السماء) ــ وبالتالي كـــان خطـــر اندلاع الثورة ماثلاً أمام الحكام باستمرار إذا انحرفوا وقاموا بظلـــم واســـتبداد الشعب أو إذا استأثروا بالحكم دوماً، وهذا يعطى أصدق تعبير على أن روح الديمقراطية قد غرست في وجدان الشعب الصيني منذ أقدم عصوزه التاريخية.

* ثبت من سجلات تاريخ الصين وما سبق أن عرضناه في الفصول الســـابقة بـــأن ســـلطة الحاكم كانت في معظم الأحيان مطلقة من الناحية الـــنظرية فقـــط، لأن نظـــام الحكم في الصين قد عرف نظام الرقابة على الســـلطة، وأن الرقباء كانوا يعينون لملاحظة تصرفات الحاكم والموظفين التابعيـــن له، وكـــان من حقهم معارضة أوامر الحاكم التي تجافي الصالح العام ــ كما أتصل بمسألة الرقابة فكرة أهمية الرأي العام التي نمت أيضاً

في وجدان الشعب الصيني منذ عهود ما قبل الأسرات والدليل على ذلك ما قـرره أحد وزراء الإمبراطور الأسطوري (شون) (٢٢٥٥ ـ ٢٢٠٥ قبل الميلاد) بأن (السماء ترى وتسمع بعيون الشعب وآذانه، وتعبر السماء عن عدم موافقتها إذا كان هناك سخط من الشعب) ـ وبالتالي فإن نظام الرقابة على أعمال السلطة والفكرة التي اتصلت بها عن أهمية الرأي العام خير ما يؤكد بان الشعب الصيني قد مارس الديمقراطية منذ سالف الأزمان.

* وأيضاً قد نص مرات عديدة في كتاب التاريخ والشعر ثم بعد ذلك في كتاب (منيشوس) بان الناس جميعاً من معدن واحد ويمكن لأي فرد أن يصـبح حاكمـاً، وبان الشعب والحاكم يتمم أحدهما الآخر في كيان واحد بالمجـتمع، وإن الشعب أعظم عناصر الدولة أهمية ويتلوه مضمون الدولة ثم يأتي في النهاية الحاكم باعتباره أقل عناصرها شأناً.(١٧)

ـ وعلـى هـذا الأساس تعتبر الآراء التي أشارت بعدم وجود نظام ديمقراطـي في الصين القديمة غير صحيحة وهاوية من منبتها وذلك بعد عرض هذه الأسانيد التي أكدت وجودها منذ عهود ما قبل الأسرات وثبت تطبـيقها بوعي سياسي كان يتسع ويتزايد بصفة مستمرة مع تطور أمور المجتمع الصيني على مر العصور القديمة ـ هذا بالإضافة إلى إننا سوف نبرهـن على ذلك أيضاً عندما نتعرض لنظام حكم الأسرات المختلفة في الباب القادم والأخير.

المبحث الثالث

أثر تطور الفكر الأدبي والفلسفي على طبيعة القواعد العرفية

— العوامـل التي أدت إلى ظهور القواعد العرفية في العهود الأخيرة للعصر الحجري الحديث أي عصر ما قبل الأسرات، انصهرت بعد تطور الفكـر الأدبي والفلسفي في بوتقه واحدة وأصبحت جميعها تتمثل في القيم والمبادئ الأخلاقية التي تكونت من العقائد الدينية والتي غرست من خلال رجال الدين في وجدان أفراد القبائل والعشائر الصينية — ولأن هذا قد جعل الشعب الصيني القديم يعتقد بأن القواعد العرفية لن تخرج عن كونها قواعد أخلاقـية نبعـت مـن ضميره في إطار مضمون الواجب والفضيلة، وتم أتـباعها والالـتزام بها بصفة مستمرة لتنظيم علاقاته وضبط سلوكه في المجتمع إلى جانب تحقيق رغبته في التمسك بالنظم الموروثة التي وضعها أسلافه في العهود السابقة.

— وقـد عـبر عـن هذا الاعتقاد معظم حكماء الصين القدامى، كما أضـافوا أسـانيد أخرى لكي يؤكدوا بفكر فلسفي مقنع بان طبيعة القواعد العرفية ترتكز على القيم والمبادئ الأخلاقية سواء من حيث ركنها المادي أو من حيث طابع ركنها المعنوي — وأهم هذه الأسانيد يتلخص في الآتي:

* الركن المادي للقاعدة العرفية الذي يعتبر أساسي وجوهري لوجود هـذه القاعدة، ينشأ من خلال سلوك أعتاده أشخاص المجتمع على إتباعه سـواء كان سلوكاً إيجابياً بعمل معين (قولا أو فعلاً)، أو كان سلوكاً سلبياً بالامتـناع عـن عمل معين (قولاً أو فعلاً) — فإن هذا السلوك عموماً لن يخـرج عـن كونه المظهر الخارجي المعبر عن القيم والمبادئ الأخلاقية السائدة في المجتمع وهو التطبيق العملي الكاشف أو المقرر للأخلاق داخل

كيان عيني محدد، ورغم أن هذا التفسير قد ظهر قديماً في الصين وفي بعض مجتمعات العالم القديم إلا أن بعض علماء الأخلاق في العصور الحديثة قد عبروا عنه أيضاً وقاموا من خلال ذلك بتعريف الأخلاق بأنها (عادة الإدارة).

* الركن المعنوي للقاعدة العرفية والذي يعبر عن مدى الاقتناع بها واحترامها من جانب أشخاص المجتمع ـ يرجع أساس الالتزام به إلى مصلحة ضرورية تقضيها حاجة المجتمع وهي توفير الضمانات اللازمة لتنظيم علاقات أشخاصه وضبط سلوكهم ـ وحيث أن هذه مصلحة من المتطلبات الخيرة، فإن الركن المعنوي يرتكز بكل مكوناته على جانب أخلاقي نابع من الكيان المتحد لأفراد المجتمع.

* القواعد العرفية تعبر بصدق وموضوعية عن ضمير أفراد المجتمع لأن هذه القواعد تهدف أولاً وأخيراً إلى تحقيق المساواة بينهم في الحقوق والواجبات، وتطبيق كل صور العدل في تنظيم العلاقات التي تقوم بينهم، كما تعبر عن الثقة المتولدة من الطبيعة الإنسانية نحو توفر أحسن ضمان لتحقيق كل سبل الأمان والاستقرار داخل المجتمع ـ وكل ذلك ليس إلا سمات أخلاقية لا يكتب البقاء لأي مجتمع إلا إذا سعى إليها ومتمسك بها.

* القواعد العرفية عموماً لا يمكن أن يتم إقرارها أو تثبيت استقرارها واعتبارها صالحة ونافعة داخل المجتمع ـ إلا إذا كانت غير مخالفة للنظام ولقواعد الآداب العامة ـ وهذا في حد ذاته يعطى أكبر دليل على ارتكاز هذه القواعد على الجوانب الأخلاقية التي تكونت وتبلور مفهومها من العقائد الدينية.

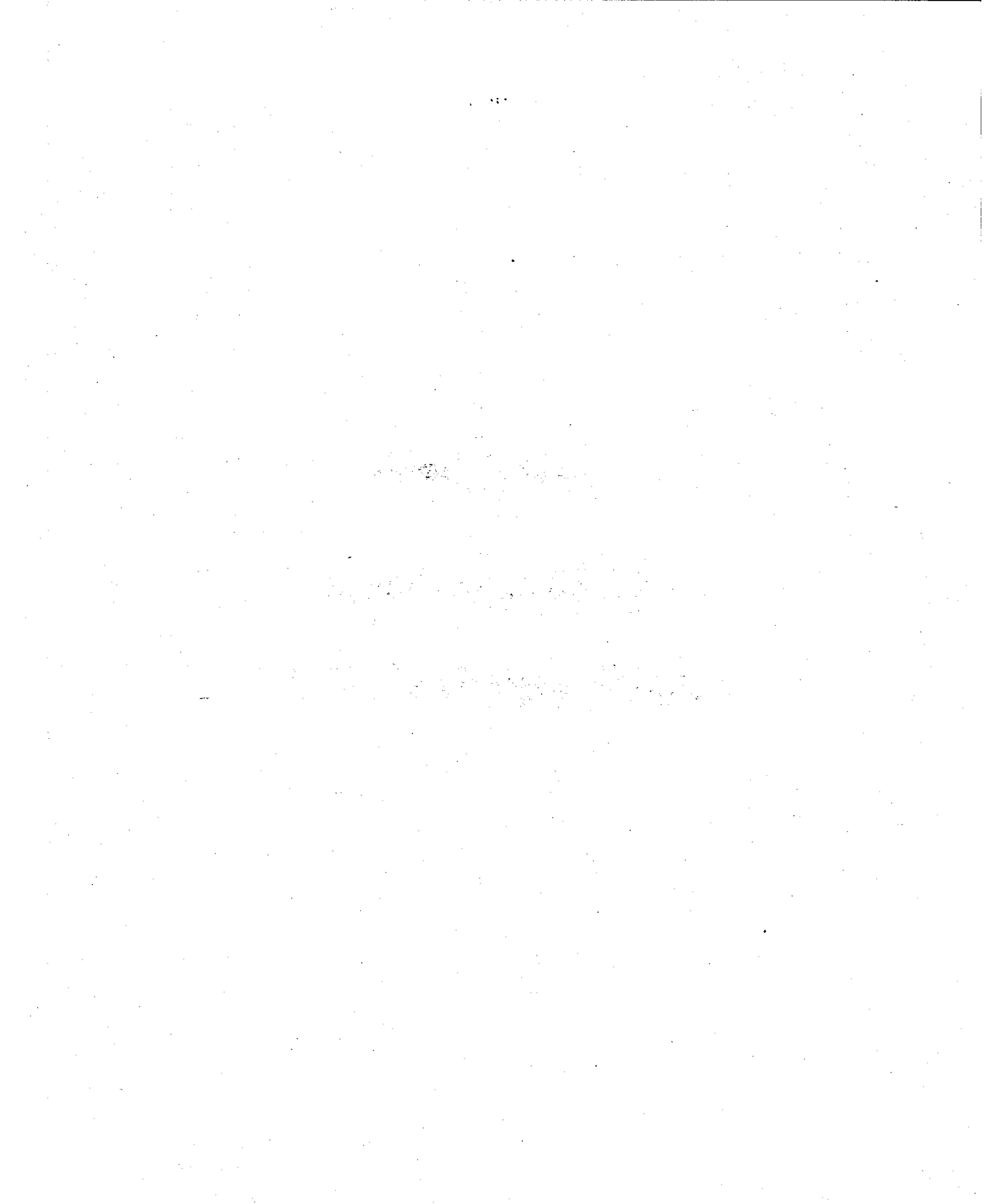
ورغم أن هذه الآراء وما جاء بها من تفسيرات قد نبعت في الصين القديمة وفي بعض المجتمعات التي تألقت حضارياً في العالم القديم

مثل مصر الفرعونية بفكر وفلسفة بتاح حتب وأخناتون والهند بفلسفة بوذا والإغـريق بـآراء وفلسـفة سقراط وأفلاطون و أرسطو والرومان بفكر شيشـرون والبـيان وجايوس ـ إلا إنها مازالت حتى الآن تحتل مكانة متميزة في مجال الفكر القانوني وفلسفة الأخلاق ـ وإذا كان فقهاء مذهب وضـعية القـانون يعارضـونها بشدة بحجة قصورها عن تقديم الأساس المقـبول الذي يمكن الاعتماد عليه في وضع تحديد دقيق لطبيعة القواعد العرفـية ـ إلا إنـنا نؤيدهـا وننضم عـن اقتناع إلى أنصارها القدماء والمحدثيـن، وذلك لأنها تعطى تبرير صادق عن حقيقة الترابط الإنساني المنسق الذي تم بين أفراد المجتمع من خلال التقاء دوائر الدين والأخلاق والقانون في كل زمان ومكان.(١٨)

وإذا كـان الشـعب الصـيني القديـم قد أعتقد منذ عهود ما قبل الأسـرات بـان طبـيعة القواعـد العرفـية ترتكز على القيم والمبادئ الأخـلاقـية ـ إلا أنهم خلال عهود حكم الأسرات قد ذهبوا (كما سنرى فـيما بعـد) إلـى ما هو أبعد من ذلك حيث اعتبروا العرف هو المصدر الأساسـي لقواعد القانون وبأنه على ضوء هذا الإدراك تولد لديهم اقتناع بـان القواعـد القانونية قد نبعت من دائرة الأخلاق وليس من أي مصدر آخر.

الفصل الخامس

مرحلة تدوين القانون في المجتمع الصيني القديم



- بعد أن تبلورت وتأصلت في الصين وفي معظم المجتمعات الحضارية الأخرى التي تكونت في شرق وغرب العالم القديم، فكرة أساس ومضمون القانون في ثوب القواعد العرفية التي تتضمن القيم والمبادئ الأخلاقية والدينية وأصبحت هذه القواعد تطبق وهي مكتسبة صفة العمومية والتجريد في كافة أنحاء هذه المجتمعات القديمة ... فقد أدى انتشارها واتساع نطاق تطبيقها من ناحية، واختلافها وتعدد الأشخاص القائمين على تطبيقها سواء كانوا قضاه أو أرباب أسر أو شيوخ قبائل أو عشائر من ناحية أخرى إلى ضرورة البحث عن وسيلة لتوحيد هذه القواعد حتى تكون صالحة للتطبيق على كل أفراد المجتمع بلا عوائق أو قيود وبدون الاعتماد الكلي على الذاكرة للاعتراف بوجودها، ودون أن يكون وجودها موجه لصالح طبقة معينة على حساب الطبقات الاجتماعية الأخرى - فظهرت على آثر هذه المتطلبات فكرة تدوين هذه القواعد لتكون في صورة شرائع أو مدونات قانونية مكتوبة وواضحة البيان أمام كل أفراد الشعب، والقواعد التي تم تدوينها لم تخرج عن كونها قواعد قديمة كانت معروفة في الماضي، ولذلك اختلفت أحكامها وطريقة تدوينها من مجتمع لأخر طبقاً لاختلاف العادات والتقاليد، وما كان سائداً في الماضي من نظم وتقدم اقتصادي واجتماعي وثقافي وسياسي في كل مجتمع.(١)

- وعلى هذا الأساس لم تكن ظاهرة تدوين القانون مقصورة على مجتمع دون آخر بل كانت ظاهرة عامة في الشرق والغرب القديم بعد أن اهتدت شعوب هذه المجتمعات القديمة إلى الكتابة، وبعد أن وصلت إلى درجة معينة من الثقافة والتحضر(٢) - ونتيجة لذلك قامت بعض الشعوب بتدوين قانونها وأصدرته في صورة تشريع أو مدونات رسمية، وشعوب

أخرى دونته في سجلات قام بوضعها الأفراد المهتمين بالقانون ولم يصدر بــه تشريع من السلطة الحاكمة فأخذ صورة السجلات العرفية، وحيث أن معظم الباحثين قد أطلقوا تعبير (مدونة) على هذه السجلات فإنه لكي تميز هــذه المدونــة عــن المدونــات الرسمية أطلق عليها اصطلاح المدونات العرفــية، ولذلــك كــان يوجد فرق بين التدوين والتشريع ـــ لأن التدوين يرتبط في وجودة بالكتابة وقد يحدث عن طريق التشريع أو عن أي طريق أخــر ـــ أما التشريع باعتباره يصدر من السلطة العامة فهو يرتبط وجودة بوجود التنظيم السياسي في المجتمع وليس بالكتابة ولذا فقد ظهر كمصدر للقــانون قــبل ظهــور تنظيم الدولة وقبل ظهور الكتابة في صورة أوامر وتعلــيمات ملــزمة صــادرة من أرباب الأسر وشيوخ القبائل، وما زالت بعــض القــبائل حتى الآن مثل قبائل الزولو في أفريقيا تجهل الكتابة ومع ذلك يوجد لديها تشريع تم إصداره من الملك.(٣)

ـــ مــرحلة التدوين لا تعتبر في الحقيقة مرحلة مستقلة أو قائمة بذاتها فــي ظهــور القانون، وإنما هي امتداداً للمرحلة السابقة بالنسبة لإنشاء أو تكويــن القواعد القانونية ـــ ولذلك فإن أدراج هذه المرحلة ضمن مراحل تطــور القانون، كان على أساس أن تدوين القواعد القديمة في ذلك الزمان قــد أعتــبر طــريقة أو وســيلة متطورة للتعبير عن وجود هذه القواعد واكتســابها صفة الإلزام والعمومية والتجريد وليس دون ذلك(٤) ـــ أي أن هــذه المــرحلة ليست سوى مرحلة تطورية في شكل القاعدة فقط بصرف النظر عن مضمونها أو جوهرها ـــ هذا بالإضافة إلى أن التدوين قد أدى إلى ظهور شرائع ومدونات قانونية عديدة في معظم مجتمعات العالم القديم وأهمية هذه الشرائع والمدونات كثروة قانونية تحققت من ثمار الحضارات القديمــة قــد جعلته يحتل مرحلة خاصة في تطور القانون لكي تليق على

الأقل بمكانته وتميزه في صنع الوجود المرئي للقواعد القانونية القديمة.(٥)

– إذا كانت مرحلة التدوين بمثابة ظاهرة عامة انتشرت في معظم المجتمعات الحضارية القديمة بعد أن عرفت الكتابة وتطورت في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية – إلا أن الظروف والأوضاع التي أدت إلى ظهور هذه المرحلة وصفة القواعد التي تم تدوينها إلى جانب مدى أهمية ومكانة التدوين ذاته عند الشعب لم تكن في المجتمع الصيني متطابقة في كل الأوجه مع المجتمعات الحضارية الأخرى التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديمة، وإنما كان يوجد بينهما تقارب في بعض الأمور، وتباين واضح في أمور أخرى بسبب الطابع الذي تميز به الشعب الصيني في نظرته للقانون بصفة عامة(٦) – ولتفسير ذلك سنعرض موجز عن مدى هذا التقارب والتباين لكي نوضح بموضوعية الدور الذي مثله التدوين في حياة الشعب الصيني القديم.

المبحث الأول

أوجه التقارب والتشابه بين الصين القديمة والمجتمعات الحضارية الأخرى في مرحلة التدوين

هذه الأوجه المتقاربة ليست سوى بعض العوامل أو الأسباب العامة التـــي أدت إلى ظهور التدوين في الصين وفي كل المجتمعات الحضارية وهي وإن كانت عديدة إلا أن أهمها من حيث هذا التقارب والتشابه يتلخص في الآتي:

أولاً من حيث التقارب:-

١ ــ المحافظـــة علـــى قواعد القانون من الفقد أو الضياع، باعتبار أن التدويـــن ســيكون سنداً قوياً في حفظها من النسيان أو الطمس مع مرور الزمان.

٢ ــ مـــنع أي فـــئة مـــن فئات الشعب وعلى الأخص طبقة الكهنة أو الأشراف من احتكار علم القانون وتطبيقه وتفسيره طبقاً لأهوائهم ومـــزاجهم الشخصي لكي يدعموا به نفوذهم وسلطاتهم ومصالحهم على حساب عامة الشعب.(٧)

٣ ــ إزالـــة الغموض والشك عن بعض القواعد التي تأثرت مع أحداث وظروف الزمان ــ لكي تكون واضحة الرؤية والبيان أمام كل فرد مـــن أفراد الشعب ليعرف بالعلم اليقين ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

٤ ــ كفالـــة احترام القانون وعدم تحريف قواعده أو تعديلها أو تغيرها من جانب فئة معينة لتفرض نفوذها وسطوتها في المجتمع مستغلة في ذلك الغفلة التي سيكون عليها باقي أفراد الشعب.

٥ ــ نشــر القــانون وعلانية قواعده بنصوص رسمية ومكتوبة لتكون تحت بصر كل فرد من أفراد الشعب حتى لا يدعى بجهله أو عدم علمــه بأحكام هذا القانون بعد ذلك وهذا في حد ذاته يساعد أيضاً على إيضاح الحقوق والواجبات كما يوفر أسانيد موضوعية أخرى لاستقرار الأوضاع داخل المجتمع.(٨)

ثانياً: التشابه:

--- أمــا بالنسبة للخصائص المتشابه التي تميزت بها عموماً المدونات القانونية التي وضعت في الصين وفي المجتمعات القديمة الأخرى فهي لن تخرج عن ما يلي:

١ ــ كــل مدونــة كانت تشمل مقدمة يشار فيها أولاً بالولاء والتمجيد للآلهة، وثانياً بأن هذه الآلهة هي التي أوصت بوضع هذه المدونة من أجل نشر العدل بين الناس وتوفير كل سبل الأمان والاستقرار لهــم في كافة أرجاء البلاد ــ ثم يلى هذه المقدمة المواد القانونية التــي تعالج المسائل المختلفة ــ ثم بعد هذه المواد خاتمة تتضمن خطابــاً موجهــاً لكل أفراد الشعب بضرورة احترام هذه المدونة والالــتزام بكــل المواد القانونية التي تضمنتها حتى تمنحهم الآلهة الــرعاية والــبركة، ويتجنــبوا اللعنة والعقاب الشديد عند مخالفة أحكامها.

٢ ــ المــواد القانونــية التي تضمنتها كل المدونات القديمة جاءت على شــكل نصوص موجزة تم صياغتها بأسلوب شعرى سهل ويسير يتناسب مع فهم وإدراك وعقلية هذا الزمان لكي يعلم بها كل الناس بدون عناء ذهني ويحفظوا أحكامها في ذاكرتهم.(٩)

٣ ــ جمــيع المدونــات القانونية القديمة التي ظهرت في شرق وغرب

العالم القديم قد تضمنت نصوص ذات طابع إداري وسياسي تتعلق بـنظام الدولـة وشئون الحكم، ونصوص أخرى ذات طابع جنائي توضـح نوعـية الجـرائم التـي يجب على الشعب عدم اقترافها والعقوبـات المقررة عليها في حالة ارتكابها سواء كانت عقوبات مالـية فـي صورة تعويضات أو عقوبات جسدية كالحبس والجلد وقطـع بعـض أعضـاء الجسم وتشويه الوجه إلى أن تصل إلى الإعدام باعتباره أقصى عقوبة جسدية.[١٠]

٤ ــ جمـيع المدونات القانونية التي ظهرت في مجتمعات العالم القديم يجمعها طابع واحد يكاد يكون مشتركا ــ وهو أن معظم نصوص هـذه المدونات ليست سوى تجميعا للأعراف القديمة على حالتها السابقة بدون تطوير ملحوظ أو ملموس في محتواها.[١١]

المبحث الثاني

أوجه التباين بين الصين القديمة والمجتمعات الحضارية الأخرى في مرحلة التدوين

حيث أن كل مجتمع إنساني قديم قد تميز بطابع حضاري معين عن المجتمعات الإنسانية الأخرى ــ فإن حركة التدوين قد تأثرت بهذا التميز ــ وأصبح بالتالي لكل مجتمع حضاري بعض الصفات الخاصة في نظام تدوين القانون، كما عبرت أيضاً المدونات القانونية عن الطابع الحضاري الذي تميز به كل مجتمع ــ ولذا فإن الشرائع والمدونات القديمة ترجع قيمتها في المقام الأول إلى أنها كانت ترجمة صادقة ومرآة واضحة لكل ما وصل إليه المجتمع من تطور وما حققه من إنجازات حضارية متميزة[١٢] ــ والصين باعتبارها قد تميزت بخصائص حضارية معينة في العالم القديم، فإن هذا قد جعلها أيضاً تتميز ببعض الخصائص في حركة التدوين، وهذه الخصائص كانت غير متشابهة أو متباينة مع مثيلتها في بعض المجتمعات الحضارية الأخرى وأهمها يتلخص في الآتي:

١ ــ إذا كانت الصين وبعض المجتمعات الحضارية الأخرى القديمة وعلى الأخص مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والحيثيين والإغريق والفرس والرومان قد ظهر فيها حركة التدوين بعد أن عرفت الكتابة ومرت بمرحلة تطبيق القواعد العرفية، إلا أن الصين (كما سبق أن وضحنا) قد ساد فيها تيار فكرى هائل في فلسفة الأخلاق خلال العهود الأخيرة لعصر ما قبل الأسرات مرتكزاً على القيم والمبادئ التي تأسست من العقيدة الدينية خلال فترة تطبيق أحكام وتعاليم رجال الدين، وهذا التيار الفلسفي قد جعل معظم المصادر الموضوعية للقواعد العرفية عبارة عن قيم

ومبادئ أخلاقية، ولذلك فإن القواعد العرفية التي تم تدوينها في الصين كان يغلب عليه الطابع الأخلاقي أكثر من التي تم تدوينها في المجتمعات الحضارية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم.(١٣)

وأيضاً يوجد تباين واضح في حركة التدوين بين الصين وكل من المجتمعين القدمين الهندي واليهودي؛ وذلك لأن الصين قد دخلت مرحلة التدوين بعد أن مرت بمرحلة تطبيق القواعد العرفية ـ في حين وصل المجتمعين الهندي واليهودي إلى مرحلة التدوين أثناء فترة تطبيق القواعد الدينية فقط، أي لم يمراً بمرحلة القواعد العرفية وإن كان يوجد فرق واضح بين المجتمعين، يتلخص في أن المجتمع الهندي قد وصل إلى مرحلة تطبيق القواعد الدينية بعد أن تطور حضارياً في مجالات عديدة وعلى الأخص في مجال الفكر الأدبي والفلسفي، وخير دليل على ذلك النصوص ذات الطابع الديني التي احتواها (قانون مانو) الذي يعتبر من أهم القوانين المدونة في العالم القديم، حيث عبر بصدق عن مدى رقى وازدهار الحضارة الهندية القديمة(١٤) ـ أما اليهود فقد وصلوا إلى هذه المرحلة وهم في فترة التيه الأعظم بعد أن أنزلت التوراة من عند الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام في سيناء ـ أي قبل أن يدخلوا فلسطين بقيادة يوشع بن نون عليه السلام ويكون لهم مجتمع مستقل وذات كيان سياسي بين المجتمعات القديمة الأخرى.(١٥)

٢ ـ تشير السجلات التاريخية بأن الصين قد وصلت إلى مرحلة التدوين بعد أن وصلت إليها مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين بفترة

طويلـــة ــ لأن حـــركة التدوين قد ظهرت في الصين بعد معرفة الكـــتابة فـــي عهد حكم أسرة شانغ خلال القرن السادس عشر قبل المـــيلاد، حيث اكتشفت دروع سلاحف وعظام حيوانات تزيد عن ألـــف قطعـــة عند أطلال مدينة (يـــن) القديمة وعليها نقوش كتابة دونهـــا العرافون والكهنة وأطلق عليها بسبب ذلك لغة العرافين أو لغة الكهنة[١٦] – في حين ظهر التدوين في عصر الفرعونية منذ ما يقـــرب مـــن أربعة ألف سنة قبل الميلاد ابتـــداء من تقنين تحوت (آلـــه الكـــتابة والقانون) ثم تقنين بوكخوريس خـــلال الفتـــرة مـــن (٧١٨ ــ ٧١٢ ق.م) وتقنيـــن أمـــازيس خـــلال الفتـــرة مـــن (٥٦٨ ــ ٥٣٧ ق.م) وفي بلاد ما بين النهرين منذ ما يقرب مـــن ثلاثـــة ألـــف سنة قبل الميلاد وأشهر المدونات تقنين الملك أورنـــامو (٢٠٦١ ــ ٢٠٤٣ ق.م) وتقنيـــن الملـــك بيـــلالامـــا (١٩٥٠ ــ ١٩٠٠ ق.م) وتقنيـــن أيســـين الـــذي أصـــدره الملك لبيـــت شـــتـــار (١٨٨٥ ــ ١٨٧٥ ق.م) ثم تقنين الملك المشرع والمصلح حمورابى خلال الفترة من (١٧٤٧ ــ ١٦٨٦ق.م).[١٧]

أمـــا المجـــتمعات القديمـــة الأخرى فقد وصلت إلى هذه المرحلة بعد ما وصلت إليها الصين بفترة طويلة، وذلك مثل الهند التـــي وصـــلت إليها منذ ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد وأشهر المدونات التي ظهرت فيها كما أشرنا (قانون مانو) ويشير بعض المؤرخيـــن بأنه قد تم تدوينه في عام ١٢٨٠ قبل الميلاد،[١٨] وفي بـــلاد الإغـــريق منذ ألف سنة قبل الميلاد وأشهر المدونات قانون دراكـــون الـــذي صدر في عام ٦٢١ قبل الميلاد وقانون صولون الـــذي صـــدر فـــي عـــام ٥٩٤ قبل الميلاد[١٩] ــ وفي روما منذ

سبعمائة سنة قبل الميلاد وأشهر المدونات **قانون الألواح الأثنى عشر** الذي صدر في عام ٤٤٩ قبل الميلاد.[٢٠]

٣ ــ ظروف وأوضاع حركة تدوين القانون في الصين كانت غير متشابهة مع مثيلتها في المجتمعات الأخرى القديمة ــ وذلك لأن حركة التدوين قد ظهرت في الصين بعد أن تفككت الملكية العامة وألغيت المساواة بين الناس وانقسم المجتمع إلى طبقات (حاكمة ــ أشراف ــ كهنة ــ عامة ــ عبيد) وأن هذه التدوين قد تم بناء على أوامر من السلطة الحاكمة بهدف تقوية نفوذها وسلطانها في حكم البلاد إلى جانب تدعيم الوحدة الوطنية بين أفراد الشعب في بعض الحالات التي كان يعقب فيها نظام حكم جديد.[٢١]

وهذه الظروف والأوضاع وإن كانت قد تشابهت في بعض مظاهرها مع ظروف وأوضاع حركة التدوين في مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والهند والفرس على أساس أن القوانين التي دونت بها كانت بناء على أوامر من السلطة الحاكمة ولنفس الأهداف تقريباً مثل قوانين **بوكخوريس وأمازيس ودارا الأول** في مصر، **وأورنامو وبيلا لاما وايسين وحمورابى** في بلاد ما بين النهرين، **ومانو** في الهند، **وداريوس وأحشريروش** في دولة الفرس[٢٢] ــ إلا أن حالة المجتمع الصيني السياسية والاجتماعية كانت مختلفة إلى حد ما عن حالة هذه المجتمعات، كما أن العزلة التي عاشها الشعب الصيني في بداية تكوين حضارته، وعدم اتصاله بالمجتمعات الأخرى القديمة بسبب اعتقاده حتى القرن السابع قبل الميلاد بأنه الشعب الوحيد في هذا العالم ولا توجد شعوب أخرى غيره تعيش فوق سطح الأرض[٢٣] قد جعلت ظروف وأوضاع حركة التدوين في الصين ذات طبيعة انفرادية خاصة وخالية تماماً من أي مؤثرات

خارجـية، بيـنما كانت على غير ذلك في المجتمعات الأخرى بسبب قيام اتصـالات وعلاقـات عديـدة بينها منذ بداية عصورها التاريخية، وهذه الاتصـالات والعلاقات جعلت كل مجتمع يتأثر بالآخر في بعض الأمور الخاصة بطبيعة ظروفه وأوضاعه(٢٤) ــ وبالتالي كانت ظروف وأوضاع حـركة تدويـن القـانون فـي الصين متشابهة فقط مع مثيلتها في مصر الفرعونـية وبلاد ما بين النهرين والهند والفرس من حيث بعض المظاهر الخاصـة بالسلطة التي أصدرت القوانين المدونة، وليست من حيث طبيعة هذه الظروف والأوضاع التي تولدت من المعطيات البيئية والذاتية في كل منهما.

ــ أمـا بالنسبة للمجتمعات الغربية التي مثلها الإغريق والرومان في العصـور القديمـة فكانـت هـذه الظروف والأوضاع مختلفة تماماً في مظاهـرها وطبيعتها الذاتية ــ لأن حركة التدوين قد قامت فيها بناء على مطالـب الشـعب من أجل تقرير المساواة في الحقوق والواجبات بعد أن اسـتيقظت طـبقة العامة وثارت على طبقة الأشراف التي سلبت حقوقهم وكبلـتهم بالديون وأرهقتهم بالضرائب وذلك مثل ما حدث في أثينا وترتب علـيه صدور قانون دراكون ثم قانون صولون، وما حدث في روما وأدى إلى صدور قانون الألواح الأثنى عشر.(٢٥)

ــ هـذا بالإضافة إلى أن المجتمع الحثي قد تميز بظروف وأوضاع خاصـة فـي حركة التدوين تختلف تماماً عن مثيلتها في الصين وفي كل مجـتمعات العالم القديم، وذلك لأن تدوين القوانين الحثية لم تكن بناء على أوامـر من الملك ولا بناء على مطالب الشعب، وإنما كانت بناء على ما يقـرره (المجلـس الأعلـى) الـذي كـان يتألف من كبار رجال الدولة الأرسـتقراطيين حيث كانت له اختصاصات تشريعية وقضائية إلى جانب

بعض الأمور الهامة في الدولة ومنها اختيار الشخص الذي يجلس على العرش بعد وفاة الملك.[٢٦]

٤ ـ التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي حدثت من أثر حركة تدوين القانون وترتب عليها تغيرات في حالة المجتمع الصيني كانت أقل بكثير من التي حدثت في المجتمعات القديمة الأخرى وعلى الأخص مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والإغريق والرومان ـ وذلك لأن الشعب الصيني قد تميز منذ بداية تكوين حضارته بطابع حبه الشديد للثبات والتمسك بالنظم القديمة وبالقيم والمبادئ الأخلاقية وبالعادات والتقاليد الموروثة التي وضعها أسلافه في العهود السابقة[٢٧] ـ ولذلك كان ينظر إلى التدوين على أنه لم يأت بأي أمور جديدة ومؤثرة في تنظيم العلاقات وضبط السلوك بقدر ما هو وسيلة قد فرضت عليه من السلطة الحاكمة لإظهار قوتها ونفوذها، ولتسجيل قدر ضئيل جداً من الأعراف والعادات والتقاليد الموروثة.

٥ ـ القواعد التي تم تدوينها في المجتمع الصيني القديم كانت معظمها قواعد عرفية يغلب عليها الطابع الجنائي والإداري ـ في حين كانت في المجتمعات الحضارية الأخرى في شرق وغرب العالم القديم عبارة عن قواعد كونت مجموعات قانونية شبه متكاملة في الأمور المدنية والسياسية والجنائية والإدارية وإن كانت معظمها تشمل أيضاً القواعد العرفية التي كانت سائدة في هذه المجتمعات [٢٨]ـ وذلك لأن الشعب الصيني كان دائماً يفضل القواعد العرفية التي التزم بإتباعها وعدم مخالفتها منذ زمن بعيد في تنظيم علاقات أفراده وضبط سلوكهم حيث أعتقد (كما سبق أن

وضحنا) بأن هذه القواعد نابعة من ضميره وبأنها تحمل في طيأتها كـل القـيم والمبادئ الأخلاقية التي تكونت من العقائد الدينية، أما القواعـد المدونة في صورة تشريعات فكان يشعر بأنها مفروضة علـيه مـن السـلطة الحاكمة وأنها لا تعبر عن مصالحه وأهدافه وأمانـيه بقـدر ما تعبر عن مصلحة السلطة الحاكمة التي أمرت بتدوينها وإصدارها من أجل تدعيم نفوذها وسيطرتها وسلطانها في حكم البلاد.[٢٩]

٦ــ الأدبـاء والفلاسفة الذين ظهروا في المجتمع الصيني القديم وعلى الأخـص مـنذ بداية نظام حكم الأسرات كانوا يبغضون القواعد المدونة وينظرون إليها بعدم احترام ــ في حين كان أدباء وفلاسفة المجـتمعات القديمـة الأخرى ينظرون عكس ذلك أو على الأقل كانت نظرة بعضهم محايدة بالنسبة للقواعد المكتوبة ــ وذلك لأن أدباء وفلاسفة الصين قد اعتقدوا وبلوروا فكرهم بأن الاعتماد على القواعد المدونة قد يبعد المجتمع عن تحقيق العدالة باعتبار أن تلك القواعد قد احتجزت في قوالب وأصبحت محدودة المفهوم القانوني وإن هذا وإن كان قد يحقق بعض جوانب العدالة في وقت معين إلا أنـه فـي الحقـيقة قد يبتعد ويتجافى عن تحقيق العدالة بمفهومها الأساسـي في أوقات كثيرة ــ وذلك لأنه سيؤدى إلى إيجاد طبقة معينة من أفراد الشعب تحاول أن تستفيد من هذه القواعد المكتوبة وتستخدمها بالتحايل لمصالحها الشخصية على حساب مصالح باقي أفراد الشعب بل وعلى حساب العدالة التي تعتبر المطلب الأساسي للفلسفة الصينية القديمة والمضمون الحقيقي لمعنى الحياة الإنسانية الصالحة ــ ولهذا أصبحت لديهم عقيدة اقتنعوا بها وصارت بمثابة

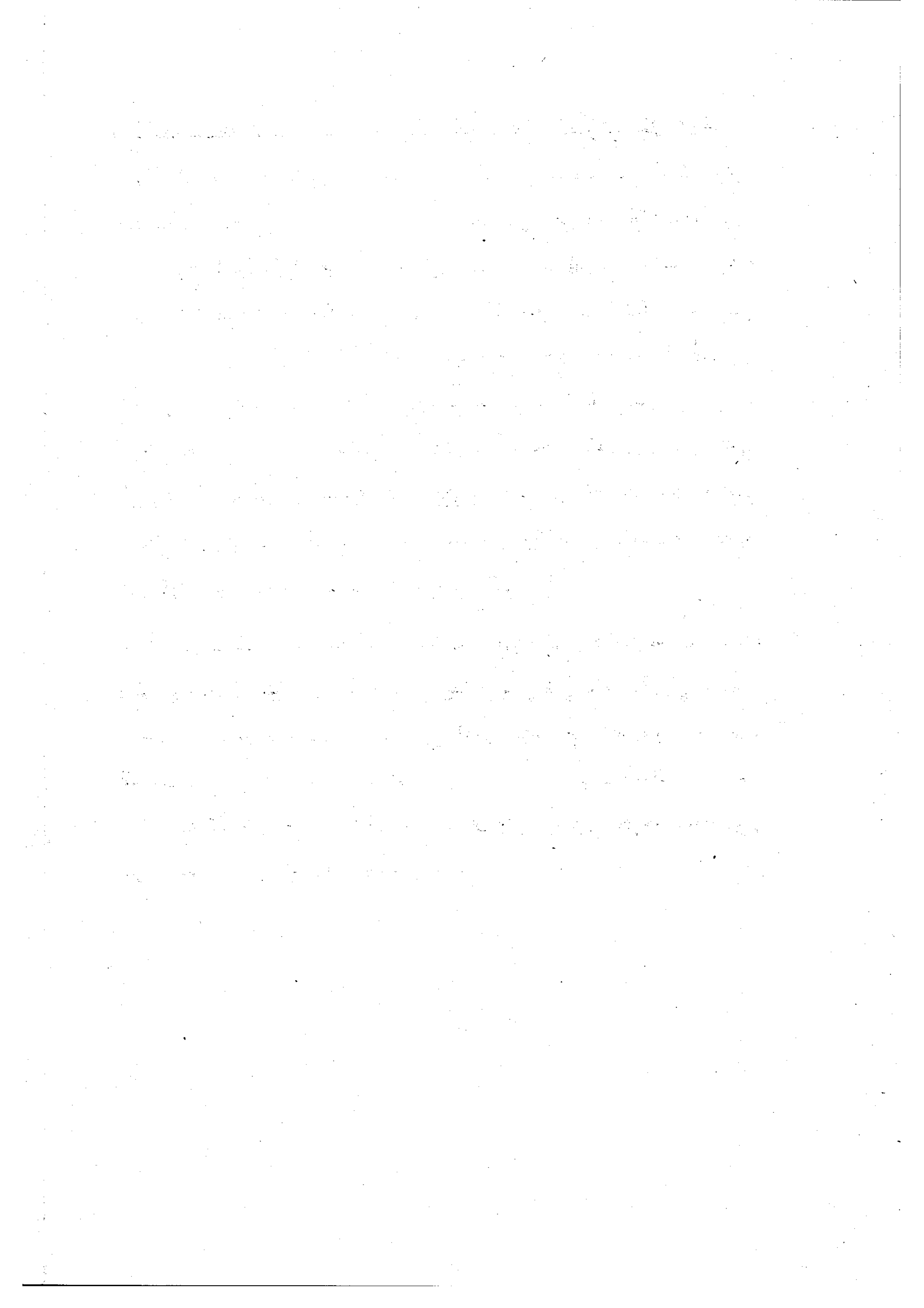
تقاليد متوارثة بالنسبة لهم لا تحبذ الأخذ بقواعد القانون المكتوبة حيث قالوا بأن (عندما تكثر الشرائع والقوانين المدونة يكثر عدد اللصوص وقطاع الطرق والنهابون والمبتزون لمصالح الشعب) على أساس أن التدوين سيؤدى إلى زيادة فرص التحايل للخروج على قواعد العدالة بمفهومها الصحيح.(٣٠)

— ولقد كانت لهذه النظرة وما تولد عنها من عقيدة فلسفية لدى الصينيين القدماء أثرها الفعال في عدم استمرار معظم القوانين المكتوبة، بل كانت تتغير (كما سنرى بعد ذلك) من نظام حكم لأخر — وهذا عكس المدونات القانونية التي وضعت في المجتمعات القديمة الأخرى حيث أن معظمها مثل **قانون حمورابى** في بلاد ما بين النهرين، **وبوكخوريس وأمازيس** في مصر الفرعونية، **ومانو** في الهند، **وصولون** في بلاد الإغريق، **والألواح الأثنى عشر** في روما قد أستمر العمل بها فترات طويلة أو قرون عديدة دون أن يدفنها الإهمال أو يطويها زمن النسيان أو تطمس كلية في أي نظام حكم آخر غير الذي وضعت فيه.(٣١)

* وعلى هذا الأساس فأن كانت حركة تدوين القانون قد ظهرت في المجتمع الصيني القديم خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد — إلا أن القواعد العرفية قد ظلت لها الأفضلية في تنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم، حيث اعتبرت عند الصينيين القدماء هي المصدر الأساسي للقانون لما تحتويه من قيم ومبادئ أخلاقية وعادات وتقاليد موروثة كفيله بأن تحقق العادلة المنشودة لكل أفراد المجتمع على طول الزمان وبالتالي فإن مضمون الواجب والفضيلة الذي ارتكزت عليه فكرة القانون في مرحلة القواعد العرفية قد ظل سائداً أيضاً في المجتمع الصيني خلال مرحلة التدوين كما تبلور هذا المضمون وأصبح من المفاهيم الراسخة على

يد الفلاسفة الذين ظهروا في عهود حكم الأسرات مثل لاوتسى، وكونفوشيوس ومنشيوس وغيرهم ـ وإذا كان قد ظهر في أواخر حقبة الممالك المتحاربة تيار فلسفي يعارض ذلك من المدرسة الشرائعية التي تزعمها (شانغ يانغ، هان في تسى) ونادت بعدم التقيد بالقواعد العرفية وبالتقاليد العتيقة والاعتماد على القوانين والشرائع المدونة لتكون المصدر الأساسي للقانون ـ إلا أن هذه المدرسة قد حجمت أفكارها وأندحر أنصارها في عدد قليل جداً ـ حيث لم تستطع أن تواجه الهجوم الجارف الذي تعرضت له من جانب كل المدارس الفلسفية الأخرى وعلى رأسها المدرسة الكونفوشيوسية والتي كانت تنادى بأن القواعد العرفية التي ترتكز على الواجب والفضيلة النابعة من القيم والمبادئ الأخلاقية والتقاليد الصالحة الموروثة هي المصدر الأساسي للقانون.[٣٢]

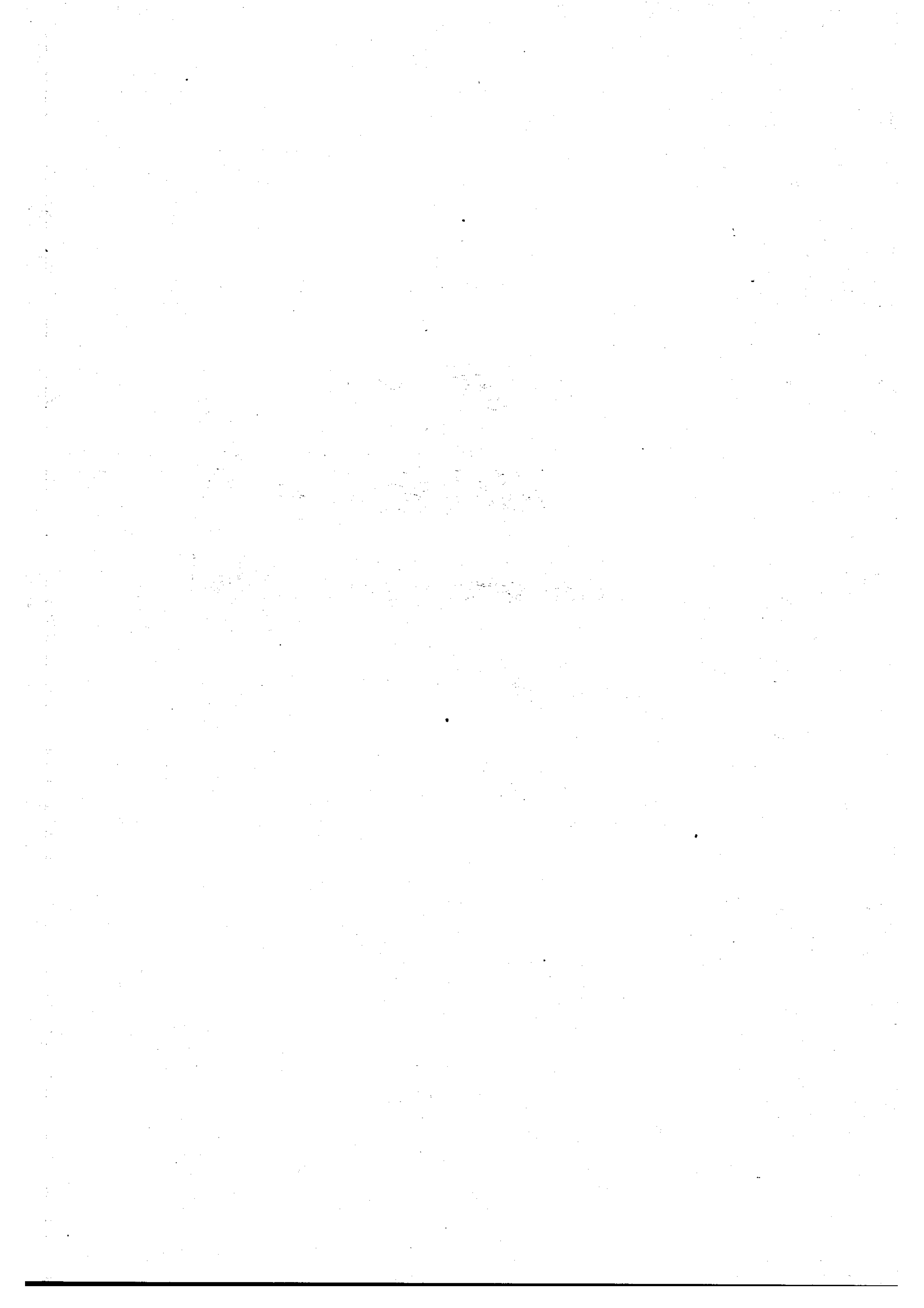
ـ وحيث أن حركة التدوين قد أدت إلى ظهور قوانين مدونة عديدة بداية من نظام حكم أسرة شانغ حتى نهاية أسرة هان الشرقية التي سينتهي عندها بحثنا ـ فإننا سنعرض في الباب القادم أهم الشرائع والمدونات القانونية التي ظهرت خلال الفترة من عام ١٧٦٥ قبل الميلاد حتى عام ٢٢١ ميلادية ـ لنبين بإيجاز ما سبق أن طرحناه من صفات وخصائص حركة التدوين في المجتمع الصيني القديم.



الباب الثاني

أهم شرائع وأحكام

قوانين المجتمع الصيني القديم



تقديـــم:

حيث سبق أن وضحنا بأنه يجب عدم الخلط بين التدوين والتشريع على أساس أن تدوين القانون قد أرتبط وجوده بظهور الكتابة في حين أن التشـــريع رغـــم كونـــه قد أرتبط في الأذهان بوجود الكتابة ـــ إلا أنه في الواقع لا يرتبط بها، وإنما يرتبط في المقام الأول بوجود التنظيم السياسي في المجتمع، ولذا فقد يصدر في صورة قواعد مكتوبة أو في صورة قواعد عرفـــية من رئيس القبيلة أو العشيرة أو الملك أو الإمبراطور، وبأنه على هـــذا الأساس قد ظهر في معظم مجتمعات العالم القديم قبل ظهور الكتابة وقبل ظهور الدولة.

فـــإن هـــذا يعـــنى أن العهـــود التي سبقت فترة ظهور الكتابة في المجـــتمع الصـــيني القديـــم والتـــي عرف فيها هذا المجتمع فكرة التنظيم السياســـي ســـواء فـــي عصر ما قبل الأسرات كرؤساء القبائل والعشائر والأباطـــرة الأسطوريين أو خلال عهد حكم أسرة شيا ـــ قد صدرت فيها تشـــريعات عديدة في صورة قواعد عرفية، لأنه من المستحيل أو من غير المقـــبول شكلاً أو موضوعاً أن يقود رئيس الجماعة أفرادها بباطن أفكاره أو بفم مكموم، وإنما لا بد أن يصدر تعليمات وتوجيهات وأوامر من أجل أن ينظم أوضاع هذه الجماعة ويدعم فيها أسانيد الأمان والاستقرار، وهذه التعلـــيمات والتوجيهات والأوامر قد أخذت معظمها صفة التشريع الصادر مـــن الســـلطة العليا رغم أن جميع قواعد هذا التشريع ليست سوى قواعد عرفية.

ـــ ولذلك فإذا كانت الكشوف الأثرية أو المعلومات التاريخية الصينية لـــم تدلـــنا بصفة التحديد على الشرائع التي صدرت قبل ظهور الكتابة في المجـــتمع الصيني القديم ـــ إلا إننا نؤكد من استقرائنا للإحداث والظروف

التـــي مـــر بهـــا هذا المجتمع بأن هذه الشرائع كانت عديدة وخاصة التي صـــدرت في عهود الأباطرة الأسطوريين ثم في عهد حكم أسرة شيا التي تعتبر أول أسرة حكمت المجتمع الصيني في العصور القديمة والدليل على ذلك نوجزه فيما يلي:

١ - الحكايـــات والروايات التي وردت في الكتب الصينية القديمة عن مشاهير الشخصيات الأسطورية المعروفة بأنهم قد نظموا أمور الحياة في المجـــتمع وهذبوا سلوك الأفراد وعلموهم المبادئ الأولية للعلاقات الحسنة التـــي يجـــب أن تقوم بينهم، وغرسوا فيهم البذور الأساسية للحكمة والقيم الأخلاقية العليا ــ تفيد بأن كل واحد من هؤلاء قد أصدر أثناء فترة حكمة تشـــريع أو أكـــثر وأعلنه لأفراد الشعب لكي يلتزموا بكل النصوص التي وردت فيه حتى ينفذوا أوامره وتعاليمه، وبأن هذا هو الأجراء أو الأسلوب الوحـــيد الذي أتبعوه في نظام حكمهم الصالح كما وصفته الكتب الصينية القديمة، ومعظم المراجع التاريخية التي أشارت عن تاريخ الصين القديم ــ مـــثل ما قاله ول ديورانت في مؤلفه (قصة الحضارة) بأن (فوهسى) الذي يعتـــبر أول الأباطـــرة الأسطوريين قد حكم الصين في عام ٢٨٥٢ ق. م بالـــتحديد، وعلـــم الـــناس بمعاونة زوجته المستنيرة أمور الزواج ونظم العلاقـــات الطيـــبة والسلوك الحسن والأصول الأولية للحكمة كما أرشدهم عـــن كيفـــية صـــيد الأســـماك بالشباك وتأنيس الحيوان وإطعام دود القز للحصول منها على الحرير، وبأنه قد أوصى وهو على فراش الموت بأن يخلفـــه فـــي الحكم (شين تونج)، فعلم هذا الإمبراطور أيضاً الناس كيفية ممارسة النشاط التجاري وإقامة الأسواق والنظم الحسنة في عمليات البيع والشـــراء إلـــى جانب إرشادهم عن بعض فنون الزراعة وبأنه هو الذي أخـــترع المحراث الخشبي وانشأ علم الطب بما عرفه من خواص النباتات

العلاجية ثم جاء من بعده الإمبراطور المحارب القوى (هوانغ ـ دى) الذي لم يطل عهده أكثر من مائة عام وعلم الناس حب التضامن والحياة المستقرة وكيفية توزيع الأرض الزراعية على الأهلين كما لقنهم بأوامره وتعاليمه العديد من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تضبط سلوكهم وتصلح أحوالهم في الحياة ـ وبعد وفاته جلس على العرش (ياو) الذي كان أغنى من حكم الصين، وعلم الناس بأوامره وتعاليمه التقوى والورع والسلوك الحسن وأن صلاح حكمة قد جعل كونفوشيوس يكتب عنه بعد زمانه بثمانمائة وألف عام بالقول بأن الناس قد أصبحوا أفاضل أتقياء بمجرد النظر إلى ياو، ثم جاء من بعده الملك (شون) الذي كان مثالاً في البر البنوى وفي محبة الأجيال، وعلم الناس أيضاً المزيد من نظم العلاقات الطبية والسلوك الحسن الذي يجب أن يتبعوه في معيشتهم كما أصلح التقويم، وضبط الموازين والمقاييس، وفي آخر أيامه رفع مكانه على العرش أقدر مساعديه وهو المهندس العظيم (يوى) الذي علم الناس المروءة والشجاعة ولقنهم أيضاً بأوامره وتعاليمه العديد من القيم والمبادئ التي تصلح سلوكهم وتدعم ترابطهم على المحبة والتآخي وأنه هو الذي قام بتأسيس أول أسرة حكمت الصين القديمة وهى أسرة شيا[١] ـ وأيضاً يقول المؤرخ الأمريكي ولتر فير سرفس في مؤلفه (أصول الحضارة الشرقية) بأن الأباطرة الأسطوريين بداية من (فوهسى) قد أصدروا أوامرهم وتعاليمهم إلى الشعب الصيني القديم ليعلموه نظام الزواج والعلاقات الطيبة والسلوك الحسن وآداب الحياة الاجتماعية إلى جانب الأمور الأخرى التي تساعد على صلاح معيشتهم[٢] ـ وفي كتاب (موجز تاريخ الحضارة) الذي ألفه الدكتور نور الدين حاطوم وآخرين، أشار أيضا بأن الأباطرة الأسطوريين قد لقنوا الناس الحكمة والقيم الأخلاقية وأصدروا لهم الأوامر

والتعليمات والنظم الإدارية المختلفة لينظموا علاقاتهم ومعاملاتهم ويضبطوا سلوكهم كما كانوا يقوموا بجولات تفتيشية في معظم مواقع البلاد ويفحصوا دورياً الموظفين ويوقعوا بعض العقوبات على المسيئين[٣]... وبالتالي لا يمكن أن يكون هؤلاء الأباطرة قد قاموا بهذه الأمور والإجراءات إلا من خلال تشريعات قد أصدروها خلال فترة حكمهم للمجتمع الصيني القديم.

ـ أما بالنسبة لنظام حكم أسرة شيا التي تعتبر أول أسرة ملكية في تاريخ الصيني القديم، وكان (يوى) أول من أسسها وخلفة أبنه (تشى) وأحفاده حتى الملك (جيه) الذي انهار وسقط نظام حكمه على يد أسرة شانغ ـ فإن الدلائل تؤكد قيام ملوك هذه الأسرة بإصدار تشريعات قانونية عديدة خلال فترة حكمهم ـ لأن بنظام هذه الأسرة بدأ المجتمع العبودية في الصين، وظهرت طبقتان أساسيتان في هذا المجتمع هما ملاك العبيد (الأرستقراطيين) والعبيد إلى جانب طبقة العامة التي كانت تزاول الإنتاج الزراعي والحرف اليدوية، وكان الملك هو الرئيس الأعلى لطبقة الأرستقراطيين، ومن أجل حماية مصالح هذه الطبقة وقمع أي معارضه ضدهم من جانب العبيد والعامة، نظم هذا الملك مع الأرستقراطيين أجهزة المملكة القمعية وشرعوا القوانين التي كان يغلب عليها الطابع الجنائي والإداري[٤]ـ ولذا فإذا كانت المعلومات الأثرية لم ترشدنا حتى الآن عن الشرائع القانونية التي صدرت في عهد هذه الأسرة، إلا أنه طبقاً لنظام حكم ملوكها وما ورد في المصادر التاريخية عن الأوضاع التي كان عليها المجتمع الصيني خلال فترة عهدها تفيد كقرائن بقيام كل ملك من ملوك هذه الأسرة بإصدار تشريع أو أكثر من أجل أن يدعم نفوذه وسيطرته في حكم البلاد ويحقق مصالح أفراد أسرته وطبقة الأرستقراطيين على حساب

العبيد وطبقة العامة ـ وآخر هذه الشرائع أصدرها الملك (جيه) وكانت معظم نصوصها جنائية ومليئة بالعقوبات الشديدة القسوة والغرابة مثل عقوبة الإعدام التي كان يسلي نفسه هو وزوجته في تنفيذها، وأعدم ما يقرب من ثلاثة ألف شخص بالموت غرقاً في بحيرة من النبيذ ولذلك أشارت معظم المراجع التاريخية بأن الشرائع والعقوبات القاسية التي فرضها الملك (جيه) كانت من أهم الأسباب التي دفعت الشعب للقيام بالثورة عليه وإسقاط نظام حكمه، وزالت بالتالي أسرة شيا وحل بدلاً منها أسرة شانغ.(٥)

ـ وإذا كانت معظم المراجع التاريخية الخاصة بالحضارة الصينية القديمة قد أشارت بما يفيد بأن الكتابة بدأت من عهد أسرة شانغ في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وان العهود التي سبقت حكم هذه الأسرة لم يرد عنها أي نص مكتوب (٦)ـ إلا أننا لا نؤيد هذا الاتجاه، بل نتحفظ عليه وعلى كل الآراء التي وردت فيه، لأنه ليس من المنطق أن يكون مجتمعاً إنسانياً مثل الصين تأسست فيه دعائم حضارية عديدة منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وتبدأ فيه الكتابة بعد فترة طويلة جداً من بداية ظهور مقوماته في العالم القديم، في حين مجتمعات قديمة أخرى عهدها الحضاري أحدث بكثير من عهد حضارة الصين وأقل منها مكانة في الدعائم الحضارية مثل المجتمع الحثي قد بدأت فيها الكتابة في القرن الثامن أو التاسع عشر قبل الميلاد(٧) أي قبل المجتمع الصيني بما يزيد عن قرنين أو أكثر، وبالطبع هذا وضع غير منطقي وغير مألوف بين المجتمعات التي ظهرت في العالم القديم باعتبار أن الكتابة كانت من أهم السمات الحضارية الأولية لكل مجتمع إنساني قديم.

ـ بالإضافة إلى ذلك أن بعض الروايات التي وردت في كثير من

المـراجع التاريخـية عن الشخصيات الصينية الأسطورية قد أشارت بأن الشـعب الصيني قد عرف الكتابة واستخدمها في تسجيل إنجازاته وأحداثه السياسـية والاجتماعية والاقتصادية في عهود ما قبل الأسرات وفي عهد حكـم أسـرة شـيا ـ وذلك مثل ما قرره ول ديورانت في مؤلفه (قصة الحضـارة) بأن (الأساطير الصينية قالت أن الإمبراطور (فوهسى) الذي جـاء فـي عـام ٢٨٥٢ قـبل الميلاد بعد الملوك الأولين قد علم الناس بمسـاعدة زوجته المستنيرة الموسيقى والكتابة... وأن الإمبراطور "شين تونـج" الذي خلفه قد أستخدم الكتابة في أمور المعاملات والتجارة وعلم الطب ... وأن الإمبراطور المحارب (هوانغ دى) الذي خلف (شين تونج) قد وظف مؤرخين رسميين في حكومته سجلوا بالكتابة أحداث عصره ... وأن الإمبراطور (ياو) الذي خلف (هوانغ دى) تلي الحكم قد جاء عنه في كـتاب الـتاريخ الذائع الصيت بأنه كان يضع في خارج باب قصره طبلاً للناس يضربونه إذا أرادوا أن يدعوه لسماع شكاواهم ولوحا يكتبون عليه ما يشيرون به على الحكومة ... وأن الإمبراطور (شون) الذي عين بعده فـي الحكم كان يستخدم هو ووزرائه والموظفين في حكومته الكتابة في إصـلاح الـتقويم وضبط الموازين والمقاييس والأمور الهامة التي كانت تـتعلق بشـئون البلاد ... وأن الإمبراطور (يوى) الذي خلفه في الحكم وإنشاء أسرة (شيا) بعد أن غير مبدأ الجلوس على العرش بنظام الإختيار وجعـل الملك وراثيا في أسرته، قد استخدم هو وملوك أسرته بداية من أبـنه (تشى) حتى آخر أحفاده الملك (جيه) الكتابة في كل الأمور الهامة بـنظام المملكـة...)[٨] وأيضـاً أشار أستاذ علم اللغة الإنجليزي (روبرت هـنرى روبـنز) في مؤلفه "موجز تاريخ علم اللغة" [بأن الشعب الصيني القديـم قد عرف الكتابة التصويرية، ثم الكتابة الأبجدية بشكل مستقل منذ

ما يـزيد عن ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وأن الصين قد سبقت إنجازات اليونان في مجال علم اللغة التطبيقي بفترة طويلة جداً تزيد عن عشرة قرون من الزمان.[٩] وأيضاً يقول المؤرخ الأمريكي ولتر فير سرفس في مؤلفه (أصول الحضارة الشرقية) بأن [(فوهسى) الذي يعده الصينيون أول إمبراطور في عهود ما قبل الأسرات، قد علم الناس الكتابة المترابطة "وهي تشبه كتابة كويبو في بيرو" وأدخل الأشكال الهندسية الثمانية الخاصة بفلسفة التصوف ... وأن "تسانج ــ كي" مؤرخ الإمبراطور "هوانغ ــ دي" قد أخترع الكتابة وشرح طريقة لها مكونة من نحو ٥٤٠ حرفاً هيروغليفيا (بالصور) يطلق عليها خط "بصمات أقدام الطير" وأنه قد استخدم الفرشاة وألواح الغاب الهندي في الكتابة ...][١٠] وأيضاً يقول الدكتور فؤاد محمد شبل في مؤلفه "حكمة الصين" بأنه [إذا كان عهد حكم أسرة "شانغ" قد خلف لنا طائفة من الكتابات سجلت على الأحجار والعظام، إلا إنه قد سجلت كتابات أخرى في العهود التي سبقت هذه الأسرة وزالت منذ أمد بعيد][١١] وهو يعنى بذلك أن المجتمع الصيني القديم قد عرف الكتابة وأستخدمها في عهود ما قبل الأسرات وفي عهد حكم أسرة شيا، ولكن هذه الكتابات قد تاهت فقط مع أحداث الزمان ولم يعثر عليها علماء الآثار حتى الآن ... وأيضاً يقول الدكتور نور الدين حاطوم في الفصل الثامن بكتاب (موجز تاريخ الحضارة) الذي ألفه مع آخرين، بأن (المعلومات التي وردت بكتاب التاريخ قد أستنتج منها بعض حقائق تفيد بأن الصينيون القدماء في عهود ما قبل الأسرات قد عرفوا الكتابة واستعملوا أقلاماً مصنوعة من خشب البامبو وغمسوها بنوع من الطلاء وكان عندهم مجلس مؤرخين لكل إمبراطور .. وأن الصينيون قد ادعوا بأن الذي أخترع الكتابة الصينية شخص له أربعة عيون، وأنه

استوحى الأحرف الصينية من ملاحظته للآثار التي تتركها الطيور حين تقف على الأرض ... وحين أكتشف هذا الشخص ذو العيون الأربعة هذه الأحرف رقصت السماء وأرتعد الجحيم فرقاً). (١٢)

ـ وفي كتاب "تاريخ الحضارات العام ـ الشرق واليونان القديمة" الذي ألفه أندريه إيمار وجانين أو بوابة، قد أشار عندما تعرض لخصائص الحضارة الصينية القديمة بأن **[الشعب الصيني قد عرف في العهود التي كانت قبل تاريخ ظهور نظام أسرة شيا الكتابة التصويرية التي تولد عنها رويداً نظام "الأحرف" الصينية خلال فترة حكم الأباطرة الأسطوريين].** (١٣)

ـ ولذلك نرى أن الشعب الصيني القديم قد عرف الكتابة في عهود ما قبل الأسرات كما وضعت خلال تلك العهود وعلى الأخص التي ظهر فيها الأباطرة الأسطوريين مدونات قانونية عديدة ـ وكل ما في الأمر أن علماء الآثار لم يعثروا عليها فقط حتى الآن، وذلك مثل قانون تحوت الذي قيل بأنه قد تم وضعه وتدوينه في مصر الفرعونية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ولم يعثر عليه حتى الآن ـ ولذا فإن المشكلة الأساسية في اكتشاف المدونات القانونية التي وضعت في عهود ما قبل الأسرات وعهد نظام حكم أسرة شيا تكمن في علم الآثار ومدى نجاحه في العثور عليها من خلال البحث والتنقيب في أطلال الماضي السحيق ـ وفي ذلك يقول المؤرخ الأمريكي ولتر فير سرفس بأن **(التقارير الأثرية الصادرة حتى الآن من الصين أو عن الصين ليست وافيه بالنسبة للموضوع الذي تشخصه ... وهناك سبب في ذلك، هو أنه لا يوجد في الصين كلها مركز واحد من مراكز التنقيب الأثرى يمكن القول عنه بان كفاءة نتائجه متميزة ويمكن الاعتماد عليها، وحتى مركز (هو كانج) الذي بحث بدقة**

يعـد غـير واف بالغـرض من هذه الناحية، ومعنى هذا أن نظام ترتيب الطبقات الثقافية ليس معروفاً على اليقين من الناحية العملية].(١٤)

ـــ وعلـى هـذا الأساس فإننا مقتنعين تماماً بأن الكتابة قد عرفت في الصـين القديمة منذ ما يزيد عن ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد وبأنه قد وضعت مدونات قانونية تم كتابتها على الأحجار أو على ألواح من البوص بعد أن عرف المجتمع الصيني التنظيم السياسي بداية من رئيس القبيلة أو العشيرة ثـم الـنظام الملكي في عهود ما قبل الأسرات وعهد حكم أسرة شيا، وأن أسـاس فكـرة القانون في هذه العهود كانت قائمة على الواجب والفضيلة المسـتمدة من أحكام القيم والمبادئ الأخلاقية والعادات الاجتماعية السائدة وآداب اللـياقة وقواعـد المجاملات التي أتبعها الأسلاف لاعتقاد الشعب الصـيني بأن أرواحهم ستظل دائماً ماثلة أمامهم تؤثر فيهم وتقضي بالعدل بينهم.

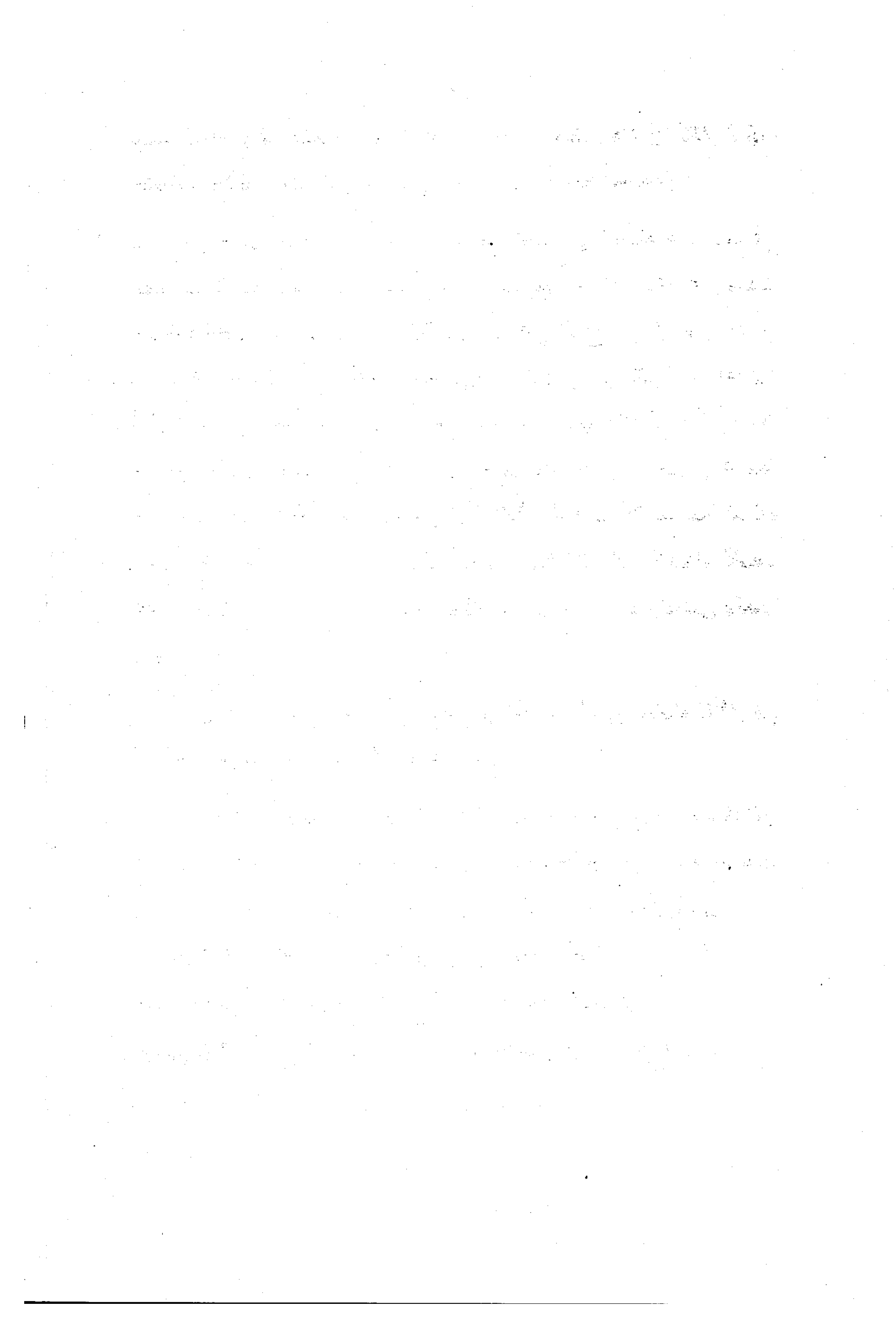
ـــ ونحـن علـى أمـل أن ينجح في القريب العاجل علماء الآثار في اكتشاف المزيد من الأدلة الأثرية التي تثبت ذلك.

ـــ وترتيـباً علـى ذلـك فإنه لكي نوضح أهم شرائع وأحكام قوانين المجـتمع الصـيني القديـم من خلال ما توصلنا إليه من تحديد طبيعتها وملامح مضمونها سنعرض دراستنا في هذا الباب على النحو التالي:

الفصل الأول: أهم شرائع وأحكام قوانين العصر الملكي.

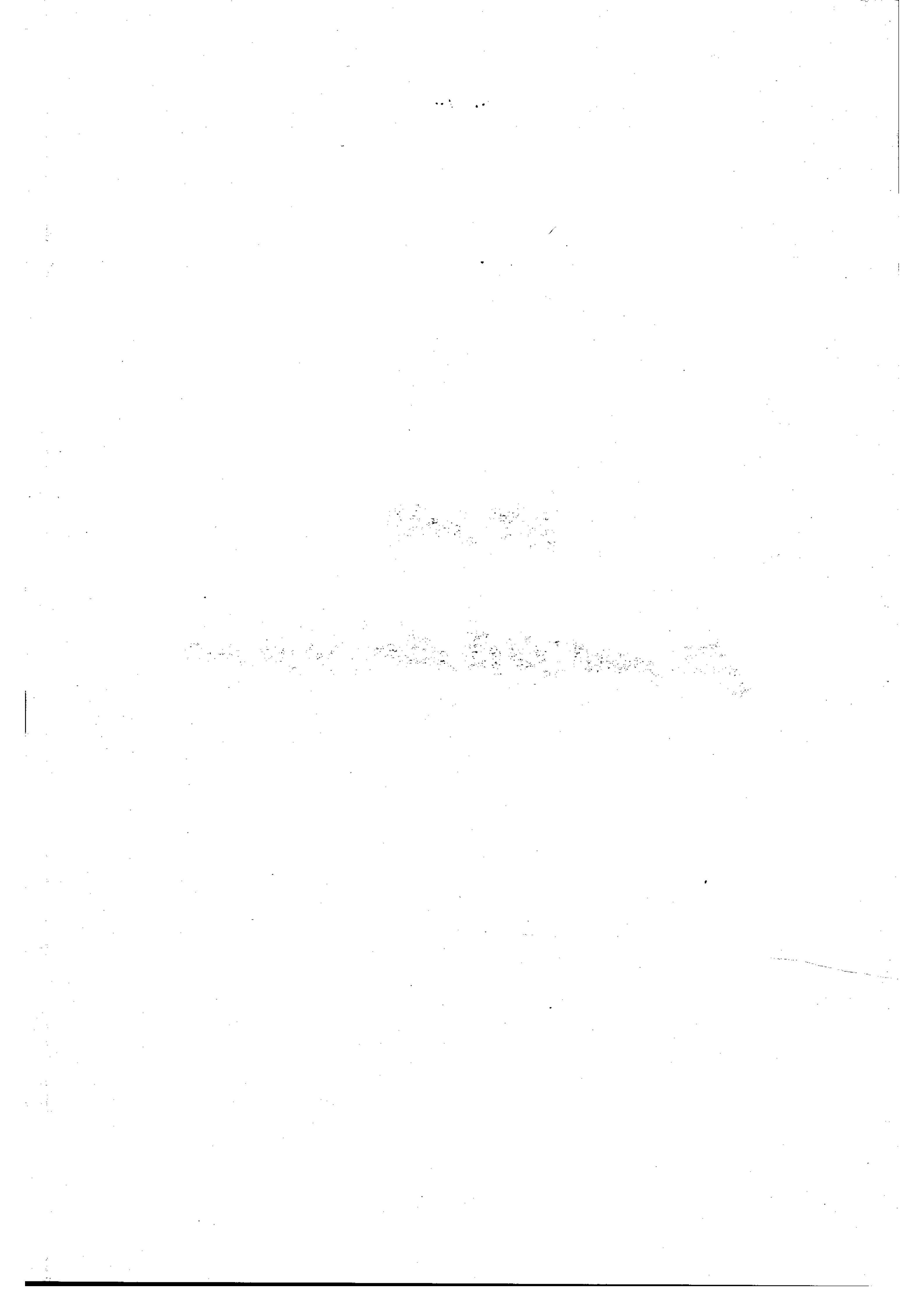
الفصل الثاني: أهم شرائع وأحكام قوانين عصر الانفصال.

الفصل الثالث: أهم شرائع وأحكام قوانين العصر الإمبراطوري.



الفصل الأول

أهم شرائع وأحكام قوانين العصر الملكي



حيث تشير المصادر التاريخية بأن الآثار التي أكتشف حتى الآن تفيد بأن الكتابة قد بدأت من أسرة شانغ بعد العثور على دروع السلحفاة وعظام الحيوانات التي استخدمت للكتابة عند إطلال مدينة "يـن" وتبلغ حوالي مائة ألف قطعة أعطت تفاصيل وافية عن نشاطات ملوك أسرة شانغ وملامح المجتمع الصيني في ذلك العهد ـ فإن معنى ذلك أن المدونات القانونية التي عثر على بعضها أو على بعض معلومات عنها ضمن الآثار التي اكتشفت عن العصر الملكي كانت من بداية حكم أسرة شانغ حتى عصر الانفصال والممالك المتحاربة، أي من عام (١٧٦٥ ـ ٤٧٦ ق.م) وهي الفترة التي تضم عهود حكم أسرات شانغ وتشو الغربية وتشو الشرقية ولكي نلقى الضوء على أهم هذه المدونات وآثارها مع النظم القانونية الأخرى على أوضاع المجتمع الصيني خلال هذا العصر ـ سنعرض دراستنا على النحو التالي:

المبحث الأول: أهم شرائع عهد حكم أسرة شانغ.

المبحث الثاني: أهم شرائع عهد حكم أسرة تشو الغربية ثم الشرقية.

المبحث الثالث: أهم أحكام قوانين العصر الملكي.

المبحث الأول

أهم شرائع عهد حكم أسرة تشانغ

كمـا سـبق أن وضحنا في الباب الأول أن **"شانغ تانغ"** هو الذي أسس أسرة شانغ بعد أن أنتصر على الملك **"جيه"** آخر ملوك أسرة شيا في عـام ١٧٦٥ ق.م، وهو بالتالي يعتبر أول ملوك أسرة شانغ التي استمرت تحكم المجتمع الصيني حتى عام ١١٢٣ق.م ـ وكما جاء في كتاب **(تاريخ بن)** كان أخر ملوك هذه الأسرة هو الملك **"شانغ تشو"** الذي أنتحر بعد أن بلغـته أنـباء هزيمة قواته من جيوش تشو الغربية وتلاشت على أثر ذلك أسرة شانغ.

وحيـث أن الـنظام العـبودى قد توطدت أركانه تماماً في عهد هذه الأسـرة عما كان عليه من قبل في عهد حكم أسرة **"شيا"** ـ فقد عزز ملاك العبيد الأرستقراطيين أجهزة مملكة شانغ بغية تدعيم مصالحهم، ووزع عليهم الملـك الـذي كان يعتبر القائد الأعلى للمملكة المناصب السياسية والعسكرية وكـل الوظائف الهامة، كما جعلهم المسئولين عن تنظيم وإدارة أجهزة القمع والسـجون، وأشركهم معه في إصدار القوانين وفي متابعة كل الأمور الهامة للملكة.(١)

ولذلـك فقد أصدر ملوك هذه الأسرة خلال فترة عهدها كما جاء في كـتاب **(تـاريخ ين)** تشريعات أو مدونات قانونية عديدة كانت معظمها ذات طـابع سياسـي وإداري وجنائي، وأشترك في وضع نصوصها ملاك العبيد الأرستقراطي.

فمـن حيث طابعها السياسي كانت تحتوى على قواعد توضح نظام الحكـم فـي المملكة وتقرر بأن شخصية الملك مقدسة وسلطاته مطلقة وبأنه على رأس المراتب في المملكة وينظم في الوقت ذاته الأمور الدينية والمسائل

المدنـــية والإداريـــة كما يقوم بإتمام الطقوس الموسمية والرسمية باعتبار أنه يستند إليه نظام العالم الطبيعي.(٢)

ومـــن حيـث طابعهـــا الإداري فقد تضمنت نصوص نظمت بها الوظـــائف العامة في المملكة، ونصوص أخرى تتعلق بكيفية تنظيم شئون العاصمة وإدارة المدن والأقاليم والمناطق التي كانت تخضع لسيطرة ونفوذ المملكـــة وتقـــع معظمهـــا فـــي الجزء الأوسط من خبى شمالاً، ونهري اليانجستى وهوايجه وهوبى جنوباً، وشاندونغ شرقاً، وشنفشى غرباً وكانت بها قبائل وعشائر عديدة.(٣)

أمـــا بالنسـبة لطابعها الجنائي فقد اشتملت على نصوص عديدة نظمت بها معظم الجرائم وقسمتها إلى **جرائم عامة** وهي التي كانت تمس المصالح العليا في المملكة مثل جرائم الخيانة العظمى، والاشتراك في قلب نظـــام الحكـــم، والتمرد على بعض الأوضاع بالمملكة، وعصيان الأوامر الملكية، والأضرار بمصالح البلاد وبالأموال العامة وكانت عقوبة الإعدام هـــي المقررة أو الواجبة التطبيق في معظم هذه الجرائم العامة - **وجرائم خاصـــة** وهي التي كانت ترتكب بين أفراد الشعب مثل جرائم القتل العمد والحـــريق العمـــد والسرقة والسطو المسلح وقطع الطريق والضرب الذي يصـــيب جســـم المجنـــي عليه والضرب المحدث لعاهة مستديمة وأعمال السـحر والشـــعوذة التـــي يرتكبها شخص للأضرار بشخص أخر، وكان عقوبـــة الإعـــدام تطـــبق أيضاً في معظم هذه الجرائم إلى جانب عقوبات أخـــرى مـــثل قطـــع الأيدي والأرجل وتشويه الوجه وجدع الأنف وقطع الأعضاء التناسلية.

وعلـــى هذا الأساس كانت معظم العقوبات المقررة للجرائم العامة والخاصة التي نصت عليها التشريعات أو المدونات القانونية التي أصدرها

ملــوك أسرة شانغ تتسم بالقسوة والفظاعة الشديدة[٤]ــ وذلك مثل التشريع الجنائي الذي أصدره الملك (وو ــ يى) حيث كانت العقوبات المقررة على الجــرائم التــي نــص عليها شديدة القسوة والمغالاة، لأن هذا الملك الذي أقتصــر حكمه من عام (١١٩٨ ــ ١١٩٤ ق.م) كان لا يعرف أي معنى للرحمة ولا يعترف بتوبة أي إنسان، وكان يحكم شعبه بالاستبداد والطغيان كمــا كــان كافراً يتحدى الآلهة ويسب روح السماء ــ وفي ذلك يقول ول ديورانــت فــي مؤلفــه "قصــة الحضارة" بأن **(من شدة كفر هذا الملك واستهزاءه بكل ما هو غيبى كان يلعب الشطرنج مع روح السماء، ويأمر أحد أفراد حاشيته بأن يحرك القطع بدل الروح، فإذا أخطأ سخر منه ــ ثم أهــدى إليه كيسا من الجلد وملأه دما، وأخذ يسلى نفسه في الوقت الذي لا يمــارس فــيه عقوبة الإعدام بأن يصوب إلى هذا الكيس سهامه حتى يرى الدماء وهي تسيل منه ليسعد نفسه بشكلها وبلونها الأحمر ــ وأن المؤرخــون قــد أكــدوا بأن هذا الملك قد أصابته بسبب كفره وطغيانه وقسوة عقوباته صاعقة أدت إلى هلاكه ...).**[٥]

وأيضاً أصدر الملك **(شانغ تشو)** ويطلق عليه أيضاً أسم **(جوسبن)** وهو أخر ملوك أسرة شانغ وكان طاغية شديد الوطأة على العبيد والعامة، تشريعاً جنائياً أحتوى على عقوبات دموية وشديدة القسوة والمغالاة لمجابهة اســتياء الشعب وقمع من يحاول أن يعارض سياسته الاستبدادية في حكم الــبلاد، وبأنــه الذي ابتكر **(عقوبة باولاو)** التي كانت تتم بوضع قنطرة نحاســية علــى فحم متقد في حفرة ــ ثم يأمر المتهم بأن يعبر على هذه القــنطرة المتوهجة وهو حافي القدمين حتى يشعر بحرارة النحاس الشديدة ولا يجد مفراً سوى القفز من على هذه القنطرة إلى الحفرة لكي تتلقفه النار وتقضى عليه بعد أن تشوى جسده ــ وأنه بسبب فساد حكم هذا الملك وما

أصــدره مــن قوانيــن دموية قد تمرد عليه عامة الشعب والعبيد وعصوا أوامــره بعــد أن ازداد حقدهــم عليه من شدة طغيانه واستبداده، وأن هذا التمرد والعصــيان قد جعلهم يمتنعون عن قتال جيوش دويلة تشو حتى تمكنــت هذه الجيوش من دخول العاصمة الشانغية ودمرت نظام حكم هذا الملــك المستبد الذي أنتحر حين بلغته أبناء الهزيمة وتلاشت بالتالي أسرة شــانغ(٦) ـــ ويقول ول ديورانت أيضا في مؤلفه (قصة الحضارة) عن هذا الملك الفاسد وما أصدره من تشريعات وعقوبات دموية خلال فترة حكمه الذي أمتد من عام (١١٥٤ ـــ ١١٢٣ ق.م) بأنه **[كان خبيثاً آثماً إلى حد لا يصدقه العقل وأن بإثمه هذا قد قضى على أسرته .. ويحكى عنه أنه قال سمعت أن لقلب الإنسان سبع فتحات، وأحب أن أثبت صدق هذا القول في وزيــرى "بــى كــان" ـــ وكانت "تاكى" زوجته مضرب المثل في الفجور والقســوة، فكانــت تعقد في بلاطها حفلات الرقص الخليع، وكان الرجال والنســاء يســرحون ويمرحون عارين في حدائقها، فلما غضب الشعب الصــيني من هذه الأفعال عمدت إلى كم أفواههم باختراع ضروب جديدة مــن العقــاب والتعذيب، فكانت ترغم المتذمرين على أن يمسكوا بأيديهم معادن محمية في النار أو يمشوا على قضبان مطلية بالشحم ممتدة فوق حفــرة مملــوءة بــالفحم المشتعل، فإذا سقط الضحايا في الحفرة طربت الملكة من السعادة والنشوة حين ترى أجسامهم وهي تشوى في النار]** (٧)

- وإذا كانت التشريعات أو المدونات القانونية التي ظهرت في عهد أسرة شانغ ذات طابع سياسي وإداري وجنائي، وبأن صدورها (كما سبق أن وضــحنا) كــان بناء على أوامر من ملوك هذه الأسرة من أجل تدعيم سـلطاتهم وتقويــة سيطرتهم ونفوذهم في حكم البلاد ـــ فإن عامة الشعب الصــيني كانت تنظر إليها بعدم الارتياح لإحساسها بأنها قد فرضت عليها

من السلطة الحاكمة لكي تنصاع لأوامرها، ولذا كانت تعتمد في تنظيم علاقاتها على القواعد العرفية التي كانت تستند على القيم والمبادئ الأخلاقية والتقاليد المتوارثة لاعتقادها بأنها الوحيدة التي تحقق العدالة في كل الأمور وفي مختلف الأوضاع ـ ولذلك فإنه على الرغم من صدور هذه التشريعات أو المدونات القانونية كان المصدر الأساسي للقواعد القانونية في عهد حكم أسرة شانغ يرتكز على العرف الذي يستند على أحكام الأخلاق والعادات الاجتماعية المتوارثة إلى جانب آداب اللياقة وقواعد المجاملات وليس على نصوص التشريعات المدونة التي أصدرتها السلطة الحاكمة.

ـ وفي ظل هذا النظام القانوني وما فرضته السلطة الحاكمة من تشريعات مدونة ـ كان المجتمع الصيني في عهد أسرة شانغ منقسم إلى ثلاث طبقات رئيسية وكل طبقة تميزت عن الأخرى في الحقوق والواجبات أي لم يتساوى أفراد الشعب الصيني أمام القانون نتيجة لوجود النظام الطبقي، وذلك على النحو الآتي:

* **طبقة النبلاء** ـ وكانت تتكون من أمراء أسرة شانغ، ومن كبار رجال الدين، والوزراء، وكبار قادة الجيوش ـ وحيث كان أفراد هذه الطبقة ينتسبون إلى طوائف عديدة، فقد ترتب على ذلك عدم المساواة بينهم في الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها مثل تولى الوظائف الهامة في الدولة والتعين لإدارة حكم الأقاليم وإقامة الشعائر والطقوس الدينية وتملك الأراضي الزراعية ـ وكان أفراد سلالة أسرة شانغ وكبار رجال الدين من أكثر الطوائف التي تمتعت بالامتيازات المقررة لهذه الطبقة.

* **طبقة العامة** ـ وهي تمثل جموع الشعب الصيني من الصناع والعمال والمزارعين وأصحاب المهن المختلفة، وكانت الحقوق المقررة

لهم تقل بدرجة كبيرة جداً عن حقوق طبقة النبلاء، كما لم يتقرر لأفراد هذه الطبقة أي امتيازات بل العكس كانت تفرض عليهم التزامات عديدة مثل دفع الضرائب والالتحاق بالخدمة العسكرية للدفاع عن البلاد من أي اعتداءات خارجية وخاصة الغارات التي كانت تشنها القبائل البربرية لسلب ونهب خيرات البلاد.

* **طبقة العبيد** ــ وكان معظمهم من أسرى الحروب، واللقطاء، والذين صدر ضدهم أحكام من السلطة الحاكمة بضمهم إلى هذه الطبقة كعقوبة على ما ارتكبوه من جرائم معينة[٨] ــ وفي عهد هذه الأسرة لم يستولي الأرستقراطيين على وسائل الإنتاج والوظائف العليا في المملكة فحسب بل استحوذوا على العبيد، الذين كانوا عبارة عن **"أداة ناطقة"**، وكانوا يسمونهم بالنار في وجوههم لمنعهم من الاختفاء بين عامة الشعب، ويربطونهم من أعناقهم عند العمل، وكان يحق للسيد النبيل قتل عبده كما يقتل حيوانه، أو يقدمه قرباناً للموتى بدلاً من الماشية، وقد جاء في سجلات **"لغة العظام الكهنوتية" [أن أحد الأرستقراطيين ذبح ٢٦٥٦ عبداً في إحدى المناسبات الطقوسية ــ كما كان العبيد يدفنون مع سيدهم الأرستقراطي في حالة وفاته ــ وقد أكتشف في قبر أحد ملوك شانغ عن ٤٠٠ عبد قدموا قربانا له]** ــ وكان العبيد يجابهون هذا الظلم الفظيع والاضطهاد البشع بالإهمال المقصود في العمل وتخريب أدوات الإنتاج والهرب من خدمة سيدهم، كما قاموا بانتفاضات عديدة، ضعضعت حكم هذه الأسرة وأشاعت فيها الفوضى وعدم الاستقرار في كثير من الأحيان[٩]، حتى تفاقم عصيانهم وتمردهم وامتنعوا "كما سبق أن وضحنا" عن مواجهة جيوش أسرة تشو الغربية مما أدى إلى دخول هذه الجيوش العاصمة الشانغية **(نغان ينغ)** وزال بالتالي نظام حكم أسرة شانغ.

- وإذا كان هذا النظام الطبقي يعبر عن أهم أحكام النظام القانوني الخاص بالنظام الاجتماعي فإنه الأحكام الأخرى الخاصة بالنظام (الاقتصادي والتجاري والمعاملات والجرائم والعقوبات والقضاء وأمور الزواج والأسرة ..) سنعرضها في نهاية هذا العصر على أساس أن هذه الأحكام قد تبلور مضمونها بشكل واضح في عهد أسرة تشو الشرقية.

المبحث الثاني

أهم شرائع عهد حكم أسرة تشو الغربية ثم الشرقية

بعــد أن أنتصـــر الملك (وو وانغ) على جيوش أخر ملوك أسرة (شانغ)، وأنشـأ فــي عــام ١١٢٣ قبل الميلاد مملكة تشو، ونقل عاصمة المملكة الجديــدة مــن (منغ) إلى (هاوجينغ) التي تقع جنوب غرب مدينة (شيان) بمقاطعـــة شنشـــى، وبسبب وجود هذه العاصمة الجديدة في الإقليم الغربى أطلق عليها المؤرخون أسم [مملكة تشو الغربية].

تشريعات الملك (وو وانغ):

ـ أصدر هذا الملك تشريعات قانونية كانت أغلب نصوصها المدونة ذات طـابع سياسي وإداري من أجل توطيد سلطته ونفوذه في حكم البلاد وأنشـأ في ضوء أحكامها إمارات عديدة في معظم أنحاء الصين، ووزع رئاستها على أفراد عائلته ووزرائه ومن عاونوه من القادة العسكريين في انتصـــاره علـــى أخـــر ملـــوك شانغ ـ وحدد لهم وظائفهم في إدارة هذه الإمارات بأن يحكمونها نيابة عنه، ويجبون له الأموال ويلتزمون بتدعيمه بما يحتاجه من جنود وسلاح وعتاد في حالة الحرب أو في حالة وجود أي اضـــطرابات سياسية بالعاصمة. ومن هذه الإمارات [لو، تشي يان، وى، سونغ، جين ... وغيرها].(١٠)

ـ بعد وفاة الملك (وو وانغ) تمرد شعب شانغ على نظام حكم مملكة تشـــو الغربية، فقام أخوه الملك (قونغ) الذي تولى الحكم من بعده في عام ١٠٩٤ قبل الميلاد تقريباً، بشن حملات عسكرية على المتمردين في الإقليم الشـــرقي وقضى على أكثر من ٥٠ دويلة، ودمر كل قوى ونفوذ شانغ في الشرق.

تشريع الملك (قونغ):

من أجل أن يوطد هذا الملك حكمه ويقوى نفوذه وسيطرته في حكم البلاد ـ أصدر تشريعاً مكملاً للتشريعات السابقة التي أصدرها أخوه الملك (وو وانـغ) وكـان أيضـاً ذات طـابع سياسي وإداري إلى جانب بعض نصوص قليلة ذات طابع جنائي تتعلق بحالات التمرد والعصيان والجرائم العظمـى التي تضر بالمصالح العليا لأمن وسلامة البلاد ـ وبموجب هذا التشـريع الجديد قام بتوزيع الأراضي التي استولى عليها من شعب شانغ بعـد أن دحـره على بعض الأرستقراطيين ـ كما منح أولاده ـ وأولاد الملـك (ون) الذي مد نفوذ مملكة تشو على حوض نهر (وى) ومقاطعتي (شانشـى وخنان) قبل أن يستولى على عرش المجتمـع الصيني، وأولاد الملـك (وو وانغ) ألقاب الأمراء ـ ويقال أن الملك (قونغ) قد منح تنفيذاً لذلك ٧١ شخصا لقب أمير.

ـ وعلـى أثـر توزيـع الأراضـي علـى الأرستقراطيين، ظهرت إقطاعـيات لهم انتشرت في مقاطعات (شنشى وخنان وشاندونغ وشانشى وخـبى وهوبـى) وإذا كان هذا الأجراء قد أحدث خلاف بين المؤرخين وخاصـة المؤرخيـن الصينيين حول الآثار التي ترتبت على أثر ذلك في المجـتمع الصـيني، وجعـل بعضـهم يرى بأنه كان بداية ظهور النظام الإقطاعـي، والـبعض الآخـر يرى بأنه قد أحدث تطور هائل في النظام العبودي فقط[11]ـ إلا أننا نؤيد الرأي الأول الذي يقرر بأن الأجراء الذي قـام به الملك (قونـغ) بتوزيع الأراضي على الأرستقراطيين ملاك العبيد وبعـض الأشراف والقادة العسكريين مع منح ٧١ شخص من أفراد عائلته لقب أمير، وأدى إلى انتشار الإقطاعيات في الإمارات السابق الإشارة إليها وأن كانت معظم هذه الإقطاعيات في داخل حدود منطقة خنان، كان بداية

ظهـور الـنظام الإقطاعي في المجتمع الصيني، رغم أن الأراضي التي وزعــت قد ظلت ملكيتها في البداية للملك، وأن الذين وزعت عليهم كانوا يسـتغلونها فقط لحسابهم ويتوارثونها دون أن يكون لهم الحق في بيعها ـ ومن المؤيدين لهذا الاتجاه المؤرخان اندرية إيمارد وجانين اوبوايه حيث أشـارا في مؤلفهما (تاريخ الحضارات العام ـ الشرق واليونان القديمة) بـأن المجتمع الصيني قد ظهر فيه النظام الإقطاعي بعد أن استولى التشاو الغربييـن على الحكم وبعد أن قام ملوكهم بتوزيع الأراضي كمكافأة على الأمـراء والوزراء وكبار الموظفين وملاك العبيد الأرستقراطيين وبعض القـادة العسكريين الذين ساهموا بدور كبير في إحراز النصر على شعب شانغ، وأن هذا النظام قد جعل المجتمع الصيني يظهر فيه طبقتان كبيرتان تضم معظم أفراد الشعب الأولى طبقة النبلاء الإقطاعيين وهي الطبقة العليا وعددهـا قليل، والثانية طبقة الفلاحين وهي الطبقة السفلي وعددها كبير جـداً[١٢] ـ وأيضـاً يؤيـد هذا الاتجاه ول ديورانت حيث قرر في مؤلفه (قصـة الحضارة) بأن [بعد أن كافأ ملك تشو الغربية (ويطلق عليها أيضاً جو الغربية) من أعانوه من القواد والكبراء في تحقيق النصر الساحق على شانغ ووزع عليهم أراضى وجعل بعضهم حكاماً يكادوا أن يكونوا مستقلين فـي الولايـات الكثيرة التي قسمت إليها المملكة الجديدة ... فإنه على هذا الـنحو قد بدأ العهد الإقطاعي يظهر في المجنمع الصيني والذي كان فيما بعد شديد الخطر على حكومة البلاد ...].[١٣]

ـ ومن المظاهر التي كانت أكثر وضوحاً لوجود النظام الإقطاعي في عهـد حكـم أسـرة تشو الغربية، هو أن النبلاء الذين وزع عليهم الملك مسـاحات كبـيرة من الأراضي، قد منحهم أيضاً أعداد غفيرة من العبيد، وأنهـم أقـاموا في منطقة داخل إقطاعياتهم، وهذه المنطقة كانت تحيطها

حقول مترامية الأطراف تقسمها القنوات والطرق إلى مربعات أطلق عليها أسـم "**حقول المربعات التسعة**"، وقد سخر العبيد لزراعة هذه الحقول ومع مـرور الزمـن أنضم إليهم أعداد هائلة من الفلاحين الذين تدنى مستواهم الاجتماعي من أثر توغل نفوذ الإقطاعيين في المجتمع الصيني.(١٤)

ــ وحيث أن التشريعات الجنائية التي دونت في عهد حكم أسرة شانغ قد ظلت سارية كما هي في بداية هذا العهد كما أضيفت إليها قوانين جنائية ومدنية أخرى قام بإصدارها الملوك الأوائل لأسرة تشو الغربية ــ فإن هذه الشـرائع قد ملأت قلوب عامة الشعب الصيني رعباً اعتقادا بأن وجودها بكـثرة يشير إلى انتشار الجرائم وأمور الفوضى والانحراف في المجتمع وهذه الأوضاع الفاسدة تنبئ بما سيلحق بهما من مصائب وكوارث طبيعية كعقاب سماوي شديد على الأفعال السيئة التي أرتكبها بعضهم ــ كما كان في هذه الشرائع محاباة للطبقات العليا وخاصة الإقطاعيين الذين تم إعفائهم من معظم الواجبات المفروضة على غيرهم من عامة الشعب بالإدعاء بأن أفـراد الطبقات العليا لديهم القدرة على ضبط سلوكهم عن عامة الشعب، وأن بمقدرة كل واحد منهم أن يؤدب نفسه دون أن يحاسبه أحد إذا ارتكب أي جريمة أو أي فعل يخالف أحكام القانون، وقد أحتج عامة الشعب على ذلك وطالبوا بإزالة هذه التفرقة والتحرر من ظلم القوانين المدونة ــ وأمام إلحـاحهم وتذمـرهم الـذي كان ينذر بالثورة، استجابت السلطة الحاكمة لمطالـبهم بحل سليم ارتضوا به وهو تضيق نطاق دائرة القانون الوضعي بحيـث لا تشـمل إلا المسائل الكبرى والمسائل القومية، وان تظل أحكام العـرف الذي يستند على القيم والمبادئ الأخلاقية وأحكام العادات والتقاليد المتوارثة هي الفيصل دون غيرها في ضبط السلوك وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع.

دستور (جو جونج):

- ولما كانت القوانين الوضعية التي تتعلق بالأمور الهامة بالدولة وتنظيم الولايات التابعة لها كثيرة وتحتاج إلى ترتيب وتقيم يستجيب للتطورات التي حدثت في النظام الحكومي وفي المجتمع الصيني خلال حكم أسرة تشو الغربية ـ فقد قام (جو جونج) رئيس الوزراء أو كبير الوزراء كما كان يطلق عليه بتجميع القواعد الخاصة بذلك وأدخل عليها بعض التعديلات وأصدرها بموافقة الملك في صورة دستور أطلق عليه (دستور جو) في عام ١٠٧٩ قبل الميلاد تقريباً، وإذا كان يوجد رأي لبعض المؤرخين يشير بأن هذا الدستور قد صدر في تاريخ أحدث من ذلك وفي الفترة الأخيرة لحكم أسرة تشو الشرقية، إلا إننا لا نؤيد هذا الرأي لأن الفترة الأخيرة لحكم أسرة تشو الشرقية كانت مليئة بالانقسامات والصراعات المختلفة بين الولايات الصينية التي كانت تزيد عن ١٤٠ ولاية كما تدنت في هذه الفترة الأخيرة سلطة الحكومة المركزية واستهان أمراء الإقطاع وحكام الولايات بمكانة الملك ونفوذه في حكم البلاد.

- وقد أحتوى هذا الدستور على قواعد عديدة تولت تنظيم الحكم من الناحية السياسية وكل ما يتعلق بتنظيم شئون الدولة والولايات التابعة لها كما شمل مبادئ أخلاقية مثالية وبعض النصوص الجنائية ولكن لم يتعرض للمجال الخاص بتنظيم العلاقات بين الأفراد لكي يتفق مع الفلسفة الصينية حول فكرة القانون والتي كانت تهدف إلى تضييق مجال تطبيق القواعد المكتوبة وإفساح المجال للقواعد الغير مكتوبة وهي القواعد العرفية التي تعتمد على أحكام الأخلاق والعادات الاجتماعية المتوارثة وآداب اللياقة وقواعد المجاملات السائدة لكي يتسع مجالها ونطاق تطبيقها في تنظيم العلاقات بين الأفراد وخاصة أفراد عامة الشعب الصيني.

ـــ وحيث أن أسرة تشو قد استولت على عرش الصين عنوه، ولم يكن فـــي وســـع ملوكها الأوائل الاستناد على مبدأ الأسلاف ـــ فقد ابتكرت في نصـــوص هـــذا الدســـتور مـــبدأ جديداً تستند عليه في حكم البلاد ويبرر اســـتيلائها علـــى مقاليد السلطة من حكامها الشرعيين، وهو مبدأ **(القضاء والقـــدر الواضح)** الذي أطلق عليه **(قانون السماء)** أو **(تفويض السماء)**، وادعت على أساسه بأنها قد اجتاحت بقوة واقتدار ملك أسرة **(شانغ)** تلبية لأمر السماء ـــ ومن منطلق ذلك أعتبر الملك يحكم نيابة عن الخالق، وأنه **(أبـــن السماء)** ويستمد سلطانه بما يتصف به من الفضيلة والصلاح، وأن الســـماء قـــد عهـــدت إلـــيه بحكم الشعب لما فيه خيرهم وهناؤهم وأمنهم واستقرارهم ـــ فإذا ظلمهم واستبد بهم وزعزع أمنهم يكون قد أضاع حقه في حكمهم، ويفقد صفته الشرعية كملك لهم وتصيبه لعنة السماء، ويجوز شرعاً في هذه الحالة أن يثور الشعب عليه لإسقاط نظام حكمه وعزله عن العرش تحت مسمى **[تغيير التفويض]** ـــ من أجل أن يتولى الحكم بدلاً منه ملك آخر يتوافر فيه كل صفات العدل والأنصاف والأخلاق الكريمة ليحقق لهم الخير والأمان والاستقرار.

ـــ ونظرية **(تفويض السماء)** التي ابتكرت في الصين القديمة كأساس لنظام الحكم وما يتبعها من نظرية **(تغيير التفويض)** ـــ تختلف عن نظرية **(الحق الإلهى)** التي أشيعت وأنتشر استخدامها في معظم دول العالم القديم والوسيط، وعلى الأخص الدول الأوروبية، واستند عليها ملوك هذه الدول كأســـاس لشـــرعية حكمهم المطلق وتصرفاتهم حيال شعبهم ـــ وذلك من حيث الآتي:

* نظـــرية **(الحـــق الإلهي)** تعطى للملك الحق في الحكم المطلق من الناحـــية النظرية والعملية دون أن يسال أمام شعبه ـــ في حين أن نظرية

(**تفويض السماء**) وما يتبعها من نظرية (**تغيير التفويض**) تعطى للملك أو للإمبراطور الصيني الحق في الحكم المطلق من الناحية النظرية فقط، أما من الناحية العملية فأنه يكون مسئولاً أمام شعبه إذا أنحرف في حكمه ولم يحقق لهم الخير والعدل والأمان والاستقرار.

* نظرية (**الحق الإلهي**) تجعل كل تصرفات الملك مشروعة سواء تحقق من خلالها خيراً أو شراً ـ في حين أن نظرية (**تفويض السماء**) وما يتبعها من نظرية (**تغيير التفويض**) لا تجعل تصرفات الملك أو الإمبراطور الصيني مشروعة إلا إذا تحقق من خلالها خيراً لشعبه.

* نظرية (**الحق الإلهي**) لا تعطى للشعب أي حق في الثورة على الملك مهما كان نظام حكمه عادلاً أو ظالما ـ في حين أن نظرية (**تفويض السماء**) وما يتبعها من نظرية (**تغيير التفويض**) تعطى للشعب الحق في الثورة على الملك أو الإمبراطور الصيني إذا كان نظام حكمه فاسداً أي تجعل ثورة الشعب عليه وهو في هذه الحالة مشروعة.

وبالتالي فإن نظرية (**الحق الإلهي**) لا تتطابق مع نظرية (**تفويض السماء**) وما يتبعها من نظرية (**تغيير التفويض**) ـ وأنه من خلال الدراسة وما ثبت من حقائق تاريخية يتضح أن الصين القديمة لم تعرف مطلقاً نظرية (**الحق الإلهي**) وإنما انفردت لوحدها بنظرية (**تفويض السماء**) وما يتبعها من نظرية (**تغيير التفويض**) كأساس لنظام الحكم.

- وقد نص **دستور جو** أيضاً بأن للدولة مجلس مكون من ستة وزراء كل وزير منهم يختص بأمور معينة ـ وهذه الأمور هي حياة الملك وأعماله، ورفاهية الشعب وزواج أفراده البكر، والمراسيم والتنبؤات الدينية، والاستعداد للحرب والسير فيها، وتوزيع العدالة بين السكان، وتنظيم الأشغال العامة ـ وأن الأمراء والأرستقراطيين يشغلون الوظائف

الهامـــة فـــي الدولـــة، وفي إدارة الولايات والإقطاعيات كممثلين للسلطة المركـــزية ـــ أمـــا الشعب فهو يعيش في أسر أبويه وعليه واجب إصلاح الأرض وزراعتها بالمحاصيل المختلفة، ويتمتع بالحقوق المدنية ولا رأي لـــه فـــي تصـــريف الشئون العامة للدولة، وأن كان من حقه طبقا لنظرية **(تفويـــض الســـماء)** وما يتبعها من نظرية **(تغيير التفويض)** الثورة على الأوضـــاع الظالمـــة التي قد ترتكب من السلطة الحاكمة، وعزل الملك إذا أنحرف في حكمه وأصبح فاسدا.

ورغـــم أن **(دســـتور جو)** قد ظل يمثل فكرة الصينيين عن النظام الحكومي لمدة تزيد عن ألفي عام ــ إلا أن عوامل الاستبداد والاستغلال قد تطاولت على نصوصه وعطلتها في بعض الأوقات مما جعل تاريخ الصين السياســـي خـــلال هذه الحقبة ما بين فترات فساد وفترات إصلاح وعدل واستقرار.(١٥)

تشريع الملك بينغ وانغ:

ــ بعـــد أن قـــتل الملك **(يو)** آخر ملوك تشو الغربية ــ وتولى أبنه الملـــك **(بيـــنغ وانـــغ)** السلطة من بعده في عام ٧٧٠ قبل الميلاد، ونقل العاصمة إلى الاتجاه الشرقى في مدينة **(لويى)** وهي مدينة **(لويانغ)** اليوم في مقاطعة خنان، وبسبب وجود عاصمة المملكة في الإقليم الشرقي أطلق عليها المؤرخون مملكة تشو الشرقية.

ــ أصدر هذا الملك **(بينغ وانغ)** بعد أن جلس على العرش كأول ملك لأســـرة تشو الشرقية تشريع أحتوى على نصوص قانونية عديدة من اجل توفير الأمان والاستقرار ورفع الظلم والمعاناة عن عامة الشعب وإصلاح أوضـــاع المجتمع التي تدنت خلال الفترة الأخيرة لحكم أسرة تشو الغربية

وخاصــة منذ عهد الملك (لــي وانغ) الذي توج في منتصف القرن التاسع قــبل المــيلاد وأطيح به بسبب ظلمه واستبداده للشعب في عام ٨٤١ قبل المــيلاد حــتى الملك (يو) الذي قتل في عام ٧٧١ قبل الميلاد وزالت من بعده مملكة تشو الغربية.

ـ ولكــن رغــم هــذه الإصــلاحات التي تمت في ضوء أحكام هذا التشريع الذي أصدره الملك (بينغ وانغ) ـ إلا أنه بسبب تزايد نفوذ أمراء الإقطــاع وحكام الولايات وضعف سلطة الملوك الذين تعاقبوا على الحكم بعــد ذلــك، أخــذت الأوضاع المتدنية تعود تدريجيا مرة أخرى للمجتمع الصيني، ويذوق فيها عامة الشعب والعبيد الظلم والاستبداد حتى بدأ عصر الإمارات المنفصلة ثم الممالــك المتحــاربة خــلال الفتــرة من عــام (٤٧٦ ـ ٢٢١ق.م).

تشريع أمير (لو) الخاص بضريبة الأراضي الزراعية:

ـ فــي عــام ٥٩٤ قبل الميلاد أصدر أمير أمارة (لو) بسبب حاجته للمــال تشريع فرض من خلال نصوصه ضريبة على الأراضي الزراعية سواء كانت حقول خاصة أو عامة، وهذا التشريع قد أنتشر وتم تطبيقه في معظــم أرجــاء المجتمع الصيني ـ وأعتبر أول تشريع رسمي في تاريخ الصين يفرض ضريبة على الأرض الزراعية(١٦).

المبحث الثالث

أهم أحكام قوانين العصر الملكي في المجتمع الصيني

ــ وترتيبا على ما تقدم فإن أهم أحكام النظم القانونية التي سادت في العصر الملكي والتي تبلورت بشكل محدد الملامح في عهد حكم أسرة تشو الشرقية تتلخص في الآتي:

أولاً: الأحكام المتعلقة بالوضع الاجتماعي:

إذا كان المجتمع الصيني قد أنقسم في عهد حكم أسرتي شيا وشانغ إلى ثلاث طبقات رئيسية ــ إلا أنه في عهد حكم أسرة تشو الغربية ثم الشرقية أنقسم إلى أكثر من ذلك نتيجة تحوله من النظام العبودى إلى النظام الإقطاعي ــ وأهم هذه الطبقات بالترتيب بعد الملك (الذي يعلوا قمتها ولا يتساوى معه أحد في سلطاته ونفوذه وامتيازاته) ما يلي:

طبقة الأمراء:-

وهم الأشراف بالوراثة، ومعظمهم من الأسرة المالكة وكانوا يتمتعون بكل الحقوق العامة والخاصة، وبكل الامتيازات العديدة التي قررها ملوك تشو ــ كما كان يتم تعيين بعضهم حكاماً على الإمارات والأقاليم لتنظيمها وإدارتها نيابة عن الملك الذي كان بالنسبة لهم أمير الأمراء أو النبيل الأول وأبن السماء الذي وكل إليه سيد الأعالي مهمة حكم الشعب في كافة أنحاء البلاد ــ وقد أصبح بعض أفراد هذه الطبقة نتيجة قيام الملك بمنحهم مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية يمثلون كبار الإقطاعيين في المملكة.

طبقة الوزراء وكبار الموظفين:

وهم الذين اختصوا بإدارة وتنظيم شئون المملكة والولايات

والأقاليم التابعة لهم ـــ وكانوا يتمتعون بكل الحقوق العامة والخاصة، ويلوا أفــراد طبقة الأمراء في التمتع بالامتيازات التي كانت تمنح لهم من ملوك تشو.

طبقة الكهنة وكبار رجال الدين:

وكانوا يختصون بأمور العبادات وإقامة الطقوس والتنبؤ بالأحداث وقد تمتعوا بكل الحقوق العامة والخاصة، وبعد ما كانوا يلو طبقة الأمراء في الامتيازات التي كانت تمنح لهم من انملك في عهد حكم أسرة شانغ، قد أصـــبحوا نتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في عهد حكم أسرة تشو يمثلون الطبقة الثالثة في المجتمع ويلوا في تمتعهم بالامتيازات طبقة الوزراء وكبار الموظفين.

طبقة القادة العسكريين:

وهـــم قـــادة الجـــيوش وكـــبار المحاربين الذين أحرزوا بطولات عسكرية في الحروب وصد هجمات القبائل البربرية ـــ وكانوا إلى جانب تمتعهم بالحقوق العامة والخاصة يمنحون بعض الامتيازات من الملك ويلوا في المكانة طبقة الكهنة وكبار رجال الدين.

طبقة الأدباء والفلاسفة:

نتـــيجة اهتمام ملوك أسرة تشو بالفكر الأدبي والتفلسفي ـــ فقد منح الأدبـــاء والفلاسفة إلى جانب تمتعهم بكل الحقوق الخاصة والعامة بعض الامتيازات من الملك تعبيراً عن مكانتهم المميزة في المجتمع ودورهم الهام فـــي نشـــر العلـــم والمعـــرفة وصقل مفاهيم الشعب الثقافية، وكانت هذه الامتـــيازات تتساوى في وقت السلم مع الامتيازات التي كانت تمنح للقادة العسكريين.

طبقة كبار التجار:

نتـيجة لاتساع حركة التجارة في عهد حكم أسرة تشو عما كانت علـيه فـي عهد حكم أسرة شانغ فقد ظهر تجار أثرياء صاحبوا الأمراء الإقطاعييـن وعاشـوا حـياة بذخ ورفاهية ـ وهؤلاء قد تمتعوا بالحقوق العامـة والخاصـة إلـى جانب تمتعهم بقدر محدود من الامتيازات نظرا لدورهم الهام في حركة التجارة وخاصة تجارة المحاصيل الزراعية.

طبقة الصناع والمزارعين:

وهم يمثلون عامة الشعب ـ وكانوا يتمتعون بالحقوق الخاصة فقط وفـي بعـض الأحـيان كانت تقرر لهم وبقدر ضئيل جدا بعض الحقوق العامـة، ولكـن ليست لهم أي امتيازات على الإطلاق ـ وبعد أن توغل الـنظام الإقطاعـي إنعدمـت حقوقهم العامة كما فقدوا كثيرا من حقوقهم الخاصة وذلك كما سبق أن أوضحنا في القسم الأول.

طبقة العبيد :

وكانـت تـتكون من أسرى الحروب واللقطاء والذين ولدوا أرقاء ومـن صدر ضدهم أحكام جنائية بضمهم إلى هذه الطبقة ـ والعبيد كانوا يمـثلون أدنـى طبقات المجتمع، وكانت لهم حقوق شخصية ضئيلة للغاية وكانت تتلاشى معظم الأحيان من اثر ازدياد نفوذ الأمراء الأرستقراطيين ولـذا فأنهم كانوا مثل الأشياء التي يحق تملكها والتصرف فيها ـ وعلى ضوء أحكام القوانين التي كانت تنظم أوضاعهم كان لا يجوز لأي فرد من طبقة الأمراء تملك عددا من العبيد يزيد عن الثلاثين سواء كانوا ذكوراً أو إناثـاً أو خلـيط من الجنسين إلا إذا حصل على أذن بزيادة هذا العدد من السلطة الحاكمة.(١٧)

ثانيا - الأحكام المتعلقة بنظام الإدارة الحكومية:

حيث تطورت الإدارة الحكومية في عهد حكم أسرة تشو الغربية ثم الشرقية وأصبحت "كما سبق أن وضحنا" أكثر تنظيماً من عهد حكم أسرة شـانغ ـ فقـد كـان الملك يسيطر على قمة الهرم الإداري ويليه مباشرة وزيـره الأول وهو "**رئيس الوزراء**" الذي كان في بعض الأحيان لا يقل أهمـية عـن الملك في مسائل معينة بشئون المملكة الإدارية ـ وكان يلي الملـك ورئـيس الوزراء ستة وزراء هم ـ **وزير الزراعة** وكان يشرف على عمليات استصلاح الأراضي وخصوبة الحقول وتصريف المحاصيل الزراعـية كمـا كان يهتم بحياة الفلاحين أنفسهم ـ **وزير الحربية** وكان يعتنـي بكـل الشـئون العسكرية مثل التجنيد وتعبئة الجيوش والتدريبات الحربـية المختلفة وإعداد خطط الحرب والدفاع وتأمين الحدود الخارجية للـبلاد ـ **وزيـر الأشغال العامة** وكان مسئول عن إنشاء وصيانة الطرق والقـنوات وإقامة السدود إلى جانب اهتمامه بشئون العمال الصناعيين ـ **وزير القصر الملكي** وكان يهتم بصيانة قصر الملك وتموينه، وتأمين سير الخدمة فيه سيراً حسناً إلى جانب اهتمامه بالمحافظة على الأموال الملكية **وزيـر الشـئون الدينـية** وكان يهتم بتنظيم شئون العبادة ويراقب أعمال الكهـنة والمنجميـن والسـحرة وكل الأعمال التي تتعلق بالأمور الدينية **وزيـر القضـاء الجـزائي** ـ وكان يختص بكل ما يتعلق بتطبيق القانون وتوقـيع العقوبـات على من يرتكبوا الجرائم ويخلوا بأحكام القانون وكان يحيط بهؤلاء الوزراء الستة عدد كبير جداً من الموظفين.

وإلـى جانـب ذلك كان يوجد موظفين كبار بالقصر الملكي مثل رئـيس الخـدم، وأمين سر المال، وكبير الكتبة، وكبير الصناع، ورئيس الأمن.

ـــ ومن أجل تيسر نظام العمل الإداري قسمت حكومة تشو البلاد إلى مقاطعات، وكل مقاطعة كان لها نظام إداري يشبه نظام الإدارة الملكية في العاصـــمة، وكان معين لكل مقاطعة حاكم من النبلاء يمثل السلطة الملكية ويحـــافظ علـــى الأمن والاستقرار ويصدر الأحكام القضائية ـــ ثم قسمت المقاطعات إلى محافظات، والمحافظات إلى نواح، والنواحي إلى مديريات، والمديـــريات إلى مدن، والمدن إلى قرى وتولى شئون كل منها موظفون تقـــل رتـــبهم تدريجـــيا حســـب هذا التقسيم وجميعهم يتبعون إدارياً حاكم المقاطعة(١٨) ـــ وكما سبق أن أشرنا قد تضمن **(دستور جو)** نصوص بهذا الـــنظام الإداري لحكومـــة تشـــو، كما كان نظام الحكم قائماً على نظرية **(تفويض السماء)** وما يتبعها من نظرية **(تغيير التفويض)**.

ثالثاً: الأحكام المتعلقة بالنشاط الاقتصادي:

* اهتمـــت أحكـــام الـــنظم القانونية في عهد حكم شانغ وأسرة تشو الغربية ثم الشرقية بمعظم الأمور المتعلقة بالنشاط الاقتصادي وخاصة فيما يتعلق بزيادة معدلات الإنتاج الزراعي وتطوير أساليب الصناعات المختلفة وعلـــى الأخـــص الصـــناعات المعدنـــية والخزفية وصناعة المنسوجات الحريـــرية المزركشـــة، وذلك من أجل تدبير الاحتياجات اللازمة للمملكة والمقاطعات التابعة لها في أرجاء الصين المختلفة.

* فرضـــت نظاماً متناسق للكتابة والموازين والمكاييل والمقاييس في عهـــد حكم تشو من أجل وضع ضوابط متناسقة تساعد على زيادة الإنتاج الزراعـــي والصـــناعي وتدفـــع بصـــورة منـــتظمة دعائم حركة التطور الاقتصادي بشكل أفضل عما كانت عليه في عهد حكم أسرة شانغ.

* حددت بشكل مناسب الضرائب المستحقة للدولة على أرباح الأفراد

الناتجة من عمليات التملك والبيع والشراء والنشاط التجاري، وذلك مثل التشريع الذي أصدره أمير (لو) وفرض من خلاله ضريبة على الأراضي الزراعية ــ وكان المقصود من تحصيل هذه الضرائب دعم الخزينة العامة الملكية التي تستخدم في توفير الاعتمادات اللازمة لإدارة شئون البلاد وإعداد جيوش المملكة وتجهيزها بالمعدات الحربية اللازمة.

* نظمت العمليات الخاصة بالملكية الفردية للمنقولات، وفي عهد أسرة تشو الشرقية نظمت أيضاً الملكية الفردية للعقارات بعد انتشار عمليات استصلاح الأراضي البور وظهور **(الحقول الخاصة)** إلى جانب حقول **(المربعات التسعة)** التي كانت تعتبر **(حقول عامة)** مملوكة للدولة، وتستغل فقط لحساب الأمراء دون أن يكون لهم الحق في بيعها.

* وضعت ضوابط معينة لنظام تشغيل العاملين في مجال الصناعة والحرف اليدوية المختلفة من حيث نوعية الأعمال التي يقوموا بها وما يتقاضوه من أجور وما يحتاجونه من رعاية وما تفرضه عليهم الحكومة الملكية من واجبات مثل الاستعانة بهم في إنقاذ البلاد من الكوارث كالفيضانات أو الانضمام في صفوف الجيوش للدفاع عن البلاد من أي غزو أجنبي أو من هجمات القبائل البربرية التي كانت تسعى لسلب ونهب خيرات البلاد ــ وكان يشرف على تنفيذ هذا الضوابط وزير الأشغال العامة باعتباره المسئول الأول عن شئون العاملين في الصناعات المختلفة.(١٩)

رابعاً: الأحكام المتعلقة بأمور المعاملات:

* نظمت عمليات البيع والشراء والمقايضة على أسس تتسم بالعدالة والإنصاف من أجل توفير سبل الاستقرار في التعامل بين الأفراد ــ وعلى

هـذا الأسـاس جعلت من الغش جريمة كبرى تمس كيان المجتمع وتفسد صفو حياة الأفراد.

* جعلت نظـام التعاقد يستند أساساً على مبدأ الرضا بين الطرفين واشترطت أن يقوم كل طرف بتنفيذ ما عليه من التزامات بحسن النيه وفي الموعد المحدد بالعقد.

* أقـرت بإمكانـية إعفاء المدين بما يقع على عاتقه من التزامات إذا تعـرض لظـروف طارئـة لا دخل لإرادته فيها ولم يتوقعها، وتجعل تنفيذه للالتزام مستحيلاً أو مرهقاً بالنسبة له ـ وحيث أن نظرية الظروف الطارئة قـد تـم وضع أساسها في قانون حمورابى (١٧٤٨ ـ ١٦٨٦ قبل الميلاد) فيحتمل أن يكون المجتمع الصيني قد تأثر بها في أمور المعاملات، لأنها بعد أن اسـتخدمت في بلاد ما بين النهرين، انتشرت وطبقت في معظم مجتمعات العـالم القديم وعلى الأخص المجتمعات الحضارية في وسط وشرق وجنوب أسيا.

* جميع الأحكام التي نظمت العقود وعمليات التعاقد وأمور المعاملات المخـتلفة كانـت مستمدة من القواعد العرفية، وهذه القواعد قد ارتكزت في مجملها على القيم والمبادئ الأخلاقية.

* كـان نظام التعامل يتم أيضا بواسطة النقد ولكن تغير شكله وأحجامه فـي عهـد حكـم أسـرة تشو نتيجة لعوامل التطور التي حدثت في الحياة الاجتماعـية والاقتصـادية – فبعد أن كان عبارة عن نوع من الأصداف ثم أصـبح قطعاً عظمية ثم تحول إلى قطع من النحاس في عهد حكم أسرة شانغ فقـد تطور إلى نظام السبائك في عهد حكم أسرة تشو وكانت كل سبيكة تزن عشـر أوقـيات أو أثنى عشر أوقيه، وأطلق على الوحدة النقدية لفظ **(الكين)** وكانت تزن نصف أوقية.[٢٠]

خامساً ـ الأحكام المتعلقة بالنشاط التجاري:

* تـم تنظيم النشاط التجاري بقواعد توافرت فيها كل السبل التي تمنع عمليات الاحتكار واستغلال احتياجات الشعب الضرورية وذلك بعد أن نشطت التجارة وأصبحت تشمل إلى جانب المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية، الأملاح وبعض المعادن التي كانت أساس ثروة بعض المناطق.
* حددت نظم معينة للعمليات التجارية بين مختلف المقاطعات بحيث تأخذ كل مقاطعة ما يكفيها من إنتاجها الزراعي والصناعي وتصدر من خلال التجار الباقي الذي يمثل فائض في منتجاتها إلى المقاطعات الأخرى التي تحتاجه، وذلك حتى يحدث النشاط التجاري توازن في الاحتياجات الضرورية لكل مقاطعة وعلى الأخص في المواد الغذائية والأولية مثل الحبوب والأسماك والملح والأخشاب والنحاس والأغنام والجلد ... الخ.
* بعد أن تحسنت سبل المواصلات وازدهرت الصناعة في عهد حكم أسرة تشو الشرقية، وأصبحت التجارة تنافس بصورة جدية الزراعة ـ وضعت ضوابط قانونية محددة نفذها حكام المقاطعات لحفظ التوازن بين الزراعة والتجارة ـ كما وفرت الحماية للمزارعين وأمنت الأرباح التي تعود عليهم حتى لا تجوز عليها المكاسب التي حققها التجار.
* نظمت حركة الأسواق في المواعيد والمناطق المحددة حتى لا يحدث خلل بين المعروض السلعي ومستوى الأسعار وخاصة بالنسبة للمنتجات الزراعية التي كانت تمثل الأساس الأول للنشاط الاقتصادي في المجتمع الصيني.
* أنشئت نقابات للتجار، لتنظم عملهم مع أصحاب المنتجات الزراعية والصناعية والحرف اليدوية، وتحل أي منازعات تحدث بينهم ـ إلى جانب تنظيم حركة التجارة في الأسواق، وحل بعض الاضطرابات التي كانت تحدث في تجارة بعض السلع.[٢١]

سادساً: الأحكام المتعلقة بنظام الجرائم والعقوبات:

* حددت بشكل أكثر وضوحاً في عهد حكم أسرة تشو أنواع الجرائم العامة والجرائم الخاصة – وكانت جميع أنواع هذه الجرائم منصوص عليها في الشرائع الجنائية المدونة التي أصدرتها السلطة الملكية لأسرة تشو الغربية ثم الشرقية – وبالتالي أصبحت لا توجد قواعد عرفية تتعلق ببعض الجرائم الخاصة كما كان متبع في العهود السابقة سواء ما قبل الأسرات أو خلال حكم أسرة شيا وحكم أسرة شانغ.

* عقوبة الإعدام كانت تطبق بنسبة أقل في عهد حكم أسرة تشو من العهود السابقة في بعض الجرائم العامة مثل الخيانة العظمى والأضرار بمصالح البلاد، وكان حكم الإعدام لا يصدر في الأوقات العادية إلا من الملك نفسه، وذلك لأن حكومة تشو قد توسعت في تطبيق العقوبات الأخرى مثل قطع الأعضاء التناسلية، وتشويه الوجه والجسد في الجرائم العامة، وأيضاً كانت العقوبات المقررة في الجرائم الخاصة أخف وطأة من تلك التي طبقت في عهد حكم أسرة شانغ.

* كان من حق الوزير المشرف على أمور القضاء الجزائي أن يتدخل ويأمر باستبدال بعض العقوبات التي كانت توقع على جسد المتهم بدفع تعويض معين – وذلك مثل عقوبة الإعدام فكان من حقه أن يتدخل ويوافق على استبدالها بالتعويض إذا طلب المتهم ذلك، وكان مستعد لدفعه طبقاً لما حدده القانون وهو ما يعادل ألف سبيكة من النحاس النقى من أجل إنقاذ حياته من الموت.

* تم تضييق نطاق تطبيق مبدأ القصاص الذي كان مستخدم في العهود السابقة في جرائم الاعتداء التي تمس حق الإنسان في سلامة جسده مثل

جـرائم القتل والضرب الذي ينتج عنها عاهة مستديمة، وذلك في حالة عدم موافقــة المجني عليه أو ورثته على قبول مبدأ التعويض ــ لأن التشريعات الجنائــية التــي أصدرتها حكومة تشو قد اشتملت تقريباً على معظم الجرائم الخاصة والعقوبات المقررة لها ــ كما أن وزير القضاء الجزائي كان مختص بالإشراف على تطبيق العقوبات أو استبدالها بتعويض معين يدفعه المتهم.

* فــي بعض الجرائم الكبرى التي كانت عقوبتها الإعدام ــ كان يسمح للمتهم إذا كان من أصحاب الفضائل الغير معهودة أو كان من طبقة الأشراف أو الأرستقراطيين أن ينتحر بدلاً من أن ينفذ عليه حكم الإعــدام.(٢٢)

سابعاً: الأحكام المتعلقة بنظام القضاء:

* الوزيــر الســادس والأخير في مجلس وزراء حكومة تشو والذي أطلــق علــيه وزير القضاء الجزائي كان هو الذي يلي الملك مباشرة في رئاســة أمــور القضـــاء في كافة أنحاء البلاد وفي الأشراف الكامل على تطبيق القانون وتوقيع العقوبات على من يخل بأحكام القانون.

* كــان يعــاون هذا الوزير في أداء هذه المهمة قضاة محليون يتم اختــيارهم من أفراد طبقة الأشراف ويعتبرون من ضمن كبار الموظفين وهــؤلاء كــانوا موزعين في العاصمة وجميع المقاطعات التابعة للمملكة للفصل في القضايا التي تعرض عليهم ومحاكمة الخارجين عن القانون.

* القضاة المحليون كان يتم تصنيفهم طبقاً لمكانتهم العلمية وخبراتهم العملية إلى قضاه مختصون بالمنازعات المدنية وقضاه آخرون مختصون بــالأمور الجنائــية، أي كانــت توجد في العاصمة والمقاطعات الصينية المختلفة دوائر قضائية مدنية ودوائر قضائية جنائية.

* كــان يوجــد نظام تدرج في الأحكام القضائية وخاصة فيما يتعلق

بالمنازعات المدنية ــ أي كان يوجد محاكم قضائية جزئية معين بها قضاه محلـيون فـترة عملهـم في القضاء قصيرة، وهذه المحاكم كانت تختص بالـنظر والفصل في المنازعات الغير هامة والجرائم البسيطة ــ ومحاكم قضائية عليا عين بها قضاه محليون فترة عملهم طويلة وخبرتهم كبيرة في أمـور القضـاء، وكانـت تختص بالنظر والفصل في المنازعات الهامة والجـرائم الكبرى كالقتل العمد والحريق العمد والضرب الذي يؤدى إلى حدوث عاهة مستديمة.

* كـان الملـك باعتـباره صاحب السلطة المطلقة ويجمع بين يديه السـلطات الـثلاثة التشريعية والقضائية والتنفيذية ــ يقوم كرئيس محكمة علـيا ومعـه كأعضـاء الوزيـر الأول (الذي كان يعتبر رئيس مجلس الـوزراء)، ووزيـر القضـاء الجنائـي، وعدد محدود من أكبر القضاة المحلـيون، بمحاكمة بعض المتهمين في الجرائم العامة الكبرى التي كانت تمـس أمـن وسلامة البلاد مثل التجسس والخيانة العظمى والاشتراك في قلـب نظـام الحكـم والتمرد وعصيان الأوامر الملكية والأضرار العمد بمصالح البلاد العليا ــ ولذا فقد كان القضاء في عهد حكم أسرة تشو أكثر تنظيماً من عهد حكم أسرة شانغ.(٢٣)

ثامناً: الأحكام المتعلقة بأمور الزواج ونظام الأسرة:

* كـان الـزواج يتم أيضاً كما كان في العهود السابقة طبقاً لطقوس دينية معينة لدرجة جعلته من ضمن الأعمال الدينية ــ ولكن كان مقصوراً فقـط على أفراد طبقة النبلاء على أساس أنهم الذين كانوا يتمتعون وحدهم بحق الاشتراك في الطقوس الدينية ــ أما أفراد طبقة العامة فكان لا يحق لهم مثل هذا الزواج على أساس أنهم كانوا لا يتمتعون بالاشتراك في مثل

هذه الطقوس وإنما يستفيدون فقط من ثمار العبادة وما تحققه من خير جماعي، ولذلك كان نظام الزواج عندهم يعتمد فقط على الموافقة بين الرجل والمرأة بدون أي شروط أخرى أو إجراءات معينة على أن يتم تثبيته في حفلة عامة بعد إنجاب البنين.

* زواج أفراد طبقة النبلاء كان يتم في أي وقت خلال العام ــ أما زواج أفراد طبقة العامة كان لا يتم إلا في فترة الربيع فقط.

* أشترط في نظام الزواج سواء بالنسبة لأفراد طبقة النبلاء أو طبقة العامة أن يقوم الزوج باختيار زوجة له من خارج إناث أسرته ــ فإذا حدث خلاف ذلك، وكان الزوج والزوجة من أسرة واحدة أعتبر الزواج باطلاً ويدخل في إطار المحرمات.

* قاعدة تعدد الزوجات ظلت كما كانت في العهود السابقة مقررة في نظام الزواج ــ إلا أن تطبيقها في عهد حكم أسرة تشو من حيث عدد النساء كان يختلف طبقاً لمكانه الزوج، فجميع أفراد طبقة العامة كان لا يحق لهم الزواج بأكثر من زوجة واحدة ــ أما أفراد طبقة النبلاء فكان يحق لكل واحد منهم الزواج بأكثر من زوجة ولكن بشرط أن يتم زواجه منهن في وقت واحد ــ لأنه كان لا يستطيع أن يتزوج إلا مرة واحدة في حياته، ولذا كان يعقد قرانه في الحفلة نفسها على زوجته الأساسية وعلي نسائه الثانويات، وكان يختلف عددهن تبعاً لمقامه، فله الحق بآمرتين أن لم يكن صاحب مركز مرموق، وبثلاث زوجات أن كان قائداً، وبتسع زوجات أن كان أميراً أما بالنسبة للملك فكان يحق له اتخاذ اثنتي عشر زوجه ــ ولذلك ظهر نظام تعدد الزوجات بشكل واضح ومحدد في هذا العصر عن العهود السابقة.

* بالنسبة لطبقة النبلاء ــ كان بمجرد أن يمر ثلاث شهور على

وصول الزوجة إلى منزل زوجها تعتبر من ضمن أفراد أسرته، وتشترك معهم فـي الطقوس الدينية، وأمور العبادة، وتصبح زوجته الشرعية إلى الأبد.

* أما بالنسبة لطبقة العامة، فكان يتم تثبيت الزواج في حفلة عامة بعد أن تنجب الزوجة من زوجها ولداً، أما قبل ذلك فإنه لن يخرج عن كونه اتحاد تم الموافقة فيه خلال فترة الربيع بين رجل وأمراه على العيش سوياً، وهذا الاتحاد حر طليق من كل شرط أي ليس زواج قانوني.

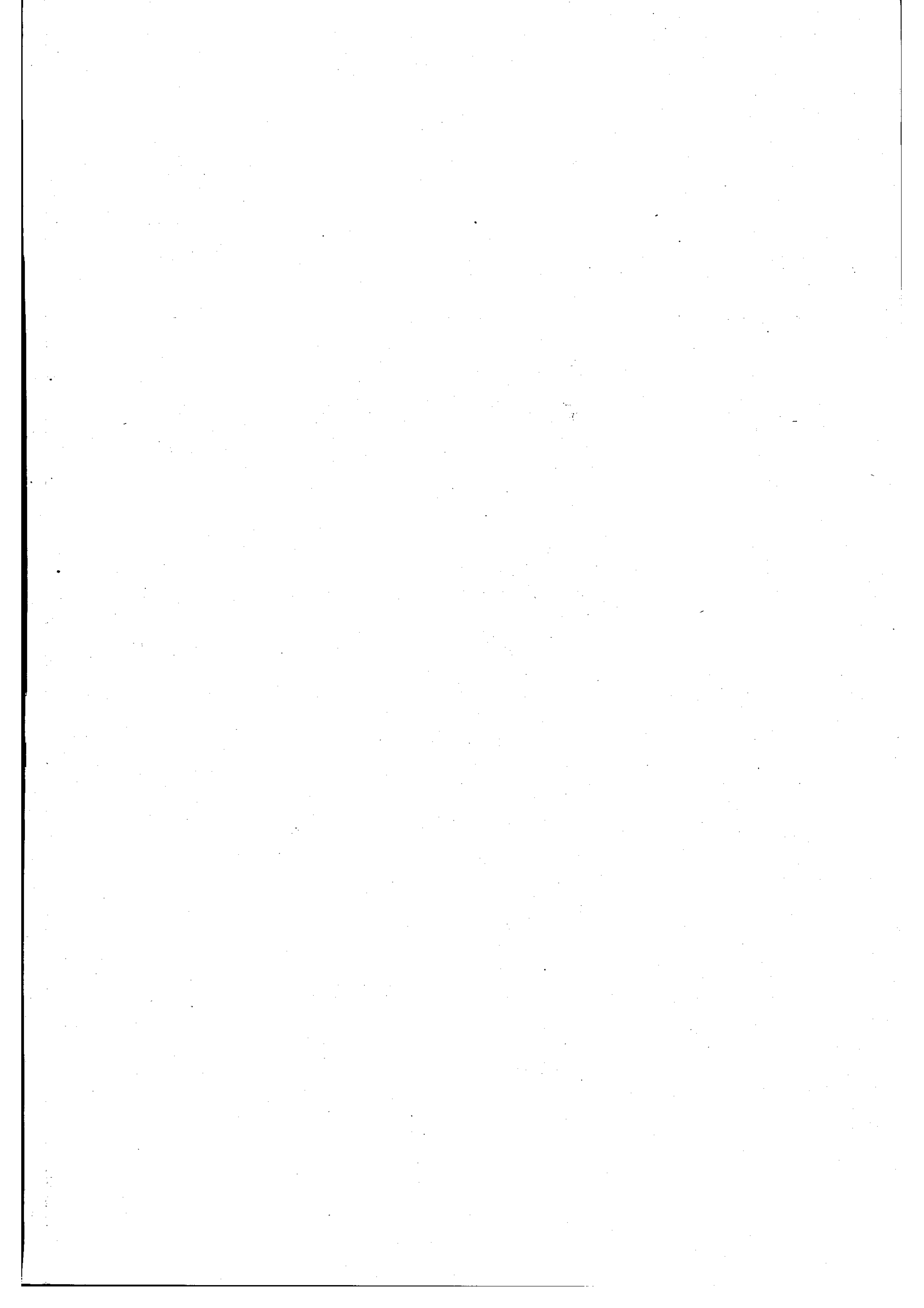
* السـن القانوني للزواج وعلى الأخص عند أسر الفلاحين كما هو ثابـت في السجلات التاريخية كان عندما تبلغ الفتاة العشرين عاماً وعندما يبلغ الفتى ثلاثين عاماً من عمره.

* ولادة الأطفـال كانت تتطلب بعض الطقوس الدينية ــ فكل مولود ذكـراً كـان أو أنثى كان يترك وحيداً في غرفة دون أكل ولا عناية لمدة ثلاثـة أيام التي تلي رؤيته للنور ــ فإذا صمم رئيس الأسرة بعد انقضاء هذه المدة على قبول هذا المولود ضمن أفراد أسرته، كان ينقل مباشرة إلى مسـاكن النساء ليرضع ويتم رعايته، وعقب ذلك يعلن الوالد رسمياً مولد طفلة ويقدم ذبيحة لجدوده ــ ولكن طبقاً لعادة أتبعها الصينيون في العهود السـابقة وأصـبحت شبه سارية في هذا العصر، كان يتم قتل المولود أو إهماله حتى يموت إذا رأي النور في وقت شؤم، أو إذا ولد في الشهر الذي ولـد فـيه أبوه، أو إذا ولد ثلاثة توءم فكان يتم أيضاً قتلهم عقب ولادتهم مباشرة.

* كان لا يجوز للزوجة التي يتوفي زوجها بعد أن أنجبت منه أن تقوم بالـزواج مرة أخرى أي حرم على الأرامل أن يتزوجن مرة أخرى، وفرض عليهن عرفياً الالتزام بالعفة والقيم الأخلاقية وتربية أولادهن تربية حسنة.

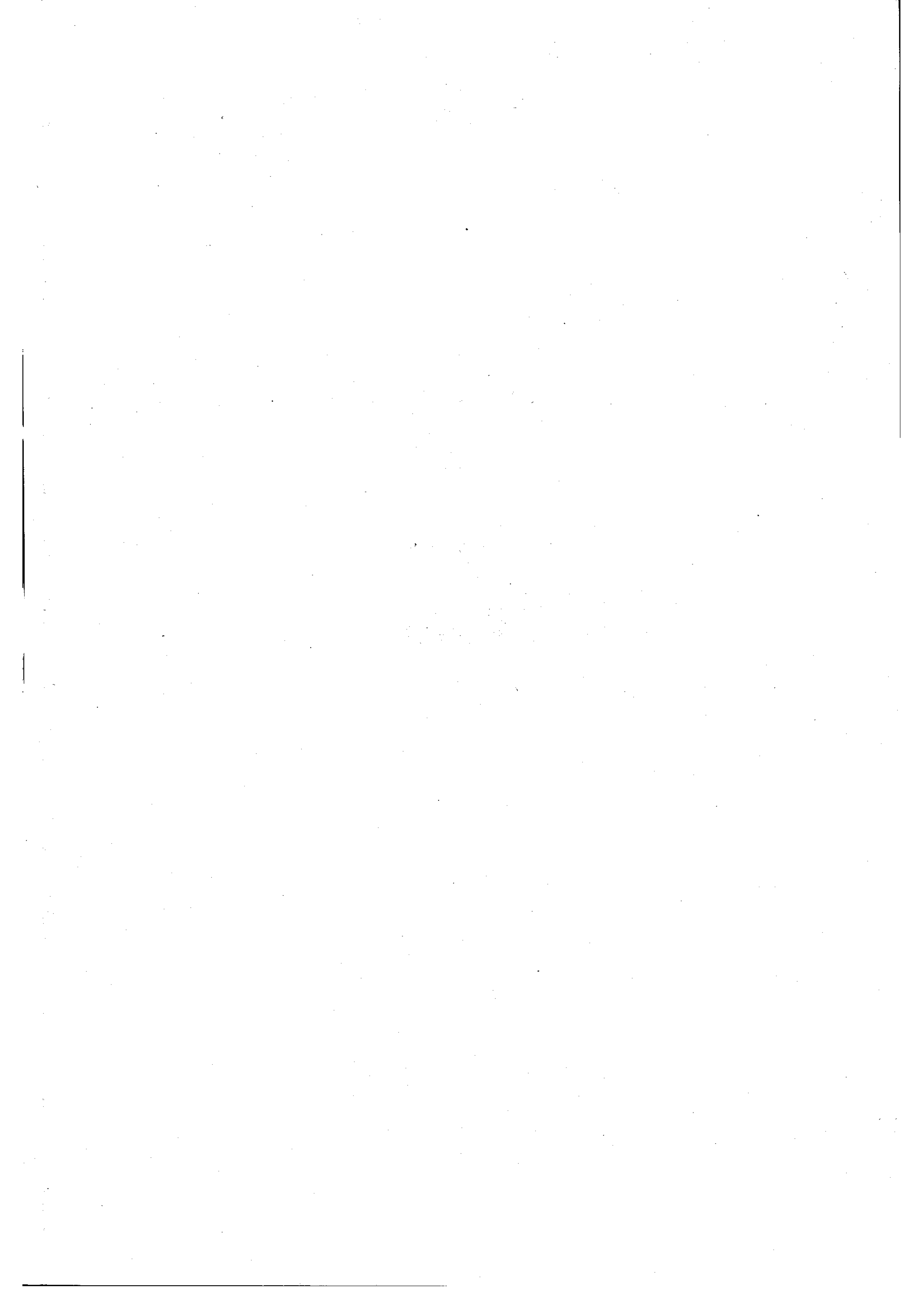
* أما بالنسبة لنظام الأسرة ــ فكان للأب سلطة مطلقة يباشرها على جميع أفــراد أســرته وهم أبنائه الذكور وبناته وزوجاته وفروع أبنائه، والأرقـــاء في حالة ما إذا كان من طبقة النبلاء ــ كما كان يعتبر رئيسها الأعلــى الــذي يتولى الأشراف على كافة أمورها، والمربى الأكبر الذي يلقنها قواعد الآداب ويغرس فيها القيم والمبادئ الأخلاقية، ويلزمها بإتباع العادات المورثة للأسلاف ــ أي كان السيد المطاع الذي يقرر الزواج أو يــبطله والــذي يقــبل أو يرفض الأولاد، والذي يمثل بشخصه كل أفراد الأسرة ويقاضيهم ويعاقبهم مباشرة إذا أخطأ أحداً منهم، والزعيم الأول لهم في إقامة الشعائر والطقوس الدينية.

* هذا النظام الأبوي كان يقصر حق الإرث على الابن الأكبر ــ أي كــان للابــن الأول "**البكر**" من الزوجة الشرعية الحق بعد وفاة والده "رب الأسرة" في امتلاك جميع الميراث دون أن يشاركه أحد من أفراد الأسرةــ فإذا كانت هذه الأسرة أرستقراطية كان الابن الأكبر يرث الثروة والمكانة السياســية التي كانت لوالده قبل وفاته وكان يسمى (**تســونغ تسى**) بمعنى الوريث الشرعي ولذلك كان هناك دائماً تسونغ تسى للمملكة، وتسونغ تسى للمقاطعــة، وتســونغ تســى للوزارة، وتسونغ تسى لكل وظيفة هامة في القصــر الملكي أو في أجهزة الحكومة الملكية ــ أما إذا كانت الأسرة من عامــة الشعب فكان الابن الأكبر لا يرث سوى أملاك والده ومكانته داخل الأسرة باعتباره الوريث الشرعي لرب الأسرة.[٢٤]



الفصل الثاني

أهم شرائع وأحكام
قـوانين عصـر الانفصـــال



بـدايـــة هذا العصـــر كـــانـــت بشكـــل واضـــح من عـــام (٤٦٧ق.م-٢٢١ ق.م) وهـــو يعتـــبر مـــن أخطر العصور التي مر بها المجتمع الصيني القديم . حيث تفتتت فيه وحدة البلاد السياسية إلى إمارات إقطاعية منفصلة عن السلطة المركزية، ونتيجة المنازعات والحروب التي اشـــتعلت بينها ابتلعت الإمارات الكبيرة الإمارات الصغيرة، ولم يتبق منها ســـوى سبع إمارات كبرى، أخذت شكل دويلات أو ممالك، وأطلق عليها (الكـــبريات الســـبع) وهـــي (تشى، وتشو، ويان، وهان، وتشاو، ووى، وتشـــين) ـــ وهذه الدويلات أو الممالك السبع لم تتوقف هي الأخرى عن المنازعات والحروب لأن كل منها كانت تطمع أن تكون هي الأقوى على حســـاب غـــيرها، وتتمكـــن بنفوذها وسطوتها أن تبتلع الآخرين، وتنتزع السيادة الصينية وتسيطر على السلطة العليا، وتستولى وحدها على عرش المجـــتمع الصيني ـــ ولذلك أستمر الصراع الدموي بين هذه الدويلات أو الممـــالك حتى تمكنت مملكة (تشين) أن تنتصر في النهاية بعد أن أجهزت علـــى الآخريـــن، وكونت أول إمبراطورية موحدة ومتعددة القوميات في تاريخ الصين في عام ٢٢١ قبل الميلاد.

وحيـــث أن الـــتفكك والانفصال الذي حدث في هذا العصر قد أثر علـــى النظام القانوني، وأحكام هذا النظام قد أثرت على أوضاع المجتمع الصيني فأنه لكي نوضح ذلك سنعرض دراستنا على النحو التالي:

المبحث الأول: أهم شرائع عصر الانفصال.

المبحث الثاني: أهم أحكام قوانين عصر الانفصال.

المبحث الأول

أهم شرائع عصر الانفصال

الـــنظام القانوني الذي طبق في المجتمع الصيني خلال فترات هذا العصر ــ قد تميز بخصائص معينة عن تلك التي كانت في العصر الملكي السابق، الـــذي ضم عهود حكم أسرات (**شيا، وشانغ، وتشو الغربية ثم الشرقية**) وذلـــك نتـــيجة للأوضاع التي ترتبت على أثر حركات الانفصال والتفكك وتفتيـــت وحدة المجتمع الصيني، إلى جانب فقدان الثقة وحب الانتماء إلى الوطن الواحد من أثر المنازعات والحروب الدامية التي قامت بشراسة بين الإمارات الإقطاعية، ثم بين الممالك أو الدويلات السبع بعد ذلك(١)ــ وأهم هذه الخصائص تتلخص في الآتى:

أولاً: انهـــيار الســـلطة المركـــزية بعد أن تحطمت وحدة المجتمع الصيني وتفتـــت إلـــى إمـــارات إقطاعية منفصلة، وتجرأ أمرائها على شن الحروب الابـــتزازية لاغتصاب المزيد من الأراضي لكي يتسع نطاقها الإقليمي وتزيد مساحتها الكلية عن مساحة الإمارات الإقطاعية الأخرى ــ وهذا قد أدى إلى استهانة هذه الإمارات ثم الدويلات أو الممالك السبع بكل نظم وأحكام قوانين الحكومـــة المركـــزية لتشو الشرقية، أي فقد المجتمع الصيني من خلال هذا الانفصـــال الالتزام بنظام قانوني متحد يطبق في كافة أرجاء البلاد، وخاصة فيما يتعلق بالقوانين ذات الطابع السياسي والإداري والجنائي.(٢)

ثانياً: إلغـــاء نظـــام (**المـــربعات التســـعة**) بعـــد أن تقاســـمت ثلاث أسر أرســـتقراطية فـــي إمـــارة لو وهي (**جيسون، ومنغسون، وشوسون**) حقول (**المـــربعات التسعة**) وهي الحقول العامة التي كانت تمتلكها الدولة، وإضافتها إلـــى حقولهـــا الخاصـــة، ثم قامت الإمارات الأخرى المنفصلة بتطبيق نفس

الأجـــراء ـــ وهذا قد جعل كل الأسر الأرستقراطية عبارة عن أسر إقطاعية مالكــة للأراضـــي وتحـــول العبيد الذين كانوا يعملون في حقول (المربعات التســـعة) إلى فلاحين يعملون ويعتصر جهودهم في الأراضي التابعة للأسر الإقطاعـــية ـــ وبالتالـــي توغـــل النظام الإقطاعي في كل الإمارات الصينية المنفصـــلة وزالـــت تماما من المجتمع الصيني كل الآثار المتبقية من النظام العبودى.

ثالثاً: قـــيام بعض الإمارات الإقطاعية المنفصلة بإصدار تشريعات قانونية خاصـــة بهـــا ويغلب عليها الطابع السياسي والإداري والجنائي بهدف تدعيم اســـتقلالها وتقوية نفوذها وسطوتها أمام السلطة المركزية التي كانت متدنية وتأخذ طريق الزوال، وأمام الإمارات الأخرى المنفصلة، وذلك مثل التشريع الـــذي أصـــدره (**هوان قوانغ**) أمير (**تشى**)، والتشريع الذي أصدره (**شيانغ قوانـــغ**) أمير (**سونغ**)، والتشريع الذي أصدره (**ون قونغ**) أمير (**جين**) التي انقســـمت بعـــد فترة قصيرة إلى ثلاث ممالك وهي مملكة (**الهان**) في منطقة خـــنان ومملكـــة (**تشاو**) في منطقة خبى، ومملكة (**وى**) في منطقة شانشى، والتشـــريع الـــذي أصدره (**مو قونغ**) أمير (**تشين**)، والتشريع الذي أصدره (**تشوانغ وانغ**) أمير (**تشو**) وكان كل تشريع ذات طابع مميز إلى حد ما في بعـــض قواعده القانونية وفي نظام تطبيقه عن التشريعات الأخرى، هذا إلى جانب الشرائع الأخرى[٣] العديدة وأهمها:

تشريع (شياو قونغ) ملك تشين:

وفـــي الفترة التي ازداد فيها التنافس والصراع بين الممالك السبع كانـــت الشرائع القانونية التي تصدرها كل مملكة من العوامل الهامة التي تصلح بها أوضاعها ومن المقومات الأساسية التي تستند عليها في مجابهة الممـــالك الأخرى ـــ وإذا كانت هذه الشرائع عديدة ومتنوعة إلا أن أهم ما

صدر منها خلال تلك الفترة كما ورد في معظم المراجع والسجلات التاريخية الصينية هو التشريع الذي أعلن في عام ٣٥٩ قبل الميلاد في مملكة تشين — وترجع وقائع صدوره إلى قيام **(شياو قونغ)** ملك **(تشين)** الذي تولى الحكم خلال الفترة من (٣٦٢ — ٣٣٨ قبل الميلاد) بتكليف **(شانغ يانغ)** رئيس وزرائه والذي كان أيضاً من أكبر المشرعين في المملكة بإعداد خطة شاملة لإصلاح بعض الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع تطوير بعض النظم التي أصبحت غير مواكبة لمتطلبات المملكة خلال هذه الفترة الزمنية— وبالفعل قام **(شانغ يانغ)** بوضع هذه الخطة في صورة تشريع أعلنته حكومة تشين في عام ٣٥٩ قبل الميلاد، وأهم نصوصه تتلخص في الآتي:

١ — الاعتراف بالملكية الخاصة للأراضي سواء كانت أراضى بناء أو أراضى زراعية وخاصة بعد إلغاء نظام **(المربعات التسعة)** التي كانت عبارة عن حقول عامة مملوكة لحكومة تشو، وتم ضمها بإزالة الدروب وعلامات الحدود إلى الحقول الخاصة.

٢ — إجازة بيع الأراضي وإلغاء كل القيود التي كانت تمنع تداولها بين الأفراد في العهود السابقة بشرط ألا يؤثر هذا البيع على كفاءة الأرض في الإنتاج الزراعي — وهذا قد أدى إلى زيادة توغل النظام الإقطاعي حيث قام أكبر الأثرياء بشراء مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية.

٣ — إجازة تأجير الأراضي الزراعية للفلاحين مقابل نصف المحصول وهذا قد أدى إلى تحرر الكادحون من بعض القيود التي كانت مفروضة عليهم من قبل في ظل ما كان باقيا من النظام العبودى وأصبح في وسع الفلاحين العمل لأنفسهم في أوقات معينة وأن يتصرفوا في نصف ما ينتجونه من محاصيل زراعية، الأمر الذي رفع من حماسهم للزراعة، وفتح مجالا متسعاً لتطوير الإنتاج الزراعي.

٤ ـ مكافأة العمال المتميزين في مجال الزراعة والغزل والنسيج حيث تقرر بنص قانوني في هذا التشريع إعفاء من ينتج برفرة حبوباً أو محصولاً زراعيا معينا أو يصنع قماشا اكثر عن المحدد له إنتاجه من بعض الضرائب وأعمال السخرة وهذا الحافز قد جعل الفلاحين والعمال الحرفيين يعملون بكل ما يملكون من جهد وقوة مما أدى إلى حدوث زيادة ملحوظة في إنتاج المحاصيل الزراعية وفي المنتجات الخاصة بالمنسوجات والأقمشة المختلفة.

٥ ـ تنظيم وتحديد وضبط نشاط الفلاحين وعمال الصناعة والحرف اليدوية المختلفة والتجار ـ ومنع ترك أعمال الزراعة لمزاولة أي نشاط تجارى أي حظر تحول أي مزارع مهما كانت ظروفه وأوضاعه إلى مهنة التجارة.

٦ ـ منح القادة العسكريين أصحاب المآثر في الحروب مكافآت مجزية من الملك، وهذا قد أدى إلى رفع روحهم المعنوية، وساعد على تقوية الفصائل والكتائب والفرق العسكرية أثناء المعارك التي اشتعلت بين تشين والممالك الستة الأخرى وعلى الأخص خلال الفترة التي يطلق عليها حقبة (الممالك المتحاربة) التي استمرت بلا هوادة من عام (٣٢٥ ـ ٢٢١ قبل الميلاد).

٧ ـ إلغاء الامتيازات التي كانت مقررة لملاك العبيد الأرستقراطيين والتي كانت تتمثل في الرواتب التي كانت تمنح لهم منذ الولادة وفي المناصب التي كانت توزع عليهم إذا كبروا ـ حيث جعل هذا القانون الرواتب والمناصب من نصيب أصحاب المآثر العسكرية أو من قدم خدمات جليلة لمملكة تشين بصرف النظر عن حسبه ونسبه ونشأته ـ وهذا قد أدى إلى غرس روح الوطنية والمفاهيم القومية وحب الانتماء بين جميع أفراد شعب مملكة تشين.

٨ ــ تم وضع نظم إدارية حديثه للمملكة والمناطق التابعة لها ــ على أســاس هــذا القانون قد تم إنشاء وتأسيس ٣١ منطقة تابعة للمملكة، وكل مــنطقة كانــت عبارة عن محافظة وعين لها رئيس من ملك تشين، وكان معظم رؤساء هذه المناطق أو المحافظات من القادة العسكريين الذين حققوا بطــولات بــارزة في المعارك الحربية، وليس كما كان من قبل من طبقة مــلاك العبيد الأرستقراطيين الذين كانوا يستأثرون وحدهم بكل المناصب والوظائف الإدارية العليا في المملكة.

٩ ــ وضــعت نظم متطورة لعمليات استصلاح الأراضي ومشروعات الــري الكبرى من خلال هذا القانون ــ وذلك مثل مشروع **(دوجيا نغيان)** الخــاص بنظام الري متعدد الأغراض الذي لعب دورا هاماً في السيطرة علــى تــيار نهر **(مينجيانغ)** العارم ومقاومة الفيضانات التي كانت تحدث بصــفة مستمرة قرب منطقة **(تشنغدو)** بمقاطعة **(سيتشوان)** الحالية، وهذا قــد أدى إلــى تنظــيم عمليــات ري الحقــول وتحويل السهول الجرداء والأراضي البور إلى حقول خضراء مترامية الأطراف.

ولذلــك قــد جعلت نصوص هذا القانون وما حققته من إصلاحات كــبرى مملكــة **(تشين)** في مكانة عليا، ومن أقوى الممالك السبع سياسياً واقتصــادياً واجتماعــياً، وهذا قد ساعدها على توفير دعائم جديدة تمكنت علــى آثارهــا مــن تحقيق النصر في النهاية على الممالك الستة الأخرى وأنشأت أول إمبراطــورية عظمى في تــاريخ الصين القــديم في عــام (٢٢١ قبل الميلاد).[٤]

رابعاً: النظم والقوانين الخاصة بالجرائم والعقوبات التي صدرت وطبقت في معظم الإمارات الإقطاعية المنفصلة خلال هذا العصر ــ وعلى الأخص التي وضــعت فــي ممــالك تشين وسونغ وحين كانت أشد قسوة ومغالاة من تلك

القوانيــن الجنائية والعقابية التي كانت سائدة ونفذت في عهد حكم أسرة تشو الغربــية ثــم الشــرقية، وخاصة فيما يتعلق بالجرائم العامة التي كانت تمس أجهزة الحكومة والمصالح العليا للإمارة أو المملكة، وذلك نتيجة توغل النظام الإقطاعــي في كافة أرجاء المجتمع الصيني، وما أفرزه هذا النظام من ظلم وقســوة واستبداد في معظم الولايات الإقطاعية المنفصلة إلى جانب قيام كل ولاية بالتشدد في فرض نفوذها وسيطرتها على شعبها والأراضي التابعة لها اعتقادا بأن ذلك سوف يساعدها على مجابهة الإمارات الأخرى ويحميها من الانقلابات السياسية في الداخل ومن المؤامرات والأطماع الخارجية.

— وهذه القوانين قد قوبلت بسخط من جانب الشعب الصيني في معظم هــذه الإمــارات نتيجة النصوص المتزايدة في عدد الجرائم والمغالاة في العقوبــات التــي فرضت عليها — وفي ذلك يقول ول ديورانت في مؤلفة (قصــة الحضــارة) بــأن **[القوانيــن الجنائية والعقابية التي وضعت في الولايــات الإقطاعــية فــي عصر الانفصال قد غرست الرعب في قلوب الفلاحيــن الذين مثلوا معظم عامة وعبيد الشعب الصيني في هذا العصر الــذي تفشــى فيه النظام الإقطاعي — وان هؤلاء الفلاحين من أثر ذلك الرعب قد تنبئوا طبقاً لمعتقداتهم القديمة بأن كثرة هذه القوانين تعبر عن انتشــار الفســاد والانحراف بين أفراد الشعب وان هذا سوف يؤدى إلى إلحــاقهم بالكوارث والنكبات كعقاب سماوى، على هذا الفساد والانحراف، وخاصــة بعد أن حدث ذلك بالفعل ودمرت النار عاصمة (جين) بعد ذلك بقلــيل ومــلأت قلوبهــم رعباً ...]**[٥] وأيضاً أثرت هذه القوانين الجنائية وقســوة العقوبــات التي فرضت على الجرائم التي نصت عليها على فكر الفلاسفة الذين ظهروا في هذا العصر ويعتبرون من أعظم فلاسفة الصين حــتى عــالم اليوم ومن الرواد الأوائل للحضارة العالمية في الفكر الأدبي

والفلسفي وذلك مثل (لدوتسى) الذي ظهر بفكرة الفلسفي الراقي في أوائل هــذا العصــــر وقال عن هذه القوانين [كلما كثرت الشرائع والقوانين كثر عدد اللصوص وقطاع الطرق .. لأن الطبيعة قد جعلت حياة الناس بسيطة آمــنة، ولــذا فإن العاقل يستطيع أن يبتعد عن تيه القوانين ويعيش في سـعادة بيــن أحضان الطبيعة الهادئة، فإذا لم تقاتل الناس فلن تجد أحداً علــى ظهر الأرض يستطيع أن يقاتلك .. قابل الإساءة بالإحسان.. وكن خير للأخيار، وخير أيضا لغير الأخيار، وبذلك يصير الناس جميعاً أخياراً وكــن مخلــص للمخلصين ومخلص أيضا لغير المخلصين وبذلك يصير الــناس جميعاً مخلصين ... ولذلك فعلينا أن نطيع قوانين الطبيعة أفضل وننــبذ جميع أساليب الخداع والغش ونبعد عن التيه المفسد الموهن تيه القوانيــن وزهو الدنيا والسلطة] ... وأيضا عبر كونفوشيوس الذي يعد من أشهر فلاسفة الصين والعالم القديم عن سخطه لهذه القوانين بما يفيد بــأن [القانون الذي تضعه السلطة العليا وترهب به الشعب ويطلق عليه قانون الطاعة، لا يجعل الحكومة تتقدم، ولا يجعل الشعب يعيش في أمان واســتقرار، لأنــه يوجد ما هو أسمى منه وهو القانون الأخلاقي – لأن تصــريف شئون الحكم يقوم على استعمال من يصلح له من الناس، وما مــن ســبيل إلى الحصول على هؤلاء الناس إلا أن تكون أخلاق الحاكم نفسه صالحة – وعلى الحكومة أن تعنى أيضا بغرس الأخلاق الطيبة في نفــوس الشعب، لأن الأخلاق إذا فسدت فسدت الأمة معها، وآداب اللياقة هــي التي تكون على الأقل المظهر الخارجي لأخلاق الأمة وإن لم يدرك الناس هــذا – لان بهذا سيتحدث الناس عن الحكومة المخلصة ويعملون علــى نشر لواء السلم الشامل، ولا يروا أن آباءهم هم من ولدوهم دون غيرهم أو أن أبناءهم هم من ولدوا لهم بل يهيئون سبل العيش للمسنين

حـتى يستوفوا آجالهم، ويهيئون العمل للكهول، ووسائل النماء للصغار ويكفلـون الحـياة للأرامل من الرجال والنساء واليتامى وعديمي الأبناء ومـن أقعدهـم المرض عن العمل، هنالك يكون لكل إنسان حقه وهنالك تصـان شخصـية المرأة فلا يعتدي عليها ـ وينتج الناس الثروة لأنهم يكـرهون أن تبدد وتضيع في الأرض، ولكنهم يكرهون أن يستمتعوا بها دون غـيرهم من الناس، وهم يعملون لأنهم يكرهون البطالة، ولكنهم لا يهدفون في عملهم إلى منفعتهم الشخصية ـ وبهذه الطريقة يقضى على الأنانـية والمـآرب الذاتـية، فـلا تجد سبيلا إلى الظهور، ولا يرى أثر للصوص والنشالين والخونة المارقين، فتبقى الأبواب الخارجية مفتوحة غير مغلقة، هذا هو الوضع الذي يطلق عليه التماثل الأعظم].

ـ وإذا كان جميع الفلاسفة الآخرون مثل (موه تسى) و (منشيوس) قـد عـبروا عـن ذلك أيضا بالنسبة لكثرة القوانين التي تضعها السلطة الحاكمـة إلا أن الفلاسفة أنصار المدرسة الشرائعية وعلى رأسهم (شانغ يـانغ) و(هـان فـى) قد اتجهوا إلى عكس ذلك وطالبوا بضرورة وجود القوانيـن الوضعية بادعاء أن السلطة المركزية لا تستطيع أن توفر العدل والأمـان والاسـتقرار للشـعب إلا من خـلال القوانين أو الشرائع التي تسـنها، ومن أقوالهـم في ذلـك (أن الاعتماد على المثل والأخلاقيات فقـط فـي إدارة نظـام الحكم يعرض الدولة أو الحكومة المركزية لأشد الأخطـار التي قد تدمر مجتمع هذه الدولة ـ إذ ليس في التاريخ عموماً أمـثلة كثيرة تشهد بنجاح استمرار الحكومات التي تسترشد في أعمالها بهذه المبادئ المثالية ـ بل لابد أن يستند الحكم إلى القوانين أو الشرائع الوضـعية لا إلـى القيم والمبادئ الأخلاقية فقط، ولا إلى الحكام أصحاب الأخـلاق الصـالحة فقـط سواء كانوا ملوك أو أمراء بل يجب أن يرغم

الــناس علـــى إطاعــة القوانين حتى تصبح إطاعتها طبيعة ثابتة داخل المجــتمع فيطيعوها راضين مختارين لان الناس لم يبلغوا من الذكاء ما يمكــنهم أن يحســنوا حكم أنفسهم، كما لم يقدروا على منع أنفسهم من الســعي وراء مصالحهم الشخصية ولا يستطيعون أن يتكاتفوا يد واحدة بــدون نظــام قانونــي فــي تحقيق الغايات والآمال المشتركة للمجتمع ومصالح الدولة العليا)٠

وحيث أن الفيلسوف (شيــون تسى) الذي عــاش خلال الفترة من عــام [٢٩٨- ٢٣٨ قبل الميلاد]، ويطلق عليه أيضا في بعض المراجع التاريخية (شون دزه أو هسون تزو) كان من أشد المؤيدين لوجود القانون الوضــعي، و تتلمذ على فكره الفلسفي كثير من أقطاب المدرسة الشرائعية وفي طليعتهم (هان فى) زعيم هذه المدرسة، و (لى سسو) الذي عين بعد ذلــك رئــيس وزراء للإمبراطور (تشن شى هوانغ دى) فقد قرر بــأن (الــنفس البشــرية أمــارة بالســوء، ومــا تفعله من خير فهو متكلف ومصــطنــع ــ لأنه قد غرس فيها من ساعة مولدها حب الكسب ــ فإذا فرض وقامت أعمال الإنسان طواعية على الحب وحده فإن هذا يؤدى إلى انتشــار المنازعات والسرقات، لأن الحب وإنكار الذات والاستسلام للغير لــيس مــن طبيعة الإنسان، بل إن من طبيعته التحاسد والتباغض، ولما كانــت أعمــال الناس لابد أن تتفق مع طباعهم فإنهم لا يصدر عنهم إلا العــنف والأذى، ولا نــرى فيهم إخلاصاً أو وفاء ... ومن طبيعة الناس أيضاً إشباع الأذن والعين، وهذا يؤدى إلى حب الأصوات العذبة والمناظر الجمــيلة .. ولما كانت أعمال الناس لابد أن تتفق مع هذه وتلك كان لابد أن توجــد الدعــارة وســوء الــنظام، وأن تــنعدم الاستقامة والاحتشام ومظاهــرها المختلفة ــ ومن هذا يتضح أن السير وفق الطبيعة البشرية

وإطاعة أحاسيسها، يؤديان حتمًا إلى الخصام واللصوصية، وإلى مخالفة الواجبات التي تتفق مع الوضع الذي وجد فيه كل إنسان، وإلى الخلط بين كل المراتب والمميزات حتى تعم الهمجية ولهذا كان لابد من قيام سلطان المعلمين والشرائع، والاهتداء بقواعد الاستقامة والاحتشام التي ينشأ عنها إنكار الذات والخضوع للغير ومراعاة قواعد السلوك المنظمة، مما يؤدى إلى قيام الدولة ذات الحكومة الصالحة .. وقد أدرك الملوك الأقدمون الحكماء ما طبعت عليه النفس البشرية من شر، فوضعوا قواعد الاستقامة والآداب وسنوا النظم والقوانين ليقوموا طبائع الناس ومشاعرهم ويصلحوهم ... حتى يسلكوا جميعاً سبيل الحكم الصالح الذي يتفق مع العقل).(٦)

خامساً: إذا كانت العلاقات بين الإمارات المختلفة في عهد حكم أسرة تشو الغربية ثم الشرقية كانت عبارة عن علاقات محلية على أساس أن هذه الإمارات كانت تتبع إدارياً وسياسياً السلطة المركزية لمملكة تشو – فإنها في هذا العصر بعد أن تفتت وحدة المجتمع الصيني وانفصلت هذه الإمارات عن السلطة المركزية، وأصبحت كل منها عبارة عن إمارة إقطاعية مستقلة، قد تحولت إلى علاقات ذات طابع دولي قامت بين هذه الإمارات المستقلة في شئون الحرب والسلام وإن كانت الحرب قد غلبت عليها أثناء المعارك التي ابتلعت فيه الإمارات الكبيرة الإمارات الصغرى وخلال الحرب الشرسة التي قامت بين الممالك السبع حتى انتصرت في نهايتها مملكة تشين على الممالك الأخرى، وسيطرت عليها وكونت أول إمبراطورية كبرى ووحدت بها بلاد الصين – ولذلك فإن كثيرا من فقهاء القانون الدولي والسياسة الدولية قد أشاروا في مؤلفاتهم بأن معظم الاتفاقات التي تمت خلال هذه العصر (عصر الانفصال) سواء بين الإمارات الإقطاعية المستقلة أو بين الممالك

السبع ـ كانت عبارة عن اتفاقات أو معاهدات دولية على أساس أنها قد عقدت بين كيانات سياسية مستقلة تشبه الدول تماما، وتماثل ما يتم عقده حاليا من اتفاقات أو معاهدات في المجتمع الدولي المعاصرـ وذلك مثل:

معاهدة وادي (يانجستى) لنزع السلاح:

اعتبرت الصين من خلال هذه المعاهدة أول من أرست القواعد الدولية الخاصة بنزع السلاح، التي سادت واستقرت بعد ذلك في المجتمع الدولي، وأصبحت من أهم أهداف ميثاق الأمم المتحدة من أجل منع الحروب وتحقيق السلام الدائم بين الدول العديدة في عالم اليوم.

ـ والظروف التي دعت إلى عقد هذه المعاهدة كما ورد في السجلات التاريخية ترجع إلى أنه في بداية عصر الانفصال حدثت منازعات وحروب عديدة بين الإمارات الإقطاعية المستقلة حيث كانت كل إمارة (كما سبق أن وضحنا) تطمع في توسيع نطاق حدودها على حساب الإمارات الأخرى لتكون الأكبر والأقوى وتتزعم السيادة الصينية بعد أن تدنت السلطة المركزية لمملكة تشو الشرقية ـ وحيث أن هذه الحروب قد استمرت سنوات طويلة وأشاعت فيها الفوضى والخراب والدمار، فقد قام دعاة السلام وأهل الحكمة في هذه الإمارات الصينية بالدعوة إلى وقف القتال، ونادوا بضرورة عقد مؤتمر يحضره كل رؤساء هذه الإمارات من أجل وضع نهاية لهذه الحروب المتكررة التي هلك فيها الأبرياء، ودمرت فيها خيرات البلاد، وبعد أن تم الاستجابة لهذه الدعوة والاقتناع بالمبادئ الإنسانية التي ذيلت بها اختير وادي (يانجستى) لكي يعقد فيه هذا المؤتمر.

ـ وعلى أثر ذلك انعقد المؤتمر في الموعد المحدد له بين رؤساء الإمارات الصينية، وقرر فيه وسطاء الصلح **(دعاة السلام وأهل الحكمة)**

بعـــد أن تمكنوا من تهدئة النفوس وإزالة كل رواسب الحقد والغضب بأن أفضـــل وسيلة لمنع اشتعال الحروب مرة أخرى وتحقيق سلام وأمن دائم بيـــن الإمارات هو أن ينزع من بينهم السلاح الذي يفتك بالأرواح ويلحق الدمـــار بالبلاد ـ وبعد أن تم إقناع جميع الحاضرين بذلك ـ اتفق جميع رؤساء الإمارات على هذا المبدأ ووقعوا جميعاً بلا تحفظات على المعاهدة التـــي سـميت (**بمعاهدة وادي يانجستى**) لنزع السلاح لتكون خير ضمان علـــى عدم قيام الحروب بينهم مرة أخرى وذلك في عام ٦٠٠ قبل الميلاد تقريـباً وبـــالفعل حققـــت هـــذه المعاهدة إلى حد ما سلاماً وأمناً بين هذه الإمـــارات أستمر مائة عام في الفترة المبكرة لهذا العصر ـ حيث لجأت كـــل إمارة طبقاً لنصوصها إلى نظام التفاوض أو الوساطة أو التوفيق أو التحكيم لحل أي نزاع يثور بينها وبين أي إمارة أخرى بدلا من اللجوء إلى الحرب(٧).

المبحث الثاني

أهم أحكام قوانين عصر الانفصال

وفـي ضوء هذه الخصائص التي تميز بها النظام القانوني في هذا العصـر فان أساس فكرة القانون وان كانت قائمة مثل العهود السابقة على الواجـب والفضيلة المستمدة من أحكام القيم والمبادئ الأخلاقية والعادات والتقالـيد الاجتماعية السائدة وآداب اللياقة وقواعد المجاملات التي اتبعها أسـلاف الشعب الصيني، إلا أن دور القانون الوضعي قد اخذ مكانة أكبر في هذا العصر نتيجة لظهور الفلسفة الشرائعية وعلى الأخص خلال عهد الممـالك المـتحاربة ــ ولذا فان أحكام النظم القانونية التي سادت في هذا العصـر وان كانت قد تشابهت مع الأحكام التي سادت في العصر الملكي وعلى الأخص التي طبقت في عهد حكم أسرة تشو الشرقية، إلا أنه بسبب الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مر بها المجتمع الصيني خـلال هذا العصر، وتدهور أوضاع السلطة المركزية الموحدة إلى جانب ارتفـاع مكانة القوانين الوضعية في الإمارات الإقطاعية المنفصلة ثم في الممـالك السبع المتحاربة ــ قد أدى إلى استحداث بعض أحكام كانت غير معروفة أو مطبقة من قبل في العهود السابقة أهمها يتلخص في الآتي:

أولا : الأحكام المتعلقة بالوضع الاجتماعي:

إذا كـان المجـتمع الصيني قد انقسم في عهد حكم أسرة تشو إلى ثمان طبقات وهي بالترتيب (الأمراء ــ الوزراء وكبار الموظفين ــ الكهنة وكـبار رجـال الديـن ــ القادة العسكريين ــ الأدباء والفلاسفة ــ كبار الـتجـار ــ الصـناع والزراع وهم يمثلون طبقة العامة ــ وأخيراً طبقة العبيد)، فانه من خلال الظروف والأوضاع التي حدثت خلال هذا العصر

الذي تفتت فيه وحدة المجتمع الصيني إلى جانب توغل النظام الإقطاعي في جميع الإمارات المنفصلة ثم في الممالك السبع المتحاربة قد تغير نظام ترتيب هذه الطبقات، وأصبحت في كل إمارة من الإمارات المنفصلة ثم في كل مملكة من الممالك السبع على النحو التالي:

١ ــ **طبقة الأشراف**: وهي تلك التي كانت تلي مباشرة أمير الأمراء أو الملك الذي يعلو قمة الطبقات ولا يتساوى معه أحد في نفوذه أو سلطاته أو امتيازاته ــ وجميع أفراد هذه الطبقة من الأسرة المالكة، وكانوا يتمتعون بكل الحقوق العامة والخاصة وبكل الامتيازات التي كانت تتقرر في الإمارة أو المملكة.

٢ ــ **طبقة الوزراء**: وكان يتم اختيار معظمهم من طبقة الأشراف، والآخرون وكان عددهم قليل يتم اختيارهم من طبقات القادة العسكريين، وأمراء الإقطاع، والفلاسفة وكانوا يتمتعون بكل الحقوق العامة والخاصة، ويلو في الامتيازات أفراد طبقة الأشراف.

٣ ــ **طبقة الإقطاع**: ومعظمهم كانوا من أفراد الطبقتين الأولى والثانية وعدد قليل منهم من أفراد طبقات القادة العسكريين وكبار رجال الدين وكبار التجار، وصلوا إلى هذه الطبقة بعد أن أصبحوا من ضمن كبار ملاك الأراضي الزراعية، وكانوا يتمتعون بكل الحقوق العامة والخاصة إلى جانب الامتيازات التي كانت تقرر لهم من أمير الأمراء أو الملك، وكانت تقل إلى حد ما عن الامتيازات التي كانت تمنح لأفراد الطبقتين الأولى والثانية.

٤ ــ **طبقة القادة العسكريين**: وهم كبار رجال الجيش، وقد ارتفعت مكانتهم في هذا العصر وأصبحوا يعلو طبقة كبار رجال الدين بعد أن كانوا يلوها في المرتبة خلال العصر السابق ــ وذلك لأن كل إمارة أو

مملكــة كانــت تعتبر الجيش وكبار القادة العسكريين سندها الأساسي في تحقيق أهدافها التوسعية وفي مواجهة أطماع الإمارات أو الممالك الأخرى، ولــذا فإن كثيرا ما كان أمير الأمراء أو الملك يمنح كبار القادة العسكريين امتــيازات عديــدة كما كان يختار منهم وزير أو أكثر، ويعين بعضهم في الوظــائف العليا، وذلك من اجل أن يغرس في صفوف الجيش وقادته حب الــولاء والانــتماء والصــمود بكل قوة وشجاعة في الحروب مهما كانت شراســة القــتال، قــد ظهر ذلك واضحــا في التشريع الذي أعده وأعلنه **(شــانغ يانغ)** في عام ٣٥٩ قبل الميلاد بمملكة **(تشين)** والسابق الإشارة إليه.

٥ ــ **طــبقة الكهــنة وكبار رجال الدين:** وقد اصبحوا في هذا العصر نتــيجة الاعــتماد علــى الابتكارات العقلية وما تحقق من إنجازات علمية ومشــاريع عملاقة تطور من خلالها النشاط الزراعي والصناعي، يمثلون الطبقة الخامسة ويلوا في تمتعهم بالامتيازات طبقة القادة العسكريين.

٦ ــ **طبقة كبار الأدباء والفلاسفة** ــ وقد برز دور هذه الطبقة بين أفراد الشــعب الصــيني بشــكل اكثر فاعلية من العصر السابق ــ وذلك نتيجة ظهــور عمالقــة الفكر الأدبي والفلسفي في هذا العصر مثــل **(لاوتسى، وكونفوشــيوس، ومنشــيوس، وموه تسى، وشيون تسى، وتشــوانــغ تســى** ... الخ) الذين أحدثوا تطور هائل في حركة الفكر لا مثيل لها في العهــود السابقة وأسسوا من خلال ذلك **(المدارس المائة)** في الفلسفة وفي مقدمتها الطاوية والكونفوشيوسية والموهية والشرائعية، وهذه المدارس قد خاضــت صــراعاً عنيفاً فيما بينها وكانت من أحد الأسباب التي أدت إلى اتســاع هــوة الخلافــات والمنازعات بين الممالك المختلفة (كما سبق أن وضــحنا فــي الباب الأول) ــ ولذا فانه أمام تصاعد مكانتهم في المجتمع

كان أمير الأمراء أو الملك يمنحهم امتيازات أكثر من العهود السابقة كما كان يعين بعضهم في المناصب الوزارية أو الوظائف العليا ، وذلك مثل **(كونفوشيوس)** الذي عين في عام ٥٠١ قبل الميلاد رئيس وزراء مملكة **(لو)**، و**(منشيوس)** الذي تولى منصب الوزير الأكبر في إحدى إمارات الصين، **(وشيون تسى)** الذي عين قاضيا في مملكة **(تشو)**.

٧ ــ **طبقة كبار التجار** ــ ارتفعت مكانة كبار التجار في هذا العصر عن العهود السابقة بعد أن ازدهرت التجارة وأتسع نشاط الأسواق في الإمارات الإقطاعية ثم في الممالك السبع ــ ولذا كان يتمتع كبار التجار بالحقوق العامة والخاصة إلى جانب تمتعهم ببعض الامتيازات كما كان يتم اختيار بعضهم في تولى بعض المناصب الهامة نظرا لدورهم المؤثر في تطور النشاط الاقتصادي، واغتنى بعضهم وعاش حياة ترف تشبه إلى حد ما حياة الملوك.

٨ ــ **طبقة المزارعين** ــ وهم كانوا في هذا العصر من أهم أفراد عامة الشعب، وبعضهم كان يمتلك مساحة قليلة من الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يستأجر الأرض ويزرعها مقابل نصف المحصول لصاحب الأرض ــ وهؤلاء كانوا يتمتعون بقدر محدود من الحقوق الخاصة، وانعدمت إلى حد ما حقوقهم العامة بعد أن توغل النظام الإقطاعي في كل المناطق الصينية.

٩ ــ **طبقة الصناع**: أصبحت في هذا العصر تلى طبقة المزارعين بعد أن كانت تتساوى معها في طبقة واحدة في العصر السابق ولذا فإنهم كانوا يمثلون بقية عامة الشعب ويتمتعوا بقدر ضئيل من الحقوق الخاصة التي تقل إلى حد ما عن حقوق المزارعين.

١٠ ــ **طبقة العبيد**: وقد تم استخدام معظمهم في أعمال الزراعة

واستصــــلاح الأراضي وعمليات شق الترع والقنوات، والعدد الباقي منهم تــم اســتخدامهم في عمليات بناء القصور والأسوار، وحقوقهم الشخصية الضــئيلة التي كانت مقرر لهم في العصر السابق كانت تتلاشى بين الحين والآخــر فــي هــذا العصــر من اثر ازدياد نفوذ الإقطاع وتسخيرهم في الأعمال الشاقة ومعاملتهم بقسوة شديدة عن العهود السابقة.

ثانيا: الأحكام المتعلقة بنظام الإدارة الحكومية:

تشــابهت إلـــى حد ما هذه الأحكام مع تلك التي طبقت في عهد حكم أســرة تشــو مع حدوث تطور بسيط في بعض النظم الإدارية نتيجة التنافس الذي كان بين الإمارات الإقطاعية ثم بين الممالك السبع الكبرى، ومن عوامل هــذا التطور هي أن بعض المدن والقرى في كل إمارة كانت تختار رؤسائها بنفسها بعد أن كان يتم تعينهم من السلطة المركزية في عهد حكم أسرة تشو.

ثالثا: الأحكام المتعلقة بالنشاط الاقتصادي:

تشــابهت كثيرا مع الأحكام التي طبقت في عهد حكم أسرة تشو مع حــدوث تطور بسيط في بعض الأحكام الخاصة بالنشاط الزراعي مثل إلغاء نظــام (**المربعات التسعة**) وهي الحقول العامة التي كانت تمتلكها الدولة وتم ضمها في هذا العصر إلى الحقول الخاصة ــ كما تطورت بقدر ضئيل بعض الأحكام المتعلقة بالنشاط الصناعي بعد أن حققت الحرف اليدوية والصناعات المختلفة ولا سيما صهر الحديد مزيداً من التطور خلال هذا العصر ــ هذا بالإضـــافة أن المـــدن والقرى في معظم الإمارات المستقلة ثم الممالك السبع الكــبرى قــد عرفت **التنظيم النقابي** ولذا كان أغلب الصناع والتجار في هذا العصــر أعضـــاء فـــي **نقابـــات مهنية**، ولذا تعتبر هذه النقابات الصناعية والــتجارية التـــي ظهـــرت فـــي الصين القديمة خلال هذا العصر من أقدم النقابيات التي ظهرت في تاريخ العالم.

رابعاً: الأحكام المتعلقة بالنشاط التجاري وأمور المعاملات:

تشـــابهت هذه الأحكام مع التي طبقت في عهد حكم أسرة تشو مع حـــدوث تطـــور في بعض النظم الخاصة بالنشاط التجاري وذلك بعد أن ازدهرت التجارة نتيجة للتطور الذي حدث في الإنتاج الزراعي والصناعي خـــلال هـــذا العصر ـ ولذا اتسعت الأسواق وأصبح من الممكن لأسواق الســـهول الوســـطى أن تـــتعامل بسهولة تامة مع أسواق الشمال والجنوب والشـــرق ـ كمـــا تطور نظام النقد حيث أصبح عبارة عن نقود تم سكها بصـــورة بدائية منذ أواخر القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن كان في عهد حكـــم أســـرة تشو عبارة عن سبائك وكل سبيكة كانت تزن ما بين عشر أوقـــيات واثنتي عشر أوقية ـ هذا بالإضافة أن معظم التجار كانوا (كما أشـــرنا من قبل) أعضاء في نقابات تجارية، وهذه النقابات نظمت نشاطهم ووفرت لهم الحماية من تقلبات حركة السوق.

خامسا: الأحكام المتعلقة بنظام الجرائم والعقوبات:

نتـــيجة قـــيام كل إمارة إقطاعية مستقلة ثم كل مملكة من الممالك الســـبع الكبرى بإصدار تشريعات جنائية، فقد ازدادت النصوص الخاصة بـــأنواع الجرائم عن تلك التي صدرت في عهد حكم أسرة تشو، وخاصة الجـــرائم العـــامـــة، كما كانت العقوبات المقررة لهذه الجرائم أشد قســـوة (كمـــا ســـبق أن وضحنا) وشبيه بالتي طبقت في عهد حكم أسرة شانغ ـ وذلك نتيجة لتوغل النظام الإقطاعي واعتقاد كل إمارة مستقلة ثم كل مملكة بـــأن الـــبطش سوف يساعدها على أحكام السيطرة الأمنية وتأمين جبهتها الداخلية لكي تتمكن من تحقيق أهدافها التوسعية ومواجهة أطماع الإمارات أو الممـــالك الأخرى ـ ولذا كانت تطبق عقوبة الإعدام في معظم الجرائم العامـــة، كما ابتكرت بعض الإمارات ثم الممالك وسيلة لتنفيذ حكم الإعدام

خالية من كل رحمة أو شفقة أو إنسانية وهي الإعدام عن طريق الأباء أو الأبـــناء أو الأشـــقاء، وذلك بأن يأمر ابن المحكوم عليه أو أبيه أو شقيقه بتنفـــيذ الحكــم وإلا يقتل هو الآخر، من أجل أن يحطم حكم الإعدام كيان أســـرة بأكملهـــا ويكون أشد ردع لكل أفراد الشعب حتى لا يقدم أحد منهم على ارتكاب مثل هذه الجرائم.

سادسا : الأحكام المتعلقة بنظام القضاء :

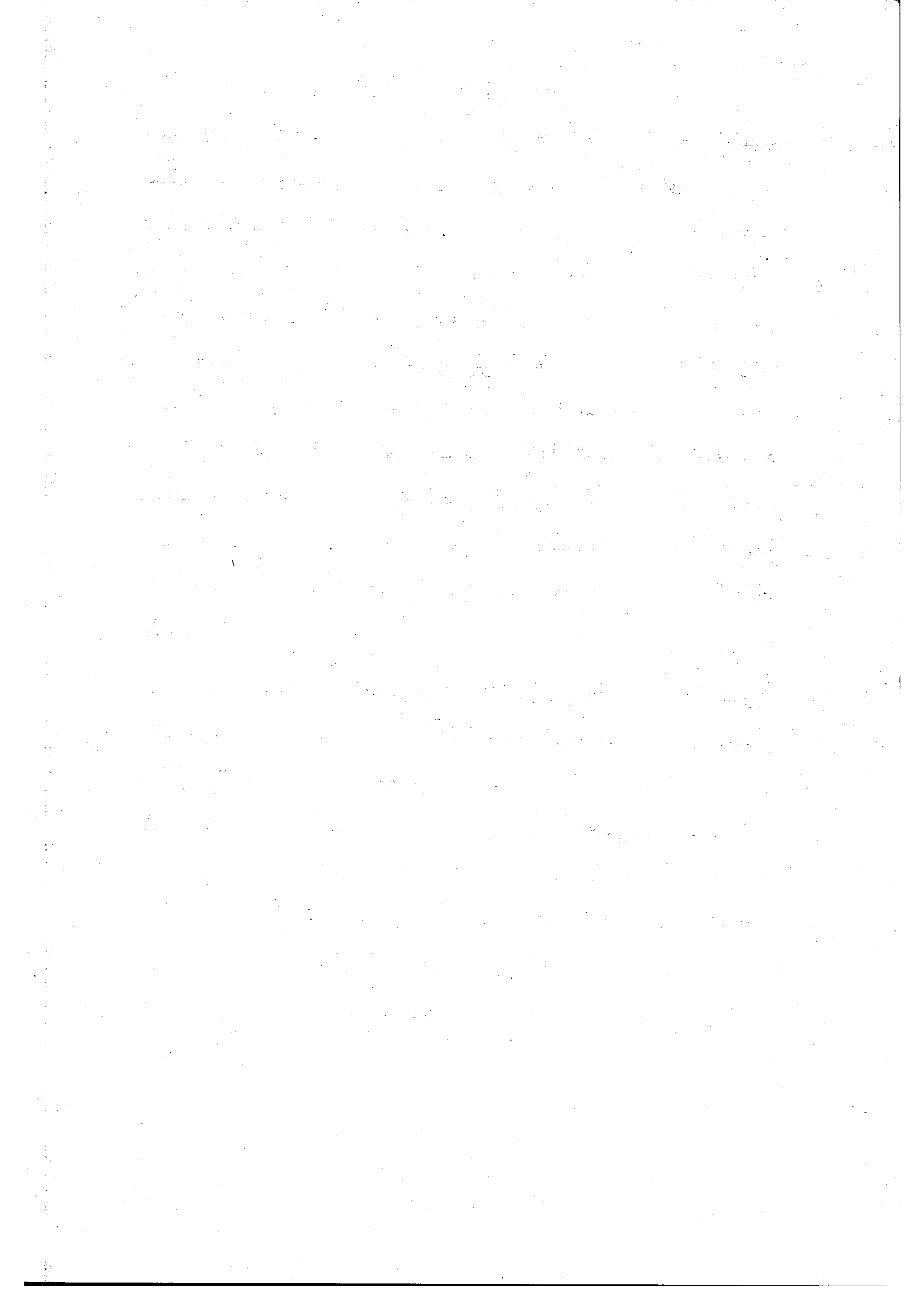
الأحكـــام الخاصة بالنظام القضائي التي كانت متبعة في عهد حكم أسرة تشو ــ طبقت كما هي خلال هذا العصر في الإمارات الإقطاعية ثم في الممالك السبع الكبرى رغم عدم وجود سلطة مركزية موحدة للمجتمع الصـــيني، علـــى أساس أن كل الإمارات الإقطاعية المنفصلة ثم الممالك الســـبع الكـــبرى قد اتبعت نظام قضائي واحد، وهذا النظام هو الذي كان مطبق من قبل في العهد السابق مع حدوث تطوير بسيط في صفة من كان يعين في وظيفة القضاء، لأنه بعد أن كان معظم رجال القضاء من النبلاء فـــي العصـــر السابق ــ أصبح من الممكن خلال هذا العصر أن يعين في أمور القضاء أي شخص له مآثر مرمـــوق في المجتمع (كقـــائد عسكري أو شاعر أو فيلسوف ... الخ) بصرف النظر عن أصله ومنشأه.

سابعاً : الأحكام المتعلقة بأمور الزواج ونظام الأسرة :

إذا كانت الأحكام الخاصة بأمور الزواج ونظام الأسرة التي طبقت في هذا العصر تشابه ما كان سائدا في العصر السابق ــ إلا أنه نتيجة ما حـــدث في هذا العصر من انفصال وتفكك، ومنازعات وحروب دامية بين الإمـــارات الإقطاعـــية المستقلة، ثم بين الممالك السبع الكبرى قد ضعفت مكانـــة المرأة في المجتمع عن العهود السابقة نتيجة الاعتماد على الرجل بشـــكل أكـــثر في صراع القوى بين الإمارات المنفصلة، ثم بين الممالك

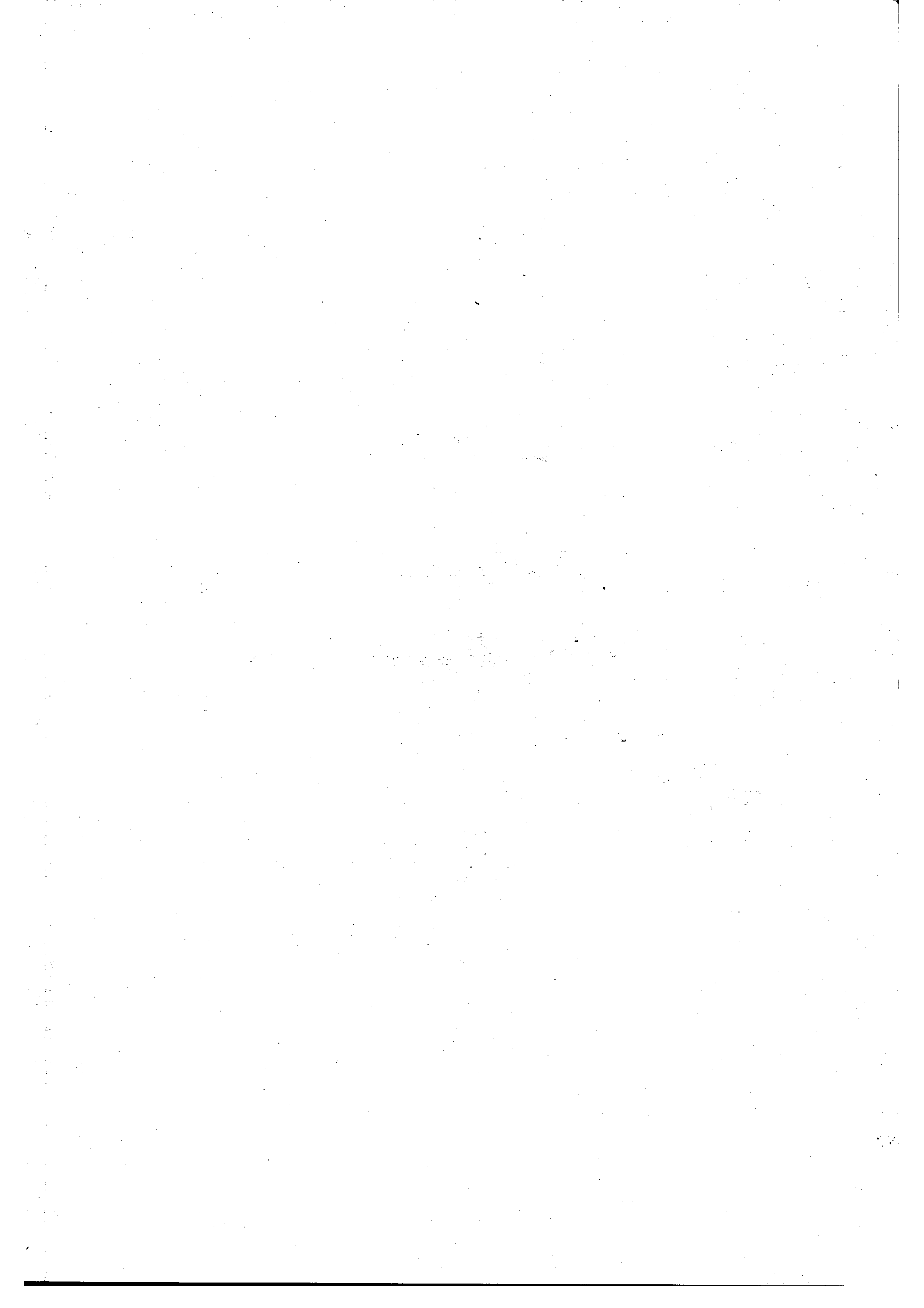
المتحاربة، ولذلك اعترفت المرأة للرجل في هذا العصر بالسلطة والسيادة المطلقة عليها سواء كان هذا الرجل أبا أو زوجاً أو أخاً أو أي رجل آخر في العائلة ـ كما ازدادت في هذا العصر أيضاً سلطة رب الأسرة حيث ازدادت سلطاته على أفراد أسرته من العهود السابقة، وكان المسئول الأول أمام سلطة الإمارة أو المملكة في تقديم بيان عن عدد أفراد أسرته وعن من يصلح منهم للانضمام إلى صفوف الجيش، وذلك لأن كل الإمارات المستقلة ثم بعد ذلك الممالك المتحاربة، قد اتبعت نظام إحصائي لعدد السكان يتم إجراءه كل ثلاث سنوات، استطاعت من خلاله تحديد عدد شباب العائلات الذين سيتم إلحاقهم في فرق وفصائل وكتائب الجيش كخدمة وطنية لمدة معينة، لتدعيم القوة العسكرية للإمارة أو المملكة والدفاع عنها من هجمات القبائل البربرية ومن أطماع الإمارات أو الممالك الأخرى.

ـ لم تعد خلال هذه العصر وعلى الأخص في عهد الممالك المتحاربة مكانة الابن الأكبر في وراثة وظيفة أبيه بعد وفاته كما كانت في العصر السابق وذلك بعد أن ألغيت بعض الامتيازات التي كانت تمنح لملاك العبيد الأرستقراطيين ومنها الرواتب التي كانت تعطى لهم منذ الولادة، والمناصب التي كانت توزع عليهم إذا كبروا وتورث لهم، ولذا أصبحت هذه الرواتب والمناصب في بعض الممالك وعلى الأخص ممنكة (تشين) من نصيب أصحاب المآثر العسكرية أو من الذين لهم دور كبير في الفكر الأدبي والفلسفي أو النشاط الاقتصادي أو التجاري بصرف النظر عن أصلهم ونشأتهم.(٨)



الفصل الثالث

أهم شرائع وأحكام
قوانين العصــر الإمبراطــوري



يبدأ هذا العصر (كما سبق أن وضحنا في القسم الأول) بظهور إمبراطورية تشين التي وحدت كيان المجتمع الصيني في عام ٢٢١ قبل الميلاد ، ونتيجة لحكمها الاستبدادي اندلعت ضدها ثورة عارمة من الفلاحين في عام ٢٠٩ قبل الميلاد أدت إلى سقوطها وزوال نظام حكمها في عام ٢٠٧ قبل الميلاد.

وبعد أن نجح الإمبراطور (ليويانغ) في انتزاع السلطة وتمكن من تأسيس إمبراطورية هان الغربية في عام ٢٠٢ قبل الميلاد، فقد استمرت هذه الإمبراطورية تحكم المجتمع الصيني حتى قامت ضدها أيضاً ثورة من الفلاحين أدت إلى سقوطها في عام ٢٥ ميلادية، وتكونت بدلا منها إمبراطورية هان الشرقية التي ظلت تحكم الصين حتى انهارت في عام ٢٢٠ ميلادية وانقسم المجتمع الصيني مرة أخرى إلى ثلاث ممالك.

وحيث أن العصر الإمبراطوري قد استمر من عام ٢٢١ قبل الميلاد إلى عام ٢٢٠ بعد الميلاد، وضم إمبراطوريات تشين وهان الغربية وهان الشرقية، وكل إمبراطورية من هذه الإمبراطوريات كان لها طابع مميز في التشريعات التي أصدرتها وفي النظام القانوني الذي طبقته، فانه لكي نوضح ذلك سنعرض دراستنا في هذا الفصل على النحو التالي:

المبحث الأول: أهم شرائع إمبراطورية تشين.

المبحث الثاني: أهم شرائع إمبراطورية هان الغربية ثم الشرقية.

المبحث الثالث: أهم أحكام قوانين العصر الإمبراطوري.

المبحث الأول

أهم شرائع إمبراطورية تشين

بعـد أن تمكن **(ينغ تشنغ)** ملك **(تشين)** من دحر جيوش الممالك الست الأخـرى، وجعلهـا تخضـع لـنفوذه وسيطرته ـ وأسس أول إمـبراطورية وحـدت المجتمع الصيني في عام ٢٢١ قبل الميلاد وأطلق علـى نفسـه الإمـبراطور الأول **(تشن. شه. هوانغ. دى)** قام بإصدار التشريعات التالية:

<u>تشريعات الإمبراطور (تشن. شه. هوانغ. دى):</u>

مـن اجـل أن يدعـم الإمبراطور (تشن. شه. هوانغ. دى) كيانه وسـلطانه، ويعـالج بشـكل إيجابـي الآثـار المترسـبة من المنازعات والانقسامات التي عانى منها المجتمع في العصر السابق، ويدفع الصين في ثوبهـا المـتحد الجديـد إلـى المجد والتألق ويجعلها من الإمبراطوريات العظمـى فـي العـالم القديـم ـ قـام بعد أن جلس على كرسي العرش بإصـلاحات جذريـة عديـدة تخـص شئون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعـية والعسكرية والثقافية ـ وحيث أنه كان يستند في كل أعماله علـى رئـيس وزرائـه **(لـى سسو)** الذي كان من أهم أقطاب المدرسة الشـرائعية، فقد استعان به في أجراء هذه الإصلاحات من خلال مجموعة مـن النظم والقواعد القانونية التي أعدها له، وأصدرها في شكل تشريعات مدونـة باسـم الإمـبراطور، وتم تنفيذها بشدة وصرامة في معظم أرجاء الـبلاد، ولذا فإن معظم المراجع والسجلات التاريخية التي تناولت تاريخ الصين القديم قد أشارت بأن **(إمبراطورية تشين)** قد اعتمدت على الشرائع المدونة في تأسيسها وفي أحكام سيطرتها على المجتمع الصيني بشكل أكثر

مــن أي حكومة سابقة، كما أشار بعض المؤرخين ونحن نؤيدهم بأن القيم والمــبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد المتوارثة التي كانت في العصور السـابقة تـأخذ المكانة الأولى بناء على رغبة الشعب في تنظيم العلامات وضبط سلوك الأفراد أو على الأقل كانت تتساوى في المرتبة مع الشرائع الوضـعية فـي بعض الأوقات أو العهود مثل عهد حكم أسرة شانغ وعهد الممالك المتحاربة ـ قد تراجعت تماماً لأول مرة في تاريخ الصين القديم وأخـذت القوانين الوضعية أو الشرائع المدونة مكانهـا في الأولـوية أو الصدارة بشكل صريح وظـاهر منذ بـداية حكـم إمبراطـورية (تشين) ولـذا فــإن الشـرائـع المـدونـة التي أصـدرها الإمبـراطــور (تشــن ـ شه ـ هوانغ ـ دى) بمعاونة رئيس وزرائه (لى سسو) الذي أعدهـا له وكان في ذات الوقت من أبرز زعماء المدرسة الشرائعية التي تعاظمـت بأفكارهـا ومـبادئها مـنذ بداية هذا العصر على كل المدارس الفلسـفية الأخـرى وعلى الأخص المدرسة الكونفوشيوسية ـ قد جعلت القوانيـن الوضعية في مكانة عليا بعد أن اعتبرت الأساس الوحيد والأهم الـذي ارتكزت عليه حكومة (تشين) المركزية في تنظيم أوضاع المجتمع الصـيني، وأن كان تنفيذ نصوص هذه الشرائع قد أخذ في معظم الأحيان الصـفة الجبرية المليئة بالقسوة والاستبداد، وعلى الأخص النصوص التي تتعلق بـنظام الجـرائم والعقوبات حيث كانت قاسية جداً ولحقت صفة المغـالاة فـي التطبيق بعد أن أصبح يتم في معظم الجرائم العامة معاقبة عائلـة بأكملهـا علـى جـريمة أرتكبها أحد أفرادها، أو معاقبة الجيران المحيطيـن بالشـخص الـذي أرتكـب الجريمة، وكانت العقوبات عاجلة وجسيمة للغاية تبدأ من قطع القدم والأنف والأعضاء التناسلية حتى تصل إلى الإعدام.

ـ إذا كـــان الإمـــبراطور **(تشن ـ شه ـ هوانغ ـ دى)** لم يصدر شرائعه المدونة بناء على مطالب الشعب الصينى، وإنما من أجل أن يوحد البلاد ويوطد نظام حكمه ويفرض نفوذه وسلطانه على كافة أرجاء المجتمع الصيني، وأنه بذلك قد تشابه في أهدافه مع كثير من ملوك وأباطرة الدول القديمة وعلى الأخص حمورابى ملك بابل (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م) عندما أصـــدر مدونـــته الشـــهيرة، وأباطـــرة الفرس مثل **كورش** (٥٦٠ ق.م) **وداريـــوس** الأول (٥٢٠ ق.م) **وأحشويروش** (٤٨٠ ق.م) عندما أصدروا شـــرائعهم المدونة ـ إلا أن هذا الإمبراطور قد تميز بشرائعه وإجراءاته عن كل هؤلاء الملوك والأباطرة وهذا التميز يتلخص في الآتي:

١ ـ معظـــم شرائعه المدونة التي أصدرها بمساعدة رئيس وزرائه **(لى سســو)** كانت عقب جلوسه مباشرة على العرش في عام ٢٢١ قبل الميلاد ونفذها بصفة عاجلة دون أن يمنح أي مهلة زمنية أو أي إجراءات تمهيدية فـــي التطبـــيق في حين لم تصدر شرائع الملوك والأباطرة الآخرين بهذا الشكل الفوري ولم تنفذ بهذه الصفة العاجلة.

٢ ـ الشـــرائع المدونة التي أصدرها كانت كثيرة وتزيد في عددها عن الشرائع التي أصدرها كل واحد من هؤلاء الملوك والأباطرة رغم أن فترة حكمـــه كانـــت أقـــل بكثـــير من فترة حكمهم، لأنه لم يجلس على عرش الإمـــبراطورية إلا فـــي عـــام ٢٢١ قبل الميلاد وتوفي في عام ٢١٠ قبل المـــيلاد، أي لم يستمر في السلطة أكثر من عشرة سنوات، في حين مثلا الملك حمورابى قد حكم دولة بابل مدة (٤٢ عاماً)، ودراكون وصولون قد حكـــم كـــل مـــنهما أثينا ما يزيد عن (٢٠ عاماً)، وأشهر أباطرة الفرس والرومان قد حكم كل منهما مدة لا تقل عن ١٥عاماً، ورغم ذلك لم يصدر كل واحد منهم إلا عدد محدود أو قليل من الشرائع المدونة.

٣ ــ معظــم الشرائع التي أصدرها خلال الفترة القصيرة لحكمة كانت ذات صــفة نوعية وتخصيصية أي كان كل تشريع منها يتعلق فقط بإحدى الإصلاحات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية أو الثقافية، فــي حين معظم الشرائع التي أصدرها هؤلاء الملوك والأباطرة في الدول القديمة كانت شاملة وتضم في نصوصها معظم الأمور التي تتعلق بأوضاع المجتمع وظروفه الخارجية.

ــ ولذلــك نــرى أن الإمبراطور **(تشن ــ شه ــ هوانغ ــ دى)** قد أنــتهج بشرائعه الفورية التي أصدرها خلال الفترة القصيرة لحكمه منهجاً غير مألوف من قبل في المجتمع الصيني، وأن كثرة هذه الشرائع والصفة العاجلــة والحازمة في تنفيذها كانت من ضمن العوامل الهامة التي أكسبته القــوة فــي فــرض نفوذه وسيطرته وجعلته من أشهر أباطرة الصين في العصور القديمة.

** وإذا كانــت الشــرائــع التي أصــدرها بمســاعدة رئيس وزرائه (لــى سسو) عديدة ومتنوعة ويصعب حالياً تحديدها بالكامل ــ إلا أنه من خــلال الإصلاحات التي تمت بنصوصها، وما هو مدون عن بعضها في الســجلات التاريخية، يمكن بقدر الإمكان وعلى ما أتيح لنا من معلومات تحديد مضمونها على النحو التالي:

١ ــ جعلــت ســلطة الحكم في البلاد سلطة مطلقة وذات صفة مركزية حيــث أمســك هــذا الإمبراطور بيده كل السلطات السياسية والاقتصادية والاجتماعــية والعســكرية والثقافــية والدينية، وذلك بعد أن أعتبر نفسه الإمــبراطور الأول للصــين، وأعــتقد بأن حكمة المطلق لا بد أن يكون الأوحد، وأن نظام حكم أسرته (تشين) للمجتمع الصيني سوف يستمر إلى الأبد.

٢ ـ شكل على أساسها حكومة مركزية من كبار الموظفين وأعطى لنفسه الحق في تعينهم وعزلهم ـ كما أطلق على وظائفهم أسماء خاصة مثل **(تشنغشياتغ)** المسئول عن مساعدته في إدارة شئون البلاد، **(يويشيدافو)** المسئول عن ترتيب الوثائق الهامة ومراقبة أعمال الموظفين في الدولة، **(تايوى)** المسئول عن الشئون العسكرية، **(تينغيوى)** المسئول عن شئون القضاء والسجون.

٣ ـ أقتلع بنصوصها جذور الإقطاع وقضى تماماً على نفوذ الأمراء الإقطاعيين في كافة أنحاء البلاد ـ وذلك حتى لا تعود الصين مرة أخرى إلى العصر السابق الذي ظهرت فيه الإمارات الإقطاعية ثم الممالك المتحاربة التي فتت وحدة المجتمع الصيني، وأشاعت في أرجاءه الفوضى والصراع الدموي ـ وإنشاء لضمان ذلك نظام المقاطعات والمحافظات كهيئات إدارية محلية، فقسم البلاد إلى ٣٦ مقاطعة ثم أصبحت بعد ذلك ٤٠ مقاطعة وجعل كل مقاطعة تضم عدد معين من المحافظات، وعين بنفسه رؤساء المقاطعات والمحافظات لكي يخضعوا لنفوذه ويلتزموا بتعليماته وأوامره في أعمال الإدارة المحلية، ويقوموا بجمع الضرائب وتنفيذ نظام التجنيد والسخرة ـ وهذا النظام الإداري قد لعب دوراً إيجابياً هاماً في توطيد وحدة المجتمع الصيني ودفعه بخطوات منتظمة نحو التطور الاقتصادي.

٤ ـ وحدت كافة النظم السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت منتشرة في كافة أرجاء البلاد من أجل أن يدعم الوحدة الوطنية ـ وذلك على غرار ما أتبعه الملك **(مينا)** في مصر القديمة عندما أسس أول أسرة فرعونية في عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ـ والملك **(حمورابى)** عندما وحد بلاد ما بين النهرين في الفترة ما بين عام (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م)،

والملـــك (كـــورش) عندما أسس دولة الفرس في أوائل القرن السادس قبل الميـــلاد، والملـــك (اشوكابربادرشين) عند أسس إمبراطورية عظمى في الهـــند خـــلال الفترة من عام (٢٦١ ـــ ٢٢٧ ق.م) وقد عثر على لوحات مرسومة و منحوتات على جدران الكهوف والمعابد تعكس مظاهر الوحدة الوطنية الصينية الكبرى التي تحققت بين مختلف القوميات منذ بداية عهد حكم إمبراطورية (تشين) مثل تعاونهما معاً في جنى التوت وتكاتفهما معاً في استصلاح الأراضي الزراعية وتربية المواشي، وفي الانضمام بعزيمة وحمـــاس داخل صفوف التشكيلات العسكرية من أجل حماية بلاد الصين الشمالية من هجمات القبائل البربرية.

٥ ـــ عززت ملكية الأراضي الزراعية في كافة أنحاء المجتمع الصيني، حيـــث ألزمـــت بعـــض نصوصـــها كل من الملاك والفلاحين بتسجيل ما بحوزتهـــم من الأراضي، ودفع الضرائب المستحقة عليهم حسب المساحة المســـجلة كوسيلة لاكتساب الملكية على أسس شرعية بدلاً من اغتصابها بالقوة أو بفرض النفوذ كما كان متبع في العصر السابق.

٦ ـــ وحـــدت اللغـــة المكتوبة في جميع أرجاء الصين على أساس خط (شياو شوان) المبسط، وذلك من أجل تدعيم روابط الود والتفاهم والتآخي بيـــن أفـــراد الشـــعب، ورفـــع مكانـــة الســـلطة المركزية، وتوطيد كيان الإمـــبراطورية المـــتحد خاصة بعد أن فرضت أسلوب موحد لإدارة كافة أقالـــيم الـــبلاد وجعلـــت رؤساء المقاطعات والمحافظات يخضعون تماماً للإمبراطور وينفذون أوامره ويرجعون إليه في كل الأمور المتعلقة بشئون الإدارة المحلية.

٧ ـــ وحـــدت الـــنقد والمقايـــيس والمكاييل والموازيين ـــ لأزالت كل العوائـــق التي كانت تقيد أو تعرقل عمليات التبادل التجارى، وحركة البيع

والشراء بين الأقاليم الصينية المختلفة، وخاصة في العصر السابق ــ وقد شــاع بصــفة عاجلة شكل عمله (تشين) المستديرة ذات الثقب المربع في الوســط فــي كافة أرجاء المجتمع الصيني، كما استخدمت بصفة أساسية كعمله رسمية بين نقود الأسر التي أعقبت حكم إمبراطورية تشين، ويقول معظــم المؤرخيــن بأن هذا التوحيد الذي تم في النقد والمقاييس والمكاييل والموازين قد ساعد على انتعاش حركة التبادل التجاري، وزاد من عمليات البيع والشراء في الأسواق، ودفع المجتمع الصيني بقوة هائلة نحو التطور الاقتصادي والاجتماعي.

٨ ــ نظمــت حــركة النشاط الزراعي وعمليات الري وتم على أثرها استصــلاح مساحات شاسعة من الأراضي لتكون صالحة للزراعة بعد أن شقت ترع وقنوات عديدة في فترة وجيزة ــ كما نظمت حركة المواصلات وأنشــأ مــن خلالها الطرق الواسعة المؤدية من العاصمة (**شيانيانغ**) التي يتمركز فيها الإمبراطور إلى كافة أنحاء البلاد، مما أدى إلى تطوير وسائل المواصلات البرية والمائية لتسهيل حركة الانتقال بين الأقاليم المختلفة ــ وهــذا قــد ســاعد علــى تدعيم عمليات التبادل الاقتصادي والثقافي بين القوميات المختلفة التي تعيش في المناطق العديدة.

٩ ــ وضــعت نظــم محكمة لتأمين حدود البلاد الصينية والدفاع عنها بكــل قوة ضد غزوات القبائل البربرية التي كانت تهددها وتسلب خيراتها فــي معظم الأحيان ــ حيث كانت تهب عليها بغارات شرسة من المناطق الشــمالية والشمالية الغربية ــ لذا فقد تم على أثرها وضع خطط عسكرية مكنــت القــوات الصينية من التصدى لهذه الغارات ــ كما تم تكملت بناء سور الصين العظيم ليكون خط دفاع موحد لمسافة تزيد عن ٢٥٠٠ كيلــو متر[١] (وذلك كما سبق أن وضحنا في الباب الأول).

المبحث الثاني

أهم شرائع إمبراطورية هان الغربية ثم الشرقية

ـــ بعد وفاة الإمبراطور (تشن ـــ شه ـــ هوانغ ـــ دى) في عام ٢١٠ قبل الميلاد ـــ حاول الإمبراطور الثاني لأسرة تشين إتباع منهجه في إدارة شئون البلاد وتكملت مسيرته في تدعيم قوة ونفوذ الإمبراطورية ـــ إلا أنه بعد أن شدد من أعباء السخرة والضرائب وفرض هو الأخر قوانين جنائية وعقوبات قاسية جداً على الشعب الصيني في كافة أرجاء البلاد، قد حدثت بعد شهور من جلوسه على العرش ثورة عارمة من الفلاحين في يوليو عام ٢٠٩ قبل الميلاد ضد نظام حكمه، وهذه الثورة قد استمرت في الاشتعال (كما سبق أن وضحنا في الباب الأول) حتى تمكن الثوار من تحطيم عرشه، مما أدى إلى زوال نظام حكم أسرة **(تشين)** في عام ٢٠٧ قبل الميلاد، ونجاح **(ليوبانغ)** بعد ذلك في انتزاع السلطة العليا وتأسيس نظام إمبراطوري جديد هو نظام أسرة هان الغربية في عام ٢٠٢ قبل الميلاد.

<u>الإمبراطور (قاو دى) والقانون ذى التسعة أبواب:</u>

ـــ ورغم أن الإمبراطور **(ليوبانغ)** الذي أطلق على نفسه لقب **(هان قاو تسو)** أي إمبراطور الهان الأول، ثم عرف بعد ذلك باسم الإمبراطور **(قاو دى)** قد أتبع في بداية حكمه نفس النظم والقواعد القانونية التي كانت متبعة في إمبراطورية **(تشين)** ـــ إلا أنه لعلاج التدهور الذي أصاب المجتمع الصيني نتيجة حرب (تشو ـــ هان) السابق الإشارة إليها في الباب الأول ـــ قد وافق على الخطة العاجلة التي أقترحها مستشارة **(لو جيا)** لإصلاح هذا التدهور ـــ وأمر وزيره الأكبر أو رئيس وزراءه

(**شــياو خه**) بوضع تشريع لتقنين هذه الخطة المقترحة وسرعة تنفيذها ــ وبالفعل قام (**شياو خه**) بإعداد هذا التشريع الجديد الذي عرف بعد صدوره فــي عام ٢٠١ قبل الميلاد باسم (**القانون ذى التسعة أبواب لإمبراطورية هان الغربية**) والأبواب هي عبارة عن الأقسام المتنوعة التي أشتمل عليها هذا القانون الذي أتصف على أساسها بالشمول في نصوصه ولذلك فإن هذا القانون قد تضمن موضوعات عديدة أهمها يتلخص في الآتي:

١ ــ إنشــاء نظــام جديد للتسجيل السكاني تم تطبيقه في جميع الأقاليم الصينية وهذا النظام وضع قيود شديدة على حرية انتقال الفلاحين وبعض مــلاك الأراضــي، وصــغار الموظفين من المنطقة أو الإقليم أو المدينة الموجوديــن فــيها بصــفة مستقرة إلى أي مكان آخر بغرض مصالحهم الشخصية.

٢ ــ إجبار الفلاحين الذين تركوا أراضيهم طواعية للهروب من أعمال الفلاحة على القيام بأعمال السخرة لدى السلطات المحلية بوصفهم عبيد.

٣ ــ وضــع أنظمــة مــتطورة لقياســات الحقول والأراضي الصالحة للزراعة في كل الأقاليم الصينية التي تخضع لنظام حكم إمبراطورية هان الغربية.

٤ ــ إنشــاء وظــائف جديدة سمى الذين عينوا بها بعيون الإمبراطور وآذانــه، وهــذه الوظائف تشبه إلى حد ما الوظائف التي أوجدها أباطرة الفــرس في القرن الرابع قبل الميلاد ــ وكانت طبيعة عمل أصحاب هذه الوظائف هي التنقل في كل أرجاء الإمبراطورية لكي يستمعوا إلى شكاوى الــناس وتظلمــات الضــعفاء والبحث في سوء إدارة العاملين بالسلطات المحلــية ومدى اعتدائهم على الرعية ــ وسلطات هؤلاء الموظفين كانت واســعة لدرجة إنهم كانوا يستطيعون أن ينقدوا حكام الأقاليم والمحافظات

والإمبراطور نفسه، وكان تعيين هؤلاء وعزلهم من وظائفهم من حق الإمبراطور فقط، كما كان له أيضاً الحق في عدم قبول نصائحهم وآرائهم، وتأديبهم بعقوبات قاسية قد تصل إلى الإعدام إذا انحرفوا أو استغلوا وظائفهم في تحقيق مصالح أو أهداف شخصية لهم دون النظر إلى المصلحة العامة التي يعملون من أجلها.

٥ ــ تجريم كل الأعمال التي تدخل في نطاق الاحتكار والمضاربات التجارية ــ وتوقيع عقوبات شديدة القسوة مثل تشويه الوجه وقطع الأعضاء التناسلية على من يخالف ذلك.

٦ ــ منع كل الأشخاص الذي يعملون في النشاط التجاري ويأخذون صفة التجار من الالتحاق بأي وظيفة حكومية.

٧ ــ فرضت على الشعب أعباء عديدة شملت الأبواب الأربعة التالية:

أ ــ ضريبة الأرض الزراعية ــ كانت في بداية تطبيق هذا القانون بنسبة (١/١٥) من المحاصيل الزراعية المنتجة ــ ثم انخفضت بعد ذلك وأصبحت تمثل (١/٣٠) أي انخفضت بعد تذمر الفلاحين وملاك الأراضي الزراعية إلى النصف وهذه الضريبة كانت تستخدم حصيلتها في تغطية نفقات إدارة شئون الدولة.

ب ــ ضريبة الرأس ــ وقد فرضت على الشعب الصيني بنسبتين: الأولى على الذين تتراوح أعمارهم ما بين (٧ ــ ١٤سنة)ــ والثانية لمن هم بين (١٥ ــ ٥٦ سنة) ــ وحصيلة هذه الضريبة كانت تستخدم في سد النفقات العسكرية وإقامة حصون الدفاع.

ج ــ السخرة ــ وفرضت على الرجال ما بين (٢٣ ــ ٥٦ سنة)

وكانت تشمل بناء المدن والأسوار والقصور، وحفر قنوات ومصـــارف الـــري، وتمهـــيد الطـــرق، وإنشـــاء المقابر الإمـــبراطورية ــ ومدة عمل السخرة شهر واحد كل عام ويعفي منها من يدفع بدلاً نقدياً.

ء ــ التجنيد ــ وفرض على كل رجل ما بين (٢٣ ــ ٥٦ سنة) كالتزام وطني مدته سنتان يقضى إحداهما في بلدته والسنة الأخرى في مكان خارجي.

ــ ورغـــم هذه الأعباء ــ إلا أن النظام القانوني الجديد الذي وضعه رئيس الوزراء (**شياو خه**) والذي يطلق عليه (**القانون ذى التسعة أبواب**) قـــد حقـــق تحســـن ملحـــوظ فـــي معيشة الكادحين مع بعض الإنجازات الاقتصـــادية وذلك بالمقارنة مع ما عاناه الشعب الصيني من قسوة قوانين إمبراطورية تشين[٢].

مجموعة قوانين الإمبراطور (وو.دى):

بعـــد أن تمكن الإمبراطور (**وو ــ دى**) من الجلوس على العرش في عام ١٤٠ قبل الميلاد ويقضى على الاضطرابات السياسية التي كانت ســـتؤدى إلى انهيار إمبراطورية أسرة هان الغربية (كما سبق أن وضحنا فـــي الـــباب الأول) أصدر مجموعة من القوانين باسمه من أجل أن يوفر للمجـــتمع الصـــيني الأمـــان والاستقرار، ويدفعه نحو التطور الاقتصادي والاجتماعي ويدعم كيان الإمبراطورية السياسي ــ ولذا فإن هذه القوانين قد مكنته من تحقيق أهدافه العديدة، وأهم مضمونها يتلخص في الآتي:

١ ــ جعل سياسة حكمه للمجتمع الصيني تقوم أيضاً على النظام المطلق حيـــث أمسك بيده كل السلطات، وطبق المركزية المتشددة في إدارة شئون البلاد، لكي يفرض نفوذه وقوته ويحقق السيطرة الكاملة على معظم الأقاليم

الصينية ـ هذا رغم أن نظام حكمه (كما سبق أن وضحنا في الباب الثاني) يرتبط بالتطبيق الصارم لسياسات الوزير الأكبر **(دونغ تشونغ شو)** في المجال الثقافي والديني، حيث كان لهذا الوزير عناية فائقة بالفكر الفلسفي والديني، وجعل الكونفوشيوسية أيدلوجية المجتمع الصيني ـ واستطاع أن يروج من خلال ذلك فكرة **(التواهب بين السماء والإنسان)** بهدف تأليه الإمبراطور الذي يمثل مصالح الطبقة الحاكمة من أجل توطيد حكمه وحمايته من ردود الفعل الشعبية.

٢ ـ تخلص من طبقة النبلاء ـ وذلك بعد أن تمكن بقدرة فائقة من القضاء على نفوذهم في أمور الحكم وفي إدارة شئون البلاد، ومنع عنهم كل الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق ـ أي وجه ضربة شديدة جداً لأفراد هذه الطبقة الذين لا يرتبطون بأي صلة قرابة لأسرته ـ وهذه الضربة قد حطمت تماماً مكانتهم في المجتمع الصيني خلال فترة حكمه الذي دام ٥٣ عاماً (من عام ١٤٠ ـ ٨٧ قبل الميلاد).

٣ ـ استعان في تنظيم شئون البلاد، وإدارة الأقاليم الصينية المختلفة برجال قانون مشهود لهم بالعدل والنزاهة والحكمة والولاء الكامل للعرش الإمبراطوري لأسرة هان الغربية، إلى جانب كفاءتهم وأدائهم المتميز في العمل وفي تحمل المسئولية ـ ومعظم هؤلاء كانوا من عامة الشعب.

٤ ـ جعل الالتحاق بوظائف الإمبراطورية أو الوظائف الحكومية عموماً سواء كانت هذه الوظائف سيتم شغلها في العاصمة **(تشانغان)** أو في أي إقليم من الأقاليم الصينية ـ يقوم أو يستند على نظام الاختيار للأفضل بعد أن تتوافر فيه الشروط المطلوبة لشغل الوظائف الحكومية ـ حيث نصت القوانين بأنه يجب على الأشخاص الذي يتقدمون لهذه الوظائف أن يكونوا من الأتقياء وذوى السلوك الحميد، وأن يتقنوا إلى

جانب العلوم الستة التي فرضت من قبل على كل متقدم لوظائف الدولة وهي (الرماية، الفروسية، التقاليد الإمبراطورية، والموسيقى، الكتابة، المعرفة) علوم أخرى جديدة وهي (القانون المدني، فن الحرب، الزراعة، موارد الدولة، الجغرافيا) وعلى هذا الأساس كان يتم اختيار من هو أصلح أو أكفاء دون النظر إلى كونه من أفراد طبقة النبلاء أو من عامة الشعب.

٥ ـ استحدث وظائف حكومية جديدة لكي تساعد المجتمع الصيني على تحقيق التنمية الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ـ ومن أهم هذه الوظائف (وظيفة مسئول السوق) التي أنشئت في عام ١١٠ قبل الميلاد ـ والتزم من عين فيها بالنزول إلى الأسواق في زمن الرخاء ورخص الأسعار ليشترى بعض البضائع والسلع والمحاصيل من التجار بأسعار رخيصة ويقوم على الفور بتخزينها جيداً في مخازن حكومية أعدت لذلك ـ فإذا حدثت مجاعة أو حلت مواسم سيئة قلت فيها السلع والمحاصيل المعروضة بالسوق وارتفعت أثمانها قامت أجهزة الحكومة المختصة بفتح المخازن وبيع المخزون فيها إلى عامة الشعب، وعلى الأخص للفقراء منهم بأسعار معتدلة حتى تخفف عنهم حدة هذه الأزمة وتحميهم من شر المجاعة بقدر الإمكان، وهذا يذكرنا بما فعله سيدنا يوسف عليه السلام عندما حدث في مصر ذلك خلال عهده مجاعة طاحنه لمدة سبع سنوات.

ومن الملاحظ أن هذه الوظيفة التي استحدثت في عهد هذا الإمبراطور تمثل تطور هام جداً في العمل الحكومي لإمبراطورية هان الغربية، كما تعطى تصوراً وانطباعاً خاصاً عن قمة النضج والرقى الوظيفي الذي وصلت إليه حكومة الصين في العصور القديمة، لأنه قد تحقق من خلالها أهداف عديدة من أهمها حماية الأسواق من التضخم، والمحافظة على البضائع والسلع والمحاصيل من التلف عند زيادة

المعـــروض منها مع انخفاض أسعارها، وفي حالة نقص المعروض منها مـــع ارتفـــاع أثمانهـــا تساهم بقدر كبير في حماية الشعب من كل أساليب الاستغلال والاحتكار وتوفر لهم بما يسمى في عالم اليوم بالأمن الغذائي.

٦ ــ انشـــأ نظـــم اشـــتراكية جديدة للحكومة الصينية حيث جعل موارد الـــثروة الطبيعية ملكاً للأمة، وذلك ليمنع بعض الأفراد من استغلال ثروة الجبال والبحار ليجنوا من ورائها الأموال الطائلة، ويخضعوا لهم الطبقات الدنـــيا بعد أن تتضخم ثرواتهم، وبالتالي احتكرت الدولة استخراج الموارد الطبيعية مثل الملح والحديد وبيعها لأفراد الشعب.

٧ ــ تمكـــن من القضاء على سلطان الوسطاء والمضاربين، حيث نجح بقوانينه في السيطرة التامة على حركة التجارة، وتنظيم الأسعار في جميع أنحـــاء الإمـــبراطورية لمنع تقلبها الفجائي في الأسواق ــ كما انشأ نظاماً قومـــياً للـــنقل والتـــبادل تشرف عليه الحكومة المركزية، وقام بسك نقود مصـــنوعة مـــن الفضة المخلوطة بالقصدير لتكثر في أيدي أفراد الشعب وتسهل عليهم شراء ما يحتاجونه من سلع وبضائع.

٨ ــ ابـــتكر نظـــام ضـــريبي جديد لتوفير موارد للدولة دون أن يرهق الشعب وتتوافر فيه العدالة المطلقة، وذلك بان جعل دخل الأفراد كله يسجل فـــي ســـجلات حكومية، ويدفع كل فرد ضريبة للدولة مقدارها خمسة في المائة من دخله الكلي الثابت في هذه السجلات الرسمية.

٩ ــ تخلـــص بقـــدر كبـــير من مشكلة البطالة التي عانى منها الشعب الصـــيني في العهد السابق ــ وذلك بعد أن شرع في إقامة المنشآت العامة العظـــيمة ليوفر عملا لملايين الناس الذين عجزت الصناعات الخاصة عن استيعابهم.

١٠ ــ خفـــف إلـــى حد ما من شدة العقوبات المقررة على بعض الجرائم

العامـــة والخاصـــة حــتى يظهر حسن نواياه في السير على نهج الفلسفة الكونفوشيوســية، ويــتجاوب مع رغبة الشعب الصيني في الحد من زيادة القوانيــن، والــبعد عــن القســوة والأساليب الوحشية في تطبيق أو تنفيذ العقوبــات ولذلــك يقــول معظــم المؤرخيــن بأن القوانين التي وضعها الإمــبراطور (وو دى) لإجــراء إصلاحاته ــ قد حققت أهدافها وجعلت الصين في أزهي عهود رخائها[٣].

تشريع الإمبراطور (شيوان ـ دى):

إذا كــان الإمــبراطور (وو دى) قد حقق إنجازات رائعة للمجتمع الصيني أثناء فترة حكمه التي تزيد عن نصف قرن ــ إلا أنه بعد وفاته في عــام ٨٧ قــبل المــيلاد حدثت اضطرابات في داخل البلاد انتشرت فيها الفوضــى وعــدم الاستقرار، وتعرقلت بالتالي حركة التطور في المجتمع الصيني ــ واستمر هذا الوضع إلى أن تمكن أحد أحفاده وهو الإمبراطور (شــيوان دى) من الاستيلاء على الحكم في عام ٧٣ قبل الميلاد ثم أصدر تشــريع باسمه على نفس نمط قوانين جده الإمبراطور (وو دى) أعاد به هيــبة الإمــبراطورية من جديد، ووفر سبل الأمان والاستقرار في معظم أرجاء الصين ــ وإذا كانت نصوص هذا التشريع غير وارده تفصيلياً في المــراجع التاريخــية، إلا أن معظم المؤرخين قد أشاروا في مؤلفاتهم بان مضــمون هــذه النصــوص لم تأتى بجديد عن مضمون نصوص قوانين الإمــبراطور (وو دى) وبان الهدف الذي جعل الإمبراطور (شيوان دى) مــن إصــدار تشــريعه هــو إعــادة تذكرة الشعب الصيني بقوانين جده الإمــبراطــور (وو دى) وبما حققه من تــألق ومجد للصين خــلال فترة حكمه[٤].

مجموعة قوانين الإمبراطور (وانغ مانغ):

بعد نهاية حكم الإمبراطور (شيوان دى) في عام ٤٩ قبل الميلاد حدثت اضطرابات سياسية عنيفة في معظم الأقاليم الصينية كما تعاقبت على البلاد كوارث طبيعية قاسية أدت إلى ارتفاع أسعار السلع وانتشار المجاعة والقحط بين عامة الشعب، ولم ينجح الأباطرة الثلاثة الذين تعاقبوا على العرش من إصلاح هذه الأوضاع المتدهورة وخاصة بعد أن دخلت نساء البلاط الإمبراطوري وبسطن نفوذهن السرى على كبار الموظفين، وأصبحن من أهم عناصر انتشار الفساد في معظم أرجاء المجتمع، واستمرت هذه الأمور السيئة مدة نصف قرن تناست فيه إصلاحات (وو دى) واستغل فيها الأقوياء الضعفاء، وتبوؤ خلاله الانتهازيين والمنافقين مكانة مرموقة في المجتمع إلى أن جلس الإمبراطور (وانغ مانغ) على العرش في عام ٩ ميلادية وأصدر مجموعة من القوانين أصلح بها معظم هذه الأوضاع المتدهور وأعاد إلى البلاد النظام والأمان والاستقرار – ويقول عنه ول ديورانت في مؤلفة قصة الحضارة بأنه **(كان من أرقى طراز وصل إليه الرجل الصيني الكامل المهذب، وكان على غناه يعيش عيشة معتدلة بل عيشة مقتصدة ويوزع دخله على أقاربه وعلى الفقراء من أهل البلاد – وقد قضى جل وقته يكافح لإعادة النظام إلى أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية، ولكنه مع ذلك وجد فسحة من الوقت لا لمناصرة الأدب والعلم فحسب بل للاشتغال بهما بنفسه حتى أصبح من أكمل الناس ثقافة وتهذيباً، ولما جلس على العرش لم يحط نفسه بما يحيط به الملوك والأباطرة من الساسة، بل جمع حوله رجالاً من الأدباء والفلاسفة ..)** – وإذا كانت القوانين التي أصدرها قد تناولت موضوعات عديدة في برنامج إصلاحاته إلا أن أهمها يتلخص في الآتي:

١ ــ ألغـــى نظام الرق، ومنع تماما حركة بيع وشراء العبيد في جميع الأقاليم الصينية.

٢ ــ قام بتأميم الأراضي الزراعية، وألغى كل الضياع وقسم الأراضي الصـــالحة للـــزراعة قطعـــاً متساوية ووزعها على الذراع، وأعطى لكل زوجيـــن الحـــق في الانتفاع بمائة مو (والمو يساوى ٠,٠٦٦٧ هكتار)، ووضع حظر شديد على بيع وشراء الأراضي الزراعية، ليمنع بذلك عودة الأمـــلاك الواسعة التي كانت موجودة من قبل، أي منع تماماً الاتجار في الأراضي الزراعية.

٣ ــ جعل الدولة تحتفظ باحتكار الملح والحديد كما فرض ملكيتها على المناجم وجميع الثروات الطبيعية إلى جانب أشرافها على تجارة الخمور.

٤ ــ قـــام بحمايـــة الـــذراع والمستهلكين من كل أساليب جشع التجار والوســـطاء وذلـــك مـــن خلال تحديد أثمان السلع والبضائع في الأسواق المخـــتلفة ــ كما جعل الدولة تشترى من الذراع ما زاد على حاجة السوق مـــن الحاصلات الزراعية لكي تخزنها وتبيعها للشعب بأسعار معتدلة في الوقـــت الذي تقل فيه ويرتفع أثمانها في الأسواق، أي أتبع نفس ما أنتهجه الإمبراطور (وو دى) عندما ابتكر وظيفة مسئول السوق.

٥ ــ جعـــل الحكومة تقدم قروض بفائدة منخفضة جداً لكل من يؤسس مشـــروع إنتاجـــي وذلـــك مـــن أجـــل إحداث تطور عاجل في الأوضاع الاقتصادية، وإزالة كل ما يعوق حركة التنمية داخل المجتمع الصيني.

٦ ــ خفـــف بقدر كبيراً من شدة العقوبات التي كانت تطبق في العهود الســـابقة، وذلـــك تعبـــيراً عن دماثة خلقه، ومدى حب تقربه إلى الشعب، واجـــتهاده نحـــو توفـــير ثروة للأمة تحقق بها الرخاء وتأمن بها مستقبل أبنائها.

٧ ـ قـام أكـثر مـن مرة بتغير فئات النقود حتى أصدر عملة قيمتها تساوى ٣/٥٠ من نقد أسرة هان الغربية(٥).

تشريع الإمبراطور الأبيض (قونغ سون شو):

بعـد أن فشـلت إصـلاحات الإمـبراطور (وانغ مانغ) واندلعت انتفـاضـات الفـلاحين التي تمثلـت في (جيش الغـابـات الخضر) و (جـيش الأهداب الحمر) كما سبق أن وضحنا في الباب الأول، وترتب علـى هذه الانتفاضات قتل الإمبراطور (وانـغ مانغ) – انتزع [ليو شيو] السـلطة وأسس في عام ٢٥ ميلادية أسرة جديدة هي هان الشرقية وجعل مديـنة [لويـانغ] عاصمة لها، وأطلق على نفسه الإمبراطور [قونغ سون شـو] وأطلق عليه الشعب الصيني لقب الإمبراطور الأبيض ـ ومن اجل أن يسـيطر بقـوة علـى المجتمع الصيني، ويعيد في كل أرجاءه الأمان والاسـتقرار، أصـدر تشريع باسمه، حقق من خلال نصوصه العديد من الإصـلاحات السياسـية والاجتماعبة والاقتصادية التي يتلخص أهمها في الآتي:

١ ـ أعـاد تنظيم الهيئات والإدارات التابعة للحكومة المركزية ـ كما نظم من جديد عمل حكام الأقاليم والمحافظات واختص بنفسه بحق تعينهم وعـزلهم والإشـراف المباشـر عليهم أثناء قيامهم بوظائفهم لمتابعة تنفيذ أوامـره بكل دقة، ومعاقبة من يتراخى أو يهمل منهم في أداء عمله أو لم يطع تعليماته وأوامره بعقوبات شديدة قد تصل إلى الإعدام.

٢ ـ قـام بإجراء مسح جديد للأراضي الزراعية لإثبات مساحتها على وجه التحديد وذلك من اجل جمع ضريبة الأرض بالكامل، لاستخدامها في المشروعات القومية ودفع حركة التنمية الاقتصادية وتدعيم الجيش.

٣ ـ قـام بتحرير جميع العبيد، وأزال إلى حد ما طبقة الرقيق وجعلها

تـذوب فـي طـبقة عامة الشعب، وذلك من أجل أن يعود الفلاحين الذين تركوا الأراضي الزراعية أثناء حركة الانتفاضة إلى أعمال الفلاحة لزيادة الإنتاج الزراعي.

٤ ــ أجـرى عمليات إصلاح نقدي ــ بعد أن تمكن المزيفون من تقليد عملـة الإمـبراطور السابق (**وانغ مانغ**) إلى حد خطير أثر على الحركة الاقتصادية ــ فأضطر إلى سحبها من أيدي الناس وطرح بناء على خطة منظمة عملة أخرى يصعب تقليدها.

٥ ــ أجـبر نسـاء الـبلاط الإمبراطوري على عدم ممارسة أي نشاط سياسـي أو الـتدخل فـي شئون البلاد، وحطم نفوذهن السابق على كبار موظفي الحكومة.

٦ ــ اهـتم إلـى جانب تطوير الإنتاج الزراعي والصناعات المختلفة، بتشـجيع الحـرف الـيدوية مـثل نسج الحرير وصنع الأواني الفخارية والأوعـية الخشبية وذلك من اجل أن تستوعب هذه الحرف أكبر عدد من العاطليـن الذيـن لا يصلحوا لأعمال الفلاحة ــ وعلى هذا الأساس انشأ جهاز إداري يشرف على العاملين في هذه الحرف، ويساعدهم على تسويق منتجاتهم(٦).

ــ وإذا كانـت هـذه الإصـلاحات قد ظهرت بوادرها بصورة أكثر فاعلية في عهد الإمبراطور (**مينغ دى**) الذي حكم من عام (٥٨ ــ ٧٥ م) ثم في عهود الأباطرة الذين حكموا من بعده حيث تطور المجتمع الصيني تطـوراً هائلاً في الشئون الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الدولية(٧) ــ إلا انـه بدايـة مـن عـام ١٦٠م ظهرت بوادر الانحلال تنخر في كيان الإمـبراطورية نتـيجة لضـعف قـوة ونفـوذ الأباطـرة الذين حكموا

الإمـــبراطورية بعد ذلك التاريخ الأمر الذي أدى بعد تصاعد حدة انتفاضة الفلاحيـــن إلى انهيار حكم إمبراطورية هان الشرقية في عام ٢٢٠ ميلادية وتقسيم المجتمع الصيني إلى ثلاث ممالك هي (وى ، شو ، وو) وذلك كما سبق أن وضحنا في القسم الأول.

المبحث الثالث

أهم أحكام قوانين العصر الإمبراطوري

وترتيـبا على ذلك ـ فإذا كان القانون الوضعي قد أخذ مكانة عليا ومتمـيزة فـي عهـد حكم إمبراطورية (**تشين**) الذي يمثل بداية العصر الإمـبراطوري، وأصـبح له الأولويـة في تنظيم العلاقات وضبط سلوك الأفـراد علـى القواعـد العرفِـية التي تتضمن القيم والمبادئ الأخلاقية والعـادات والتقاليد المتوارثة ـ إلا أنه سرعان ما تراجع مرة أخرى مع حلـول عهـد حكم إمبراطورية هان الغربية، وعاد إلى مكانته السابقة في العصـر الملكـي وأصبح يلي القواعد العرفية في الأولوية ـ وظهر ذلك واضحاً في عهد حكم الإمبراطور (**وو دى**) وخلال فترة حكم إمبراطورية هان الشرقية ـ ولذا فان التغيرات التي حدثت في المجتمع الصيني من أثر أحكام قوانين وتشريعات العصر الإمبراطوري لم تكن كثيرة رغم أنها قد بلـورة مكونـات هذا المجتمع وحددت شكله النهائي في العصور القديمة وأهم هذه الأحكام يتلخص في الآتي:

أولا : الأحكام المتعلقة بالوضع الاجتماعي:

نتـيجة القضاء على نفوذ أمراء الإقطاع، وتعين بعض الأكفاء في المناصب العليا والوظائف الحكومية عموماً دون النظر إلى حسبهم ونسبهم قـد حـدث فـي العصر الإمبراطوري الموحد بعض التغيرات في النظام الطبقي للمجتمع الصيني وأصبح يتكون على النحو التالي:

١ـ **طـبقة الأمـراء:** وهـي التـي كانت تلي الإمبراطور مباشرة ـ واقتصـر أفـرادها فـي عهـد حكـم إمبراطورية (**تشين**) على أقرباء الإمبراطور فقط أي انحصرت في أفراد أسرة تشين دون غيرهم، أما في

عهد حكم إمبراطورية هان الغربية ثم الشرقية فقد أنضم إلى هذه الطبقة بعض الزعماء والقادة العسكريين الذين أدوا خدمات جليلة للإمبراطورية، وهم ليسوا من أفراد الأسرة الحاكمة وكان عددهم قليل ــ وقد تمتع أفراد هذه الطبقة بكل الحقوق والامتيازات التي كانت تمنح لهم من الإمبراطور.

٢ــ **طبقة الوزراء:** وكان بعضهم من الطبقة الأولى، والبعض الآخر وكان أقل عدداً من خارجها ومقربين لدى الإمبراطور ومن أشد المؤيدين لسياسته، والإمبراطور قد اقتنع بهم وبكفاءتهم في إدارة شئون البلاد ــ وذلك مثل (**لى سسو**) رئيس وزراء الإمبراطور (**تشن . شه . هوانغ . دى**) ومستشار الإمبراطور (**لو جيا**)ومستشار الإمبراطور (**قاو . دى**)، و(**دونغ تشونغ شو**) الوزير الأكبر للإمبراطور (**وو دى**)، وهذه الطبقة كانت تتمتع بكل الحقوق إلى جانب الامتيازات التي كانت تقل إلى حد ما عن الامتيازات التي كانت تمنح لأفراد الطبقة الأولى.

٣ــ **طبقة الكهنة وكبار رجال الدين:** وكانت هذه الطبقة تلي في عصر الانفصال والممالك المتحاربة طبقتي أمراء الإقطاع والقادة العسكريين ــ أما في هذا العصر وعلى الأخص بعد سقوط نظام حكم إمبراطورية تشين الذي لم يستمر سوى خمسة عشر عاماً ــ فقد عادت هذه الطبقة إلى مكانها السابق في العصر الملكي، وتمتع أفرادها بكل الحقوق العامة والخاصة إلى جانب الامتيازات التي كانت تمنح لهم وتقل بقدر ضئيل عن تلك التي كانت تمنح لأفراد الطبقتين الأولى والثانية.

٤ــ **طبقة كبار القادة العسكريين:** وتمتع أفرادها بكل حقوق إلى جانب بعض الامتيازات التي كانت تمنح لهم من الإمبراطور نظير شجاعتهم وما قدموه من بطولات في المعارك خلال هذا العصر الذي يعتبر من أزهي عصور الصين القديمة في الفتوحات والانتصارات العسكرية (كما سبق أن وضحنا في القسم الأول).

٥ ـــ **طبقة كبار الأدباء والفلاسفة:** في عهد إمبراطورية تشين أهدرت كثيراً من حقوق هذه الطبقة لقيام الإمبراطور **(تشن . شه . هوانغ . دى)** بوقـــف نشاط المدارس الفلسفية المختلفة وحرق مؤلفاتها الأدبية والفلسفية ليمـــنع الصـــراع الفكـــري الذي كان قائماً في العصر السابق بين فلاسفة وأدباء المذاهب المختلفة ويوحد مقاييس الفكر الأدبي والفلسفي، وذلك كما ســـبق أن وضـــحنا ــ أما بعد سقوط حكم أسرة تشين، وظهور نظام حكم إمـــبراطورية هـــان الغربية ثم الشرقية فقد انتعش الفكر الأدبي والفلسفي، وعلى الأخص فكر المدرسة الكونفوشيوسية وعادت حقوق ومكانة الأدباء والفلاســـفة في المجتمع الصيني أكثر ما كانت عليه في العصور السابقة، وأصـــبحوا يلـــوا في الامتيازات التي كانت تمنح لهم طبقة الكهنة وكبار رجال الدين.

٦ـــ **طـــبقة كبار التجار:** تمتعوا بكل الحقوق الخاصة ، وبعض الحقوق العامة ـــ ولكن فقدوا بعض الامتيازات التي تقررت لهم في العصر السابق نتيجة قيام الأجهزة المختصة بالحكومة المركزية بالسيطرة على الأسواق، والـــتحكم فـــي أسعار معظم البضائع والسلع لمنع الاستغلال وكل أساليب الاحـــتكار وعملـــيات المضاربة، وتوفير كل أسانيد الأمن الغذائي للشعب الصـــيني (وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك تفصيلياً) وعلى الأخص بعد ظهور وظيفة **(مسئول السوق)** في عهد الإمبراطور **(وو دى)**.

٧ـــ **طبقة الزراع:** تمتع المزارعين خلال هذا العصر بحقوق أكثر من العصور السابقة ـــ وظهر ذلك واضحاً في عهد الإمبراطور **(وانغ مانغ)** بعد أن قام بتأميم الأراضي الزراعية، وقسمها قطع متساوية ووزعها على الذراع، وأعطى لكل زوجين قطعة أرض صالحة للزراعة تقدر مساحتها بمائـــة (مـــو) للانتفـــاع بهـــا وذلـــك من أجـــل استثمار جهودهما بنظام

عادل في أعمال الفلاحة، وتشجيعهم على زيادة الإنتاج الزراعي.

٨ ــ **طــبقة الصناع وأصحاب الحرف اليدوية:** تمتعوا أيضاً خلال هذا العصــــر بمــزيد مــن الحقوق عن العصور السابقة، وذلك نتيجة اهتمام الأباطــرة بــتطوير الصــناعات والحرف اليدوية المختلفة وإنشاء أجهزة حكومية تشرف على الصناع وأصحاب الحرف اليدوية ورعاية مصالحهم سواء في العاصمة أو في الأقاليم الصينية المختلفة.

٩ــ **طــبقة العبــيد:** تعــرض وضع العبيد الذين يمثلون أدنى طبقات المجــتمع إلــى تطور هائل خلال هذا العصر ــ وذلك لأنه في عهد حكم إمبراطورية تشين كان وضعهم متدنى للغاية وحقوقهم تكاد تكون معدومة حيــث ألقيــت على إعتاقهم كل الأعمال الصعبة والتي تفوق طاقاتهم كما كــانوا يدفــنون أحــياء مــع سيدهم عند وفاته ــ وفي ذلك يقول بعض المؤرخين بأنه عند وفاة الإمبراطور (تشــن . شه . هوانغ . دى) قد دفن معــه آلاف الأحياء من العبيد الذكور والإناث ليؤنسنه في قبره ــ أما في عهــد إمــبراطورية هان الغربية فقد تحسن وضعهم من الناحية الإنسانية حيــث أصــدرت الحكومــة المركــزية قانوناً يمنع دفن العبيد مع سيدهم المــتوفى، كما أصدر الإمبراطور (وانغ مانغ) في عام ٩ ميلادية تشريع يمــنع تجــارة العبــيد فــي كل الأقاليم الصينية، ثم أزداد تحسن وضعهم الاجــتماعــي بعــد أن أصدر الإمبراطور الأبيض (قونغ سون شو) الذي أســس إمبراطورية هان الشرقية في عام ٢٥ ميلادية قانوناً ألغى فيه نظام الــرق وحرر جميع العبيد (كما سبق أن وضحنا)، وبالتالي ذاب العبيد في عامــة الشعب بعد أن نالوا قدراً محدوداً من الحقوق، وأصبح معظمهم من عمال الزراعة الذين اعتمدت عليهم الحكومة المركزية في تطوير الإنتاج الزراعي.

ثانياً : الأحكام المتعلقة بنظام الإدارة الحكومية :

حـــدث تطـــور هـــائل فـــي هذه الأحكام عن تلك التي طبقت في العصـــور الســـابقة، وهذا قد أدى إلى تنظيم العمل الحكومي في العاصمة وكـــل الأقالـــيم والمحافظات الصينية بأساليب توافرت فيها الجدية وحسن الأداء، وخاصة بعد أن نصت القوانين على ضرورة توافر شروط محددة في الأشخاص الذين يتقدمون لشغل الوظائف الحكومية بصرف النظر عن حسبهم ونسبهم (كما سبق أن أشرنا).

ثالثا : الأحكام المتعلقة بالنشاط الاقتصادي :

تطـــورت أيضـــاً هذه الأحكام بشكل لم يكن له مثيل في العصور الســـابقة ـــ وجعلـــت المجتمع الصيني ينتعش ويتقدم اقتصاديا ويعتبر من أرقى المجتمعات الحضارية في العالم القديم خلال هذا العصر الذي أستمر أربع قرون ـــ حيث صدرت عدة قوانين قضت على نفوذ أمراء الإقطاع، ومنعـــتهم بكـــل شـــدة من استغلال الفلاحين والتحكم في إنتاج المحاصيل الزراعـــية، كمـــا تخلصـــت من بعض السلبيات التي كانت تعرقل حركة النشاط الزراعي والصناعي وإقامة المشروعات الكبرى، وجعلت الحكومة المركزية تسيطر على الأراضي الزراعية، وعلى حركة الأسواق وأسعار الســـلع، وتشـــرف بجدية على الصناعات المختلفة، وتنظم نشاط أصحاب الحرف اليدوية، وتتبع وسائل حديثة في القضاء على مشكلة البطالة ولذلك تمكنت الحكومة المركزية من خلال أحكام هذه القوانين أن تدفع خلال هذا العصر عجلة التنمية الاقتصادية في معظم أرجاء المجتمع الصيني القديم.

رابعاً : الأحكام المتعلقة بالنشاط التجاري وأمور المعاملات :

تم من خلال هذه الأحكام وضع ضوابط على النشاط التجاري رغم

انتعاشه واتساع مجاله، نتيجة قيام علاقات دولية عديدة ذات طابع تجارى خــلال هذا العصر بين الصين ودول العالم القديم في الشرق والغرب مثل الهـند وفــارس وبــلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية وبلاد الإغريق وروما ــ وهــذه الضوابط جعلت الحكومة المركزية تسيطر على حركة الأسـواق وتــتحكم فــي أسعار بعض السلع لمنع الغش والاستغلال وكل أسـاليب الاحتكار والمضاربة التي كانت ترتكب من جانب بعض التجار الجاشعين في العصر السابق ــ كما أصدرت عملات عديدة لتكثر في أيدي أفراد الشعب حتى تيسر عليهم شراء السلع والبضائع التي يحتاجونها من الأسـواق، وذلــك مثل النقود التي أصدرها الإمبراطور (وو دى) وكانت مصـنوعة مــن الفضــة المخلوطــة بالقصــدير والعملة التي أصدرها الإمـبراطور (وانــغ مــانغ) من اجل تطوير عمليات النقد وزيادة القوة الشرائية في الأسواق المختلفة.

خامساً: الأحكام المتعلقة بنظام الجرائم والعقوبات:

في عهد إمبراطورية تشين الذي كانت فيه الأولوية للقانون الوضعي علــى العرف الذي يتضمن قواعد الأخلاق والعادات والتقاليد الموروثة زاد عــدد ونوعية الجرائم المنصوص عليها في قوانين تشين، وتغلظت العقوبات المقــررة علــيها لدرجة أنه كان في بعض الأحيان يتم معاقبة أسرة بأكملها بعقوبات قاسية جداً على جريمة ارتكبها أحد أفرادها وهذه الأوضاع الظالمة قــد جعلــت بعض المؤرخين يشير بأنه في عهد حكام تشين قد انحط مستوى القــانون الأخلاقي وتدهور أمام ما صدر من قوانين جنائية ومن عقوبات تم تطبيقها، وأن هذه القوانين والعقوبات كانت من ضمن الأسباب التي أدت إلى سقوط إمبراطورية تشين بعد فترة قصيرة لا تزيد عن خمسة عشر عاماً من بداية تأسيسهــا علي يــد الإمبراطور (تشن ــ شه ــ هوانغ ــ دى).

أما في عهد إمبراطورية هان الغربية فقد تراجع القانون الوضعي إلـى ما كان عليه من قبل، وعاد العرف إلى مكانه الطبيعي في المجتمع الصيني وأصبحت له الأولوية بعد ازدهار الفلسفة الكونفوشيوسية وانتشار مـبادئها السـامية بيـن كل أفراد الشعب ـ وبالتالي خفت حدة القوانين الجنائـية والعقوبات المقررة عليها، وظهر ذلك واضحاً في منتصف هذا العهـد وعلـى الأخص بعد صدور قوانين الإمبراطور (وو دى)، وخلال عهـد حكم إمبراطورية هان الشرقية الذي استمر من عام (٢٥ ـ ٢٢٠) ميلادية.

سادساً: الأحكام المتعلقة بنظام القضاء:

خـلال عهـد إمبراطورية تشين أتصف القضاء بالتشدد والتطبيق الصـارم للقـانون كما انه في كثير من الأحيـان كـان الإمبـراطـور (**تشـن ـ شـه ـ هوانـغ ـ دى**) يقـوم بنفسه بدور القاضي كقاضي لمحاكمـة بعـض مرتكبي الجرائم العامة وينفذ بنفسه أيضاً العقوبات التي حكـم بهـا عليهم والتي كان معظمها الإعدام ـ أما في عهد إمبراطورية هـان الغربـية ثم الشرقية فقد تحسنت أوضاع القضاء حيث تولى أموره رجـال أتقـياء بعضهم من الفلاسفة والأدباء طبقوا نصوص القانون إلى جانب مبادئ الأخلاق ولذلك اتصفت معظم الأحكام القضائية التي صدرت بعـد سـقوط حكـم إمبراطورية تشين حتى زوال حكم إمبراطورية هان الشرقية بروح العدالة والإنصاف إلى حد ما.

سابعاً: الإحكام المتعلقة بامور الزواج ونظام الأسرة:

لـم يحـدث في هذا العصر تغير كثير في الأحكام الخاصة بأمور الـزواج ونظـام الأسرة عن تلك التي طبقت في العصور السابقة إلا في حالات معينة أهمها ما يلي:

* تبوأت المرأة في بعض فترات هذا العصر مكانة علياً في المجتمع عـن العهود السابقة، وعلى الأخص عهود العصر السابق، وأصبحت لها دور مـع الرجل في تنظيم بعض أوضاع شئون البلاد وفي العمل لزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي.

* تـم إلغاء حق البكورة الذي كان يعطى للابن البكر فقط الحق في امتلاك جميع ميراث والده بعد وفاته دون أن يشاركه أحد من أشقاءه وذلك منذ بداية حكم إمبراطورية هان الغربية ــ وأصبح الميراث يوزع على جميع الأخوة الذكور والإناث؛ والأم أن وجدت دون تفرقة بين الأخ الأكبر والأخ الأصغر(٨).

ثامناً: الأحكام المتعلقة بنظم العلاقات الدولية والدبلوماسية:

إذا كـان المجـتمع الصـيني قد انفتح على العالم الخارجي وأقام علاقـات دولـية مع المجتمعات الحضارية الأخرى الشرقية والغربية منذ منتصـف عهد حكم أسرة تشو الشرقية وخلال عصر الإمارات المنفصلة والممالك السبعة المتحاربة ــ إلا أن هذه العلاقات لم تتبلور وتصبح ذات أثـر هـام فـي كيان الشعب الصيني وحكومته المركزية إلا في العصر الإمـبراطوري وعلـى الأخص في عهد إمبراطورية هان الشرقية نتيجة افتـتاح طريق الحرير واهتمام أباطرة هذا العهد بإرسال بعثات دبلوماسية وقنصلية مع إقامة علاقات دولية مختلفة مع معظم دول العالم القديم وذلك كمـا سـبق أن وضحنا في القسم الأول ــ ولذا فإن الأحكام التي صدرت بخصـوص تنظيم علاقات الصين مع العالم الخارجي كانت لها فاعلية في زيـادة ترابط المجتمع الصيني مع المجتمعات القديمة الأخرى، كما جعلت الصـين مـن أهم الدول القديمة التي ساهمت بقدر هائل في إنشاء مبادئ هامة في تنظيم العلاقات الدولية ما زالت حتى الآن تزهو برقيها وبطابعها

الإنســاني في معظم أرجاء المجتمع الدولي المعاصر ــ حيث وضعت أسس عديدة في مجال الاعتراف بسيادة واستقلال الدول، وفي كيفية إنماء العلاقات السـلمية بيـن الدول في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي بعـض الضــوابط المطلوب توافرها في انعقاد معاهدات السلام والمعاهدات الخاصــة بــنزع السلاح مثل معاهدة (يانجستى) التي سبق الإشارة إليها في الفصل السابق ــ كما وضعت قواعد ونظم عديدة عن كيفية معاملة الأجانب المتواجديــن علــى أرضــها وطــريقة اســتقبالهم والترحيب بهم وإكرامهم ومســاعدتهم بأسلوب افضل من معاملتهم في أوطانهم، وأرست من خلال ما غــرس فــي شــعبها مــن قيم ومبادئ أخلاقية قواعد دولية هامة في تنظيم العلاقات الدبلوماسية والقنصلية.

ــ وبالتالــي تعتبر الصين في زهوة هذا العصر الإمبراطوري من أهم دول العــالم القديم التي ساهمت في إنشاء قواعد هامة وذات طابع إنساني في تنظــيم العلاقــات الدولــية والدبلوماسية، وهذه القواعد قد استقرت منذ ذلك الــتاريخ وتعتبر الآن من أهم مبادئ القانون الدولي المعاصر ــ كما ساهمت أيضــاً بدور إيجابي في وضع قواعد دولية هامة لقانون الحرب ــ وذلك بعد أن أصــبحت أيضاً من ضمن أوائل الدول القديمة التي جعلت للحرب نظاماً قانونياً أهم أساسياته ترتكز على الآتي:

١ ــ عدم مشروعية لجوء الدولة للحرب إلا إذا كانت من أجل الدفاع عن أراضــيها وسيادتها ومصالحها من اعتداء مسلح وقع عليها أو وشيك الوقوع من دولة أخرى، أو من أجل رد حقوقها المغتصبة.

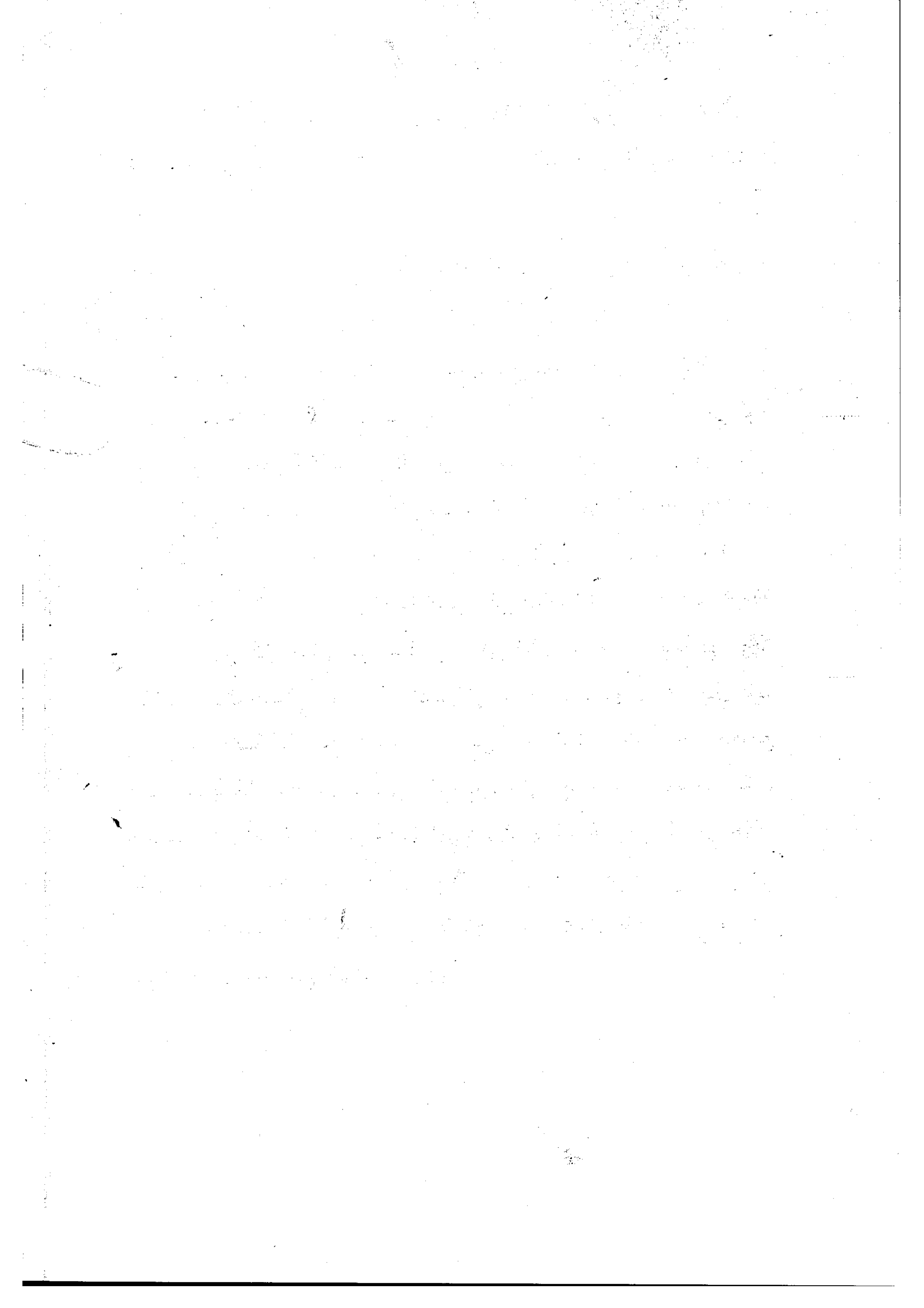
٢ ــ عــدم مشــروعية الحرب إلا إذا قامت بين الدول المتساوية في القوة المسلحة من حيث عدد الجيوش والمعدات الحربية ،

٣ ــ لا يجــوز أن تجــرى الحــرب بين الدولة والوحدات المعتمدة عليها إدارياً وسياسياً واقتصاديا واجتماعيا.

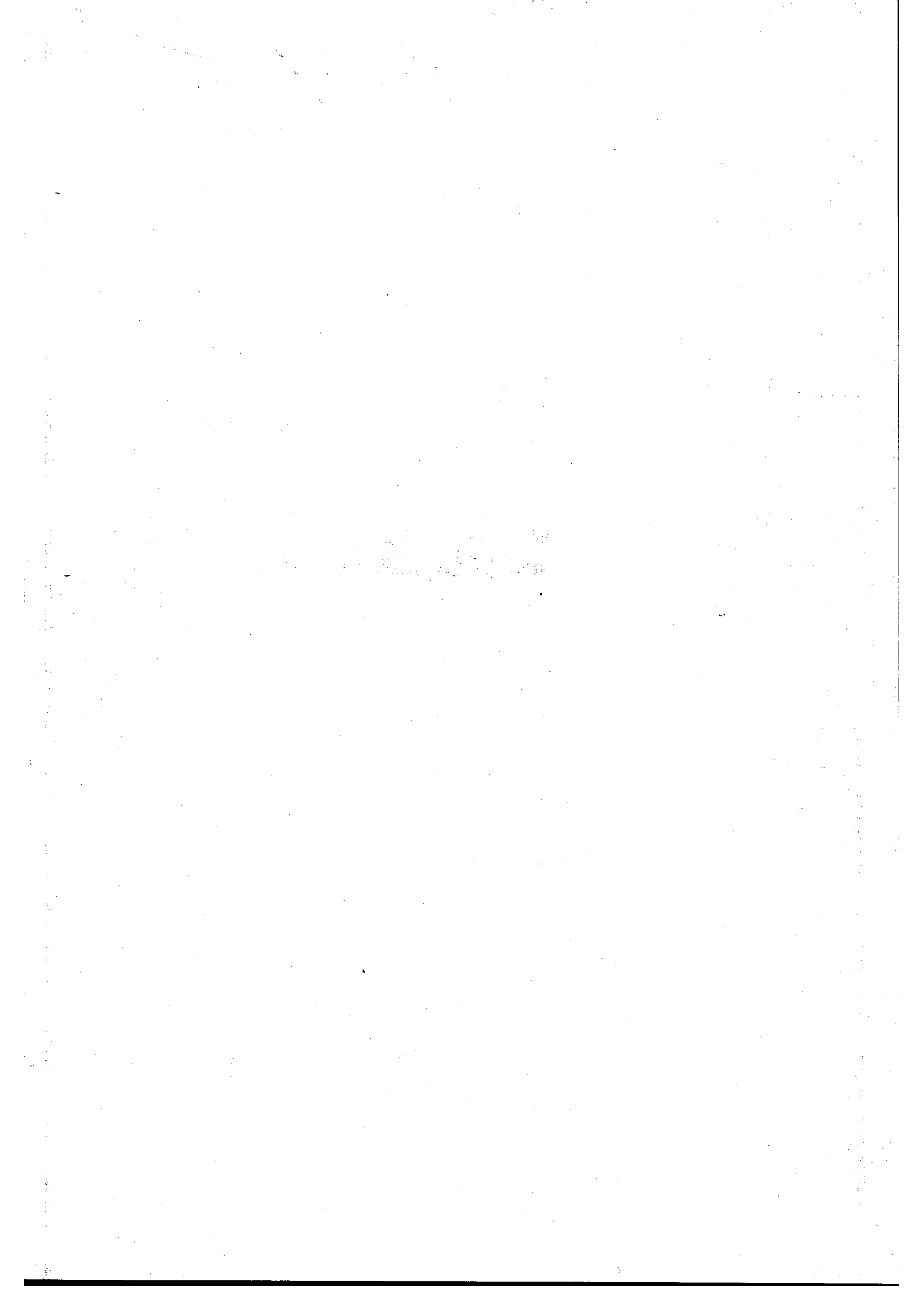
٤ ــ لا تعتــبر حــرباً بالمعنى الفني الدقيق كل الثورات والانتفاضات المسلحة التي تقوم من بعض القبائل أو في أي إقليم ضد نظام حكم الأسرة الحاكمة.

٥ ــ ترتكــب الدولــة جريمة إنسانية كبرى إذا قام جيشها أثناء الحرب بالاعتداء على المدنيين العزل من السلاح والتابعين للدولة المعادية.

ــ وحيــث أن للصــين القديمــة تاريخ حضاري بارز في استخدام الشــفرة، وفي ابتكار طرق ونظريات شفرية عديدة تميزت بالذكاء في قوة السرية وفي صعوبة الكسر ــ فقد كان لها على أثر ذلك دور هام في إقناع دول العالم القديم في مشروعية استخدام البعثات الدبلوماسية لنظام الشفرة من اجل تأمين المعلومات المتبادلة بينها وبين الدول التابعة لها باعتبار أن لكــل دولــة الحــق فــي المحافظــة على معلوماتها وأسرارها، والبعثة الدبلوماســية التي تمثلها في الخارج ما هي إلا جزءاً منها وتابعة لها، فإذا انكشــفت المعلومات المتبادلة بينهما لأي جهة أجنبية أخرى قد يمثل ذلك خطــورة بالغة على هذه الدولة ــ وعلى هذا الأساس فقد أستقر المجتمع الدولي منذ ذلك العصور وحتى عالم اليوم على مشروعية استخدام الشفرة من منطلق المحافظة على سيادة الدولة وكيانها السياسي، وذلك من خلال تأمين معلوماتها المتبادلة بينها وبين كل بعثاتها الدبلوماسية التي تمثلها في الخــارج بشــرط ألا تستغل هذا الاستخدام في أعمال التجسس أو في أي أعمال تضر بمصالح الدول الأخرى(٩).




الخاتمة



لقد شيد المجتمع الصيني القديم بعطاءاته الذاتية خلال مراحل تطوره منذ حوالي ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد حتى نهاية حكم أسرة هان الشرقية في عام ٢٢١ ميلادية التي توقفنا عندها كجزء أول في تاريخ الصين، هيكل واضح الرؤية والبيان لكل معاني الحياة الإنسانية المتكاملة ـ كما حقق بجهود شعبه الذي تحلى بالأخلاق الكريمة وبالصبر وعزيمة التحدي وقوة الإرادة أروع الإنجازات الحضارية في كافة النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية، وهذه الإنجازات جعلت المجتمع الصيني يتألق بعزة وشموخ أمام جميع المجتمعات الحضارية الأخرى التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم، كما كانت من أهم دعائم الحضارة العالمية ـ وخير تعبير عن ذلك هو ما قرره ول ديورانت في مقدمة مؤلفه عن قصة الحضارة بالجزء الرابع بأن (**الصين من أقدم المدينات القائمة في العالم وأغناها ـ فلها تقاليد قديمة في الشعر يرجع عهدها إلى عام ١٧٠٠ ق.م، وسجل حافل بالفلسفة الواقعية المثالية العميقة غير المعجزة الدرك، وبراعة في بعض الصناعات والحرف اليدوية لا مثيل لها مثل صناعة الخزف والورق، وأخلاق قويمة قوية لم نر لها نظيراً عند شعوب العالم في أي وقت من الأوقات، ونظام اجتماعي ضم عدداً من الخلائق أكثر مما ضمه أي نظام آخر عرف في التاريخ كله ودام أحقاباً لم يدمها غيره من النظم، ظل قائماً ويكاد يكون هو المثل الأعلى للنظم الحكومية التي يدعو إليها الفلاسفة ـ ومجتمع كان راقياً متمديناً حين كانت بلاد اليونان مسكن البرابرة، كما شهد هذا المجتمع وهو متألق حضارياً قيام بابل وأشور وبلاد الفرس واليهود وأثينا وروما والبندقية، ثم شهد سقوطها كلها، وقد يبقى إلى أن تعود بلاد البلقان التي نسميها أوروبا إلى ما كانت عليه من جهالة وهمجية .. لهذا كله يرى الصينيون أنهم أعظم الأمم مدنية وأرقاهم خلقاً وطباعاً**)[1].

ـ وإذا كانت الصين القديمة قد تطورت وقامت ببناء حضارتها بسواعدها الذاتية، وهى تدير ظهرها لكل مجتمعات العالم القديم ـ إلا إنها بعد أن انفتحت خارجياً بداية من القرن السابع قبل الميلاد خلال حكم أسرة تشو الشرقية، وأزداد هذا الانفتاح وتطور بعلاقات عديدة ومتنوعة خلال العصر الإمبراطوري وعلى الأخص بعد إنشاء طريق الحرير، تسابقت الحضارية الأخرى حتى تتلاقى معها وذلك بعد أن تأثرت بفاعلية بروعة إنجازاتها وذلك من أجل أن تكمل معها أرقى دعائم حضارة العالم القديم.

ـ ولذلك فإن ما يدعيه بعض علماء وأدباء وفلاسفة أوروبا بأن الحضارة الغربية القديمة التي تمثلت أساساً في الإغريق والرومان لم تتلاقى ولم تتأثر بالحضارة الصينية القديمة أو بالحضارات الشرقية عموماً التي ظهرت في العالم القديم، مثل ما قرره الشاعر البريطاني الاستعماري (راديارد كيلنج) في بعض أشعاره التي كان يمجد بها الإمبراطورية البريطانية بأن **(الشرق شرق، والغرب غرب، وأن التوأمين لن يلتقيا أبداً)**[٢] ما هو إلا جدل وإدعاء غير صحيح وزائف وعاري من الحقيقة، ويخالف تماماً ما هو ثابت في سجلات التاريخ والقصد منه ليس سوى نكران لجميل وفضل الحضارة الصينية أو الحضارات الشرقية عموما على ما حققته للحضارة الغربية في العصور القديمة.

ـ وكما ساهم المجتمع الصيني القديم بإنجازات وابتكارات واختراعات عديدة دعمت أصول الحضارة العالمية ـ قد ساهم أيضاً في إعطاء أصدق البراهين لأهم الأسس التي تستند عليها الحياة الإنسانية في وجودها واستمرارها، والتي يتلخص بعضها في الآتي:

* برهن بموضوعية متكاملة أهم نظريات علماء الاقتصاد على مر العصور المختلفة التي قررت بأن الزراعة هي الأساس الأول في تكوين

المجتمع وتطوره وبناء حضارته ـ وذلك لأن المجتمع الصيني القديم قد ظهر وتطور وتألق حضارياً بالاعتماد على الزراعة التي عمل بها ما يزيد عن ٧٥٪ من عدد سكانه، وفي إنتاج المحاصيل الزراعية المتنوعة التي تميزت بوفرتها وجوده نوعياتها عن معظم محاصيل المجتمعات الإنسانية الأخرى.

ـ أعطى أفضل حكمة لحقيقة وجود وتطور الحياة الإنسانية بعد أن أثبت بصدق وإقناع بأن بقاء الأمة وبناء حضارتها لا يأتي إلا من خلال غرس كل القيم والمبادئ العامة للأخلاق الطيبة في كيان شعبها، ومن الاهتمام بآداب اللياقة لكي تكون على الأقل هي المظهر الخارجي لأخلاق هذه الأمة، كما أكد برؤية واضحة بأنه فساد الأخلاق يؤدى حتماً إلى فساد الأمة وفنائها[٣]. ويحتمل أن تكون هذه الحكمة قد أثرت في وجدان أمير شعراء مصر المرحوم أحمد شوقي، وجعلته ينطلق بحكمة ورصانة وإحساس وافق وعميق ليقول بيته الشعري الرائع الاستنارة والذي أنتشر كالبرق في كل بقاع أرض مصر وكافة أرجاء العالم العربي وهو (وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا)[٤]

ـ فسر بموضوعية واضحة ومقنعة ما يؤيده ويعتقه بعض فلاسفة وعلماء القانون ونحن من أنصارهم عن وجود ارتباط حقيقي بين دوائر الدين والأخلاق والقانون، وبأن دائرة الدين هي التي غذت دائرة الأخلاق بكل القيم والمبادئ العامة الأخلاقية، ودائرة الأخلاق هي التي غذت دائرة القانون بكل المبادئ والقواعد القانونية وذلك لأن هذا المجتمع قد أعتمد أساساً في تنظيم علاقات أفراده وضبط سلوكهم على القواعد العرفية، وهذه القواعد العرفية التي أعتمد عليها والتي كانت أهم مصادر دائرة القانون في الصين القديمة كانت عبارة عن قيم ومبادئ أخلاقية

مستمدة من دائرة الدين إلى جانب بعض العادات والتقاليد المتوارثة التي لم تخــرج أيضاً عن أمور العبادات والفضيلة كما سبق أن وضحنا في القسم الثاني ـ وبالتالي فإن المجتمع الصيني يعتبر من أهم المجتمعات الإنسانية التــي فســرت بوضوح مدى الارتباط الوثيق بين دوائر الدين والأخلاق والقــانون، وعــبر بإقناع عن أهمية هذا الارتباط في حسن تنظيم الحياة الإنسانية.

ـ وحيــث أن المجتمع الصيني القديم قد أسس حضارته بجهد وعرق شــعبه وبطبيعة أوضاعه الذاتية ـ فإننا نعارض تماماً ما ذهب إليه بعض المؤرخيــن والعلمــاء مثل (أولبرايت) عندما قرر بأن مقومات الحضارة الصينية القديمة مستمدة من حضارات مجتمعات إنسانية أخرى أقدم منهاـ وذلك لأن هذا الاتجاه يخالف الحقائق الثابتة في سجلات التاريخ، ويطمس كــل الأدلة الدامغة التي أكتشفها علماء الآثار والتي تؤكد بما لا يدعى أي مجالاً للشك بأن الحضارة الصينية القديمة قد نبعت ذاتياً في أرض الصين دون أن تــتأثر مطلقاً في بداية تكوينها بأي مؤثرات حضارية صادرة من مجــتمعات أخرى سواء كانت هذه المؤثرات مادية أو غير مادية ـ وأن عناصر هذه الحضارة قد تميزت بأصالتها وبخصائص ذاتية معينة لا مثيل لهــا في المجتمعات الإنسانية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم ـ لأن المجــتمع الصــيني قد انفرد بها وكانت من أهم رموز تألقه، رغم أنها قد تكونــت في عهود ما قبل الأسرات وخلال العصور القديمة - أي مضى عليها آلاف السنين إلا أنها لم تنقطع أو تتبدل أو تتغير، بل ما زالت بعبق جذورها وأصالة ذاتيتها مستمرة حتى عالم اليوم.

ـ ولعــل الجهد الذي بذله العالم الأمريكي ولتر فيرسرفس من أجل إثــبات تأثر الحضارة الصينية بأي حضارات أخرى في العصر الحجري

القديم أو الحديث أو في المراحل الأولى للعصور القديمة ولم يستطيع بكل ما لديه من معلومات أن يقدم في مؤلفه (أصول الحضارة الشرقية) أي دليل واحد يثبت به ذلك ـ خير تأكيد على عدم صحة أي رأي يشير من بعيد أو من قريب بأن مقومات الحضارة الصينية مستمدة من حضارات أخرى أقدم منها، وأيضاً خير إقناع لرفض أي اتجاه يشكك في البناء الذاتي للحضارة الصينية وجذورها العميقة التي نبتت في أرضها بعرق وجهد وكفاح شعبها منذ أقدم عصور التاريخ.

ـ وإذا كانت الحضارة الصينية القديمة لها جذور عميقة جداً في عصور ما قبل التاريخ ـ إلا إننا لا نؤيد أو لا نتفق مع ما يقرره بعض المؤرخين والعلماء الذين يزعمون بأن الصين هي مهد الحضارة البشرية الأولى ـ لأن ذلك غير صحيح ويتعارض تماماً مع ما هو ثابت في الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، وما هو مسجل في الصفحات الأولى للتاريخ الإنساني، على أساس أن الحضارة البشرية الأولى قد بدأ فجرها منذ أن تلاقى سيدنا أدم عليه السلام بعد أن هبط إلى الأرض بأمر الله سبحانه وتعالى مع حواء في منطقة عرفات بأرض الحجاز وكوناً أول أسرة في تاريخ البشرية، وهذه الأسرة قد ازداد عددها في منطقة الجزيرة العربية وأرض الشام، وقد أشار الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير في مؤلفه (قصص الأنبياء) بأن أهل التاريخ قد ذكروا بأن سيدنا أدم عيه السلام لم يمت حتى رأي من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة، انتشروا بعد ذلك وامتدوا في الأرض ونموا(٥)، تصديقاً لقول الله تعالى في القرآن الكريم بسورة النساء الآية الأولى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾، ولذا فإن مهد الحضارة

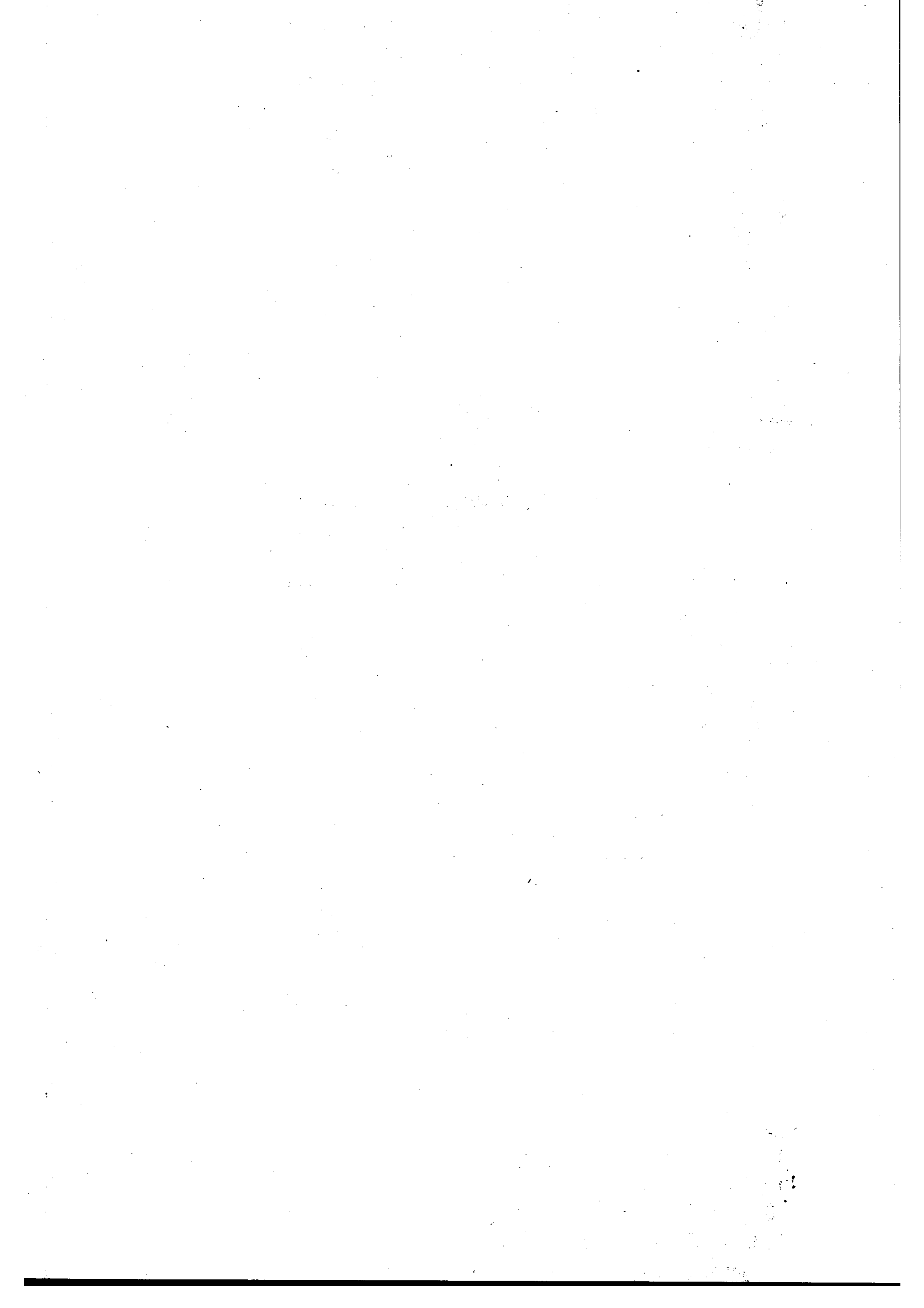
البشرية الأولى كان في منطقة الجزيرة العربية وأرض الشام وليس دون ذلـك وأن البشـر الذيـن ظهـروا في الصين وغيرها وقاموا ببناء هذه الحضـارات التـي ظهـرت في العالم القديم هم من ذرية سيدنا آدم عليه السلام الذين انتشروا في كل بقاع الأرض ليعمروها ــ وعلى هذا الأساس فإن كل شعوب العالم أخوة لأب واحد وأم واحدة ــ وأن ما قرره إخناتون وكونفوشـيوس وبوذا وذرادشت وغيرهم من فلاسفة الشرق الأجلاء بأن الإنسـانية جسـماً واحداً وروحاً واحدة ومهمة روح العالم هى ضم البشر جميعاً في إخاء الإنسانية الواحدة وضم الإنسانية كلها في وفاق مع الخالق الأعظم رب هذا الكون وسيده الواحد، وهو الله سبحانه وتعالى جل جلاله، ما هو إلا لب الحقيقة لسر وجود الحياة الإنسانية في هذا الكون.

ــ وبالتالـي فـإن كـنا نقرر طبقاً للحقائق الثابتة بأن مهد الحضارة البشـرية الأولى لم يكن في الصين، وإنما كان في منطقة الجزيرة العربية وأرض الشـام. فـإن هذا لا يقلل من مكانة الحضارة الصينية القديمة ولا يعـنى أن أصول مقوماتها مستمدة من حضارات أقدم منها، بل كل ما في الأمر هو عرض للمعالم الواضحة لأول وجود للحياة الإنسانية وإظهار ما هـو ثابـت في كل الشرائع السماوية وكل أحاديث وسنن الرسل والأنبياء وتأكيداً أيضاً عن أصل التآخي بين شعب الصين وجميع الشعوب الأخرى المنتشر في كل أرجاء الأرض بإرادة الله سبحانه وتعالى.

ــ ونـود أن نشـير في نهاية هذا العرض ــ بأنه رغم الجهد الشاق الـذي بذلـته فـي إعـداد هذه الدراسة عن أهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة والذي أستغرق فترة تزيد عن خمسة سنوات، إلا أن ثـراء هذه الحضارة بالأصول والدعائم الوفيرة التي مازالت تتألق في سـماء عـالم اليوم، يشعرني بأن ما قدمته ليس سوى عمل متواضع ولم

يعطـــى لهذه الحضارة حقها بالكامل ... فتحية تقدير للصين وشعبها الذي عــرف مـــنذ عصـــور مـــا قبل التاريخ المعنى الحقيقي للحياة الإنسانية، وغرســت فــيه مفاهــيم الأخـــلاق الطيبة والأخوة الجامعة، وصنع مجد حضـــارته بسواعده الذاتية ... تحية صادقة لهم ولكل أسلافهم أعبر عنها من فوق أرض بلدي الحبيبة مصر الحضارة والمستقبل.

قائمة الهوامش



قائمة الهوامش

تضم هذه القائمة هوامش الصفحات الخاصة بأسماء الكتب والمراجع التي تم الاستعانة بها في إعداد هذه الدراسة وذلك حسب الإشارات الرقمية المرتبة تصاعدياً في الصفحات ، مع العلم بأنه سيتم كتابة اسم الكتاب أو المرجع كاملاً عند أول وروده في هذه القائمة ثم نكتفي بعد ذلك بذكره مختصراً ....

المقدمة :

١- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – الصين – ترجمة محمد بدران – اختياراته واتفقت علي ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وقامت بنفقات طبعه ونسخه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦ القاهرة – ص ٩ ، ص ١٠ ....

٢- Henry Thomas – The Great Philosophers . Published by Doubleday ,.. company inc, New York . 1962 New York U.S.A PP 3-7 ... & ... André Aymard et jeannine Auboyer – Histoire Generale Des Civilisations – Tome 1 – (L'orient) LA Grece Antique , publiee sous la direction de Maurice Crouzet . Paris – 1962 – P 39 ets ....

٣- Walter A . Fairservis–The origins of oriental Civilization – the New American Library 1969 – P 207 ets ....

٤- د / نور الدين حاطوم ، د / نبيه عاقل ، د / أحمد طربين ، د / صلاح مدني – أعضاء قسم التاريخ بكلية آداب جامعة دمشق سوريا – موجز تاريخ الحضارة – طبعة ١٩٦٤ – ص ٣٣٨ ....

٥- K.M. Panikkar – AsiA And Western Dominance london 1951 – P 491 ....

٦- د / نور الدين اشراقية ، معركة الحياة – الثورة الفكرية العالمية – النضال العربي الثوري من أجل الوحدة العالمية – بيروت – لبنان – ١٩٧٢ – ص ٢٢١......

٧- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – مرجع سابق – ص ٤......

٨- نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة مرجع سابق ص ٣٣٨ ...
٩- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٩ ....
١٠- .... Henry thomas - The Great Philosophers - P47
١١- هنري جونسون – تدريس التاريخ - نيويورك ١٩٤٠ – ترجمة الدكتور أبو الفتوح رضوان – الطبعة الأولي ١٩٦٥ ، القاهرة – دار النهضة العربية – المقدمة
١٢- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين – توزيع الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزي شوديان) بكين – الصين – الطبعة الأولي ١٩٨٥ – ص ٦١ وما بعدها ....
١٣- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - ترجمة تيسير شيخ الأرض – الطبعة الأولي عام ١٩٦٨ – دار الأنوار بيروت – لبنان – ص ١٥ وما بعدها ....
١٤- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا ، موجز تاريخ الصين – ص ١٩٨ ، ص ١٩٩ ....
١٥- للمؤلف – المبادئة العامة لتاريخ النظم والشرائع – طبعة ١٩٩٨ – دار النهضة المصرية – ص ٣٢٠ ....

** القسم الأول : مراحل تطور المجتمع الصيني القديم - وأهم نظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

١- حسن محمد جوهر ، عبدالحميد بيومي ، مجموعة شعوب العالم – الصين – دار المعارف بالقاهرة – طبعة ١٩٦٥ – ص ٣ وما بعدها ....

** الباب الأول : المراحل التاريخية لتطور المجتمع الصيني القديم - وأهم نظمه السياسية والاجتماعية .

١- تاريخ الصين – الجزء الأول – إعداد مجموعة من علماء التاريخ في الصين – الطبعة الأولي – ١٩٨٦ – مطبعة اللغات الأجنبية – ببكين – قامت بنشره مجلة بناء الصين – وتم توزيعه من خلال الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب (كوزي شوديان) بكين – الصين – ص ٤ ... & ...الصين – حقائق وأرقام – تاريخ

أربعة آلاف سنة – دار النشر باللغات الأجنبية – بكين – الصيـن ١٩٨٨ – ص ١ وما بعدها ....

Henry thomas . The Great philosophers – P . 45...............

<u>الفصل الأول : العصر الحجري القديم ، والحديث .</u>

١- أنظر Andre Aymard et jeannine Auboyer – Hisloire Generale Des civilisations . cit . p 571 ... & ... Marcal Granet – la civilisation chinoise – paris . Albin Michel . 1929 – p 8............

٢- R. Grousset - la chine et son art – paris – plan 1951 – P 4.7 ... & ...Walter A . Fairservis – the Origins Of Oriental Civilization op - cit - p 217.................................

حسن محمد جوهر ، عبدالحميد بيومي ، مجموعة شعوب العالم ، الصين ، ص ٣

٣- Qin shi – China – new star puplishers . B Eijing China – 1993 – p . 26 ....

لمحة عن الصين – العدد ٢٩٧ – مواقع التراث العالمي في الصين – درا شين شينغ للنشر – ابريل ١٩٩١ – مطبعة اللغات الأجنبية . بكين . الصين . ص ٣ . . . . .

٤- الصين – حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – مرجع سابق – ص١ . . . .

٥- تشي شين – بكين – والحضارة الصينية – مجلة الصين اليـوم العـدد ١٠ سـنة ١٩٩١ – بكين – الصين – ص ٦٥ وما بعدها ....

٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٥ ....

٧- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – طبعة ١٩٥٦ – مؤسـسة فرانكلين للطباعة والنشر – نيويورك – ترجمة د / محمد مصطفي زيادة – القـاهرة ١٩٦٢ – درا النهضة المصرية – ص ١٠٤ ....

٨- Qin Shi – China . Op . Cit . P . 1 7 . 19 ....

٩- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٤ ....

١٠- الموسوعة العربية الميسرة – القسم الثاني – قام بالاشراف علي إعدادها محمد شفيق غربال – طبعة ١٩٦٥ – دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – ص٧٥٦ ....

١١- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٤ ، ص ١٠٥ .

K.M. panikkar . AsiA And western dominance – p . 477............

١٢- لمحة عن الصين – العدد ١٢٠ – فنون الكهوف الحجرية – مايو ١٩٩٠ – دار النجم الجديد للنشر – بكين – جمهورية الصين الشعبية – ص ١ وما بعدها ......

١٣- الصين ... حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – دار النشر باللغات الأجنبية – بكين – جمهورية الصين الشعبية – طبعة ١٩٨٩ – ص ٥ ....

١٤- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٥ ....

١٥- محي الدين فوزي ، ابراهيم عارف كيره – مذاهب وشخصيات – شواين لاي – وقفزة الصين للإمام – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٥ – ص ١٥ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الصين – ص ١٢...

١٦- E.Durkheim – Formes Elemenlaires de la vie religieuse – paris – 1952 – P – 128 ... & ... George Gurvitch – Elements de sociologie jveidique – paris – 1940 – P215.............................

١٧- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٧ ....

١٨- د / عبدالسلام الترامنيني – محاضرات في تاريخ القانون – الطبعة الأولي ١٩٦٤ – كلية الحقوق – جامعة حلب – سوريا – ص ٤٥ وما بعدها ... & ... د / صوفي حسن أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٧ – القاهرة – دار النهضة العربية – ص ٥٨ وما بعدها ... & ... د / محمود عز العرب السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الأولي ١٩٧٠ القاهرة – مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٧٦ وما بعدها ....

Gremieu . la justice Arivee these – paris – 1968 – P – 28 ....

١٩- Du méme – les religiens chinoiss – puble . Musse Guimet . Bibl de Diffusion . T . L viii – paris – 1950 PP 7 ets ....

٢٠- ول ديورانت – قصة الحضارة – المجلد الأول – ص ١ – ترجمة د/ زكي نجيب محمود – طبعة ١٩٤٩ – القاهرة – ص ٤٠ وما بعدها ... & ... وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – ص ١٠٥ ....

٢١- Mac lennan – Primitive mariage – printed – 1952 . london – PP 31 – 64 ....

٢٢- M.Granet . la civilisation chinoise – op . cit . PP . 14 ets - ... & ... الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ اربعة آلاف سنة – ص ٢ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٣ ....

٢٣- تاريخ الصين .. الجزء الأول – ص ٥ ، ٦ . ...

٢٤- الصين .. حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٤ ....

٢٥- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص٦ ...

٢٦- لي جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – مجلة الصين اليوم – العدد ١١ – ١٩٩١ – ص ١٣ . ...

٢٧- لمحة عن الصين – العدد ١٢٣ – الأوراق المقصوصة الشعبية – دار النجم للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين الصين – ١٩٩٠ – ص ١ وما بعدها الصين – حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – مرجع سابق – ص٢

٢٨- ول ديورانت – الجزء الأول – ص ٦ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٢٣٨ وما بعدها ....

٢٩- لي جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – ص ١٣ ... & ... لمحة عن الصين – العدد ١١٧ . المتاحف والقاعات التذكارية في بكين – مطبعة اللغات الأجنبية – مجلة الصين المصورة – بكين ١٩٨٩ – ص ٢ وما بعدها . ...

٣٠- تشي شين – بكين – والحضارة الصينية – ص ٦٥ وما بعدها ....

٣١- الصين .. حقائق وأرقام – الطب الصيني – درا النشر باللغات الأجنبية – بكين – الصين ١٩٨٨ – ص ١ وما يعدها . ...

٣٢- E . Durkheim – Formes Elementaires de la vip religieuse Op . Cit –P 129 ets ....

٣٣- لمحة عن الصين – العدد ١٢٣ – الأوراق المقصوصة الشعبية – ص ٢ وما بعدها ....

٣٤- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تـــاريخ الصيـــن – ص ٦

... & ... وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٥ ....

٣٥- تـــاريخ الصيـــن – الجـــزء الأول – ص ٧ ....

Gaston May . Introduction a la science du droit . paris - ... ...

1932-P . 7 ets ....

٣٦- M. Granet . la civilisation chinoise – Op . Cit . pp . 17 ets ... &

... Andre aymard et jeannine Auboyer – Histoire . Generale des civilisations – op – cit – p – 574 ....

... & ... السير جون أ . هامرتن – تاريخ العالم – تم ترجمته إلي العربية بوزارة المعارف المصرية – المجلد الأول – طبعة ١٩٢٨ – القـــاهرة – ص ٤٦٤ ومـــا بعدها ....

* الفصل الثاني : العصر الملكي .

١- Walter A . Fairservis – origins of oriental Civilization – Op . Cit .pp 215- 217 ....

٢- Andre Aymard et jeannine Auboyer – Op . cit . PP . 574 – 577

...&... the world encyclapadia of the Nation's – P1746...........

٣- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٧ ، ص ٨ ....

٤- لمحة عن الصين – العدد ٢٩٧ – مواقع التراث العالمي في الصيـــن – ص ٣

... & ... الموسوعة العربية الميسرة – القسم الثـــاني – ص ١١٣٩ ....

The world encyclapedia of the Nation's – P 1746 ....

٥- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٠ ....

٦- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٦ ... &

... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٧ ....

٧- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصينـــي – منذ أقدم العصور – الجزء الثالث ١٩٦٨ – تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلســـفية – ونشره بدار المعارف بالقاهرة – ص ١٧ وما بعدها ....

٨- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٨ ، ص ٩ ....

٩- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٢٤٠ ... & ... د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ١٧ ....

١٠- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – ص ١٠٤ .... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٨ ، ص ٩ ... & ... ول ديورانت – قصة

١١- الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٧ ....

١٢- Andre Aymard et jeannine auboyer . op . cit . p.577.............

١٣- الصين ... حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٤ وما بعدها ....

١٤- هو رن تشي – سيمفونية التطور في بكين – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ سنة ١٩٩١ بكين – الصين – ص ١١ وما بعدها . ...

١٥- M.Granet – la civilisation chinoise – op . cit . PP 17 ets ......

١٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٠ ....

١٧- الصين ... حقائق وأرقام – الطب الصيني – مرجع سابق – ص ٢ ... & ... أليس جابر – العلاج بالأبر الصينية – بحث نشر في مجلة هو وهي المصرية – العدد ١٩٤ – السنة السابعة عشر – يوليو ١٩٩٣ – القاهرة – ص ٢٤ وما بعدها...

١٨- R . Grousset – la chine son art – Op . Cit . PP . 19-25 ....

١٩- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١١ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٧ . ...

٢٠- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٢ ....

٢١- تاريخ الصين – الجزء الأول – مرجع سابق – ص ١١ ....

٢٢- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – مرجع سابق – ص ٩ ....

٢٣- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ١١.........................

R . Grousset . la chine et son art – op . cit . pp . 82 – 83 ....

٢٤- الموسوعة العربية الميسرة – ص ١١٣٩ – ...&...

Walter A . Fairservis – the origins of oriental civilization – p128...

٢٥- وليام لانجر –مسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٥ ....

٢٦- Andre aymard et jeannine ayboyer – Op . Cit . PP 578 – 582

... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٨ ....

٢٧- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الرابع – ص ١٠٦ ....

٢٨- K.M . Panikkar – Asia and western dominance . p . 482 ets .

٢٩- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٧ ...

٣٠- الصين .. حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٣ وما بعدها ....

٣١- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٣ ....

٣٢- الصين .. حقائق وأرقام .. تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٢ ....

٣٣- الصين .. حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٣ وما بعدها ......

٣٤- الصين .. حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ١ ، ص ٢ ....

٣٥- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٣٩ ....

٣٦- دراسة اللغة الصينية في موطنها – تأليف الجمعية الصينية لتدريس اللغة الصينية للأجانب – دار النشر لمعهد اللغات ببكين – الصين – الطبعة الأولي ١٩٨٩ ص ١ وما بعدها ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٨ .

٣٧- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٣٠٩ . ...

٣٨- K.M . Panikkar – AsiA and western dominance – p 482 ets

٣٩- Andre aymard et jeannine auboyer – Histoire Generle des civilisations – Op . Cit - p - 583..

٤٠- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٢ ....

٤١- Andre Aymrd et jeannine aupoyer .. Op . Cit . PP 584 ets

٤٢- ول يورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٥١ وما بعدها .

٤٣- لمحة عن الصين – العدد ١١٧ - المتاحف والقاعات التذكارية في بكين – مرجع سابق – ص ٢ وما بعدها ....

٤٤- Henry Maspero - la chine antique . T. IV . de l' Historire du monde - paris - de Boccard - 1937 - p 53 - 55 ....

٤٥- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٨ ...

٤٦- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٣ . ...

٤٧- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ١٣ ....

٤٨- Marshall Broon Hall – the jubilee story of the china inland Missiom changhai – london – 1915 – PP . 37 ets ....

٤٩- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصيـــن – مرجـــع ســـابق – ص ٧ ... & ... ول ديورانـــت -- قصـــة الحضـــارة – الجـــزء الرابـــع – ص ١٨ . Walter A . Fairservis – the origins of oriental civilization . Op – Cit – P . 129..

٥٠- R . Grousset – la china et son ort – op . Cit . PP 93 – 9 5 . ... & ... تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ١٣ ....

٥١- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٠

٥٢- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢١ ....

٥٣- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٩...

٥٤- Andre aymard et jeannine auboyer ... op . cit . p 586.............

٥٥- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٢ وما بعدها ....

٥٦- R . Grousset – la chine et son art . op cit – p . 96 ... & ... Walter . A . Fairservis – the origins of oriental civilization . op . Cit . P 220...

٥٧- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٤ ... & ... د / نور الديـــن حـــاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٣ ....

٥٨- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة ألاف سنة – ص ٣ ... & ... جيـــان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١١ ....

٥٩- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٥ ....

٦٠- الصين .. حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٤ وما بعدها . ...

٦١- M. Maspero – la chine ontique – op . cit . p . 61 ets ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٤٥ .

٦٢- الصين ... حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ٢ وما بعدها ....

٦٣- Qin Shi – China . Op . Cit . P 161...............................

٦٤- د / فــؤاد محمــد شــبل – حكمــة الصيـــــن – ص ٣٦ ومــــا بعدهـــــا .
... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٤ .

٦٥- B. Karlgren – Prehistory of the chineae – Bull of the Museum of for Eastern . N . 15 – stockholm – 1943 . PP . 67 ets ....

٦٦- هو رن تشي – سيمفونية التطور في بكين – ص ١١ ....

٦٧- هونغ بيئغ – مدينة بينغياو ... أمس واليوم – مجلة الصين اليوم – العــــدد ١١ سنة ١٩٩١ – بكين – الصين – ص ٣٤ – ص ٤٠ . ...

٦٨- وليام لانجر – موسوعة تــاريخ العــالم – الجــزء الأول – مرجــع ســابق – ص١٠٤.............................. ....

٦٩- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٥ ....

٧٠- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٥ ....

٧١- H. Maspero – la chine ontique – op . cit . p 64 ets ....

٧٢- تاريخ الصيـــــن – الجــزء الأول – ص ٢١ ... & ... ول يورانـــت – قصـــة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٨ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخريـــن – موجز تاريخ الحضارة – ص ٤٤٣ وما بعدهـــا . ...
Walter A . Fairservis – the origins of oriental civilization – Op . Cit – P . 129 ....

٧٣- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ،هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١١ ، ص ١٣ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٣ ومـــا بعدهـــا ... & ... الصيـــــن حقـــائق وأرقـــام – تـــاريخ أربعـــــــة آلاف ســـــنة ص ٣
Qin shi – China – Op . Cit . P 27.. ....

٧٤- Andre aymard et jeannine auboye: .. Op . cit . p . 589 ....

٧٥- R. Grousset – la Chine et son art – op . cit . p 91 ets ....

٧٦- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصيـــن – ص ٢٦ ... & ... ول ديورانـــت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢١ ....

٧٧- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٦ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٢ . ...

٧٨- H. Maspero – la chine ontique – op . cit . pp 71 ets ....

... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٢...........

٧٩- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة ألاف سنة – ص ٣ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٣ وما بعدها ....

٨٠- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ،هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص١٢، ١٣

٨١- الصين .. حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٦ وما بعدها ....

٨٢- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٦ ... & ...

Walter A . Fairservis – the origins of oriental Civilization op . Cit . p 131...

٨٣- H.Maspero – la chine ontique – op . cit . p . 73 ....

٨٤- Martshall . Broon Hall . the jubilee story of the Chine –p 62 ets

جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٤ ......

٨٥- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٦ وما بعدها

... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٤

٨٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٠ ، ٢١ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٣ وما بعدها ....

٨٧- Henry thomas – The Great Philosophers – Pp 47 ets ... & ...

the world encyclopedis of the nations – p 1747 ....

٨٨- لمحة عن الصين – العدد ٢٢٩ – فن الحرب لسون وو‌تسي – أول كتاب عالمي – حول فن الحرب – دار شين شينغ للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين – الصين – يونية ١٩٩٦ – ص ٢ وما بعدها ....

٨٩- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢١– د / نور الدين حاطوم وأخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٣ ، ص ٣٤٤ ....

- Andre aymard et jeannine auboyer .. pp . 591 ets ... & ... M . Granet – la civilisation chinoise – op . Cit . PP 71 ets ....

٩٠- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – ص ١٠٦...........

... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٢ ، ص ٢٣

* الفصل الثالث . عصر الانفصال .

١- B . Karlgren – Prehistory of the chinese .. pp 81 ets
& ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٩ ....

٢- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٢ .

٣- Henry thomas – the great philosophers .. p 47 ....

٤- R. Grousset – la chine et son art - p - 112 ....

٥- د / أحمد سويلم العمري – أصول العلاقات السياسية الدولية – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ص ٣٥ وما بعدها . ...

٦- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة ... ص ٣ . ...

٧- H . Maspero – la chine ontique – op cit . pp 78 – 85...............

٨- R . Grousset – la chine et son art .. pp 104 – 106....................

٩- M. Granet – la civilisation chinise ... pp . 81- 84
& ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٨ .

١٠- Andre aymard et jeannine auboyer ... p 582.....................

١١- الصين ... حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٣ ....

١٢- الصين ... حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ٢ . ...

١٣- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٦ وما بعدها
Walter A. Fairservis – the orgins of oriental Civilization – p - 134

١٤- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٦
Henry thomas – the Great Philosophers ... p . 47 – 49 ....

١٥- A . Rygaloff – vie de confucius – paris – puf – 1946 – p 71 ets

١٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٧ ....

١٧- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٦ ....

١٨- A . Waley – trois covrants de la pensee chinoise – Trad . G. Deniker . poris – 1949 – pp 69 – 74 ....

١٩- M . Granet . la civilisation chinoise ... p . 174 ....

٢٠- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٤ . ...

٢١- حسن محمد جوهر ، عبدالحميد بيومي ، مجموعة شعوب العالم – الصين – ص ٨٣ ....

٢٢- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٥١ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٥، ١٦ ....

٢٣- الصين ... حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٣ ....

٢٤- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – ص ١٠٦ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ،هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٦ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٥ ....

٢٥- الصين ... حقائق وأرقام – الاشغال الديوية الفنية – ص ٢ وما بعدها ... & ... بي تشو – العلامة سونغ ينغ شينغ – وتاريخ الصين في استخراج الملح – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ لسنة ١٩٩١ – بكين – الصين – ص ٤٣ .

٢٦- Thomas Ennis – french policy and Developments in indo - china chicogo - 1936 - p 83 ....

... & ... لمحة عن الصين – العدد ١١٧ – المتاحف والقاعات التذكارية في بكين – ص ٢ وما بعدها . ...

٢٧- K . M . Panikkar – AsiA and western dominance – op . Cit .pp. 501- 502 ....

٢٨- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٦ ....

٢٩- الصين .. حقائق وأرقام – الطب الصين – ص ٢ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٦ . ...

٣٠- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٧ ... & ... K . M . Panikkar – AsiA and western dominance – op . cit . pp . 477 – 481 ,,

٣١- لمحة عن الصين – العدد ٢٢٩ – فن الحرب لسون وو تسي – ص ٢ وما بعدها

٣٢- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٦ ....

٣٣- Andre aymard et jeannine auboyer op . cit . pp . 582 – 584 .

٣٤- وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – الجزء الأول – ص ١٠٦ ....

٣٥- أنيس . ل . كلود – النظام الدولي والسلام العالمي – ترجمة د / عبدالله العريـان – طبعة ١٩٦٣ – القاهرة – دار النهضة العربية – ص ٤٧ وما بعدهـا ... & ... أوتوكلينيبرج – البعد الإنساني في العلاقات الدولية – ترجمة لجنة من المتخصصين – مراجعة طه عبدالرؤوف – غير محدد سنة الطبع – مكتبة الوعي العربي بالقاهرة – ص ٨٦ ومـا بعدهـا .

....

٣٦- د / أحمد سويلم العمري – أصول العلاقات السياسية والدولية – ص ٣٦ ومـا بعدها ... & ... برتراند رسل – حكمة الغرب – الجزء الثاني – لندن – ١٩٦١ – ترجمة فؤاد زكريا – الطبعة الأولي ١٩٨٣ – عالم المعرفة بالكويت – ص ١٧٩ .

٣٧- د / أحمد سويلم العمري – أصول العلاقات السياسية الدولية – ص ٤٥ ......

٣٨- L . Delaporte – les Hittite – Paris – A Michel – 1936 – P 271 – 283 ....

٣٩- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٦٦ وما بعدهـا ... & ... السيررجون . هامرتن . تاريخ العالم – لندن ١٩٢٨ – تم الترجمة إلي العربية والنشر بإذن من شركة الطباعة المتحدة في لندن لوزارة المعارف المصريـة – ص ٤٦٦ وما بعدها ....

٤٠- تـاريخ الصيـن – الجـزء الأول – ص ٢٥ ومـا بعدهـا ... & ... Walter . A . Fairservis ... pp . 138 ets . ... & ... K . M . panikkar ... pp 502 – 506 ....

٤١- الصين ... حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ٣ وما بعدها . ...

٤٢- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٣ وما بعدها . ... & ... حسن محمد جوهر ، عبدالحميد بيومي ، مجموعة شعوب العالم – الصيـن – ص ٨٣ ....
K . M . Panikkar – pp . 488 – 492 ....

٤٣- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٢٨ ومـا بعدهـا ... & ... الصيـن .. حقائق ورقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٤ ... & ... د / فؤاد محمد شـبل – حكمة الصين – ص ٣٦ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حـاطوم وآخريـن – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٨ ....

٤٤- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٣ – ص ١٧ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٥ ....

٤٥- لي جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – مجلة الصين اليوم – العدد ١١ – سنة ١٩٩١ – ص ١٤ ....

٤٦- لمحة عن الصين – رحلة استطلاعية للمضايق الثلاثة – دار شين شينغ للنشر – بكين ١٩٩٣ – الصين – ص ٢ وما بعدها ....

٤٧- لمحة عن الصين – ١٣٨ – صور الصين العظيم – دار شين شينغ للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية – أغسطس ١٩٩٢ – بكين – الصين – ص ٢ وما بعدها

Walter A Fairservis – the origins of oriental Civilization – op – cit – p 135..

* الفصل الرابع : العصر الأمبراطوري .

١- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٩٨ ....

٢- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٣ .

The world Encyclopedis of nation's – p 1746........................

٣- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٠ ....

٤- R . Grousset – la chine et son art .. p 211 – 214 ....

٥- تشي شين – بكين – والحضارة الصينية – ص ٦٦ ، ص ٧٦ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٩٨ ....

٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣١ ... & ... الصين ... حقائق وأرقام – تاريخ أربعة ألاف سنة – ص ٤ ، ص٥ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٩٩ وما بعدها ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٨ ....

٧- Andre aymard et jeannine auboyer … pp . 580 – 582..................

٨- لمحة عن الصين – العدد ١٣٨ – سور الصين العظيم – ص ٢ وما بعدها ... & ... لي جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – ص ١٤ ....

٩- الصين ... حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٣ وما بعدها ....

١٠- لي جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – ص ١٤ ....

١١- الصين ... حقائق وارقام – الطب الصيني – ص ٣ وما بعدها . ...

١٢- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ اربعة آلاف سنة – ص ٤ ....

١٣- Andre aymard et jeannine auboyer – p . 630 ets ....

١٤- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص ٢٦ ....

١٥- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصيـــن – ص ١٨ ، ص ١٩ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٣ ، ص ٣٤ ....

١٦- انظر مؤلفنا – الجرائم العدوانية علي حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمـــة – طبعة ١٩٩١ – درا النهضة المصرية – ص ٧ وما بعدها ....

١٧- Andre aymard et jeannine auboyer – op . Cit . p 633 ....

١٨- M. Granet – la civilisation chinoise – pp 91 – 92 ....

١٩- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٨

٢٠- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٧ ....

٢١- تاريخ الصين – الجـــزء الاول – ص ٣٢ ... & ... ول ديورانـــت – قصـــة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٩٩ ....

٢٢- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٤ ....

٢٣- انظر مؤلفنا – مدي التقارب والتباين بين أهم نظم وقوانين حضارات العالم القديم – طبعة ١٩٩٢ – دار النهضة المصرية – ص ٣٠ وما بعدها ....

٢٤- انظر مؤلفنا السابق – الجرائم العدوانية علي حقوق الوحدة البشرية في العصـور القديمة – ص ٣ وما بعدها ....

٢٥- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٣ وما بعدهـا ....

٢٦- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٣٤ ، ص ٣٦ ... & ... جيان بوه تســـان ،شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٩ ....

٢٧- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٦ ، ص ٣٧ ....

٢٨- الصين .. حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٥ . ...

٢٩- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠٣ ... & ... تـــاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٧ ، ص ٣٨ ....

٣٠- M . Granet - la civilisation chinoise - p 103 ... & ... K . M . panikkar - AsiA and western Dominance - op . cit - p 481 ....

٣١- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٤ . .. & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين .. ص ٢٠

٣٢- Andre Aymard et jeannine auboyer . P 598 - 601...............

٣٣- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٤ ، ص ٤٢ ....

٣٤- M . Granet . la civilisation chinoise - P 182 - 183 ....

٣٥- لمحة عن الصين - العدد ١١٧ - المتاحف والقاعات التذكارية في بكيـــن - ص ٢ وما بعدها ....

٣٦- تاريخ الصين - الجزء الأول ص ٣٩ ... & ... الصين .. حقـــائق وأرقـــام - الأشغال اليدوية الفنية - ص ٣ وما بعدها ....

٣٧- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصيـــن - ص ٢٠ ، ص ٢١ ....

٣٨- Andre Aymard et jeannine auboyer - P 604 - 607 ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٤٠ . ...

٣٩- Henry thomas . The great philosophers .. p 51 - 59 . ...

٤٠- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٤ وما بعدها . ...

٤١- R. Grousset - la chine et son oxt - p 91 - 97......................

٤٢- ديان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٥ ...

٤٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٠٦ ....

٤٤- د / نور الدين حاطوم وآخرين - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٣٥٤

٤٥- د / فـــؤاد محمـــد شـــبل - حكمـــة الصيـــن - ص ٢٨ ، ص ٢٩ ... & ... Andre Aymard et jeannine auboyer .. pp .. 634 - 635 ....

٤٦- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٤٤ ، ص ٤٦ . ...

٤٧- لمحة عن الصين - العدد ١٦٥ - رحلة استطلاعية لمضايق الثلاثـــة - ص ٢ وما بعدها ....

٤٨- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٢٥

٤٩- الصين .. حقائق وأرقام - تاريخ أربعة ألاف سنة - ص ٥ ....

٥٠- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥١ وما بعدها ......

Walter . A . Fairservis .. pp 135 ets ....

- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٤ وما بعدها

- لمحة عن الصين - العدد ١٣٨ - سور الصين العظيم - ص ٢ وما بعدها .

- لي جيان قوه - تاريخ وثقافة قانسو ص ١٤ ....

٥١- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٤٧، ٤٨ ....

٥٢- الصين .. حقائق وأرقام - الطب الصيني - ص ٢ وما بعدها ....

٥٣- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٤ وما بعدها ....

٥٤- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٦ ....

٥٥- محي الدين فوزي ، إبراهيم عارف كـبيره- مذاهب وشخصيات - ص ١٥ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦١ وما بعدها .

Henry thomas - the Great Philosophers - PP 29 - 33 ....

٥٦- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٤٩ ....

٥٧- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٢٦ ، ص ٢٧ ....

٥٨- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٨،ص٣٠ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٥٩ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٧ وما بعدها .

- Henry thomas - the Great Philosophers - P 47 ... & ... K . M . Panikkar - PP 488 ets ... & ... Richard . t - convresion of the Million in china . pp 162 ets ....

الباب الثاني : أهم النظم الاقتصادية والثقافية .

١- Walter Fairservis ..... pp 5 ets ....

Amdre Aymard et Jeannine AUBYER - P . 570 ....

وأيضاً . حسن محمد جوهر ، محمد مرسي أبو الليل - شعوب العالم ، الـهند ، طبعة ١٩٦٥ - القاهرة - ص ٢ وما بعدها ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١١ ....

٢- د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - ص ٥٣ وما بعدها ... & ... د / محمد طلعت الغنيمي - بعض الاتجاهات الحديثة في القانون الدولي العام - قانون الأمم - طبعة ١٩٧٤ - منشأة المعارف بالإسكندرية - ص ٤٣ وما بعدها ....

٣- Bach Hofer - Early indian sculpture - paris . 1929 - PP . 4 ets .

٤- Amdre Aymard et jeanmime Auboyer - P 554 ... & ... حسن محمد جوهر - محمد مرسي أبو الليل - الهند - ص ١٣ ، ص ١٤ ....

٥- R. Grousset - la chime et son art - p 145 - 164........................

٦- M . Granet . lo civilisatien chinoise - p 41 ets ....

٧- د / محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الأديان القديمة - طبعة ١٩٦٥ القاهرة - دار الفكر العربي - ص ٢٧ ....

٨- د / نور الدين حاطوم - دراسة في القوميات الألمانية والإيطالية والأمريكية والهندية - طبعة ١٩٦٦ القاهرة - معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية - ص ١٨٢ وما بعدها . ...

٩- M. Granet - le civilisation chénoise - P 192 ....

١٠- د . فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٨ وما بعدها . وأيضا ... & ... نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٦ وما بعدها ... & ... حسن محمد جوهر ، عبدالحميد بيومي - مجموعة شعوب العالم - الصين - ص ١٣ وما بعدها ، الهند - ص ٧ وما بعدها . ...

An.dre Aynard et jeannine Auboyer - PP 574 - 579 ....
M.Granet . PP 17 ets ...&... R . GROUSSET .. P 14 & K . M . Pankkar
P.50.. .

الفصل الأول : النظم الاقتصادية .

١- W . F . ogburn - social change with Respect to culture and original Nature - the viking press - New york - 1952 - PP 80 - 86 .
... & ... برتراند رسل - حكمة الغرب - ص ٢٣٤ ....

٢- H. MASPERO - PP 17 ets..

٣- الصين .. حقائق وأرقام . الأشغال اليدوية الفنية ص ٣ وما بعدها . ...

٤- Amdre AYMARD et jeannine Auboyer - p 567 ....

٥- Emmis thomas E, French policy and Developments in indo chinoa - chicogo 1936 - PP 32 ets..

٦- K. M . Pamikkar - P 477 ....

٧- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٦ ....

٨- جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٩ ...

٩- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٧ ....

١٠- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٤٠ ....

١١- M. GRANET . PP 35 ets ....

١٢- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٩ ... وأيضاً السير جون أ هـامرتن - ص ٤٦٣ وما بعدها ....

١٣- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٠ وما بعدها . ...

١٤- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٠ ، ص ١١ . ...

١٥- Andre AYMARD et Jeannine AUBOYER P 592...............

١٦- الصين - حقائق وأرقام - تاريخ أربعة آلاف سـنة - ص ٢ وأيضـاً مارسـيل كاشان ، هنري دنيس ، كلودروا ، أويلستتز - الصين في موكب النور - ترجمـة ميشيل سليمان - منشورات مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - طبعـة ١٩٦٥ - ص ١٤ وما بعدها ....

١٧- Amdre AYMARD et jeannine auboyer - P 596 ....

١٨- H . MASPERO - P 23 ....

١٩- تـاريخ الصيـــن - الجـــزء الأول - ص ١٥ ....& ... WALTER FOIRSETRVIS - P 209...

٢٠- وليام لا نجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٥ . ...

٢١- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصيـــن - ص ١١ وأيضاً .. د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٣٥ وما بعدها . ...

٢٢- M . GRANET - p 54 ....

٢٣- H . MASPERO - P 33 ....

٢٤- الصين – حقائق وأرقام – الطب العيني – ص ٣ . ...

٢٥- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٤١ ....

٢٦- ج . ل . ما يرز – قيام المدنيات المنظمـــة – لنــدن ١٩٢٨ – ترجمـــة وزارة المعارف المصرية – في عام ١٩٣٥ – بإذن من شركة الطباعة المتحدة في لندن – ص ٤٦٣ – وأيضاً تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٨ وما بعدها ....

٢٧- جيان بوه تسان – شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٦

٢٨- وليام لا نجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٦ .. وأيضاً الصين – حقـــائق وأوقام – الطب الصيني – ص ٣ وما بعدها ... & ... ج . ل . ما يرز – قيـــام المدنيات المنظمة – ص ٣٦٥ وما بعدها ....

٢٩- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجــزء الرابــع – ص ٢٤٩ ، ومابعدهـــا .. وأيضاً . تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣١ ....

٣٠- M. GRANET - P 103 ...&... K.M.PANIKKAR - P 481 . وأيضـاً تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٧ وما بعدها ....

٣١- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٣٤ وما بعدها ....

٣٢- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تــاريخ الصيــن ص ٢٥ MARSHALL BROOM HALL - P 180.................................

٣٣- ول ديورانت – قصة الحضـــارة – الجــزء الرابـــع – ص ٢٥٣ ومـــا بعدهـــا ANDRE AYMARD ET JEANNINE AUBOYER - P 602 - 605....

٣٤- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٤ وما بعدها K.M. ....
Pamikkar - PP 480 ets ...&... Walter fairservis . p 131 . ...

٣٥- K.M. Panikkar - P 484 ets ....

٣٦- الصين – حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ١١ وما بعدها ......

٣٧- جورج سارتون – تاريخ العلم – الجزء الثاني – نيويورك ١٩٥٢ م – ترجمـــة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مؤلفة من د / إبراهيم بيومي مدكـــور – د / محمـــد

كامل يحيي ، د / قسطنطين زريق ، د / محمد مصطفي زيادة - الطبعة الثانيـــة - أكتوبر ١٩٧٨ القاهرة - دار المعارف - ص ١٦٨ وما بعدها ....

٣٨- Andre AYMARE et jeannine Auboyer - P 584 ....

٣٩- الصين - حقائق وأرقام - تاريخ أربعة آلاف سنة - ص ٢ ....

٤٠- حيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١٣

٤١- الموسوعة العربية الميسرة - ص ٧٥٦ ....

٤٢- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٢ ....

٤٣- الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٧٧ . ...

٤٤- H . MASPERO - P 73 ....

٤٥- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٠٧ وما بعدها .. وأيضاً نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٨ . ...

K.M . Panikkar - P 477 ...&... Walter A. Fairservis - P 125...

٤٦- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٣٨ - وأيضـــاً ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٦٧ - جيان بوه تســان ، شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصيـــن - ص ٦ ....

Waltar A . Fairsetvis - P 125...

٤٧- Qin shi - chima - p 29 ....

٤٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٦٨ وما بعدهــا ... &... وأيضاً - الموسوعة العربية الميسرة - ص ٧٢٠ وما بعدها . ...

٤٩- K.M. Pamikkar - P 477 ....

... & ... تاريخ الصين - الجزء الرابع - ص ٤٣ وما بعدها ....

٥٠- بى تشو - العلامة سونغ ينغ شينغ - مجلة الصين اليوم - العـــدد ١٠ - لســنة ١٩٩١ - ص ٤٣ ، ص ٤٤ ....

Walter . A . Fairservis - PP 133 ets ....

٥١- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، وأيضاً - د / نور الديـــن حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٨ . ...

٥٢- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٧٢ وما بعدها .. وأيضاً - ج . ل ما يزر - قيام المدنيات المنظمة - ص ٤٧٢ . ...

٥٣- الصين – حقائق وارقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٩ وما بعدها – وأيضاً – جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٦

٥٤- K.M. Pamikkar - PP 476 ets ....

٥٥- Walter - A . Fairservis - P 135 ....

٥٦- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٧ ....

٥٧- K.M. Panikkar - PP . 482 ets.............. ....

٥٨- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٦٨ ....

٥٩- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٦ – وأيضاً ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٥٣
Amdre AYMARD et jeannin e Auboyer - P 585 ....
...&... H . MASPERO . P 121 ...&... Walter A . Fairservis - P 136...

٦٠- الصين – حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ١ وما بعدها . ...

٦١- Qin shi - china - P 166..

٦٢- Amdrie AYMARED et jeammime Auboyer - P 586
... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٥٤ ......

٦٣- أليس جابر – العلاج بالإبر الصينية – مقالة بمجلة هو وهي المصرية – العدد ١٥٤ الصادر في فبراير ١٩٩٣ – السنة السابعة عشرة – ص ٢٤ ، ص ٢٠

٦٤- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٧ ....

٦٥- الصين – حقائق وأرقام – الطب الصيني – ص ٢ ، ص ٣ ....

٦٦- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٣٥٥ – ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٤٨ ....

٦٧- هو روي لي – العهد الذهبي للطب التقليدي الصيني – مجلة الصين اليوم – العدد ٣ لسنة ١٩٩١ – ص ٣٣ – ص ٣٩ . ...

٦٨- الصين – حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – ص ٩ وما بعدها........

٦٩- K.M. Panikkar - PP 477 - 479 ....

٧٠- MAC Kowed . History English Furn iture, Age of Mohoyamy - Landon 1910 - PP . 6 ets ....

٧١- K.M. Panikkar . P 482 وأيضاً – حيان بوه تسان ، شاوشيون تشـــنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٤٤ . ...

٧٢- SOGEDAN, ADMON SAN - A HISTORY OF ENGLISH WALL PAPER - EXOFORED - 1929 - P 5 ets ....

٧٣- G . Tawn ey - Religion and the Growth of Capitaism - lomdon 1935 - pp . 19 ets ....

K.M. Pamikkar . p 484 - 486 ....

وأيضاً تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٩ وما بعدها . ...

٧٤- Andre AYMARD et jeannine Auboyer - P . 573 ....

٧٥- R. Grousset . P 43 ...&... M Granet . P 35 ...&... j- sion - l'asie des moussoms - paris - 1929 - PP 21-29....................

٧٦- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا ، موجـــز تـــاريخ الصيـــن – ص ٨

B . KARLGREN - Prehistory of the chinese - P 38 ....

٧٧- تايخ الصين – الجزء الأول – ص ١٣ . ...

٧٨- H. MASPARO - P 73 ....

٧٩- Andre Aymard et jeannine Auboyer - 587 ....

٨٠- K.M. PAMIKKAR - P 508 ....

٨١- H . MASPARO - P 75 ....

٨٢- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٤ ... وأيضاً جيان بوه تسان ، شاوشـيون تشنغ ، هو هوا – موجز تـــاريخ الصيـــن – ص ١٦ .. ول ديورانـــت – قصـــة الحضـــارة الجـــزء الرابـــع – ص ٢٤١.........................

K.M . Panikkar - 501 ...&... G . San Som - the wester n -japan . world-london 1950 - P 92 ets...

٨٣- Andre aymard et jeannine Auboyer - P 589 ....

٨٤- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٤٣ .. وايضاً – نـــور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٩ ....

٨٥- تـــاريخ الصيـــن – الجـــزء الأول – ص ٣٢ ....

Andre Aymared et - jeannine auboyer - 632 ....

٨٦- ول دبورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٣٤٥ - وأيضاً الصين - حقائق وأرقام - تاريخ أربعة آلاف سنة - ص ٥ . ...

٨٧- لمحة عن الصين - العدد ١٣٨ - سور الصين العظيم - ص ١ و ما بعدها ... & ... لي جيان قوة - تاريخ وثقافة قانسو - ص ١٤ ... & ... هوانغ بينغ،مدينة بيغياو - أمس واليوم - ص ٣٤ - ص ٤٠ ... & ... فريدة وانغ فو . ملتقي الحضارات - أول أسبوع ثقافي عربي في الصين - مجلة الصين اليوم - العدد ١١ لسنة ١٩٩١ - ص ٤٠ - ص ٤٢.......... ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول . ص ٥٤ ....

٨٨- K.M. Panikkar - P 505 ... & ... G sam som . PP 146 ets ... - Andre Aymard et jeannine avboyer - P 632 & ... تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٥٥ . ...

٨٩- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٤٧ - وأيضاً M . GRANET - PP 193 ets ... & ... walter fairservis - P 182

٩٠- تشي شين - بكين - والحضارة الصينية - ص ٦٨ . ...

٩١- لي جيان قوه - تاريخ وثقافة قانسو - ص ١٣ : ١٦ . ...

٩٢- لمحة عن الصين - منطقة شينجيانغ الويغورية - ص ١ وما بعدها ....

٩٣- K.M . Panikkar - PP 514 ets ....

٩٤- لمحة عن الصين - العدد ٤٩ - اختراعات الصين الأربعة العظيمة - ص ٤ وما بعدها وأيضاً ... & ... جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين ص ٣٦ & ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥١... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٥..

walter . A Fairservis - P 220 ....

٩٥- الصين - حقائق وأرقام - الطب الصيني - ص ٣ وما بعدها M.GRANET - P 646...

٩٦- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥٠ - وأيضاً ... &... لمحة عن الصين - العدد ٤٩ - اختراعات الصين الأربعة العظيمة -

ص ٣ وما بعدها – جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٤٦ . ...

٩٧- بي تشو – العلامة / ينغ شينغ – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ لسنة ١٩٩١ – ص ٤٣ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٥٢ – ... & ...د / نور حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٢٥١..

Walter . A . Fairservis - P 213 ....

٩٨- CF . O.V. Boy donov - le desarmement a la lumiere du droit international - paris - 1958 - PP 98 ets ....

٩٩- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٤٨ – وأيضاً ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٥٣ ... & ... الصين – حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٦ ... & ... جيان بوه تسان – شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢٨ . ...

١٠٠- جورج سارتون – تاريخ العلم – ص ١٦٨ .... &
... د / نور حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص٢٢٠ ... &
... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٥٢ ، ٢٥١ – السيرجون . أ . هامرتن – تاريخ العالم – ص ٤٢١ ... & ... ج . ل . ما يرز – قيام المدنيات المنظمة – ص ٤٧١ ....

١٠١- لمحة عن الصين – ٤٩ – اختراعات الصين الأربعة العظيمة – ص ٣ وما بعدها ....

١٠٢- الموسوعة العربية الميسرة – ص ١١٤٠ . ...

١٠٣- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٤٣ . ...

١٠٤- جيان بوه تسان – شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٤٦ ، ص ٥١ ....

١٠٥- جريدة الجمهورية المصرية – العدد الصادر بتاريخ ١٩٩٧/١١/١٥ – مقالة عن انجازات تساي لون في إختراع صناعة الورق – ص ١٢

١٠٦- جريدة الجمهورية المصرية – ص ١٢ ....

١٠٧- لمحة عن الصين - ٤٩ - اختراعات الصين الأربعة العظيمة - ص ٣ وما بعدها . ...

١٠٨- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٧ . ...

١٠٩- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥٨ ، ١٥٩ - وأيضا ... & ... ج . ل . مايرز - قيام المدنيات المنظمة - ص ٤٧١

Walter A.Fairserrvis - P 214 ....

١١٠- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٧ ....

١١١- H . MASPERO - P 75 ....

١١٢- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥٧ ، ص ٢٥١ ... & ... الصين - حقائق وأرقام - تاريخ أربعة آلاف سنة - ص ٧

....

M.GRANET . PP 61 ets ....

١١٣- لمحة عن الصين - ٤٩ - اختراعات الصين الأربعة العظيمة - ص ٤

١١٤- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٥ ...

١١٥- مقالة جريدة الجمهورية المصرية - ص ١٢ . ...

١١٦- براترند رسل - حكمة الغرب - ص ٢١ . ...

١١٧- الصين - حقائق وأرقام - الأشغال اليدوية الفنية - ص ٨ . ...

١١٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٧٣ ....

١١٩- نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٥ ......

١٢٠- لمحة من الصين - العدد ١٣٨ - سور الصين العظيم - ص ١ وما بعدها وأيضاً ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٣٢، ٣٣ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٠١ وما بعدها & هونغ بينغ - مدينة بينغياو - أمس و اليوم ، ص ٣٤ ...& ... لي جيان قوه - تاريخ وثقافة قانسو - ص ١٤ ، ص ١٦ ... & ... ج . ل . مايزر - قيام المدنيات المنظمة - ص ٤٦٦ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥٢ ....

Grousset . PP 191 ets ...&... Andre AYMARD et jeannine auboyer - P 630 ...&... chima - fact , Figutes - the Great wall and the imperial Palace - Foreign languages press Beijing - chim:a - 1990 - PP 2 ets ....

الفصل الثاني : النظم الثقافية .

١- W.F ogburn - social change with respect to culter and origimal Nature - the viking press New york - 1952 - P 80 - 85 ....

٢- د / مصطفي الخشاب - تاريخ الفكر الإجتماعي وتطوره - الطبعة الأولـــي ١٩٥٤ - مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة - ص ١٥٨ وما بعدها - وايضاً ... & ... د / أحمد كمال ، وكرم حبيب ، علم الإجتماع المصري - طبعـة ١٩٧٣ - دار الجيل للطباعة - بالقاهرة - ص ١٦٠ وما بعدها . ...

٣- Pitirim - A sorokin - social and cultural Dynomico - Porter sargent Pubisher - Boston - 1957 - P 679 ets ....

٤- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٠ . ...

٥- د / مصطفي الخشاب - دراسة المجتع - طبعة ١٩٢٨ - القاهرة - مكتبـــة الأنجلو المصرية ص ٩٤ ، ص ٩٧ - أيضاً ... & ... د / أحمد الخشاب - دراسات في النظم الاجتماعية - طبعة ١٩٥٨ - مكتبة القاهرة الحديثـة - ص ٣٦٤ - وما بعدها...

P . Gardimer - theories of History - U.S.A . New York 1960 - P - 17 ets ...&... walter - A . Fairservis - P 214...............

٦- تاريخ الصيـــن - الجـزء الأول - ص٦ ، ص٧ - وأيضـــاً ... & ... ول ديورانـــــت - قصـــة الحضـــارة - الجـــزء الرابــــــع - ص ١٤ M.Granet . ... & ... .

.... PP 12 ets

... & ... وجيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهـــوا - موجـز تـــاريخ الصين - ص ٥ وما بعدها.............................

٧- E. Durkheim . fromes Elemenlaires de la Vie religieuse - Paris 1957 - pp . 128 ets ....

وأيضاً ... & ... ماكيفر – المجتمع – ترجمة أحمد عيسي – الطبعة الأولـي ١٩٧٣ – مكتبة نهضة مصر – القاهرة – ص ٣٣٣ – وما بعدهـا ... & ... د / عبدالسلام الترمانيني، محاضرات في تاريخ القانون – ص ١٦ . ...

٨- لمحة عن الصين – العدد ١٢٣ – الأوراق المقصوصة – ص ٢ وما بعدها .

٩- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابـــع ص ١٥ ....

Andre aymard et jeannine auboyer - P 574 ....

١٠- E . Hoebel - Man in the ptimitive world . New york - 1949 - P 348 ....

١١- & ... M . Granet - P 64 ... & ... walter fairservis - P 125 ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٥ – وأيضاً أنظر في الشأن روهن (Ro Xin) – وحدة الإنسان في فلسلفة الصيـــن القديمـــة – ترجمة الدكتور / محمد جلال عباس – القاهرة – إبرايـــل ١٩٨٩ – ص ١ ، ص٢ ....

١٢- د / فؤاد محمد شــبل – حكمـــة الصيـــن – ص ٣٥ ، ص ٤١ ، ص ٥٦ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابـــع – ص ٣٥ ، ص ٢٦ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابـــع ص ٣٥ ، ٢٦ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضـــارة – ص ٣٤٠ .... & ... walter . A . Fairservis - P 25

١٣- جيان بوه تشان – شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصيـــن – ص ٦ – وأيضـــــاً – تـــاريخ الصيـــــن – الجـــــزء الاول – ص ٨ ... & ... د / فـــؤاد محمـــد شـــبيل – حكمـــة الصيـــن – ص ٥٧ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٦ ، ص ١٧ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضـــارة – ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١ ....

Walter . A . Fairservis - P 127 ....

١٤- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٧ - وأيضاً ... & ... الصين - حقائق وأرقام - الطب الصيني - ص ١٠ ....

١٥- د/ حامد سلطان - القانون الدولي في وقت السلم - الطبعة الخامسة - ١٩٧٢ - دار النهضة العربية - ص ٧٦٤ وما بعدها . ...

١٦- د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - ص ٦٥ . ...

١٧- د/ صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٧ - دار النهضة العربية - ص ٣١٥ . ...

١٨- د / عادل بسيوني - التاريخ العام للنظم والشرائع - طبعة ١٩٩١ - ص ٢٣..

١٩- د / عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - الطبعة الخامسة - ١٩٦٥ - دار المعارف بالقاهرة - ص ٢٤ وما بعدها ....

٢٠- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٥٧ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٧ وما بعدها ... & ... رومن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٣ ...

٢١- M.GRANET - P 71 ets ....

٢٢- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣١ - ص ٣٣ - وأيضاً ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥٦ وما بعدها ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١١ ، ٢٢.......
Andre Aymard et jeannine avboyer - PP 575 ets ....

٢٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٣ ، ص ٢٦ ... & ... د/ نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٤ ... & ... فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٦ ، ص ٣٨ .....
Hemry thamas - P 48 - 51 & M.Granet - p 74 & Andre aymard et jeannine auboyer - P 577 ....

٢٤- د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٠، ٣٤١ - وأيضاً ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٥٠ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٤ - ص ٣٦ ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٢ ، ص ٣٢

ص ٤٠ ....

M . Granet - P 75 & walter . A . Fairservis - P 12 ....

٢٥- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٨ ... & ... ول ديورانت - حكمة الصين - الجزء الرابع - ص ٤٩ ... & ... نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٢ ... & ... رو من - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص٤

Max scheler - Mans plac Nature - New york - Monday Press - 1967 - P 390 ets ... & ... M . Granet - P 76 ....

٢٦- نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٨ - وأيضاً ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٩ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٨ ، ص ٣٩ ... & ... تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٢ ... & ... جيان بوه تسان - شاوشيتون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١٧.........

André Aymard et jeannine Auboyer - P 576 ....

Walter Fairsetvis - P 129 ....

٢٧- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٩ - ص ٥٩ - وأيضاً ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦ ، ص ٢٩ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٨ وما بعدها ... & ... روهن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٥ ، ص ٧ ....

Hemry thomos - Pp 49 - 57 ... & ... M Granet - P 77 ...

... & ...walter . A . Fairservis - PP 124 ets.....................

٢٨- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٠ . ...

٢٩- وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٧ - وأيضاً ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٣٠ وما بعدها ... & ... رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٨ وما بعدها ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٦٠ وما

بعدها..

Hemry thomas - PP 48 - 52 . ...

٣٠- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٣٣ ... & ... د /عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - القاهرة - ١٩٣٥ - مكتبة النهضة المصرية - ص ٥ وما بعدها..

Henry - Thomas - P 51 ....

٣١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٣٤ ، ٣٥ ......

٣٢- د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٢٥٠ ...

٣٣- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٦٤ - وأيضاً ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٠ ... & ... روص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٩......

٣٤- د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٧ - وأيضاً - تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢١ ... & ... رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٠ ، ١١

Henry thomas P 53 ....

٣٥- وليام لانجر - موسعة تاريخ العالم - ص ١٠٧ ... & ... رو ص . وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٢.......................................

Henry thomas P 58 ....

٣٦- Henry thomas - P 59 - 61 ....

٣٧- د / فؤاد محمد شبل - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٩ وما بعدها ... & ... وأيضاً فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٨٩ ، ص ٩٣ ... & ... وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٨ ....

٣٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٩ وما بعدها - وأيضاً ... & ... فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٨٩ ، ص ٩٣ - ... & ... وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٨ ....

٣٩- رو ص ن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٣ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٣

... & ... تــــاريخ الصيــــن - الجـــــزء الأول - ص ٢١

Walter Fairservis P 129 ets ....

٤٠- فؤاد محمد شبل - حكمة الصيـــن - ص ٦٩ ، ص ٨٥ - وأيضـاً ...

&... وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٩ ... & ... د / نـور

الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٩ ....

The world ency clopedia PP 179 - 190 ....

٤١- د / نور الدين إشراقية - معركة الحياة - الثــورة الفكريــة العالميــة -

النضال الثوري من أجل الوحدة العالمية - الطبعة الاولي ١٩٧٢ - مطابع دار

الكتب - بيروت - لبنان - ص ٢٢٧ . ...

٤٢- جورج ســارتون - تــاريخ العلــم - ص ٨٩.....................

Walter Fairservis - P 130 ....

٤٣- فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٦٨ ، ٩١ ... & ... د / نـــور

الديــن إشــراقية - معركــة الحيـــاة - ص ٢٢٩.......................

... & ... الإمام / محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - ص ٨٥.........

٤٤- جورج سارتون - تاريخ العلـــم - ص ٨٩ ... & ... ول يورانــت -

قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٤٦ وما بعدهـــا ... & ... رو صن -

وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١١ . ...

٤٥- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٧٠ وما بعدهــا -

وأيضاً - د / فــؤاد محمــد شــبل - حكمــة الصيـــن - ص ٩٤ ، ص ٩٥

... & ... وليام لانجر - موسوعة تــاريخ العــالم - ص ١٣٨ ... & ...

تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٨ ... & ... رو صن - وحدة الإنســان

في فلسفة الصين القديمة - الجزء الأول - ص ٢٨ ....

٤٦- د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضـــارة - ص ٣٥١ -

وأيضــاً ... & ... تـــاريخ الصيــــن - الجــــزء الأول - ص ٢٨

... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٢ .

٤٧- Andre Aymard et jeannine Auboyer - p - 602 ....

٤٨- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٩٨ - ص ١٠٥ . ...

٤٩- د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع - طبعة ١٩٧٢ - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٢٠٠ وما بعدها ... & ... د / بارودي - المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر - ترجمة محمد غلاب ، مراجعة د / إبراهيم بيومي مذكور - طبعة ١٩٥٨ - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٤٧ وما بعدها ... & ... د / أبو بكر محمد ذكري - تيسير فلسفة الأخلاق - طبعة ١٩٦٧ - دار التأليف بالقاهرة - ص ٧٧ وما بعدها .... & ... د / عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - طبعة ١٩٧٥ - مؤلفنا عن أصول الاخلاق - الطبعة الأولي - ١٨٩٨ - مكتبة النهضة المصرية - ص ٢٠ وما بعدها ....

٥٠- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٨ وما بعدها - وأيضاً ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٩٥ ، ص ١٠٨ ، ص ١١١ ، ص ١١٢ ، ص ١١٤ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٧٨ وما بعدها ... & ... وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٨ ....

٥١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٨٤ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٢٢ ، ص ١٢٣ ... & ... وليم لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٩ ... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ١٩ وما بعدها . ...

٥٢- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٢٤ . ...

٥٣- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٢٨ - ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - ص ٨٦ ... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٢١،٢٢ . ...

٥٤- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٢٣ وما بعدها . & ... وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١٠٨ . ...

٥٥- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٢٣ - ص ٣٠ - ... & ... أنظر في هذا الشأن - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - ص ٢٠٢ ... & ... د / بارودي - المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر -

ص ٥٠ ... & ... شارل فرتر الفلسفة اليونانية - ترجمة تيسير شيخ الأرض - الطبعة الأولي - دار الأنور - بيروت - لبنان - ص ٢٣٤ - وما بعدها ....

٥٦- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٣٥ وما بعدها ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٨٥ ... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٣١ . ...

٥٧- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٧ ... &... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١٥ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٤٠ وما بعدها .. M.GRANET - P 70 ets ....

٥٨- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ٢٩،٢٨ .. جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - ص ١٧،١٦ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٨٧ وما بعدها ... & ... نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٥ وما بعدها ... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة ص ٣٢ ، ص ٣١

HENRY THOMAS . P 55 ... & ... Andre Aymard et jeannine auboyer . p 604 ets ....

٥٩- برتراند رسل - حكمة الغرب - ص ٨١ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمةالصين - ص ٢٧٠ وما بعدها ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٨٦ ... & ... رو صن.وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٢٥ وما بعدها . ...

٦٠- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٢ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٩٧ وما بعدها . ...

٦١- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٢٧ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٩٨ وما بعدها ... & ... ول ديورانت - الجزء الثالث - قيصر والمسيح - ترجمة محمد بدران - جامعة الدول العربية - طبعة ١٩٦١ - القاهرة - ص ٥١ وما بعدها

... & ... د / أبو بكر محمد ذكري – تيسير فلسفة الأخــــلاق – ص ٣٧ ، ص ٣٨ ....

٦٢- جيان بوه تسان ، تشاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تـــاريخ الصيـــن – ص ٢٠ .... walter fairsetvis p 220

٦٣- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٧ ، ص ٢٨ .

٦٤- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٤٠ ... & ... رو صن – وحـــدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – ص ٢٩ . ...

٦٥- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٥٣ – وما بعدهـــا ... & ... تاريخ الصين – الجـــزء الأول – ص ٤٠ ... & ... د / نـــور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضـــــارة – ص ٣٥١ ، ص ٣٥٢ Walter Fairservis - P 130 & M . Granet . P 94 ....

٦٦- د / فـــؤاد محمـــد شـــبل – حكمـــة الصيـــــن – ص ١٥٢ ، ص ١٥٣ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٤٣ & جيـــان بـــوه تســـان – شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تـــاريخ الصيـــن – ص ٢٨ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٣٦ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وأخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٦٠ .... Qin shi - China - P 181 ... & ... Walter Fairservis - P 131 .

٦٧- تاريخ الصين – الجـــزء الأول – ص ٥٨ ، ص ٥٠ ... & ... وليـــام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٩ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٨٦ وما بعدها ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشـــيون تشـــنغ ، هوهـــوا – موجـــز تــــاريخ الصيـــــن – ص ٢٨ ... & ... رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصيـــــن القديمـــة – ص ٢٦ ... & ... الصين حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٥ ، ص ٦

٦٨- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ١٥٤ ... & ... وليام لانجر – موسوعة تاريخ العالم – ص ١٠٩ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشـــيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢٨ . ...

٦٩- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ١٥٠ – ص ١٥٥.........

٧٠- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٣٥ وما بعدها

٧١- وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - ص ١١٠ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٣٨ ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ١٤٠ ، ص ١٤٧ ... & ...
M.Granet - P 132 - Andre Aymard et jeannine Auboyer - P 614..

٧٢- Walter Fairservis - p - 172 ....

٧٣- Walter Fairsetvis - P 207 ...& ... K.M. Pamikkar - PP 488 - 497 ... & ... Eduin partt - Christioizing chaina - landon 1913 - PP 27 ets ... د / ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٩٣ وما بعدها ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٥ وما بعدها ... & ... الموسوعة العربية الميسرة - ص ١٣٢٣ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٨ وما بعدها ... & ... رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٣٠ ، ص ٣١ ....
F.Ricard . Conversiom of the Million in chaina - N.Y . 1925 - PP 5 ets ... & ... R . Grousset - P 4 ets ....

*** القسم الثاني : مراحل ظهور القانون - وأهم شرائع وأحكام قوانين الصين القديمة :

١- Goaston - may - introduction a la science du droit - paris - 1932 - PP 6 ets ....

الباب الأول : مراحل ظهور القانون في المجتمع الصيني القديم :

١- Radclif Brown - struclurd and Function inprimituve - Society - London - 1952 - PP 181 - 186 ....

الفصل الأول : مرحلة العدالة الخاصة .

١- Caston May . P . 57 ....

٢- د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - ص ١٠ - ومـــا بعدها . ول ديورانت - قصة الحضارة - المجلـــد الأول - الجـــزء الاول - ترجمة زكي نجيب محمود - طبعة ١٩٤٩ - القاهرة - ص ٤٠ ومـــا بعدهـــا W. Rivers . The todas - london - 1906 - PP ... & .... 477 - 480 ....

٣- H.Hogbin . law and order in polynesia . New york - 1934 - P . 135 ....

٤- Walter . A . Fairservis - P . 125 ....

٥- P. Mammond . Cultural and social Antropology New york - 1964 - P 150 ....

٦- انظر في هذا الموضوع - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجـــزء الأول - نشأة الحضارة - الفصل الثالث - ص ٥٠ وما بعدهـــا - ... & ... Andre Aymard et jeannine Auboyer - PP 583 ets ...& ... H . Maspero - PP 8 ets ....

٧- H. Hogbin - PP 134 - 140 & Murdock - social structure . New york - 1949 - PP - 68 - 79 ... & ... Gremieu la justice prevèè these - paris - 1968 . PP . 22-37 ...& ... E. Hobel - Man in the primitive - Warld . New york - 1958 - PP 49 ets . Rad clife Brown - P 189 - 200 . ...

٨- Mac Lelennin primitive Marriage Edinburgh - PP 309 ets ...&.. E. Hoebel - PP 316 ets ...&... R. Pallray . Ashanti . law and constitution . ox ford . 1927 - PP 304 - 314 .

٩- Andre Aymard et jeannine Auboyer - P . 588

١٠- د . عبدالسلام الترمانيني - ص ٢٤ & د / عادل بسيوني - ص ٣٠ ...

١١- M.Granet - PP - 27 ets ....

١٢- R.Grousset - P 16 ...&... H. Maspero - PP 11 ets .

...&... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الأول – ص ٣٥ وما بعدها

– فوستيل دي كولانج – المدينة العتيقة – ص ٧٧ وما بعدها ....

١٣- جيان بوه تسان – شاوشيون تشنغ – هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٦ ...&... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٨ . ...

١٤- Waline - L'indevidualisme et la droit - paris - 1945 - PP 89 ets ....

– وأيضاً د / محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – ص ٣٦ وما بعدها ....

١٥- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٧ . ...

الفصل الثاني : مرحلة تهذيب القوة .

١- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الأول – ص ٥١ ....

٢- M. Granet - P 18...

٣- R.Wilhelm - short Hislory of china R. Gousset - P 22 Civilization - Naw - York - 1952 - P 62..

و ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٧٧ ....

٤- د / عبدالسلم الترمانيني – ص ٥١ ...&... ود / عادل بسيوني – ص ٣٣ .

٥- Diamond - L'evolution de la loi et de . L'ordre - Trad Farm lacques David Paris - 1954 - PP . 35 ets ....

... & ... – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الأول – ص ٤٨ وما بعدها

٦- Wester mack - L'origine et la developpement des idus morales . Trad frpayat . Paris - 1928 - PP 281 ets&Diamomd - L'evalution de la loi de L'ordre - Pp 28 ets . ...

٧- د / عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – ص ٣٥ . ...

٨- Diamond - PP 38 - 40 ...&... L . Delaporte - LO mesopotamie les civilisation baby Lonienne et esoyrienne . paris - 1923 - PP 79 - 85 . ...

٩- دل ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الاول – ص ٥١ . ...

١٠- د / عادل بسيوني – التاريخ العام للنظم والشرائع – ص ٣٦ ، ٣٨ . ...

١١- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٣٨ – وأيضاً – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الأول – ص ٤٩ . ...

١٢- Glotz - La solid arite de la famille - dons la droit Griminel en Grece - Paris - 1904 - PP . 20 - 55 ...&... M . Granet . PP . 17 - 22 ...&... Diamamd ... PP 48 - 51 ....

ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الأول – ص ٥٠ ، ص ٥٣ ... & ... د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٣٢ – السيرجون أ هامرتن – تاريخ العالم – ص ٤٦٢ – ٤٧١ ... &... د / صوفي حسن أبو طالب – مبادئ تاريخ القانون – ص ٧٨ وما بعدها ... & ... د / فوزي درويش – الشوق الأقصي – الصين واليابان – ص ١١ – ص ٢٥ . ...

١٣- د / محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – ص ٨٢ وما بعدها .

١٤- C.D. Boualger - History of china - London - 1964 - P 54 ets .

وايضاً – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء – ص ٥١ – ص ٥٢ ....

١٥- Moc Lelennan - PP 312 ets ...& ... E . Hoebel . PP 319 ets ...& R Grousset - PP 21 - 29 . ...

١٦- الصين – حقائق وأرقام – تاريخ أربعة آلاف سنة – ص ٢ . ...

١٧- R. wilhelm - PP 44 ets ....

ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٧٨ وما بعدها ... &... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٧ ....

الفصل الثاني – مرحلة ظهور القواعد الدينية .

١- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٣١ ... & ... د / أحمد الخشاب – دراسات في النظم الاجتماعية – ص ٣٦٤ ....

٢- د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - ص ٩ وما بعدها ... & ... واكيفر - المجتمع - ص ٣٣٢ ...&... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٣٩ . ...

٣- Amdre Aymard et jeannine Auboyer . p . 573 ....

٤- د / محمد عبدالهادي الشقنقيري - مذكرات في تاريخ القانون المصري - ص ٧٥ وما بعدها . ...

٥- د / إبراهيم أبو الغار - علم الإجتماع القانوني - ص ١٩١ - وما بعدها ... & ... ماكيفر - المجتمع - ص ٣٣٣ وما بعدها . ...

٦- Walter . A Fairsevis - PP ....
207 ets ....
... & ...د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣١ ....

٧- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٤ - ص ١٧ ... &... د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٠ ....

٨- Walter . A. Fairservis - PP 123 - 127 ....
... & ... د / احمد قسمت الجداوي - حرية الدولة في مجال الجنسية - طبعة ١٩٨٣ - كلية الحقوق - جامعة عين شمس - ص ٤٥ . ...

٩- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٢ - وما بعدها ....

١٠- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٤٤ ...&... د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ٤٧ وما بعدها ... & ... د / محمد عبدالهادي الشقنقيري - مذكرات في تاريخ القانون المصري - ص ٧٥ ... & ... د / عادل بسيوني - التاريخ العام للنظم والشرائع - ص ٤٠

١١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥٦ وما بعدها ... & ... د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٦٩ - ص ٧١ ....

R.Grousset - PP 27 ets ...& ... M . Granet . P . 18 ....

١٢- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الأول - ص ٥١ . ...

١٣- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعيـــة ص ١٦٩ - ومـــا بعدهـــا ...&... د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ٥٦ - ومـــا بعدهـــا ... & ... د / عادل بسيوني - التاريخ العام للنظم والشرائع - ص ٤٠.........

١٤- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٠ ... & ... ول ديورانت - قصـــة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥٨ وما بعدها ... & ... السيرجون .أ. هـــامرتن - تاريخ العالم - ص ٤٦٧ - وما بعدها ....
Henry thomas - PP 47 - 63 ...&... welter . A . Fairservis - P 130 .

١٥- M.Granet P . 19& E Durkheim - P 128 .&.. Goston . May - PP 13 - 17 - وأيضاً - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٥٩ - وما بعدها ....

١٦- Amdre Aymard et jeammime Auboyer - PP 575 - 578 ...&... Du meme - PP 8-12 . - ول ديورانت - قصة الحضـــارة - الجـــزء الرابع - ص ٢٦٠ . ...

١٧- Amdre Aymard et jeannine Auboyer - PP - 578 - 580 ...&...walter A.Fairservis - P 130 ....

١٨- د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضـــارة - ص ٣٤٥ ... & ... ول ديورانت - قصـــة الحضـــارة - الجـــزء الرابـــع - ص ٢٦١ ومـــا بعدهـــا .
R . Grousset . PP 12 - 25 . ...

الفصل الرابع : مرحلة ظهور القواعد العرفية .

١- Sumner Maine. Ancient law - Londen - 1920 - PP 12 ets ...&... Gaston May .. PP 77 ets ....

٢- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦٣ وما بعدها ....

٣- ول يورانت - قصة الحضارة - الجزء الاول - ص ٥٣ ....

٤- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعيـــة - ص ٧٢ ومـــا بعدهـــا ... & ... د / صوفي ابو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ٨٧ .

٥- د / عز الدين فوده - محاضرات في التحكيم والقضاء - ألقيت على طلبة الدراسات العليا - بكلية حقوق عين شمس - عام ١٩٧٩/١٩٨٠ - ص ٤ وما بعدها ....

٦- Sumner - Maine - Early lour and customs - London - 1923 - P 17..............................

٧- ول ديورانت - الجزء الرابع - ص ٢١ وما بعدها ....

٨- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ص ٣ وما بعدها ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣١ - ومابعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٢ وما بعدها ....

٩- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢١ وما بعدها ....

١٠- د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ٨٨ ....

١١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦٩ وما بعدها.........

١٢- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٩ . ...

١٣- Walter . A Fairservis - PP 135 ets . ...

١٤- Roscoe Pound - AN introdution To the philosophy of law . The colonial press inc - chinton mass - U.S.A. 1959 . PP 15 ets . . . .

١٥- M.Granet - PP 31 ets ....

١٦- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٨ ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٣٣ ...&... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥ وما بعدها ....

١٧- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٩ وما بعدها ...&... د / نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٨ وما بعدها ... & ... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٨ - ص ٣٠

١٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦٥ وما بعدها ... & ... انظر مؤلفنا عن المضمون الأخلاقي لقواعد القانون - طبعة ١٩٨٩ - دار النهضة العربية - ص ٧ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم - موجز تاريخ الصين - ص ٣٤٩ وما بعدها

الفصل الخامس : مرحلة تدوين القانون .

١- د / فخري أبو سيف - دراسات في تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ص ٧٥ وما بعدهـا ....

Sumner Maine . P . 17 ets &-Gaston May - P 91 ets . ... & ...

٢- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٧٥..............

٣- د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ ....

٤- د / علي بدوي - أبحاث في التاريخ العام للقانون - ص ٣٨ وما بعدها ....

٥- د / فخري أبو سيف - دراسات في تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - ص ٧٦

٦- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٦٣ وما بعدها ....

٧- Diamond - PP 164 ets . ...

٨- Gaston May PP 40 ets ...&... Sumner Maine - P 12 ....

٩- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٧٤ وما بعدها ......

١٠- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الأول - ص ٥٤ وما بعدها .

١١- د / فخري أبو سيف - دراسات في النظم الاجتماعية والقانونية - ص ٧٧ .

١٢- د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٧٥ ....

١٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٦٥ وما بعدها ....

١٤- د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - ص ٦٥ وما بعدها

١٥- د / محمود السقا - أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة - طبعة ١٩٩٧ - القـاهرة - دار النهضة العربية - ص ١٣٣ وما بعدها ....

١٦- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١١ ، ١٢ ....

١٧- د / شفيق شحاته - التاريخ العام للقانون - طبعة ١٩٦٤ القـــاهرة - ص ٢٩١ وما بعدها ...&... د / عبدالمجيد الحفناوي - تاريخ النظم الاجتماعية والقانونيـة - طبعة ١٩٧٥ - الاسكندرية - ص ٢٧٧ وما بعدها ....

١٨- إدوار غالي الذهبي - تاريخ النظـــم القانونيـــة والاجتماعيـــة - طبعـــة ١٩٧٦ - القاهرة - ص ١٧٥ وما بعدها . ...

١٩- د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - ص ١٤٧ - ص ١٥٠ ......

٢٠- د / عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - طبعة ١٩٦٤ - الاسكندرية - ص ١٢٤ وما بعدها ... &... د / محمود سلام زناتي - نظم القانون الروماني - طبعة ١٩٦٦ - القاهرة . دار النهضة العربية - ص ٤٨ وما بعدها ....

٢١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢١ وما بعدها ....

٢٢- Andre Aymard et jeannine Auboyer - PP 214 ets . ...

٢٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٢ ....

٢٤- د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - ص ٢٩٥ وما بعدها وأيضاً .. د / محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ص ٢٧١ وما بعدها ....

E. Revillout . Les origines Egyptinnes du droit Romaim Paris 1912 - P 12 ets...

٢٥- د / صوفي أبو طالب - مبادئ تاريخ ا لقانون - ص ١٤٧ وما بعدها ... & ... د / عبدالمنعم البدراوي - تاريخ القانون الروماني - طبعة ١٩٤٩ القاهرة . ص ١٣ وما بعدها ....

٢٦- Andre Aymard et jeannine Auboyer - P 204 ...&... L. Delaport - les Hittite - Paris - 1936 - PP 71 ets ....

٢٧- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٨ ....

٢٨- د / فخري أبو سيف - دراسات في تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - ص ٧٧

٢٩- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٩ ....

٣٠- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٠ وما بعدها ... & ... د / فخري أبو سيف - دراسات في تاري النظم الاجتماعية والقانونية - ص ٧٨ - ص ٨٠ - د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٩...

٣١- د / شفيق شحاته - التاريخ العام للقانون - ص ٢٩٥ وما بعدها ....

٣٢- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ٢٨،٢٩ ...&... د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٦٣ وما بعدها ... &... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١٦ ....

الباب الثاني : أهم شرائع وأحكام قوانين المجتمع الصيني القديم .

١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥ ، ص ١٧ ....

٢- Walter A Fairservis - PP 126 ets ....

٣- د./ نور الدين حاطوم وأخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٠ وما بعدها

٤- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١١،١٠ ....

٥- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٧ ....

٦- الصين - حقائق وأرقام - تاريخ أربعة آلاف سنة - ص ٣ ....

٧- L.Delaporte . Les Hittite - P 65 ....

٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٥ وما بعدها ....

٩- R.H Robins A short History Of Linguistics - Longman . London and New - York - 1990 - PP 31 ets ....

١٠- Walter A . Fairservis - the Origins of oriental civilization - PP 125 ets ....

١١- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٢ وما بعدها ....

١٢- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤١ ....

١٣- Andre Aymard et jeannine Auboyer - P 580 ....

الفصل الأول : أهم شرائع وأحكام قوانين العصر الملكي .

١- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٢ ....

٢- Andre Aymard et jeannine Auboyer - P 583 ....

٣- جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٨ ....

٤- Walter . A. Fairservis - P 210 ....

٥- ول ديوارنت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٨ ....

٦- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٣ ....

٧- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٩ ....

٨- Andre Aymard et jennine Auboyer - P 584 ....

٩- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٤ ... & ... - جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ٨ ....

١٠- تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٤ ....

١١- جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١٠، ١١

١٢- Andre Aymard et jennine Auboyer - P 588 ....

١٣- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٨، ١٩ ....

١٤- تاريخ الصين - الجزء الاول - ص ١٥ ....

١٥- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٨ وما بعدها ... & ... د / فخري أبو سيف - تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - ص ٧٩، ٨٠ ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢١ ، ٢٢ ....

١٦- تاريخ الصين - الجزء ا لأول - ص ١٧ ....

١٧- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٢ وما بعدها
Andre Aymard et jennine Auboyer - P 588 ....

١٨- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢١ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤١ وما بعدها .

١٩- Andre Aymard et jennine Auboyer - P 585 ... & ... - تاريخ الصين - الجزء الأول - ص ١٦ ....

٢٠- د / نور الدين حاطوم وآخرين - موجز تاريخ الحضارة - ص ٣٤٥
Andre Aymard et jennine Auboyer - P 582..........

٢١- ول ديورانت - قصة الحضارة - ص ٣٤٥ وما بعدها . ...

٢٢- ول ديورانت - قصة الحضارة - ص ٢٧٩ وما بعدها . ...

٢٣- Andre Aymard et jennine Auboyer - P 591 ... & ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ٢٧٨ وما بعدها

٢٤- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - ص ٢٩ وما بعدها ... &... جيان بوه تسان - شاوشيون تشنغ - هوهوا - موجز تاريخ الصين - ص ١١ ص ١٢ ... ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - ص ١٩ ، ص ٢٦٨ وما بعدها .
H . Maspero - PP 75 ets &. Andre Aymard et jeannine Buboyer . P 588 ....

الفصل الثاني : أهم شرائع وأحكام قوانين عصر الانفصال .

١- تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٢٣ وما بعدها ....

٢- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٠.............................

٣- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٦٧ وما بعدها
.. & .. د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٥ وما بعدها ....

٤- ول ديورانت – قصة الحضارة – ص ٢٠ وما بعدها
.. & .. تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٢٤ ....
وما بعدها ....

R. Grousset – PP 91 ets ....

Andre Aymard et jeannine Auboyer – P 582 . ...

٥- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٠ ....

٦- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٤٦
.. & .. د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٦٣ ، ص ١٢٢
.. & .. ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٦١ وما بعدها ،
ص ٨٤ وما بعدها ... & ....

Henry thomas . P 48 ... & ... M . Granet . PP 96 ets.............

.. & .. رو صن . وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – ص ٥ وما بعدها .

٧- CF . O . V . Bogdanov – le derarmement a la lumiere du droit internotional – Paris 1958 – PP 98 ets ... & ... Andre cades . le desarmement devant la societe des nations . Paris . 1929 – PP 16 ets . ...

...& ... د / أحمد سويلم العمري – أصول العلاقات السياسية الدولية – ص ٤٥ وما بعدها ... & ... د / حسني محمد جابر – القانون الدولي العام – الطبعة الأولي ١٩٧٣ القاهرة – دار النهضة المصرية – ص ١٥٦ ....

... & ... د ونالد برينان – نزع السلاح وحظر التجارب الذرية – ترجمة وتقديم الدكتور رائد البراوي – الطبعة الأولي – القاهرة ١٩٦٢ – ص ١٠ وما بعدها ... & ...

د / عبدالفتاح اسماعيل – جهود الأمم المتحدة لنزع السلاح ١٩٧٢ القاهرة – مطبعة دار العالم العربي – ص ٢٢ وما بعدها ....

٨- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٢٤٤ وما بعدها ، ص ٢٦٥ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة -- ص ٣٤٣ وما بعدها ... & ... د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٦٣ وما بعدها ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ١٧ ، ص ٢٩ ... & ... جيان بوه تسان ، شلوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ١٤ وما بعدها ....

R. Grousset – P 97 ... & ... K.M. Panikkar – PP .... 87 ets ... & ... Andre Aymard et jeannine aboyer – PP 589 ets ... & ... M . Granet – PP 103 ets . ...

الفصل الثالث : أهم شرائع وأحكام قوانين العصر الأمبراطوري

١- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٠ وما بعدها ... & ... جيان بوه تسان ،شاوشيون تشنغ ،هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٣٤ وما بعدها ... & ... لمحة عن الصين – رقم ٣٨ – سور الصين العظيم – ص ٢ وما بعدها ... & ... بو جيان قوه – تاريخ وثقافة قانسو – ص ١٤ ... & ... د / صوفي إبوطالب – مبادئ تاريخ القانون – ص ١٥٥... & ... د / محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – ص ١٢٠ وما بعدها ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع . ص ٢٢ وما بعدها . ص ٩٧ وما بعدها ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٣ وما بعدها ... Walter A . Fairservis – PP 220 ets ... & ... . Granet p 113 ets ... & ... D.C. Boulger – pp 68 ets . ...

٢- تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٧ وما بعدها ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠١ وما بعدها ... & ... نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٤ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢٠ ....

٣- Boulger . P 105 ... &... M . Granet . PP 38 – 40 ... & ... R. Grousset – PP 91 – 97 ....

ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠٣ ، ص ١٠٥ ... & ... د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٤ ، ص ٣٥٥ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٩ ، ص ٤٠ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢٠ .

٤- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠٥
R,Grousset – P 91 – 97 ... & ... M . Granet . P 41..............

٥- د / نور الدين حاطوم وآخرين – موجز تاريخ الحضارة – ص ٣٥٤ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠٦ ، ص ١٠٧ ... & ... تاريخ الصين – الجزء الاول – ص ٤٤ ....
D.C.Boulger . P 107 ... & ... R. Wilholm . PP 186 – 194 ......

٦- تاريخ الصين – الجزء الرابع – ص ٤٦ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢٥
D.C.Boulger . PP 117 – 120 ... & ... R. Wilhelm . op . Cit . p 197 ....

٧- M . Granet – PP 116 – 118 ....

٨- فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٢٩ ... & ... جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا ... & ... موجز تاريخ الصين – ص ١٩ وما بعدها ... & ... السير جون . أ هامرتن – تاريخ العالم – ص ٣٦٤ وما بعدها . ...
D . C . Boulger . PP 129 ets ... & ... R. Wilhelm . P 203 ets ...&... Walter A . Fairservise . Pp 128 ets ... & ... Henry thomas . P . 48 ... & ... R . Grousset – P 121 ets . ...

٩- د / جعفر عبدالسلام – مبادئ القانون الدولي العام – دار النهضة العربية – طبعة ١٩٨٦ – القاهرة – ص ٧٩٤ ... & ... ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٥١ وما بعدها ... & ... تاريخ الصين – الجزء الأول – ص ٣٨ وما بعدها ... & ... جيان بوه تسان – شاوشيون تشنغ ، هوهوا – موجز تاريخ الصين – ص ٢١ وما بعدها ....

K. M. Panekkar . PP . 477 ets ... & ... L . Brounlie . international Law and the use of Force by states . Oxford . 1968 . PP 3 ets ... & ... David kahn – scientists of code analysis ...civilized study . New York .1966:P.136....

الخاتمة :

١- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ١٠ ....

٢- د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – ص ٧ ....

٣- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – ص ٦٢ ....

٤- تعليق د / محمد بدران في كتاب ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع في هامش صفحة ٦٢ ....

٥- الإمام / أبو الفداء اسماعيل بن كثير – قصص الأنبياء – الطبعة الأولى ١٩٨١ – القاهرة – دار التراث العربي – ص ٢١ ....

كشـــاف

=====

[فهرس أبجدي]

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- د. إبراهيم أبو الغار – علم الاجتماع القانوني – طبعة ١٩٧٨ – القاهرة – دار المعارف المصرية.

- الإمام/ أبو الفداء إسماعيل بن كثير – قصص الأنبياء – الطبعة الأولى ١٩٨١ القاهرة – دار التراث العربي.

- د. أبو بكر محمد ذكري – تيسير فلسفة الأخلاق – طبعة ١٩٦٧ – دار التأليف بالقاهرة.

- د. أحمد الخساب – دراسات في النظم الاجتماعية – طبعة ١٩٥٨ – مكتبة القاهرة الحديثة.

- د. أحمد سويلم العمري – أصول العلاقات السياسية الدولية – الطبعة الثالثة – ١٩٥٩ – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

- د. أحمد قسمت الجداوي – حرية الدولة في مجال الجنسية – طبعة ١٩٨٣ – القاهرة – كلية الحقوق – جامعة عين شمس.

- د. أحمد كمال، د. كرم حبيب – علم الاجتماع الحضري – طبعة ١٩٣٧ – دار الجيل للطباعة بالقاهرة.

- د. إدوار غالي الذهبي – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – طبعة ١٩٧٦ – القاهرة

- د. جعفر عبدالسلام – مبادئ القانون الدولي العام – طبعة ١٩٨٦ – القاهرة – دار النهضة العربية.

- د. حامد سلطان - القانون الدولي العام في وقت السلم - الطبقة الخامسة - ١٩٧٢م - القاهرة - دار النهضة العربية.
- د. حسن محمد جوهر، عبدالحميد بيومي - مجموعة شعوب العالم - الصين - طبعة ١٩٦٥ - دار المعارف بالقاهرة.
- د. حسن محمد جوهر - محمد مرسي أبو الليل - شعوب العالم - الهند - الطبعة الأولى ١٩٦٥ - دار المعارف بالقاهرة.
- د. حسني محمد جابر - القانون الدولي العام - الطبعة الأولى ١٩٧٧ - القاهرة - دار النهضة العربية.
- د. شفيق شحاته - التاريخ العام للقانون - طبعة ١٩٦٤ القاهرة - دار النهضة العربية.
- د. صوفي حسن أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٧ - دار النهضة العربية بالقاهرة.
- د. عادل مصطفى بسيوني - التاريخ العام للنظم والشرائع - طبعة ١٩٩١ - القاهرة - كلية الحقوق - جامعة القاهرة.
- د. عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - الطبعة الأولى ١٩٦٤ كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا.
- د. عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - طبعة ١٩٧٥ - وكالة المطبوعات بالكويت.
- د. عبدالفتاح إسماعيل - جهود الأمم المتحدة لنزع السلاح - طبعة ١٩٧٢ القاهرة مطبعة دار العالم العربي.

- د. عبدالمجيد الحفناوي - تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - طبعة ١٩٧٥ - كلية الحقوق جامعة الإسكندرية.
- د. عبدالمنعم البدراوي - تاريخ القانون الروماني - طبعة ١٩٤٩ - القاهرة - مطبعة مصر.
- د. عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - القاهرة ١٩٤٥ - مكتبة النهضة المصرية.
- د. عز الدين فوده - محاضرات في التحكيم والقضاء ألقيت على طلبة الدراسات العليا بكلية الحقوق جامعة عين شمس عام ١٩٧٩/١٩٨٠.
- د. علي بدوي - أبحاث في التاريخ العام للقانون - طبعة ١٩٣٩ القاهرة - مطبعة مصر .
- د. علي بدوي - مبادئ القانون الروماني - الجزء الأول - طبعة ١٩٣٦ - القاهرة مطبعة مصر.
- د. عمر ممدوح مصطفى - القانون الروماني - طبعة ١٩٦٤ - دار المعارف.
- د. فخري أبو سيف مبروك - دراسات في تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية - كلية الحقوق جامعة المنصورة - طبعة ١٩٨١/١٩٨٢.
- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور - الجزء الثالث ١٩٦٨ - تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلسفية ونشره بدار المعارف بالقاهرة.
- د. فوزي درويش - الشرق الأقصى - الصين واليابان - ١٩٦٣ - القاهرة - دار المعارف.
- د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥ - القاهرة - دار الفكر العربي.

- د. محمد شفيق غربال - الموسوعة العربية الميسرة - القسم الثاني - طبعة ١٩٦٥ - دار الشعب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
- د. محمد طلعت القنيمي - بعض الاتجاهات الحديثة في القانون الدولي العام - قانون الأمم - طبعة ١٩٧٤ - منشأة المعارف بالإسكندرية.
- د. محمد عبدالهادي الشقنقيري - مذكرات في تاريخ القانون المصري - طبعة ١٩٨٤ - كلية الحقوق - جامعة عين شمس - القاهرة.
- د. مصطفي الخشاب - دراسة المجتمع - طبعة ١٩٢٨ - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية.
- د. مصطفي الخشاب - تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره - الطبعة الأولى ١٩٥٤ - مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة.
- د. محمود سلام زناتي - تاريخ القانون المصري - طبعة ١٩٦٦ - القاهرة - دار النهضة العربية.
- د. محمود سلام زناتي - نظم القانون الروماني طبعة ١٩٦٣ - القاهرة - دار النهضة العربية.
- د. محمود عز العرب السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - الطبعة الأولى ١٩٧٠ - القاهرة -- مكتبة القاهرة الحديثة.
- د. محيي الدين فوزي، د. إبراهيم عارف كيره - مذاهب وشخصيات - شواين لاي - وقفزة الصين للإمام - الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة - ١٩٩٥
- د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - الثورة الفكرية العالمية - النضال العربي الثوري من أجل الوحدة العالمية - بيروت - لبنان - ١٩٧٢

- د. نور الدين حاطوم – دراسة مقارنة في القوميات الألمانية والإيطالية والأمريكية والهندية – طبعة ١٩٦١ القاهرة – معهد البحوث والدراسات العربية – جامعة الدول العربية.

- د. نور الدين حاطوم، د/ نبيه عاقل ، د / أحمد طربين ، د/ صلاح مدني { أعضاء قسم التاريخ بكلية آداب جامعة دمشق لسوريا] – موجز تاريخ الحضارة – طبعة ١٩٦٤ دمشق – سورية

ثانيا : – المراجع المترجمة:

- السير. جون – أ. هامرتن – تاريخ العالم – ترجمة وزارة المعارف المصرية – المجلد الأول – طبقة ١٩٢٨. القاهرة.

- الصين ... حقائق وأرقام – الأشغال اليدوية الفنية – دار النشر باللغات الأجنبية – بكين – الصين – ١٩٨٩.

- الصين ... حقائق وأرقام – الطب الصيني – دار النشر باللغات الأجنبية – بكين – الصين – ١٩٨٨

- الصين ... حقائق وأرقام -- تاريخ أربعة آلاف سنة – إعداد مجموعة من كبار المؤرخين الصينيين – دار النشر باللغات الأجنبية – بكين – الصين - ١٩٨٨.

- أنيس. ل. كلود – النظام الدولي والسلام العالمي – ترجمة الدكتور عبدالله العريان – طبعة ١٩٦٣ – القاهرة – دار النهضة العربية.

- أوتو كلينيبيرج – البعد الإنساني في العلاقات الدولية – ترجمة لجنة من المتخصصين – مراجعة د. طه عبدالرؤوف [غير محدد سنة الطبع] مكتبة الوعي العربي بالقاهرة.

- د. روجيه بارودي – المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر – الطبعة الثانية – ترجمة محمد غلاب – مراجعة الدكتور إبراهيم بيومي مدكور – طبعة ١٩٥٨ – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية.

- برتراند رسل – حكمة الغرب – الجزء الثاني – لندن – ١٩٦١– ترجمة الدكتور فؤاد زكريا – الطبعة الأولى ١٩٦٣م – عالم المعرفة بالكويت.

- تاريخ الصين – الجزء الأول – إعداد مجموعة من علماء التاريخ في الصين – الطبعة الأولى ١٩٨٦ – مطبعة اللغات الأجنبية ببكين – قامت بنشره مجلة بناء الصين – وتم توزيعه من خلال الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب [كوزي شوديان] ص.ب ٣٩٩ بكين – الصين.

- تشين شي – الصين – الطبعة الأولى ١٩٩٢٠ – مطبعة اللغات الأجنبية – دار النجم – بكين – الصين.

- جاك. س . ريسلر – الحضارة العربية – ترجمة غنيم عبدون – مراجعة الدكتور/ أحمد فؤاد الأهواني – [غير محدد سنة الطبع } – القاهرة – الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة .

- ح .ل . مايرز – فيم المدنيات المنظمة – لندن ١٩٢٨ – ترجمة وزارة المعارف المصرية في عام ١٩٣٥ بإذن من شركة الطباعة المتحدة في لندن .

- جورج سارتون – تاريخ العلم – الجزء الثاني – نيويورك ١٩٥٢ م – ترجمة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مؤلفة من د. إبراهيم بيومي مدكور، د. محمد كامل حسين، د. قسطنطين زريق، د. محمد مصطفى زيادة – الطبعة الثانية – أكتوبر ١٩٧٨ – دار المعارف بالقاهرة.

- جيان بوه تسان، شاوشيون تشنغ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مطبعة اللغات الأجنبية - بكين توزيع الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب [كوزي شوديان] بكين - الصين - الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- دراسة اللغة الصينية في موطنها - تأليف الجمعية الصينية لتدريس اللغة الصينية للأجانب - دار النشر معهد اللغات الأجنبية ببكين - الطبعة الأولى ١٩٨٩.
- دونالد برينان - نزع السلاح وخطر التجارب الذرية - ترجمة وتقديم الدكتور / رائد البرادي - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٦٢.
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - ترجمة الدكتور محمد جلال عباس - القاهرة - إبريل ١٩٨٩.
- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - ترجمة تيسير شيخ الأرض - الطبعة الأولى ١٩٦٨ - دار الانوار - بيروت - لبنان.
- شري راما اندرلديفا - عقيدة الكرما - منظور سوسيولوجي - ترجمة د. فرحات بهجت توما - طبعة ١٩٨٩ - كلية آداب جامعة القاهرة.
- فوستيل دي كولا نج - المدينة العتيقة - ترجمة عباس بيومي - الطبعة الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٦٤.
- لمحة عن الصين - العدد ١٢٣ - الأوراق المقصوصة الشعبية - دار النجم للنشر - مطبعة اللغات الأجنبية - بكين - الصين - ١٩٩٠.
- لمحة عن الصين - منطقة شينجيانغ الويغورية - مطبعة اللغات الأجنبية - ١٩٨٩ - دار النجم للنشر - بكين - الصين.

- لمحة عن الصين – العدد ٤٩ – اختراعات الصين الأربعة العظيمة – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين – الصين – مجلة الصين المصورة – ديسمبر ١٩٨٤.

- لمحة عن الصين – العدد ١٣٨ – سور الصين العظيم – دار شين شينغ للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية – أغسطس ١٩٩٢ – بكين – الصين.

- لمحة عن الصين – رحلة استطلاعية للمضايق الثلاثة – دار شين شينغ للنشر – بكين – الصين – ١٩٩٣.

- لمحة عن الصين – العدد ١٤٠ – الأقليات القومية في الصين – دار شين شينغ للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية ١٩٩٢ – بكين – الصين.

- لمحة عن الصين – العدد ١١٧ – المتاحف والقاعات التذكارية في بكين – مطبعة اللغات الأجنبية – مجلة الصين المصورة – بكين – الصين – ١٩٨٩.

- لمحة عن الصين – العدد ٢٢٩ – فن الحرب لسون وونتسي – أول كتاب عالمي حول فن الحرب – دار تشين شينغ للنشر – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين – الصين – ١٩٩٦.

- لمحة عن الصين – رقم ٢٩٧ – مواقع التراث العالمي في الصين – دار شين شينغ للنشر – إبريل ١٩٩١ – مطبعة اللغات الأجنبية – بكين – الصين .

- لمحة عن الصين – رقم ١٢٠ – فنون الكهوف الحجرية – مايو ١٩٩٠ – دار النجم الجديد للنشر – بكين – الصين.

- لويس بازان – وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي – ترجمة د. محمد جلال عباس – طبعة ١٩٨٩ – القاهرة.

- مارسيل كاشان، هنري دنيس ، كلودا روا، أو يلسنتز - الصين في موكب النور - ترجمة ميشيل سليمان - منشورات مكتبة المعارف - بيروت - لبنان - طبعة ١٩٦٥.

- ماكيفر - المجتمع - ترجمة أحمد عيسى - الطبعة الأولى ١٩٧٣ - القاهرة - مكتبة نهضة مصر.

- محمد أركون - وحدة الإنسان في النثر الإسلامي - طبعة ١٩٨٩ - كلية الآداب - جامعة القاهرة.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الكتاب الثالث - الشرق الأقصى - الصين - ترجمة محمد بدران - اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية - وقامت بنفقات طبعه ونشره لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ١٩٦٤ - القاهرة.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الأول - نشأة الحضارة - الفصل الثالث - القانون - ترجمة د. زكي نجيب محمود - طبعة ١٩٤٦ - القاهرة.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - المجلد الأول - جـ١ - ترجمة د. زكي نجيب محمود - طبعة ١٩٤٩ - القاهرة.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - قيصر والمسيح - ترجمة محمد بدران - الجزء الثالث من المجلد الثالث - قامت بترجمته ونشره جامعة الدول العربية - ١٩٦١ - القاهرة.

- وليام لانجر - موسوعة تاريخ العالم - الجزء الأول - ١٩٥٦ - مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر - نيويورك - ترجمة د. محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٥٢ - دار النهضة العربية.

• د. هنري جونسون – ترديس التاريخ – نيويورك ١٩٤٠ – ترجمة الدكتور أبو الفتوح رضوان – الطبعة الأولى ١٩٦٥ – القاهرة – دار النهضة العربية.

ثالثا : أهم المقالات:

• اليس جابر – العلاج بالإبر الصينية – مجلة هو وهي – العدد ١٩٤ – السنة السابعة عشرة – يوليو ١٩٩٣ – القاهرة.

• انجازات تساي لون في اختراع صناعة الورق – مقالة نشرت بجريدة الجمهورية المصرية – العدد الصادر بتاريخ ١٩٩٥/١١/١٥م – الصفحة رقم ١٢.

• بي تشو – العلامة سونغ ينغ شينغ وتاريخ الصين في استخراج الملح – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ لسنة ١٩٩١.

• تشي شين – بكين ... والحضارة الصينية – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ سنة ١٩٩١ – بكين – الصين.

• فريدة وانغ فو – ملتقى الحضارات – أول أسبوع ثقافي عربي في الصين – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ لسنة ١٩٩١

• لي جيان قوة – تاريخ وثقافة فانسو – مجلة الصين اليوم – العدد ١١ – ١٩٩١.

• هو رن تشي – سيمفونية التطور في بكين – مجلة الصين اليوم – العدد ١٠ سنة ١٩٩١.

• هو روي لي – العصر الذهبي للطب التقليدي الصيني – مجلة الصين اليوم – العدد ٣ لسنة ١٩٩١.

- هونغ بينغ – مدينة بنغياو ... أمس واليوم – مجلة الصين اليوم – العدد ١١ لسنة ١٩٩١.

رابعا : – المراجع الأجنبية :

- Abbe Louvet - La cochin china Religieuse - Paris - 1885.
- Admirai Grandiere - Les Debuts de L'occupation en cochin chine - Paris - 1871.
- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale Des civilisaations - Tome 1 - L'orient et la grece Antique - Paris - 1962.
- A. Rygaloff - vie de comfucius - Paris - P. U.F. 1946.
- Arthur Davenport - China from within - A study of opium fallacies and missionary Mistakes - London. 1904.
- A waley - trois courants de la pensee chimoise - trad. G. Deniker - Paris - 1949.
- B. Karl Gren - Prehistory of the chinese - Bull of the museum of for Eastern N15 - stockholm-1943.
- C.D. Boulger - History of China - London - 1964.
- CF. O. V. Boydonov - Le desarmement a la lumiere du droit international - Paris - 1958.

- China - Facts & Figures - the Great wall and the inperial palace - foreign languages Press - Beijine - China - 1990.
- David Kahn - Scientists of code analysis - Civilized study New York - 1966.
- Diamond. A - L'evolution de la loi et de L'ordre - trad fron, lacques Dovid - Paris - 1954.
- Du meme - les religions chinoises - publ. Musee Guimet - Bibl - de Diffusion . T. LV 111 - Paris - 1950 .
- Du meme - Etudes historiques - publ musee Guimet - Bibl - de Diffusion. T. Lix - Paris - 1950
- Du meme Le laoisme - publ - Musee Guimet - Bibl . de Diffusion t- LVII - Paris - 1950.
- Eduin Partt - christioizing China - London - 1913.
- E. Durkheim - Formes Elemenlaires de la vie Religieuse - Paris - 1952.
- Edwin Pratt - Christianizing China - London - 1913.
- E. Hoebel - Man in the primitive world - New York - 1958.
- E. jenkins - the goolie, His rights and wrongs - London 1871.
- Gardiner - A- theories of history U.S.A. New York - 1960.
- Gaston may - Introduction a la Science due Droit - Paris - 1932.

- George Gurvitch - Elements de sociologie jveidique - Paris - 1940.
- George H. Danton - Student Movement in China - School and Society May, 1921.
- G. Glotz - la solid de la Famille - dons la droit Griminel en Grece - Paris - 1904.
- Goaston may - Introduction a la Science du droit - Paris - 1932.
- Gremieu. La Justice Privee these - Paris - 1968.
- G. San Som - the western world - Japan - London - 1950.
- H. Breuil et R. Lantier. - Les hommes de la Pierre ancienne - paleoli thique et mesolithique - Paris, payot - 1951.
- Henry Maspero - La Chine Antique - T. IV. De l'Histoire du mande - Paris - de Boccard 1927.
- Henry Thomas - the Great Philosophers - published by doubleday & company, inc - New York. 1962.
- H. Hogbin. Law and order in Polynesia - New York - 1934.
- J. De Chelette - Monuel d'arch'eologie prehistorique celtique et gallo - romaine - 2t - Paris - 1945.
- J. Murdock - Social Structure - New York - 1949.
- .J. Sion - L'Asie des moussons - Paris - 1929.

- K. M. Panikkar - Asia and Western Domenance - London - 1951.
- L. Bach Hofer - Early indian sculpture - Paris - 1929.
- L. Brounlie - international law and the use of force by states - oxford - 1958
- L. Delaport - La Mesopotamie les civilisation baby lonienne et asayrienne - Paris - 1923.
- L. Delaporte - Les Hittite - Paris - A Michal - 1936.
- Li Tan Liang - China in Revolt - London 1927.
- Mac Kowed - History English Furniture - Age - of Mohogany - London 1910.
- Mac Lennan - Primitive Marriage Edinburgk - London - Print - 1952.
- Marcel Granet - La Civilisation Chinoise - Paris Albin Michel - 1929.
- Marshall. Broom hall - The Jubilee story of the China unland mission. Shanghai - 1915.
- Marshall Broom hall The Chinese Fmpire - General and Missionary survey. N. Y. 1907.
- Pitirim. A. Sorokin - Social and Cultural Dynomics - Parter Sorgent pubisher - Boston - 1957.

- P. Mohammond - Cultural and Social Antropology - New York 1964.
- Qin Shi - China - New Star Publisher - Beijing - China - 1993.
- Radclif Brown - struclurd and Function inprimituve society - London - 1952.
- Rene. Grosset - La Chine et son art - Paris - Plon - 1951.
- Rene Grousset, i. Auboyer, j. Burot - L'Asie orientale des origines au xv - Siecle - Paris, P. U. F. 1941.
- Ren Yanshi - Human Rights record in the united states - China intercontinental - Press - 1998.
- R. H. Robins - A short History of Linguistics - L'ongman - London and New York - 1990.
- Roscoe Pound - An introduction to the philosophy of law. The colonial Press inc - Clinton Mass - U. S. A. 1959.
- R. Pattray - Ashanti law and constitution - Oxford - 1927.
- R. Wilhelm - Short History of chinacivilization - New York - 1952.
- SogeDan, Admon San - A History of English wall paper - Exofored - 1926.
- Sumner Maine - Early law and customs - London - 1923.

- <u>Sumner Maine</u> - Ancient Law - London - 1920.
- <u>The world Encyclapedia of the Nation's</u> - Terad caseuem - Genive - Siwis Land - 1985.
- <u>Thomas Ennis</u> - French policy and Developments in indo-china-chicago - 1936.
- <u>Thomas cochrane</u> - survey of Missionary occupation of China - Shanghai - 1913.
- <u>T. Richard</u> - Conversion of the Million in China - Paris - 1933.
- <u>T. Waline</u> - Lindividualisme et la droit - Paris - 1945.
- <u>Walter. A. fairservis</u> - the Origins of Oriental Civilization - the New American Library.
- <u>Wang Tsi</u> - youthe Movement in China. N. y-1927.
- <u>Wester Mack</u> - L'origine et la developpement des idees morals - trad Frpayat - Paris - 1928. -
- <u>W. F. Ogburn</u> - Social Change with respect to culture and Original Nature - The viking press New York - 1952.
- <u>W. Rivers</u> - The todas - London - 1906.

للمؤلــــــف

أولاً : أهم الكتب المنشورة:

١- العلاقات الدولية في العصور القديمة - طبعة ١٩٨٨ - القــاهرة - مكتبــة الأنجلــو المصريـــة. ....

٢ - العلاقات الدولية في العصور الوســـطى - ١٩٨٨ - القــاهرة - مكتبــة الأنجلــو المصريـــة. ....

٣ - العلاقات الدولية في العصور الحديثـــة - ١٩٨٩ - القــاهرة - مكتبــة الشــروق.

٤- المضمون الأخلاقي لقواعــد القــانون - ١٩٨٩ - القــاهرة - مكتبــة الشــروق.

٥ - أصــول الأخـــلاق - ١٩٩١ - القــاهرة - مكتبـــــة النهضــــة المصريـــــة.

٦ - المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع - مراحل تطور الفكر القانوني في حضـــارات العـــالم القديـــم - ١٩٩١ - القـــاهرة - مكتبـــة النهضـــة المصريـــــة.

٧ - الإطار القانوني للمسئولية المدنية في العصور المختلفة - ١٩٩٢ - القاهرة - مكتبـة مدبولـــــي. ....

٨ - الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - ١٩٩٢ القاهرة - مكتبة النهضة المصرية..................................

٩ - الإرهاب الدولي في ظل الظروف المعاصرة - ١٩٩٣ - القاهرة - مكتبة مدبولـــي.

١٠ - مقارنة بين طبعة العقد والمعاهدة الدولية - ١٩٩٢ - القاهرة - مكتبـــة مدبولـــي.

١١- مدى التقارب والتباين في الطابع الحضاري لأهم نظم وشرائع مجتمعات العصـــور القديمـــــة - ١٩٩٣ - القــــاهرة - مكتبـــــة النهضـــــة المصريـــــة.

١٢- الإطار التاريخي والفلسفي لمعيار الإعتراف الدولي في العصور القديمة والوسـطى والحديثــــة - ١٩٩٢ - القــــاهرة - مكتبـــــة النهضـــــة المصريـــــة.

١٣ - المقومات الدافعة لتعديل التقسيم الإداري الحالي للإقليم المصري - دراسة تاريخيــة وتحليليـــة عـــن إقليـــم مصـــر منـــذ العصـــر الفرعونـــي حتـــى الآن - ١٩٩٥ مكتبـــة مدبولـــي بالقـــاهرة. ....

١٤ - أهم قضايا الشباب في المجتمع المصري - ١٩٩٤ - مكتبـــة مدبولـــي بالقـــاهرة.

١٥ - مفـــهوم الشـــخصية القانونيـــة فـــي العصـــور القديمـــة - ١٩٩٧ - القــــاهرة مكتبة النهضة المصريـــة. ....

١٦ - التـــاريخ العـــام للنظـــم والشـــرائع القديمـــة - ١٩٩٨ - القــــاهرة مكتبة النهضة المصريـــة..................................

ثانيا - كتب تحت الطبع:

١ - التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الحثية المندثرة.

٢ - التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الفارسية.

٣ - التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الهندية القديمة.

٤ - التفسيرات الأولية لدوافع السلوك الإجرامي في العصور القديمة.

٥ - مفهوم انضمام الدولة للأسرة الدولية في العصور القديمة.

ثالثا - أهم البحوث المنشورة:

١ - أهمية إنشاء محكمة دولية جنائية في ظل الظروف المعاصرة للمجتمع الدولي - تم نشره بمجلة النيابة العامة - العدد الثاني - السنة السادسة - إبريل ١٩٩٧.

٢- رؤية موضوعية حول تطور التشريعات الاجتماعية الخاصة برعاية وحماية الطفل المصري - تم عرضه في مؤتمر (حق الطفل في تربية رشيدة) الذي عقدته وزارة الشئون الاجتماعية بالقاهرة في سبتمبر ١٩٩٢.

٣ - الآفاق الجديدة نحو تطور وسائل ثقافة طفل الريف - تم عرضه في [ندوة ثقافة طفل الريف] التي عقدت بالمركز القومي لثقافة الطفل في إبريل ١٩٩٢.

٤ - أثر ارتفاع حالات الطلاق علي أوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية - تم عرضه في مؤتمر بلورة الرؤية الأمنية لوزارة الداخلية في الوقت الواحد والعشرين الذي عقد بأكاديمية الشرطة في يناير في يناير ١٩٩٧.

٥- أثر انخفاض حالات الزواج علي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية - تم عرضه في مؤتمر بلورة الرؤية الأمنية لوزارة الداخلية في الوقت الواحد والعشرين الذي عقد بأكاديمية الشرطة في يناير في يناير ١٩٩٧.

٦ - المسارات الإيجابية للارتقاء بثقافة الطفل المصري - تم عرضه في ندوة [ثقافة الطفل المصري] التي عقدت بالمركز القومي لثقافة الطفل في مايو ١٩٩٣.

٧ - أثر الاهتمام برعاية الأمومة والطفولة في تنمية المجتمع - تم عرضه في مؤتمر الطفولة والأمومة الذي عقد بالقاهرة تحت رئاسة السيد رئيس مجلس الوزراء في يناير ١٩٩٢.

٨ - مظاهر ودوافع وأبعاد التطرف والإرهاب المعاصر - تم نشره بمجلة الأمن العام بالعدد المختار الصادر في عام ١٩٩٤.

٩ - مدى أهمية نسبة التوازن الأمني بين عدد السكان وقوات الشرطة النظامية - دراسة تاريخية وتحليلية عن الوضع في المجتمع المصري منذ عام ١٩٠٧ - عام ٢٠٠٠ تم نشره في مؤتمر الشرطة العصرية الذي عقد بأكاديمية الشرطة في عام ١٩٩٧.

١٠ - تطوير الأداء الأمني لشركات الأمن والحراسة - تم نشره بمجلة الأمن العام المصرية - العدد ١٣٦ الصادر في يناير ١٩٩٢.

١١ - الآثار الأمنية الناتجة من أوضاع الحراس الخصوصيين - تم نشره بمجلة الأمن العام المصرية - العدد ١٤٥ الصادر في إبريل ١٩٩٤.

١٢ - أهمية الحد من أزمة المرور - وتحويل سلبياتها إلى دعائم إيجابية . تم نشره بمجلة الأمن العام - العدد ١٤٢ الصادر في يوليو ١٩٩٣.

١٣ - أثر حل مشكلة البطالة في دفع حركة التنمية الشاملة - تم نشره بمجلة الأمن العام - العدد ١٤٩ - الصادر في إبريل ١٩٩٥.

١٤ - الوحدات السكنية المفروشة وآثارها على حركة السياحة وأمن واستقرار المجتمع - تم نشره بمجلة الأمن العام - العدد ١٤٤ الصادر في يناير ١٩٩٤.

١٥ - آثار بعض قوانين المباني على الحركة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية - تم نشره في جريدة الأهرام المصرية الصادرة بتاريخ ١٩٩٣/٢/٢٨.

١٦ - الجرائم الدولية وأهمية الحد منها في المجتمع الدولي المعاصر - تم نشره في مجلة الأمن العام - العدد ١٥٨ - الصادر في يوليو ١٩٩٧.

الفهـــــرس

القسم الثاني

مراحل ظهور القانون وأهم شرائع وأحكام قوانين المجتمع الصيني القديم ٣٦٣

الباب الأول

مراحل ظهور القانون في المجتمع الصيني القديم . ٣٦٩

الباب الثاني

أهم شرائع وأحكام قوانين المجتمع الصيني القديم ٤٦٣

رقم الايداع القانونى
بدار الكتب والوثائق القومية
١٦٠٨ / ٢٠٠٠